

كِتَابُ شَرْحِ الصَّوَائِمِ

عَلَى جَوْهَرَةِ التَّوْحِيدِ

للإمام لفقيه عمدة أهل العقدين

الشيخ أحمد بن محمد المالكي الصاوي

الترقي سنة (١٢٤١) هـ

تَحْقِيقٌ وَتَعْلِيقٌ

الدكتور عبد الفتاح البرم

دَارُ ابْنِ كَثِيرٍ

دمشق بيروت



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد :

فقد جاء في مقدمتي للطبعة الأولى أن الفضل كل الفضل لمن رأى خطأ فصححه وأهدانيه . لأتداركه في الطبعة التالية .

وإني لجد شاكر لمن استجاب لهذا الطلب ، وأقول لهم جميعاً: جزاكم الله عني كل خير ؛ فقد استلمت ملاحظات عدة ممن عرفت وممن لم أعرف تحمل في طياتها تسديداً وتذكيراً وتنبيهاً ، ووضعت ذلك موضع البحث والتحقيق ، فاعتمدت منها الكثير الذي ارتضيته ، وأثبتته في موضعه ، فجاءت الطبعة الثانية مزينة بتعليقات كثيرة ، ومنقحة في مواضع جمة ، ولا أدعي كمال العمل وتمامه ، إنما أرجو الله التوفيق إلى الأفضل ، وأسأله ، جل وعلا ، أن يجعل هذا العمل متقبلاً ، إنه سبحانه خير مسؤول .

والحمد لله أولاً وآخراً

١/ شوال/ ١٤١٩هـ

٢٩/ كانون الثاني/ ١٩٩٩م

عبد الفتاح البزم

مقدمة المحقق

(الطبعة الأولى)

الحمد لله الذي تفرّد في ذاته وصفاته وأفعاله ، فقال : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ ، وتنزّه عن الشريك والندّ ، فقال : ﴿ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ ، واستغنى عن الصحابة والولد ، فقال : ﴿ مَا أَخَذَ صَاحِبَةٌ وَلَا وُلْدًا ﴾ . أكرم بني آدم بإرسال الرسل ؛ ليخرجوهم من ظلام الشرك إلى نور التوحيد ، ورضي لعباده الإسلام ديناً ، فقال : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ .

والصلاة والسلام على سيّدنا محمّد صاحب الحقّ المبين ، الذي وصفه ربّ العزّة ، فقال : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ ، وعلى آله وأصحابه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين .

وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله ، شهادة مؤقن بها ، أدّخرها عند ربّي راجياً منه - سبحانه - أن يكرمني بها عند انتهاء الأجل .

وبعد :

فإنّ علم التوحيد أشرف العلوم تبعاً للمعلوم ، لم يخرج فيه مصنّفوه

المخلصون عن مدلول الكتاب والسنة وإجماع العدول ، به تُنفي الشكوك والشُّبُه والأوهام ، وبه يُرَدُّ على أهل الزيغ والإلحاد ما حَبَّروه من سوء الكلام ، وبه تُرزق النفسُ الراحةَ والاطمئنان في دار الفناء ، والنجاة والسعادة في دار البقاء . ورحم الله ذا النون المصري الذي سئل عن علم التوحيد فقال : (هو أن تعلم أن قدرة الله تعالى في الأشياء بلا مزاج ، وصُنعه للأشياء بلا علاج ، وعلَّةُ كلِّ شيء صنُعه ، ولا علَّةٌ لصنعه ، وليس في السموات العلا ، ولا في الأرضين السفلى مدبّر غير الله ، وكلُّ ما تتصوّر في وهمك فالله بخلاف ذلك) .

ومن هنا وجب على كلِّ مسلم أن يتعلّم ما يصحّح به عقيدته ؛ لينزل عند أمر الله ﴿ فَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ ، وعند أمر رسول الله ﷺ « قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ ثُمَّ اسْتَيْمُّمَ » ، فيشرق قلبه بنور اليقين الذي به يُحقِّق الحقَّ ، ويُبطلُ الباطل ، فيرى عند ذلك الآخرة ماثلة ؛ لأنها حقٌّ ، والدنيا فانية ؛ لأنها باطل ، وفي هذا قال ابن عطاء الله : (لو أشرق لك نورُ اليقين لرأيت الآخرة أقرب إليك من أن ترحلَ إليها ، ولرأيت محاسن الدنيا قد ظهرت كسفةً الفناء عليها) .

وقد قرّر الجنيد - رحمه الله - أنَّ أوَّلَ ما يحتاجه العبد معرفة ربِّه ، فقال : (إنَّ أوَّلَ ما يحتاج إليه العبد من عقْد الحكمة معرفة المصنوعِ صانعه ، والمحدثِ كيف كان إحداثه ، فيعرف صفة الخالق من المخلوق ، وصفة القديم من المحدث ، ويذلُّ لدعوته ، ويعترف بوجوب طاعته ؛ فإنَّ مَنْ لم يعرف مالكة لم يعترف بالملك لمن استوجبه) . ووضّح ذلك ابن عبّاس - رضي الله عنهما - عندما فسّر قوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ بقوله : (إلا ليعرفون) .

ومن هنا جعل علماء التوحيد معرفة الله أوَّلَ ما يجب على العبد ، فقال الإمام إبراهيم اللقاني في منظومته (جوهرة التوحيد) :
واجزِمُ بأنَّ أوَّلًا مِمَّا يَجِبُ مَعْرِفَةُ

تلك المنظومة التي هي موضع اهتمامنا في هذا الكتاب من خلال شرح العلامة الصاوي لها، والتي أنشأها اللقاني في ليلة واحدة بإشارة شيخه في التربية والتصوّف الشيخ أحمد عرب الشرنوبلي، فحمده، ودعا له ولمن يشتغل بها بمزيد النفع. وقد ألف عليها ناظمها فيما بعد ثلاثة شروح صغير ووسط وكبير.

ومن ثمّ اهتمّ بها العلماء، وانبروا لها شارحين ومقرّرين قديماً وحديثاً؛ لما وجدوه من صدق لهجة صاحبها، ولما استشعروه من محض إخلاصه، وقد جاءت جامعة لعقائد التوحيد، مبنيةً على مختار الإمام أبي الحسن الأشعري، بألفاظ سهلة وأسلوب خالٍ من المعازلة والتعقيد. فبلغت شروحها والحواشي عليها أكثر من خمسة عشر مؤلفاً، ذكرتها مفصلة تحت عنوان (شروح جوهرة التوحيد وحواشيها).

ولمّا كان الإمام اللقاني أحد الأعلام المشار إليهم بسعة الاطلاع في علم الحديث والدراية والتبحّر في الكلام، وكانت جوهرة أنفع تأليفه، وجدّني بتوفيق الله من جملة خدامها من خلال اهتمامي بشرح الإمام الصاوي، العارف بالله تعالى، شيخ الشيوخ، وعمدة أهل التحقيق والرّسوخ. ذلك الشرح الذي جاء جامعاً لمذهب أهل السنّة والجماعة، مبنياً على أقوال الأشاعرة والماتريديّة المعتمدة في علم التوحيد مع بيان كثير من آراء الفرق المخالفة، والردّ عليهم. اعتمد فيه مؤلّفه شروح إبراهيم اللقاني، وتقارير النفراوي عليها، وحاشية الأمير على إتحاف المرید لعبد السلام اللقاني، والمزيد على إتحاف المرید للشّحيمي وحاشية الملوي على إتحاف المرید، كما اعتمد على بعض كتب الإمام السنوسي في العقيدة. يظهر ذلك من خلال توثيقه لأكثر ما نقله عن هؤلاء.

وكان اهتمامي بالشرح المذكور من سنين بعيدة حين أكرمني الله بقراءته على فضيلة شيخنا العلامة الشيخ أديب الكلاس - بارك الله به

وبجميع العلماء العاملين ، ونفعنا بهم أجمعين - قراءة تدقيق وتمحيص ،
أثمرت اليوم هذا التحقيق الذي رجعتُ فيه إلى جُلِّ الشروح والحواشي
والتقريرات الموضوعة على الجوهرة المذكورة ، وإلى كثير من الكتب
المعتمدة في التوحيد ؛ ليزداد شرحُ العلامة الصاوي وضوحاً ، ولتسهل
عبارته ، ويعمَّ نفعه ، فيصل قارئه إلى لبِّ التوحيد بأسهل طريق وأيسر
سبيل . فإن تحقَّق ذلك فبفضل الله وتوفيقه ، وإن كانت الأخرى فمن
تقصيري وقلة زادي . والفضلُ كلُّ الفضل لمن رأى خطأً فصَحَّحه
وأهدانيه ؛ لأتداركه في الطبعة التالية إن شاء الله تعالى . ورحم الله
من قال :

فإن تَجِدْ عَيْباً فَسُدِّ الخَللاً فَجَلَّ مَنْ لا عَيْبَ فيه وعلا
والله أسأل أن ينفع به كما نفع بأصله ، وأن يجعل هذا العمل خالصاً
لوجهه الكريم ، إنَّه خير سميع وخير مجيب .

والحمد لله ربِّ العالمين

عبد الفتاح البزم

٢٤ / رمضان / ١٤١٧ هـ

٢ / شباط / ١٩٩٧ م

ترجمة الشيخ إبراهيم اللقاني (١)

صاحب الجوهرة
المتوفى سنة (١٠٤١هـ)

اسمه ونسبه:

هو الشيخ إبراهيم بن إبراهيم بن حسن بن علي . . . ابن الولي الشهير محمد بن هارون ، أبو الإمداد الملقب ببرهان الدين اللقاني المالكي . أحد الأعلام المشار إليهم بسعة الاطلاع في علم الحديث والدراية والتبحر في الكلام ، وكان إليه المرجع في المشكلات والفتاوى في وقته بالقاهرة .

فضله:

كان الإمام اللقاني - رحمه الله - قوي النفس عظيم الهبة ، يصرف

(١) اللقاني: بفتح اللام ثم قاف وألف ونون. نسبة إلى لقانة قرية من قرى مصر. انظر ترجمة الإمام اللقاني في: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر للمحبي (١/٦-٩)، وشجرة النور الزكية في طبقات المالكية (٢٩١)، ومعجم المطبوعات العربية والمعربة لسركيس (١٥٩٢)، وفهرس الفهارس للكتاني (٩٠/١)، وهدية العارفين للبغدادي (١/٣٠)، ومعجم المؤلفين (٢/١).

وقته في الدرس والإفادة . وكان له نسبة هو وقبيلته إلى الشرف ، لكن لا يظهره تواضعاً منه ، وقد جمع بين الشريعة والحقيقة ، وله كرامات خارقة ومزايا باهرة .

شيوخه :

أخذ الإمام اللقاني عن كثير من المشايخ ذكرهم في كتابه نثر المآثر فيمن أدرك من القرن العاشر . فمن أجلّ مشايخه :

من الشافعية : علّامة الإسلام محمد البكري الصديقي ، والشيخ الإمام محمّد الرملي شارح المنهاج ، والعلامة أحمد بن قاسم .

ومن الحنفية : شيخ الإسلام علي بن غانم المقدسي ، والشمس محمد النحريري ، والشيخ عمر بن نجيم .

ومن المالكية : الشيخ محمد السنهوري ، والشيخ أحمد المنيأوي ، وعبد الكريم البرموني صاحب الحاشية على مختصر خليل ، وغيرهم .

ومن مشايخه في الطريق : الشيخ أحمد البلقيني الوزيري ، والشيخ محمد بن الترجمان ، والشيخ أحمد عرب الشرنوبلي ، وجماعة كثيرة .

وذكر الإمام اللقاني أنه لم يكثر عن أحد منهم مثل ما أكثر عن الإمام أبي النجا سالم السنهوري ، ويليهِ الشيخ محمد البهنسي ، ويليهِ الشيخ يحيى القرافي المالكي إمام الناس في الحديث تحريراً وإتقاناً .

تلاميذه :

أخذ عن الإمام اللقاني كثير من الأجلّاء منهم : ولده عبد السلام ، والشمس البابلي ، وعبد الباقي الزرقاني ، والعلاء الشّبراملّسي ، ويوسف الفيشي ، ويس الحمصي ، وحسين النماوي ، وحسين الخفاجي ، وأحمد العجمي ، ومحمد الخرشي المالكي ، وغيرهم ممّن لا يحصى كثرة ، ولم يكن أحد من علماء عصره أكثر تلامذة منه .

مؤلفاته :

ألف اللقاني - رحمه الله - التأليف النافعة ، ورغب الناس في استكتابها وقراءتها ، أكمل الكثير منها ولم يكمل باقيها .

ومن مؤلفاته التي كملت (١) :

- جوهرة التوحيد : منظومة في علم العقائد . ألفها في ليلة واحدة ، ثم أقرأها تلاميذه فيما بعد .

- عمدة المرید لجوهرة التوحيد : أكبر شرح لمنظومته ، وأوسعها ، انتهى من تأليفها سنة (١٠١٩هـ) . وهذا الشرح لا يزال مخطوطاً .

- تلخيص التجريد لعمدة المرید : شرح متوسط لجوهرة التوحيد ، ألفه للشيخ المعروف بقاضي زاده ، فرغ منه في محرم سنة (١٠٣٥هـ) . إلا أنه لم يحرره ، فلم يظهر .

- هداية المرید لجوهرة التوحيد : قال في مقدمته : (وقد وضعت فيه منظومتي المسماة بجوهرة التوحيد ؛ لأنها حوت من بدائعه ما هو كالفريدة في العقد الفريد من الجيد ، وشرحتها قبل هذا شرحين جليلين : أحدهما عمدة المرید ، وثانيهما تلخيص التجريد^(٢) .) أنهى تأليفها سنة (١٠٢٩هـ) .

- وله توضيح ألفاظ الأجرؤمية ، وقضاء الوطر من نزهة النظر في

(١) انظر مؤلفات اللقاني في : كشف الظنون لحاجي خليفة (١/٦٢) ، ومعجم المطبوعات العربية والمعربة ليوسف إيان سركيس (١٥٩٢) ، ومعجم المؤلفين (٢/١) ، وهدية العارفين للبغدادي (١/٤٩٨) ، وخلاصة الأثر للمحبي (٧٠٦/١) ، وفهارس التيمورية (٤/٣١-١٤٢) ، وفهارس الكتبخانية الخديوية (٢/١٣-٥٩) ، وفهرس الفهارس للكتاني (١/١٣٠) .

(٢) انظر هداية المرید (ق٢/أ) .

توضيح نخبة الأثر للحافظ ابن حجر ، وإجمال الوسائل وبهجة المحافل
بالتعريف برواة الشمائل ، ومنار أصول الفتوى وقواعد الإفتاء بالأقوى ،
وعقد الجمان في مسائل الضمان ، ونصيحة الإخوان باجتنب شرب
الدخان ، وتحفة ذرية عليّ ابهلول بأسانيد جوامع أحاديث الرسول .

من مؤلفاته التي لم تكمل :

تعليق الفوائد على شرح العقائد للسعد التفتازاني ، وشرح تصريف
العزّيّ للسعد سمّاه : خلاصة التعريف بدقائق شرح التصريف ، وحاشية
على جمع الجوامع سماها : بالبدور اللوامع من خدور جمع الجوامع ،
وجمع جزءاً في مشيخته سماه : نثر المآثر فيمن أدرك من القرن العاشر .

وفاته :

توفّي - رحمه الله - وهو راجع من الحجّ سنة إحدى وأربعين وألف ،
ودفن بالقرب من عقبة أيلة بطريق الركب المصري ، وفي هذه السنة
توفي الحافظ الكبير أبو العباس المُقَرّي المالكي ، فرثاهما ابن محبّ
الدين الدمشقي قائلاً :

مضى المُقَرّي إثر اللقاني لاحقاً إمامان ما للدهر بعدهما خَلَفُ
فبدر الدجى أجرى على الخدّ دمه فآثر ذاك الدمعُ ما فيه مِنْ كَلَفُ

* * *

ترجمة الشيخ أحمد الصاوي^(١)

شارح جوهره التوحيد

١١٧٥هـ - ١٢٤١هـ

نسبه وولادته:

هو الشيخ أحمد بن محمد الصاوي الخلوتي شهاب الدين أبو العباس، العارف بالله، الإمام الفقيه، شيخ الشيوخ، وعمدة أهل التحقيق والرسوخ، قدوة السالكين، ومربي المريدين، العلامة المحقق الحبر الفهامة المدقق. ولد سنة (١١٧٥هـ) في صاء الحجر، حفظ القرآن في بلده، ثم انتقل إلى الجامع الأزهر لطلب العلم سنة (١١٨٧هـ).

أخلاقه وفضله:

ذكر السيد أحمد الششتي تلميذ الصاوي مناقب شيخه في كتاب

(١) الصاوي: نسبة إلى صاء الحجر على شاطئ النيل في إقليم الغربية بمصر. انظر معجم المؤلفين (١١١/٢).

وانظر ترجمة الإمام الصاوي في: (مناقب الصاوي) لمحمد بن حسين الكتبي الحنفي (ق/١٢ب) وما بعدها، وشجرة النور الزكية (١/٣٦٤)، وفهرس الفهارس (١/١٣٩)، ومعجم المطبوعات العربية والمعربة (٣٧٦)، وهديّة العارفين (١/١٨٤ - ١٨٥)، والأعلام (١/٢٤٦)، ومعجم المؤلفين (٢/١١١)، وإيضاح المكنون (١/٧٥ - ١٩٣)، وكشف الظنون (٥/١٨٤).

سمّاه: (مناقب الصاوي)^(١) فقال: (اشتغلّ بالإرشاد إلى طريق الرشاد، وأنقذ الله به مُهَج العباد من الحسد والبغي والعناد، فعمّ نفعه الحاضر والباد. ثم إن أستاذي - رضي الله عنه وعنا به - شرع يدعو الناس إلى الله بحاله وقاله .

وحاله مع عباد الله العطف والرأفة وعدم التشديد، يرَبِّي أتباعه بالألحاظ في كلِّ الألحاظ، ويدلّهم على المقام الأعلى من أوّل قدم، حتى فاح شذا عطره في الأكوان، وانتشر سرّه في جميع الوديان .

فمن أخلاقه مع أتباعه أنه لا يعظ أحداً بخصوصه، إنما يعظ وعظاً عاماً، حتى إذا وقعت من أحدهم هفوة عرفها، وتاب منها سرّاً، فكل إنسان يأخذ من وعظه لنفسه عبرة، وهذا من كمال المعرفة وحسن التربية .

ومن أخلاقه معهم أن يعلمهم ترتيل الأوراد، وحسن إقامتها، وقرأ لهم كثيراً من كتب القوم بالدرس؛ ليعلمهم مكارم الأخلاق حرصاً عليهم، وإذا رأى نفوسهم سئمت من التشديد بأسطهم بما يناسب أحوالهم مع أنه مهبط تجلّي الجلال .

ومن أخلاقه معهم أنه كان يلاطف كلّاً منهم على قدر حاله حتى إنّ من رآه جزم بأنّ منزلتهم عنده مستوية، بل كلّ واحد يظنُّ أنه الفريد في المحبّة من عظم ما يراه من الملاطفة . . . رضي الله عنه وعنا به، وأيده ونفعنا به بجاه سيّدنا محمّد خير أنبيائه)^(٢) .

وقال محمد بن حسين الكتبي في فضل شيخه الصاوي: اعلم أنّ

(١) ألّف هذا الكتاب في حياة شيخه الصاوي، وتوفّي قبل إتمامه، فأكمّله محمد بن حسين الكتبي الحنفي في حياة شيخه الصاوي أيضاً. وما يزال الكتاب مخطوطاً مودعاً في المكتبة التيمورية في القاهرة برقم (١٣٢٥).

(٢) انظر مناقب الصاوي: (ق) (١٢/ب) - (١٣/أ) - (١٤/أ).

الذي حصل لأستاذنا من اشتهاه ذكره ، وجذب القلوب إليه ، وهيبته في قلوب الخلق ، وتعلق الأتباع بأذياله ، والثامهم في ذكر الله ، وكثرتهم ولهجهم بذكره في غيبته وحضوره ، والثناء عليه بين يديه ، لم يقع لغيره في عصره لأحد من إخوانه ، بل ولا لأشياخه الذين شاهدناهم ، مع أنه ليس له مجلس مؤانسة ، وحديث دنيوي مما يستدعي جذب القلوب ، بل كان في غاية الكد والطاعة . رأيت مرة في خلوة ، وقد غلب عليه الجلال يقول : (اللهم إن كان فيّ بقية لغيرك ، فانزعها) ، وشاهدته بعد ذلك استوى عنده الجليل والحقير .

وأول من لهج بمذائح الأستاذ السيد أحمد الششتي حيث قال :
 فلا ثمَّ بابٌ غيرُ بابِكَ سيِّدي^(١) ينالُ المنيَّ عبداً أتاهُ بِذِلَّةِ
 تقبَّلْ دُعانا يا إلهي وكنْ لنا نصيراً ومولى يا رجائي وعمدتي
 سألتُك يا اللهُ حفظاً لشيخنا من اقتبست أنواره كلُّ بُعْعة
 هو العارفُ الصاويُّ أحمدُ عصره مقيمٌ على ذكرِ الحبيبِ بهمةٍ^(٢)

شيوخه :

أخذ الشيخ أحمد الصاوي عن أئمة أعلام من أجلة شيوخ عصره ،

منهم :

١ - العلامة الشهاب أحمد بن محمد الدردير^(٣) العدوي المالكي الأزهري المتوفى سنة (١٢٠١ هـ) ، فاضل من فقهاء المالكية ، صاحب التصانيف الكثيرة التي عني الإمام الصاوي بشرحها ، ووضع الحواشي عليها^(٤) .

(١) يناجي الله سبحانه وتعالى ، ثم يسأل الحفظ لشيخه .

(٢) انظر مناقب الصاوي (ق/٣٩/ب) ، (ق/٤٠/أ) .

(٣) انظر ترجمته في ص(١٠٥) من هذا الكتاب ، وشجرة النور الزكية (٣٥٩) ، وحلية البشر (١/١٨٥) ، والأعلام (١/٢٤٤) .

(٤) انظر قائمة مؤلفات الإمام الصاوي - رحمه الله - في ص(١٨) وما بعدها من هذا الكتاب .

٢ - العلامة الشيخ سليمان بن عمر بن منصور العجيلي الأزهري المعروف بالجمال، المتوفى سنة (١٢٠٤ هـ) ، أخذ عنه تفسير الجلالين من أوله إلى آخره مرتين^(١) .

٣ - العلامة شمس الدين محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي^(٢) الأزهري المتوفى (١٢٣٠ هـ) ، أخذ عنه ، وتردّد عليه .

٤ - العلامة الشيخ محمد بن محمد بن أحمد الأمير الكبير^(٣) المالكي الأزهري المتوفى سنة (١٢٣٢ هـ) ، أخذ عنه ، وأجيز منه إجازة عامة ، أشركه هو وغيره من الطلبة فيها .
تلاميذه^(٤) :

أخذ عن الإمام الصاوي الكثيرون من شُدادة الشريعة والحقيقة ، منهم :

١ - السيد أحمد الششتي المتوفى سنة (١٢٣٥ هـ) ، ألف كتاباً في مناقب شيخه الصاوي ، ومات في حياة شيخه ، قبل أن يُتَمَّه ، وقد شعر الإمام الصاوي بوفاته ولده هذا القلبي الأعز من الصلبي ؛ وذلك أنّه حين ودّع الأستاذ عند التوجّه إلى الحجاز بكى الأستاذ كثيراً ، وقال :
الله يعوّضنا في السيّد أحمد خيراً ، وقال لشريكه في المنزل : إن السيد أحمد لا يرجع من الحجاز هذه المرّة ، فكان كذلك ، فمات فيها ، ودُفن بالبقيع^(٥) .

(١) انظر مقدّمة الصاوي لحاشيته على الجلالين (٧/١) .

(٢) انظر شجرة النور الزكية (٣٦٢/١) ، وحلية البشر (١٢٦٢/٣) .

(٣) انظر ترجمته في ص (١٣٣ - ١٣٤) من هذا الكتاب ، وشجرة النور الزكية (٣٦٢) ، وحلية البشر (١٢٦٦/٣) .

(٤) انظر تلاميذ الصاوي في (فهرس الفهارس) وفي (مناقب الصاوي) .

(٥) مناقب الصاوي (ق/٢٩ ب) .

٢ - العلامة الهاشمي الرتبي المتوفى سنة (١٢٤٠ هـ) ، أجاز له الصاوي بجميع ما له من المرويات سنة (١٢٣٥ هـ) .

٣ - الشيخ يوسف بن محمد بن يحيى البطاح الأهدل الزبيدي المتوفى سنة (١٢٤٦ هـ) .

٤ - العلامة أبو حامد العربي ابن محمد الدفتي الفاسي المتوفى سنة (١٢٥٣ هـ) .

٥ - الشيخ محمد بن علي السنوسي الخطابي المتوفى سنة (١٢٧٦ هـ) ، أجاز له الصاوي .

٦ - محمد بن حسين الكتبي الحنفي الذي أتم كتاب صاحبه الششتي في مناقب شيخهما الصاوي .

ومن جملة تلاميذه السيد محمد الكفراوي ، وأحمد محمد نصير ، والسيد محمد البنا الحنفي مفتي السادة الحنفية ، وكان من أعزّ أولاد الأستاذ ، وسليمان أفندي البلاني ، والسيد قاسم الششتي ، والشيخ علي مطر الغرياني .

مؤلفاته^(١) :

للشيخ الصاوي مؤلفات كثيرة معظمها شروح وحواش ، وأول ما أجرى الله على يديه رسالة ألّفها في حياة شيخه أحمد الدردير ردّاً على بعض المعاندين الجاحدين وجود الأولياء وثبوت الكرامات . ثم تعددت مؤلفاته فكان منها :

(١) انظر مؤلفاته في مناقب الصاوي (ق/٣٦ب) وما بعدها . ومعجم المطبوعات العربية والمعربة (٣٧٦ - ٣٧٧) . وكشف الظنون (١٨٤/٥) . وهدية العارفين (١٨٤/١ - ١٨٥) . وإيضاح المكنون (٧٥/١ - ١٩٣) .

- الفرائد السنيّة على متن الهمزيّة (شرح همزية البوصيري)، ألفها عام (١٢١٥هـ) إذ قرأ همزية الإمام البوصيري في بلدة بشاطيء النيل، وحضره فيها جمع من أفاضل العلماء والأولياء والأشراف، فحملوه على كتابة تقريره الذي سمعوه منه، وجعله شرحاً ينتفعون به، فكان شرحاً جليلاً واضحاً نافعاً مستوفى ليس مختصراً مخلّلاً، ولا طويلاً مملاً.

- شرح تحفة الإخوان في علم البيان لشيخه أحمد الدردير.

- الأسرار الربانية، والفيوضات الرحمانية، على الصلوات الدرديرية، شرحها عام (١٢١٩هـ) بعد أن ألحّ عليه أخوه في الله العارف صالح السباعي، فامتثل، وكتب شرحاً لا يضاهاى، فيه كفاية للمريد في الآداب والشروط، وللعارف في إيضاح المقامات والأحوال مع مزيد الإتقان، وعدم التطويل، وكان مدة تأليف شرح الصلوات تسعة وعشرين يوماً.

- شرح منظومة (أسماء الله الحسنى) للشيخ أحمد الدردير.

- بلغة السالك، لشرح أقرب المسالك، لمذهب الإمام مالك، للشيخ أحمد الدردير. فجاء شرح الصاوي في غاية من السهولة وجمع المسائل، وعلى نهاية من الفائدة والإيجاز ونفع المسائل.

- حاشية على شرح الخريدة البهية، للشيخ أحمد الدردير في علم التوحيد، اشتهرت وكثر النفع بها.

- حاشية على تفسير الإمامين الجلالين، اختصر فيها حاشية أستاذه الشيخ الجمل المسمّاة: بالفتوحات الإلهية، فأودعها معارفه وأسراره، واشتهرت وعمّ النفع بها، واعتنى بها الأفاضل في زمنه، انتهى من تأليفها سنة (١٢٢٨هـ).

- شرح على جوهرة التوحيد: وذلك بعد أن قرأ جوهرة التوحيد سنة (١٢٢٠هـ) في رمضان، وألّف عليها حاشية لم يسبق مثلها موافقة لغرض المصنّف اللقاني في السهولة والجمع والاختصار، مع عذوبة

الألفاظ ، وجزالة المعاني ، وتنقيح الأحكام ، تضع الدواء على الداء ، وتسقي الرُّلال على الظما ، وتزيل بالجلء العمى . شكر الله له في ذلك .

- رسالة في الجهاد: جمع فيها كلَّ آية في القرآن تتعلَّق بالجهاد على الترتيب ، وكلَّ حديث في الجامع الصغير بشأن الجهاد على الترتيب ، وبعض زيادات آخر .

- حاشية على أنوار التنزيل للبيضاوي .

- رسالة فيما للخلوة من الشروط والآداب .

ثم اعلم أنَّ بعض تأليف الصاوي كانت تقارير ، وبيَّضها تلميذه أحمد الششتي بالمدينة المنورة ، وبقيت بعد وفاته هناك ، كحاشية الصاوي على دلائل الخيرات ، وحاشيته على مختصر البخاري ، وحاشيته على بانة سعاد ، ودعاء سورة يس .

وفاته:

قال السيد محمد حسين الكتبي في مناقب شيخه الصاوي:

(ولمَّا توجَّهتْ همَّةُ الأستاذ إلى التوجُّه إلى المدينة المنورة ، وكان ذلك أوائل شعبان سنة إحدى وأربعين ومئتين وألف هجرية^(١) ، اشتدَّ كُرْبُ فراقه على جميع أتباعه ، وخصوصاً مع قوله : إنَّ الوقت قَرُب ، وحببي دعاني . فتهيأ لصحبته بعض أعيان الإخوان ، وهو زوج أخت الأستاذ : الشيخ علي الشاذلي ، ونزل إلى بلده ؛ ليأتي ببعض لوازم السفر ، فلم ينتظره ، واستصحب أخته ، وقال وهو يبكي : لمن أتركها؟ فتجاسرتُ عليه مرّة ، وقلت له : يا سيّدي ، مولانا الشيخ علي الشاذلي معك ، فهلاً انتظرته ، فقال لي - والله على ما أقول وكيل - : إنه لا يحجُّ ،

(١) هكذا وردت في مناقب الصاوي (ق٣٥/١) . ولعلَّ الصواب سنة أربعين ومئتين وألف هجرية ؛ لأنَّ وفاة الصاوي كانت في المحرم ، في مطلع عام واحد وأربعين ومئتين وألف من الهجرة . كما سيأتي بعد أسطر .

ولا يسافر . وإذا به مات ، ودفن ببلده . وأدرك - رضي الله عنه - رمضان بمكة ، وتوجه بعده لزيارة ابن عباس بالطائف ، ثم حضر موسم الحج الشريف ، ونزل من منى مسرعاً إلى المدينة المنورة - على ساكنها أفضل الصلاة والسلام - وهو يقول : الوقت قُرب ، وحببي دعاني . فوصل إلى المدينة ، وتملى بالزيارة أياماً قلائل ، وتمرض كذلك ، وتوفي إلى رحمة الله تعالى سابع محرم الحرام ، افتتح إحدى وأربعين ومئتين وألف من هجرة من له العز والشرف).

رحمه الله ونفعنا بحاله وقاله .

* * *

شروح

جوهرة التوحيد وجواشيها (١)

اشتهرت جوهرة التوحيد في علم العقائد شهرة واسعة ، وذاع صيتها حتى عكف العلماء على شرحها ، ووضع الحواشي والتقاريرات على شروحها ؛ لما وجدوا فيها من السهولة والجمع والاختصار . وقد بنيت على مختار رأي الإمام أبي الحسن الأشعري رحمه الله .

وأول من شرحها ناظمها الإمام إبراهيم اللقاني المتوفى سنة (١٠٤١هـ) وذلك في ثلاثة شروح كبير ووسط وصغير :

١ - عمدة المرید لجوهرة التوحيد: وهو شرحه الكبير عليها ، ألفه سنة (١٠١٩هـ).

٢ - هداية المرید لجوهرة التوحيد: وهو شرحه الصغير عليها ، ألفه سنة (١٠٢٩هـ).

(١) انظر شروح جوهرة التوحيد في: كشف الظنون (١/٦٢٠)، وخلاصة الأثر (٦/١)، وفهارس مخطوطات مكتبة الأسد، وفهرس المخطوطات العربية في مكتبة الأوقاف في بغداد (٢/٩٣-٢٢٨-٢٣٢-٢٥٨)، والفهارس التيمورية (٤/١٤٢)، وفهارس الكتبخانية الخديوية (٢/٢-٣-٩-١٣-١٤-١٨-١٩-٣٥-٥٩-٥٣).

٣ - تلخيص التجريد لعمدة المرید: وهو شرحه الوسيط علیها، ألفه سنة (١٠٣٥هـ). ولم یحرّره.

ثم شرحها ابنه الشیخ عبد السلام اللقاني المتوفى سنة (١٠٧٨هـ)، شرحین هما:

٤ - إرشاد المرید: شرح فيه الجوهرة بأوراق قليلة، وضمنها مختار أهل السنة من غیر مزید.

٥ - إتحاف المرید بجوهرة التوحید: شرح متوسط لجوهرة التوحید، فرغ منه في العشرين من شهر رمضان سنة (١٠٤٧هـ).
ومن شروح الجوهرة أيضاً:

٦- فتح القریب المجید بشرح جوهرة التوحید: للشیخ عبد البر بن عبد الله الأجهوري المتوفى سنة (١٠٧٠هـ).

٧ - شرح الجوهرة في علم التوحید: لمحمد بن محمد بن عبد الرحیم الفرضي الخانطوماني. فرغ من شرحها (٢٣) ربيع الأول سنة (١٢٥٤هـ).

٨ - شرح الصاوي علی جوهرة التوحید، شرحها سنة (١٢٢٢هـ).

٩ - تحفة المرید علی جوهرة التوحید: للشیخ إبراهيم بن محمد بن أحمد الباجوري، المتوفى سنة (١٢٧٧هـ). شرحها سنة (١٢٣٤هـ).

ومن الحواشي الموضوعة علی إتحاف المرید بشرح جوهرة التوحید لعبد السلام:

١ - المزید علی إتحاف المرید بشرح جوهرة التوحید: للشیخ أحمد بن محمد بن علي الحسني السحيمي المتوفى سنة (١١٧٨هـ).

٢ - حاشية الأمير علی إتحاف المرید: لمؤلفها محمد الأمير المتوفى سنة (١٢٣٢هـ). انتهى من تأليفها سنة (١١٨٥هـ).

٣ - حواشي العدوي علی إتحاف المرید: للشیخ علي بن أحمد العدوي

المالكي ، المتوفى (١١٨٩هـ). وهي حاشيته الصغرى على شرح
عبد السلام (إتحاف المرید).

٤ - مختصر حاشية على إتحاف المرید: للشيخ محمد سعيد بن أحمد
الشهير كاتب الزعما.

٥ - حاشية الملوّي أحمد بن عبد الفتاح المتوفى (١١٨١ هـ) .

٦ - حاشية محمد بن علي الشنواني الشافعي المتوفى (١٢٣٣ هـ) .

٧ - حاشية أبي الفوز محمد الحلقاوي .

ومن التقارير الموضوعه على شروح الجوهره:

١ - تقارير النفراوي على إبراهيم اللقاني .

٢ - تقارير أحمد الأجهوري على إبراهيم الباجوري .

* * *

منهج التحقيق

ترجع صلتي بكتاب شرح الصاوي لجوهرة التوحيد إلى سنوات بعيدة ، حين قرأته على شيخنا العلامة الشيخ أديب الكلاس - حفظه الله - في أواخر السبعينات قراءة أفدت منها الكثير في الوصول إلى معرفة مذهب أهل السنة والجماعة في عقيدة التوحيد التي ارتضاها ربنا لعباده؛ إذ دَوَّنتُ من شيخنا تعليقات وتوضيحات لأكثر ما أبهم عليّ من هذا الكتاب ، ثم قرأته مرّات عديدة ، فوجدت أن بعض عباراته لا تزال بحاجة إلى الإيضاح والبيان ، وأحاديثه المستشهد بها تحتاج إلى تخريج وتبيان ، فشمرّت عن ساعد الجدّ؛ لتحقيق هذا الكتاب ، كي تزيد فوائده ، ويسلم من الطعن كاتبه ، فقرّرت إخراجه لشدة العلم محققاً ، واضعاً نصب عيني ما يطلبه التحقيق من إخراج النص أقرب ما يكون إلى وضعه الأول ، مع توخّي الدقّة والتزام الأمانة .

وقد كان من دواعي التحقيق أن هذا الكتاب طبع في مصر بالمطبعة الحليمية دون تحقيق سنة (١٣٠٧هـ) ، ثم طبع ثانية بعناية لجنة إحياء الكتاب الإسلامي في مسجد السروجية بدمشق ، إلا أنّ هاتين الطبعتين كانتا بحاجة إلى تحقيق وتدقيق ، وتصحيح ومقابلة ؛ فقد اتّضح أنّ هناك فروقاً وزيادات على الطبعة الحليمية في مواطن كثيرة ، نهت عليها لجنة إحياء الكتاب في المقدمة .

وإنني لا أنكر الجهود المبذولة التي أخرجت الكتاب المخطوط من

غياهب المكتبات؛ ليكون مطبوعاً بين أيدي رواد العلم والمعرفة الذين استفادوا منه الكثير كما أفدت.

عملي في التحقيق:

اعتمدت في تحقيق شرح الصاوي لجوهرة التوحيد نسخةً مخطوطة محفوظة في جامعة الرياض في المملكة العربية السعودية برقم (٢٥٣٢). كان لمركز جمعة الماجد في دبي الفضل في الحصول عليها.

وهي نسخة قديمة من القطع المتوسط، في كل صفحة خمسة وعشرون سطراً، ومتوسّط كل سطر عشر كلمات، وعدد أوراقها اثنان وخمسون.

نُسخت بيد تلميذ الصاوي: علي مطر الغرياني، وقد كتبها لنفسه في حياة شيخه، انتهى من نسخها سنة (١٢٣٢هـ).

خطّها حسن مقروء، ولكن فيها بعض التصحيف والتحريف، ويبدو أنّ الناسخ ترك فراغاً قبل كلّ فقرة جديدة من شرح متن الجوهرة، عوضاً من تدوين كلمة (قوله)، وربّما كتب هذه الكلمة بلون مغاير، فلم يظهر في النسخة المصوّرة، فأثبتّها من المطبوعة.

وُجد على الورقة الأولى من المخطوط تملك وختمٌ باسم عبد العال أحمد سالم.

وبما أنني لم أحظ بغير هذه النسخة المخطوطة اضطررت لمقابلتها على النسخة المطبوعة في مصر بالمطبعة الحليمية، مشيراً إلى النسخة المخطوطة بـ (م) والمطبوعة بـ (د).

وبعد مقابلة المخطوط على المطبوع أثبتت الزيادات والفوارق بينهما، فما كان صواباً في المخطوط أثبتته دون الإشارة إلى ما يخالفه في المطبوع، إلا في مواضع أثبتتها في الحاشية؛ لئلا يظنّ القارئ أن العبارة سقطت سهواً، أو في أثناء الطبع.

وقد أثبتُّ من (د) سقطاً وقع في (م) يقارب أربع ورقات ، فأشرت في الحاشية إلى بداية هذا السقط ونهايته ، وأثبتُّ منها كذلك بعض الكلمات الساقطة من (م) إذا كان السياق يقتضيها ، ووضعها بين معقوفتين [] مشيراً إلى هذا في الحاشية .

كما أثبتُّ من (د) الكلمات المطموسة أو غير الواضحة في (م) دون الإشارة إليها . وأغفلت الإشارة في أحيان كثيرة إلى تصحيحات وتحريفات وقعت في (م) ، واكتفيت بالإشارة إلى بعضها في الحاشية حتى يطلع القارئ على شيء منها ، ولا سيما إذا كان هذا الخطأ مخالفاً بقواعد اللغة العربية .

أصلحتُ أخطاءً إملائية وقعت من الناسخ ، بدت وكأنها سمة متكررة في كتابته تخالف رسم الإملاء الحديث ، مثل إضافة ألف فارقة بعد واو جمع المذكر السالم المضاف ، أو الفعل المعتل الآخر بالواو ، وكتابة الألف المقصورة طويلةً وبالعكس .

قسّمتُ الكتاب أقساماً ثلاثة : إلهيات ، ونبوات ، وغيبيات ، وجعلت ضمن كلِّ قسم عناوين حسب الموضوعات مميّزة بالخط الكوفي .

أثبتُّ في أعلى كل صفحة البيت المشروح من جوهرة التوحيد مضبوطاً بالشكل ، مشيراً إلى الكلمة المشروحة في الصفحة باللون الأسود المبين لتتمّة البيت .

وضعتُ أرقاماً لبعض الفقرات التي تحتاج إلى تقسيم .

ضبطتُ شواهد الكتاب من آيات قرآنية ، وأحاديث شريفة ، وشعر .

أتممتُ في الحاشية بعض الآيات التي يقتضي وضوح المعنى إتمامها ، مشيراً إلى اسم السورة ورقم الآية .

أثبتُّ تخريج الأحاديث الشريفة ، مميّزاً الصحيح من الحسن من الضعيف ، منبهاً على أحاديث رواها الصاوي ولا أصل لها ، مستعيناً

ببعض أهل العلم ممن لهم باع طويل في ذلك .
أثبتت ترجمة الأعلام الذين ذكرهم مؤلف الكتاب .

شرحت الألفاظ الغريبة التي وردت في الشرح معتمداً المعاجم
الأصول في اللغة العربية .

رجعت إلى كثير من الشروح والحواشي والتقاريرات على جوهرة
التوحيد المخطوطة والمطبوعة، وإلى عدد من كتب العقيدة السليمة؛
لتوضيح بعض الفقرات المبهمة في المتن، أو إضافة تعليق لبيان فكرة
مجملة، أو للتوثيق أو إحالة كثير من نقول الصاوي - رحمه الله - فأنهيتُ
ما نقلته عن تلك الكتب بحرفيَّته بـ(اهـ) ، وما نقلته بتصرف أو بمعناه
بـ(اهـ بتصرف) أو (انظر) . مثبناً اسم الكتاب ، ورقم الجزء والصفحة .

صنعتُ فهرس عامة للكتاب تساعد في الرجوع إليه ، مثبناً قائمة
المصادر والمراجع المخطوطة والمطبوعة .

جعلتُ رموزاً في أثناء التحقيق :

﴿﴾ لحصر الآيات القرآنية الكريمة .

«» لحصر الأحاديث الشريفة .

() لحصر الأقوال المنقولة عن العلماء ، ولحصر الكلمات المراد شرحها
من متن الجوهرة .

[] لحصر الزيادات الساقطة من (م) والمثبتة من (د) .

/ إشارة إلى انتهاء الصفحة من المخطوط، وابتداء صفحة أخرى، مع
إثبات رقم ورقة المخطوط . على يمين صفحة المطبوع أو يسارها .

(م) رمز للنسخة المخطوطة .

(د) رمز للنسخة المطبوعة بمصر .

(ق) رمز لورقة المخطوط المنقول عنه .

* * *

٥٥ ما لم يظن في الدنيا من حرمه ويقتني ٥٥
 الحمد لله الذي من علينا بالايام والاسلام واخر جناهما
 من ظلمة الشرك والاولهما كواشهاد ان لا اله الا الله وحده لا شريك
 له شهادة اذ فرجها عند الحتام واشهدت سيدنا محمد داعية مودعه
 سيد الانام صلى الله عليه وآله طامحاً به البرقة الكرام وعلي اشيا خطا
 واشيا فهم الي مشيبي الاسلام وبعد فيقول العبد الفقير المذنب
 غدا لما ولي احمد بن محمد المالك الطوسي الصاوي هذه تقييداته
 على وجه التوحيد للامام العارف بالله تعالى الشيخ ابراهيم بن حسنة
 المالكى اللقاني راس سلسلة هذا الفن ومن ارباب الاموال والكشف
 وعاش مدة عمره لم يروى تحت حجة من بفتة ولا غيرها وكانها ما
 جدا لا يكلمه الا القليل من الناس ولما اعزله المنزلة ليل با غار شيخ
 الترمذي في التصوف سيد احمد عرب الشرفي وابود صاه لا فرغها
 وهو قائم يصلي اذ لا يعتذر لاحد عن ذنب او عيب يلقه عنه بل
 يفتخر به ويظهر له التصديق على طريق التوفيق فيمد له للنفس فما
 ما لم يجد وعلمه انه اذا قرأ في اذن المولود سورة التوحيد عرفه ولادته
 لم يقدر الله عليه زمانا مدة حياته توفي منصرفا من حج يقال له الكوفة
 ليلة الاحد قبيل الف الف الاخيرة ثالث شهر صفر سنة احدى واربعين من
 بعد الف من تيفو سبعين سنة وحمل الي مقبرة ايلة فدفن بحمل
 على محاور لاخرها تينها التي ينزل الحاج بعد حرمه خلفها على
 عين الواجح تجاه البحر الملح كذا في الحميم ما لي في شانهما وكتبه
 السحر وانما جالسها من صريح السيد البدوي وبعض الاعيان
 من الملازمين لذلك الحمل الاقول فقال لي ان جوهر التوحيد كتاب
 نفس غير انشا حرام شرحه معبوه وطراشيه زادوه صنوع
 فاقنوني اينما ذلك يحمل لنا عليه ما شئتم توضع معناه بسهولة
 من غير عقبة ولا تعقيل فاستشرت لذلك واجبه واحيا القوم

اللام الحولي وقوتي وجوت منه النفع بها كما نفع بإصلها انه جواد
 كبر قول طليم الله الرحمن الرحيم ابتدائها اقتدا بالكتاب العزيز ولا
 يقول صلى الله عليه وسلم كل امرؤ يبال لا يبدى فيه لبيم الله عز وجل
 فهو قطع او اخذ من اوله والعمى ناقص وقيل الزكاه ان قلعت
 ان هذا الكتاب شمر وقد قال العلماء لا يبدى الشمر بالبسلة ايجب
 بان الشمر الخيط لا يبدى في البسلة هو ما احتوى على ما يبدى من لا يجوز مدحه
 او جرفه لا يجوز معه وما هذا الكتاب فهو منوعه علم التوحيد وهو
 اشرف العلوم فكانت من الامور غوات الابل القطط واخذ البسلة من الشمر
 ولم يات بها نظرا لافعل الناطقي في قوله بدأت لبيم الله ولا لا يبدى
 يحسب الاثبات بها على هياتها من غير تغيير بخلاف الحمد لانه لا
 الاولي والمبالا استنفاة متعلقة بمجذوفه والاولى ان يكون فعلا لا يبدى
 الاصل في العمل وخاصا لانت كل شاعر في امره وبالانت البسلة هو
 للموضوع الانفاة للعصر وازافة اسم الى لفظ الجلالة منه اضافة الماهم
 الخاص لان يدبم لفظ الجلالة وعلمه من باقي الاسماء الواردة وسأيت
 ان اسماه كما هو قبيح فلا يجوز ان يطلق عليه الامور والنعم
 عند اهل التصديق وانما خص في البسلة لفظ الجلالة لانه الاسم الجاه
 يكون موضوعا للذات المتصفة بكل كمال المتزعمين كل نقى ولا يرى
 هو الاسم الاعظم عند اهل التصديق وتختلف الاحاديث اجب التام لفظ
 الشروط والاخرى الموديث رجا شعث اغرذي طهرين او اقسم لي الله
 لذبه وخصي الرحمن الرحيم لانها مظهر الامم الدينونة والاخر وتة فالاول
 مشي جليل النعم وكيفا والثاني المشي قانيتها كما وكيفا على الصفة
 ولاحتوا بها على اسم الله الاعظم وهو اسم الله الذي هو امتنا النعم
 الدينونية والاخرونية الحسبة والمعنى بان كانت جامعة لمعاني القرات
 الذي جمع الكنت السماوية لان معنى القرات انحصرت في طيات
 كالات الله تعالى وبيان ظهري حتمه وقصر فاته في خلقه نيا واخر

في النعم

صورة الصفحة الأولى (ب) من المخطوط

اي ثابتة والمرد بالنازح والعدا بجميع طبقاتها السبع ارضها من رصاص من
 وسفها من نحاس وحيثما نزل من كبريت وقودها الناس والحجارة اعلاها جهنم
 وهي لعنات المؤمنين وقصيرها باجر وحيثما نزلت من تحتها لظى وهي لليهود
 قال تعالى كلا انها لظى فراعته للشوى الا يزيدتم العظمة قال تعالى وما ادراك ما الحطبة
 نار الله الموقدة وهي للنساء ثم المصير قال تعالى فحسبنا الاصاب السعير وهي
 للمصائبين فرقة من اليهود اذ اذوا ضلك لا يعبادتهم العجل ثم خرو وهي
 للجوس عباد النار قال تعالى ما صلبه سقر الاية ثم الجحيم وهي لصدقة او صنام قال
 تعالى خذوه فظلوهم ثم الجحيم صلوه ثم الهاوية وهي للمنافقين وكل من استنكر
 كفر عن وهامات وقاوت وقد نظمتها ايضا الشيخ الامير بقوله
 جهنم للعاصي لظى ليهودها وحطبة دار للنصارى اولي العهر سبع عذاب
 الصابيين ودارهم جحيم لها سقر جحيم لذي صخر وهاوية دار النفاق فحسبنا
 واسال رب العرش امانا من النعم هكذا ذكر الاشياخ نفا ليعضا الا حيا في
 النار ولكن ايات القران شاهدة بان كل اسوف تلك الاسماء يطلق على ما يعر الجحيم
 لانه يذكري صفات الكفار واي وجه ويبار عن عبيد هم باي اسم من هذه الاسماء
 فقد بدو كرسى العويان نار الدنيا من جهنم فحسبنا في البحر موتين ولو اذ ذلك
 لم يبتغع بها وبعد اخذ نار الدنيا منها او قد علمها التي سنة حتى ابيضت
 ثم الف سنة حتى احموت ثم الف سنة حتى اسودت فهي سودا عظيمة او حوت
 اي الات خلافا للمعتزلة كالجنة هي لغة البساتن والمراد منها دار النعاب
 وابوابها الكبار ثمانية باب الشهادتين وباب الصلاة وباب الصيام وباب الزكاة
 وباب الحج وباب الامور المعروفة وباب النسي عن المنكر وباب الصلوة وباب الجهاد
 في سبيل الله ومن داخلها عدة ابواب صغار وهي سبع جنات متجاورة واسمها
 وفضلها الفردوس وسقف الجحيم عرش الرحمن وضعف نور الشمس بالنسبة
 لنور العرش في الجنات كضعف نور النجوم بالنسبة لنور الشمس في الدنيا جعل
 الله فينا قوة بصلواته من النعم بذا الاء كقوة باقي العراس ويليها جنة الناري
 وجنة الخلد وجنة النعم وجنة عدن ودار السلام ودار الجنة وقيل اربع قيل

صورة الصفحة الأخيرة (أ) من المخطوط

التي تهيئ من الاحوال ثم الصلاة والامر لما كان هذا الكتاب من النعم
 العظيمة وكان رسول الله صراطا مستقيما في كل فقرة ناسية ابيروي بعض خفة
 الواجب عليه وغمرها ما ابتدئ بها لو جاقبول ما بينهما وتقدم معنى الصلاة
 والامر اول الكتاب وقوله الدائم اي فضلا كل منهما علي نبي ودمه المشرق
 اي عاقبة السيرة للدرا جميع رحمة يعني الرحمة فرحمته عامة قال تعالى وما به
 ارسلنا الا رحمة للعالمين حتي للكفار بنا خير العذاب عنهم ظريوا جلا ابا العقوبة
 كثير من الامر ولذا قال العارف رضي الله عنه واحلك قومه في الاضواء
 بدعوة لا تتذرا احدنا فاني ودعة احمدت اهدقوي نعم لا يوت بلعلمنا
 وعاقبة اي اهل بيته وتابع نهجه اي طريفته وسنته من افنه امة الاجا
 وهو لبيات الطاق لان للتيح له لا يكثر الا من اتمه لان بعثته عامه قال تعالى
 وما ارسلناك الا كرامة للناس شيئا ونذيرا صلى الله عليه وسلم وقد ما احببه الله علي يد
 المقربين التقييدات التي خرجت بحوله الله وقوته مع العجز والتقصير يوم الأست
 المباركة اخرون من رمضان المبارك سنة اثنين وعشرين بعد المائة - الا ان من هجرة
 الشير النذير صلى الله عليه وسلم في الله وحبه لمرقت بجد الله وصورته وحسن توفيقه
 وكانت الفراع من كتابة هذه النسخة المباركة يوم الخميس المبارك سنة

عشر يوم امنت من شهر رمضان المبارك ١٢٣٦ هـ علي يد

كاتبها الفقير العقير علي مطر الفرياني الثاني

فضله له ولوالديه والسايب امين

وحسبي الله علي سيدنا

محمد النبي الامي

وعلي الرقيب

والصالحين

سائل الله الذي خصصت له
 السماوات وهو المأمور البارئ
 اذا تاملت في خلقه الثاني
 لا تبتغي لسانا يهتدي
 بغيري من
 العجز

صورة الصفحة الأخيرة (ب) من المخطوط

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

متن جوهرة التوحيد للّقاني

الصفحة

التسلسل

- ٥٠ - ثُمَّ سَلَامُ اللَّهِ مَعَ صَلَاتِهِ
- ٥٨ - وَعَدَى الدِّينِ عَنِ التَّوْحِيدِ
- ٦٦ - بِسَيِّفِهِ وَهَدْيِهِ لِلْحَقِّ
- ٧٠ - وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَحِزْبِهِ
- ٧٨ - مُحْتَمِّمٌ يَحْتَاجُ لِلتَّبَيِّنِ
- ٨٧ - فَصَارَ فِيهِ الْاِخْتِصَارُ مُلْتَزِمٌ
- ٨٨ - جَوْهَرَةَ التَّوْحِيدِ قَدْ هَدَّبْتُهَا
- ٩١ - بِهَا مُرِيداً فِي الثَّوَابِ طَامِعاً
- ٩٧ - عَلَيْهِ أَنْ يَعْرِفَ مَا قَدْ وَجَبَا
- ١٠٥ - وَمِثْلَ ذَا لِرُسُلِهِ فَاسْتَمَعَا
- ١٠٨ - إِيمَانُهُ لَمْ يَخْلُ مِنْ تَرْدِيدِ
- ١١٣ - وَبَعْضُهُمْ حَقَّقَ فِيهِ الْكُشْفَا
- ١١٣ - كَفَى وَإِلَّا لَمْ يَزَلْ فِي الضَّيْرِ
- ١١٧ - مَعْرِفَةً وَفِيهِ خُلْفٌ مُنْتَصِبٌ
- ١٢٥ - لِلْعَالَمِ الْعُلُويِّ ثُمَّ السُّفْلِيِّ
- ١٢٨ - لِكِنْ بِهِ قَامَ دَلِيلُ الْعَدَمِ
- ١٢٩ - عَلَيْهِ قَطْعاً يَسْتَحِيلُ الْقِدَمُ
- ١٣٠ - وَالنُّطْقُ فِيهِ الْخُلْفُ بِالتَّحْقِيقِ
- ١٣٣ - شَطْرٌ وَالْاِسْلَامَ اشْرَحَنَّ بِالْعَمَلِ
- ١ - الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى صَلَاتِهِ
- ٢ - عَلَى نَبِيِّ جَاءَ بِالتَّوْحِيدِ
- ٣ - فَأَرْشَدَ الْخَلْقَ لِالدِّينِ الْحَقِّ
- ٤ - مُحَمَّدٍ الْعَاقِبِ لِرُسُلِ رَبِّهِ
- ٥ - وَبَعْدُ فَالْعِلْمُ بِأَصْلِ الدِّينِ
- ٦ - لَكِنْ مِنَ التَّطْوِيلِ كَلَّتِ الْهَمَمُ
- ٧ - وَهَذِهِ أَرْجُوزَةٌ لَقَّبْتُهَا
- ٨ - وَاللَّهُ أَرْجُو فِي الْقَبُولِ نَافِعاً
- ٩ - فَكُلُّ مَنْ كُلفَ شَرْعاً وَجَبَا
- ١٠ - اللَّهُ وَالْجَائِزَ وَالْمُمْتِنَعَا
- ١١ - إِذْ كُلُّ مَنْ قَلَّدَ فِي التَّوْحِيدِ
- ١٢ - فَفِيهِ بَعْضُ الْقَوْمِ يَخْكِي الْخُلْفَا
- ١٣ - فَقَالَ إِنْ يَجْزِمُ بِقَوْلِ الْغَيْرِ
- ١٤ - وَاجْزِمَ بِأَنَّ أَوَّلًا مِمَّا يَجِبُ
- ١٥ - فَانظُرْ إِلَى نَفْسِكَ ثُمَّ انْقَلِبْ
- ١٦ - تَجِدْ بِهِ صُنْعاً بَدِيعَ الْحِكْمِ
- ١٧ - وَكُلُّ مَا جَازَ عَلَيْهِ الْعَدَمُ
- ١٨ - وَفُسِّرَ الْإِيمَانَ بِالتَّصْدِيقِ
- ١٩ - فَقِيلَ شَرْطُ كَالْعَمَلِ وَقِيلَ بَلْ

- ٢٠ - مِثَالُ هَذَا الْحَجِّ وَالصَّلَاةِ
٢١ - وَرُجِّحَتْ زِيَادَةُ الْإِيمَانِ
٢٢ - وَنَقَصُهُ بِنَقْصِهَا وَقِيلَ لَا
٢٣ - فَوَاجِبٌ لَهُ الْوُجُودُ وَالْقِدَمُ
٢٤ - وَأَنَّهُ لِمَا يَنَالُ الْعَدَمُ
٢٥ - قِيَامُهُ بِالنَّفْسِ وَخَدَائِنَتِهِ
٢٦ - عَنِ ضِدِّهِ أَوْ شِبْهِ شَرِيكِهِ مُطْلَقًا
٢٧ - وَقُدْرَةُ إِرَادَةٍ وَعَايِرَتِ
٢٨ - وَعِلْمُهُ وَلَا يُقَالُ مُكْتَسَبٌ
٢٩ - حَيَاتُهُ كَذَا الْكَلَامُ السَّمْعُ
٣٠ - فَهَلْ لَهُ إِدْرَاكٌ أَوْ لَا خُلْفُ
٣١ - حَيٌّ عَلَيْهِ قَادِرٌ مُرِيدٌ
٣٢ - مُتَكَلِّمٌ ثُمَّ صِفَاتُ الذَّاتِ
٣٣ - فَقُدْرَةُ بِمُمْكِنٍ تَعَلَّقَتْ
٣٤ - وَوَحْدَةٌ أَوْجِبَ لَهَا وَمِثْلُ ذِي
٣٥ - وَعَمَّ أَيْضًا وَاجِبًا وَالْمُمْتَنِعُ
٣٦ - وَكُلُّ مَوْجُودٍ أَنْطَ لِلسَّمْعِ بِهِ
٣٧ - وَغَيْرُ عِلْمٍ هَذِهِ كَمَا ثَبَّتْ
٣٨ - وَعِنْدَنَا أَسْمَاؤُهُ الْعَظِيمَةُ
٣٩ - وَاخْتِيرَ أَنَّ اسْمَاهُ تَوْقِيفِيَّةٌ
٤٠ - وَكُلُّ نَصٍّ أَوْهَمَ التَّشْبِيهِهَا
٤١ - وَنَزَّهِ الْقُرْآنُ أَيُّ كَلَامِهِ
٤٢ - وَكُلُّ نَصٍّ لِلْحُدُوثِ دَلَالًا
- كَذَا الصِّيَامُ فَادِرٍ وَالزَّكَاةُ
بِمَا تَزِيدُ طَاعَةَ الْإِنْسَانِ
وَقِيلَ لَا خُلْفَ كَذَا قَدْ نِقْلًا
كَذَا بَقَاءٌ لَا يُشَابُّ بِالْعَدَمِ
مُخَالَفٌ بُرْهَانٌ هَذَا الْقِدَمِ
مُنَزَّهًا أَوْصَافُهُ سَيِّئُهُ
وَوَالِدٌ كَذَا الْوَالِدُ وَالْأَصْدِقَا
أَمْرًا وَعِلْمًا وَالرِّضَا كَمَا ثَبَّتْ
فَاتَّبَعَ سَبِيلَ الْحَقِّ وَاطَّرَحَ الرَّيْبَ
ثُمَّ الْبَصَرَ بِذِي أَتَانَا السَّمْعُ
وَعِنْدَ قَوْمٍ صَحَّ فِيهِ الْوَقْفُ
سَمِعَ بَصِيرًا مَا يَشَاءُ يُرِيدُ
لَيْسَتْ بِغَيْرٍ أَوْ بِعَيْنِ الذَّاتِ
بِلَا تَنَاهِي مَا بِهِ تَعَلَّقَتْ
إِرَادَةٌ وَالْعِلْمُ لَكِنْ عَمَّ ذِي
وَمِثْلُ ذَا كَلَامُهُ فَلَنْتَبِعَ
كَذَا الْبَصَرَ إِدْرَاكُهُ إِنْ قِيلَ بِهِ
ثُمَّ الْحَيَاةُ مَا بِشَيْءٍ تَعَلَّقَتْ
كَذَا صِفَاتُ ذَاتِهِ قَدِيمُهُ
كَذَا الصِّفَاتُ فَاحْفَظِ السَّمْعِيَّةَ
أَوَّلُهُ أَوْ فَوْضٌ وَرُمٌ تَنْزِيهِهَا
عَنِ الْحُدُوثِ وَاحْذَرِ انتِقَامَهُ
إِحْمِلْ عَلَى اللَّفْظِ الَّذِي قَدْ دَلَّ

- ٢٢٣ - فِي حَقِّهِ كَالْكَوْنِ فِي الْجِهَاتِ
- ٢٢٨ - إِنْجَادًا إِعْدَامًا كَرَزَقِهِ الْغِنَى
- ٢٣٠ - مُوَفَّقٌ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَصِلَ
- ٢٣٥ - وَمُنْجِرٌ لِمَنْ أَرَادَ وَعُدَّهُ
- ٢٣٨ - كَذَا الشَّقِيُّ ثُمَّ لَمْ يَنْتَقِلْ
- ٢٤٠ - بِهِ وَلَكِنْ لَا يُؤَثِّرُ فَاعْرِفَا
- ٢٤٢ - وَلَيْسَ كُلًّا يَفْعَلُ اخْتِيَارًا
- ٢٤٥ - وَإِنْ يُعَذَّبُ فَبِمَخْضِ الْعَدْلِ
- ٢٤٧ - عَلَيْهِ زُورٌ مَا عَلَيْهِ وَاجِبٌ
- ٢٤٨ - وَشِبْهَهَا فَحَاذِرِ الْمِحَالَا
- ٢٥٤ - وَالْخَيْرِ كَالْإِسْلَامِ وَجَهْلِ الْكُفْرِ
- ٢٥٤ - وَبِالْقَضَا كَمَا أَتَى فِي الْخَبْرِ
- ٢٥٨ - لَكِنْ بِلَا كَيْفٍ وَلَا انْحِصَارِ
- ٢٦٠ - هَذَا وَلِلْمُخْتَارِ دُنْيَا ثَبَّتَتْ
- ٢٧٥ - فَلَا وَجُوبَ بَلْ بِمَخْضِ الْفَضْلِ
- ٢٧٧ - فَدَعِ هَوَى قَوْمٍ بِهِمْ قَدْ لَعِبَا
- ٢٧٩ - وَصِدْقُهُمْ وَضِفْ لَهُ الْقَطَانَةَ
- ٢٨٢ - وَيَسْتَحِيلُ ضِدُّهَا كَمَا رَوَوْا
- ٢٨٤ - وَكَالْجَمَاعِ لِلنَّسَا فِي الْحِلِّ
- ٢٨٧ - شَهَادَاتَا الْإِسْلَامِ فَاطْرَحِ الْمِرَا
- ٢٩١ - وَلَوْ رَفَى فِي الْخَيْرِ أَعْلَى عَقْبَهُ
- ٢٩٣ - يَشَاءُ جَلَّ اللَّهُ وَاهِبُ الْمِنَنِ
- ٢٩٥ - نَبِيًّا فَمِلْ عَنِ الشَّقَاقِ
- ٤٣ - وَيَسْتَحِيلُ ضِدُّ ذِي الصِّفَاتِ
- ٤٤ - وَجَائِزٌ فِي حَقِّهِ مَا أَمْكَنَا
- ٤٥ - فَخَالِقٌ لِعَبْدِهِ وَمَا عَمِلْ
- ٤٦ - وَخَاذِلٌ لِمَنْ أَرَادَ بُعْدَهُ
- ٤٧ - فَوْزُ السَّعِيدِ عِنْدَهُ فِي الْأَزَلِ
- ٤٨ - وَعِنْدَنَا لِلْعَبْدِ كَسْبٌ كُلِّفَا
- ٤٩ - فَلَيْسَ مَجْبُورًا وَلَا اخْتِيَارًا
- ٥٠ - فَإِنْ يُثِنَّا فَبِمَخْضِ الْفَضْلِ
- ٥١ - وَقَوْلُهُمْ إِنَّ الصَّلَاحَ وَاجِبٌ
- ٥٢ - أَلَمْ يَرَوْا إِيْلَامَهُ الْأَطْفَالَا
- ٥٣ - وَجَائِزٌ عَلَيْهِ خَلْقُ الشَّرِّ
- ٥٤ - وَوَاجِبٌ إِيمَانُنَا بِالْقَدْرِ
- ٥٥ - وَمِنْهُ أَنْ يُنْظَرَ بِالْأَبْصَارِ
- ٥٦ - لِلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بِجَائِزٍ عُلِّقَتْ
- ٥٧ - وَمِنْهُ إِرسَالُ جَمِيعِ الرُّسُلِ
- ٥٨ - لَكِنْ بَدَا إِيمَانُنَا قَدْ وَجِبَا
- ٥٩ - وَوَاجِبٌ فِي حَقِّهِمُ الْإِمَانَةَ
- ٦٠ - وَمِثْلُ ذَا تَبْلِيغُهُمْ لِمَا أَتَوْا
- ٦١ - وَجَائِزٌ فِي حَقِّهِمْ كَالْأَكْلِ
- ٦٢ - وَجَامِعٌ مَعْنَى الَّذِي تَقَرَّرَا
- ٦٣ - وَلَمْ تَكُنْ نُبُوَّةٌ مُكْتَسَبَةً
- ٦٤ - بَلْ ذَاكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ لِمَنْ
- ٦٥ - وَأَفْضَلُ الْخَلْقِ عَلَى الْإِطْلَاقِ

- ٢٩٦ - وَالْأَنْبِيَا يَلُونَهُ فِي الْفَضْلِ
٢٩٧ - هَذَا وَقَوْمٌ فَصَّلُوا إِذْ فَضَّلُوا
٢٩٨ - بِالْمُعْجِزَاتِ أُيِّدُوا تَكَرُّمًا
٣٠١ - وَخَصَّ خَيْرُ الْخَلْقِ أَنْ قَدْ تَمَّ مَا
٣٠٢ - بَعَثَهُ فَشَرَعَهُ لَا يُنْسَخُ
٣٠٤ - وَنَسَخَهُ لِشَرَعٍ غَيْرِهِ وَقَعَ
٣٠٥ - وَنَسَخَ بَعْضُ شَرَعِهِ بِالْبَعْضِ
٣٠٨ - وَمُعْجِزَاتُهُ كَثِيرَةٌ غُرِرَ
٣١١ - وَاجْزَمَ بِمِعْرَاجِ النَّبِيِّ كَمَا رَوَوْا
٣١٤ - وَصَحْبُهُ خَيْرُ الْقُرُونِ فَاسْتَمِعْ
٣١٧ - وَخَيْرُهُمْ مَنْ وُلِّيَ الْخِلَافَةَ
٣١٨ - يَلِيهِمْ قَوْمٌ كِرَامٌ بَرَرَةٌ
٣١٩ - فَأَهْلُ بَدْرِ الْعَظِيمِ الشَّانِ
٣٢٨ - وَالسَّابِقُونَ فَضْلُهُمْ نَصًّا عُرِفَ
٣٢٩ - وَأَوَّلِ التَّشَاجِرِ الَّذِي وَرَدَ
٣٣٢ - وَمَالِكٌ وَسَائِرُ الْأَئِمَّةِ
٣٤٢ - فَوَاجِبٌ تَقْلِيدٌ خَيْرٌ مِنْهُمْ
٣٤٤ - وَأَثْبَتَنَ لِلْأَوْلِيَا الْكِرَامَةَ
٣٤٩ - وَعِنْدَنَا أَنْ الدُّعَاءَ يَنْفَعُ
٣٥٠ - بِكُلِّ عَبْدٍ حَافِظُونَ وَكُلُّوْا
٣٥٤ - مِنْ أَمْرِهِ شَيْئًا فَعَلْ وَلَوْ ذَهْلُ
٣٥٥ - فَحَاسِبِ النَّفْسَ وَقَلِّ الْأَمَلَا
٣٥٦ - وَوَاجِبٌ إِيمَانُنَا بِالْمَوْتِ

- ٨٩ - وَمَيِّتٌ بِعُمْرِهِ مَنْ يُقْتَلُ
٩٠ - وَفِي فَنَاءِ النَّفْسِ لَدَى التَّفَنُّحِ اخْتِلَافٌ
٩١ - عَجِبُ الذَّنْبِ كَالرُّوحِ لَكِنْ صَحَّاحَا
٩٢ - وَكُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ قَدْ خَصَّصُوا
٩٣ - وَلَا تَخْضُ فِي الرُّوحِ إِذَا مَا وَرَدَا
٩٤ - لِمَالِكٍ هِيَ صُورَةٌ كَالجَسَدِ
٩٥ - وَالْعَقْلُ كَالرُّوحِ وَلَكِنْ قَوَّرُوا
٩٦ - سُؤَالُنَا نَمَّ عَذَابُ الْقَبْرِ
٩٧ - وَقُلْ يُعَادُ الْجِسْمُ بِالتَّحْقِيقِ
٩٨ - مَخْضِينَ لَكِنْ ذَا الْخِلَافِ خُصًّا
٩٩ - وَفِي إِعَادَةِ الْعَرَضِ قَوْلَانِ
١٠٠ - وَفِي الرَّمَنِ قَوْلَانِ وَالْحِسَابِ
١٠١ - فَالسَّيِّئَاتُ عِنْدَهُ بِالمِثْلِ
١٠٢ - وَبِاجْتِنَابِ لِلْكَبَائِرِ تُغْفَرُ
١٠٣ - وَالْيَوْمُ الْآخِرُ نَمَّ هُوَ الْمَوْقِفِ
١٠٤ - وَوَأَجِبُ أَخَذَ الْعِبَادِ الصُّحُفَا
١٠٥ - وَمِثْلُ هَذَا الْوَزْنُ وَالْمِيزَانُ
١٠٦ - كَذَا الصِّرَاطُ فَالْعِبَادُ مُخْتَلِفٌ
١٠٧ - وَالْعَرْشُ وَالْكُرْسِيُّ ثُمَّ الْقَلَمُ
١٠٨ - لَا لِاحْتِيَاجِ وَبِهَا الْإِيمَانُ
١٠٩ - وَالتَّارُ حَقٌّ أُوجِدَتْ كَالجِنَّةِ
١١٠ - دَارًا خُلُودٍ لِلسَّعِيدِ وَالشَّقِي
١١١ - إِيمَانُنَا بِحَوْضِ خَيْرِ الرُّسُلِ
٣٥٩ وَعَيرُ هَذَا بَاطِلٌ لَا يُقْبَلُ
٣٦٠ وَاسْتَظْهَرَ السُّبْكِي بِقَاهَا الَّذِ عُرِفَ
٣٦١ المُرْزَبِيُّ لِلْبَلِي وَوَضَّحَا
٣٦٣ عُمُومَهُ فَاطْلُبِ لِمَا قَدْ لَحْصُوا
٣٦٤ نَصٌّ عَنِ الشَّارِعِ لَكِنْ وَجِدَا
٣٦٥ فَحَسْبُكَ النَّصُّ بِهَذَا السَّنَدِ
٣٦٨ فِيهِ خِلَافًا فَانظُرَنَّ مَا فَسَّرُوا
٣٦٩ نَعِيمُهُ وَاجِبٌ كَبَعَثِ العَشْرِ
٣٧٤ عَنِ عَدَمٍ وَقِيلَ عَنِ تَفْرِيقِ
٣٧٤ بِالْأَنْبِيَاءِ وَمَنْ عَلَيْهِمْ نَصًّا
٣٧٥ وَرَجَّحَتْ إِعَادَةَ الْأَعْيَانِ
٣٧٦ حَقٌّ وَمَا فِي حَقِّ ارْتِيَابِ
٣٧٨ وَالحَسَنَاتُ ضَوْعِفَتْ بِالْفَضْلِ
٣٨٠ صَغَائِرٌ وَجَا الوُضُوءِ يُكْفَرُ
٣٨٢ حَقٌّ فَخَفَّفَ يَا رَحِيمٌ وَاسْعِفِ
٣٨٤ كَمَا مِنَ الْقُرْآنِ نَصًّا عُرِفَا
٣٨٦ فَتُوزَنُ الكُتُبُ أَوْ الْأَعْيَانُ
٣٨٩ مُرُورُهُمْ فَسَالِمٌ وَمُنْتَلِفٌ
٣٩٠ وَالكَاتِبُونَ اللَّوْحِ كُلُّ حِكْمٌ
٣٩٢ يَجِبُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ
٣٩٢ فَلَا تَمَلْ لِجَاحِدِ ذِي جِنَّةِ
٣٩٦ مُعَذِّبٌ مُنَعَّمٌ مَهْمَا بَقِيَ
٣٩٨ حَتْمٌ كَمَا قَدْ جَاءَنَا فِي التَّقْلِ

- ١١٢ - يَنَالُ شُرْبًا مِنْهُ أَقْوَامٌ وَفَوَا
١١٣ - وَوَجِبَ شَفَاعَةُ الْمُشْفَعِ
١١٤ - وَغَيْرُهُ مِنْ مُرْتَضَى الْأَخْيَارِ
١١٥ - إِذْ جَائِزٌ غُفْرَانٌ غَيْرِ الْكُفْرِ
١١٦ - وَمَنْ يَمُتْ وَلَمْ يَتُبْ مِنْ ذَنْبِهِ
١١٧ - وَوَجِبَ تَعْذِيبُ بَعْضِ ارْتِكَابِ
١١٨ - وَصِفَ شَهِيدَ الْحَرْبِ بِالْحَيَاةِ
١١٩ - وَالرِّزْقُ عِنْدَ الْقَوْمِ مَا بِهِ أَنْتَفَعُ
١٢٠ - فَيَرْزُقُ اللَّهُ الْحَلَالَ فَاعْلَمَا
١٢١ - فِي الْاِكْتِسَابِ وَالتَّوَكُّلِ اخْتَلَفَ
١٢٢ - وَعِنْدَنَا الشَّيْءُ هُوَ الْمَوْجُودُ
١٢٣ - وَجُودُ شَيْءٍ عَيْنُهُ وَالْجَوْهَرُ
١٢٤ - ثُمَّ الدُّنُوبُ عِنْدَنَا قِسْمَانِ
١٢٥ - مِنْهُ الْمَتَابُ وَاجِبٌ فِي الْحَالِ
١٢٦ - لَكِنْ يُجَدِّدُ تَوْبَةً لِمَا اقْتَرَفَ
١٢٧ - وَحَفِظَ دِينَ ثُمَّ نَفْسَ مَا لَمْ نَسَبْ
١٢٨ - وَمَنْ لِمَعْلُومٍ ضَرُورَةٌ جَحْدُ
١٢٩ - وَمِثْلُ هَذَا مَنْ نَفَى لِمُجْمَعِ
١٣٠ - وَوَجِبَ نَصْبُ إِمَامٍ عَدَلٍ
١٣١ - فَلَيْسَ رُكْنًا يُعْتَقَدُ فِي الدِّينِ
١٣٢ - إِلَّا بِكُفْرٍ فَانْبَدَنَ عَهْدُهُ
١٣٣ - بغيرِ هَذَا لَا يُبَاحُ صَرْفُهُ
١٣٤ - وَأَمْرٌ بِعُرْفٍ وَاجْتِنَابِ نَمِيمِهِ
بِعَهْدِهِمْ وَقُلْ يُذَادُ مَنْ طَعَوْا ٣٩٩
مُحَمَّدٍ مُقَدِّمًا لَا تَمْنَعِ ٤٠٠
يَشْفَعُ كَمَا قَدْ جَاءَ فِي الْأَخْبَارِ ٤٠٣
فَلَا نُكْفِرُ مُؤْمِنًا بِالْوِزْرِ ٤٠٣
فَأَمْرُهُ مَفْوُضٌ لِرَبِّهِ ٤٠٤
كَبِيرَةٌ ثُمَّ الْخُلُودُ مُجْتَنَبٌ ٤٠٥
وَرَزْقُهُ مِنْ مُشْتَهَى الْجَنَاتِ ٤٠٦
وَقِيلَ لَا بَلْ مَا مِثْلُكَ وَمَا أُثْبِعُ ٤٠٩
وَيَرْزُقُ الْمَكْرُوهَ وَالْمُحَرَّمَ مَا ٤١٠
وَالرَّاجِحُ التَّفْصِيلُ حَسَبًا عُرْفُ ٤١١
وَتَابَتْ فِي الْخَارِجِ الْمَوْجُودُ ٤١٤
الْفَرْدُ حَادِثٌ عِنْدَنَا لَا يُنْكَرُ ٤١٥
صَغِيرَةٌ كَبِيرَةٌ فَالثَّانِي ٤١٦
وَلَا انْتِقَاضَ إِنْ يَعُدُّ لِلْحَالِ ٤١٨
وَفِي الْقَبُولِ رَأْيُهُمْ قَدْ اخْتَلَفَ ٤١٩
وَمِثْلُهَا عَقْلٌ وَعَرَضٌ قَدْ وَجِبَ ٤٢١
مِنْ دِينِنَا يُقْتَلُ كُفْرًا لَيْسَ حَدُّ ٤٢٣
أَوْ اسْتِبَاحَ كَالزُّنَى فَلتَسْمَعِ ٤٢٤
بِالشَّرْعِ فَاعْلَمْ لَا بِحُكْمِ الْعَقْلِ ٤٢٤
فَلَا تَزْعُ عَنْ أَمْرِهِ الْمُبِينِ ٤٢٦
فَاللَّهُ يَكْفِينَا أَذَاهُ وَحُدَّهُ ٤٢٧
وَلَيْسَ يُعْزَلُ إِنْ أُزِيلَ وَصَفُهُ ٤٢٨
وَغِيْبَةً وَخَصْلَةً ذَمِيمَةً ٤٢٨

- ١٣٥ - كَالْعُجْبِ وَالْكِبْرِ وَدَاءِ الْحَسَدِ
١٣٦ - وَكُنْ كَمَا كَانَ خِيَارُ الْخَلْقِ
١٣٧ - فَكُلْ خَيْرٍ فِي اتِّبَاعِ مَنْ سَلَفَ
١٣٨ - وَكُلْ هَدْيَ لِلنَّبِيِّ قَدْ رَجَحَ
١٣٩ - فَتَابِعِ الصَّالِحِ مِمَّنْ سَلَفَا
١٤٠ - هَذَا وَأَرْجُو اللَّهَ فِي الْإِخْلَاصِ
١٤١ - مِنَ الرَّجِيمِ ثُمَّ نَفْسِي وَالْهَوَى
١٤٢ - هَذَا وَأَرْجُو اللَّهَ أَنْ يَمُنَّحَنَا
١٤٣ - ثُمَّ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ الدَّائِمُ
١٤٤ - مُحَمَّدٍ وَصَحْبِهِ وَعِثْرَتَهُ
- وَكَا الْمِرَاءِ وَالْجَدَلِ فَاغْتَمِدِ ٤٣٢
حَلِيفَ حِلْمٍ تَابِعاً لِلْحَقِّ ٤٣٤
وَكُلُّ شَرٍّ فِي ابْتِدَاعِ مَنْ خَلَفَ ٤٣٦
فَمَا أُبِيحَ أَفْعَلُ وَدَعُ مَا لَمْ يُبَيِّحْ ٤٣٧
وَجَانِبِ الْبِدْعَةِ مِمَّنْ خَلَفَا ٤٣٨
مِنَ الرِّيَاءِ ثُمَّ فِي الْخَلَاصِ ٤٣٩
فَمَنْ يَمَلُ لِهَلْؤُلَاءِ قَدْ غَوَى ٤٤٠
عِنْدَ السُّؤَالِ مُطْلَقاً حُجَّتْنَا ٤٤٢
عَلَى نَبِيِّ دَأْبَهُ الْمَرَاحِمُ ٤٤٢
وَتَابِعِ لِنَهْجِهِ مِنْ أُمَّتِهِ ٤٤٤

* * *

كُتِبَتْ بِحَسْبِ الصَّوَابِ
عَلَى جَوْهَرَةِ التَّوْحِيدِ

للإمام لفقيه عمدة أهل التحقيق
الشيخ أحمد بن محمد المالكي الصَّاوِي
الترقي سنة (١٢٤١) هـ

مقدمة الشارح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه ثقتي

الحمد لله الذي مَنَّ علينا بالإيمان والإسلام ، وأخرجنا بهما من ظلمة الشُّرك والأوهام . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أَدَّخَرها عند الختام ، وأشهد أن سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله سيِّد الأنام ، صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم ، وعلى آله وأصحابه البررة الكرام ، وعلى أشياخنا وأشياخهم إلى منتهى الإسلام .

وبعد:

فيقول العبد الفقير المرتجي غفر المساوي ، أحمد بن محمَّد المالكي الخَلَوْتِي الصَاوِي:

هذه تقييدات على جوهرة التوحيد للإمام العارف بالله تعالى الشيخ إبراهيم بن حسن المالكي اللَّقْانِي رأس سلسلة هذا الفنِّ ، ومن أرباب الأحوال والكشف . وعاش مدَّة عمره لم يُرَ ما تحت جبَّته من بغتة ولا غيرها ، وكان مهاباً جداً لا يكلمه إلا القليل من الناس ، وأنشأ هذه المنظومة ليلاً بإشارة شيخ التربية في التصوُّف سيِّدي أحمد عرب

الشُّرُوبِيَّ^(١) . وأوصاه لما فرغها وهو قائم يصليّ: أن لا يعتذر لأحد عن ذنب أو عيب بلغه عنه ، بل يعترف له به ، ويظهر له التصديق على طريق التورية مذلةً للنفس . فما خالفه بعدُ .

وعلمه أنه إذا قرأ في أذن المولود سورة القدر عند ولادته لم يُقدَّر الله عليه زنى مدة حياته .

توفي منصرفاً من الحجِّ بمحلِّ يقال له الشَّرْفَة ، ليلة الأحد قبيل العشاء الأخيرة ، ثالث شهر صفر سنة إحدى وأربعين بعد الألف عن نيّف وسبعين سنة .

وحُمِلَ إلى عقبه أيلة^(٢) ، فدفن بمحلِّ عالٍ مجاورٍ لآخر بساتينها التي ينزل الحاج بعد رجوعه خلفها على يمين الراجع تُجاه البحر الملح^(٣) . كذا في السُّحَيْمِيَّ^(٤) .

سألني في شأنها وقت السحر وأنا جالس بجانب ضريح السيد البدوي^(٥) بعضُ الأعيان من الملازمين لذلك المحلِّ الأنور ، فقال لي :

(١) أبو العباس أحمد بن عثمان ، العالم العارف بالله الوليُّ . طريقته شاذلية أخذ عنه إبراهيم اللقاني ، وصحبه ، وانتفع به ، له تأليف في التصوّف ، توفي سنة (٩٩٤هـ) . انظر شجرة النور الزكية (٢٨٠ - ٢٨١) .

(٢) أيلة بالفتح مدينة على ساحل بحر القلزم (المعروف بالبحر الأحمر) مما يلي الشام ، وقيل : هي آخر الحجاز وأول الشام . انظر معجم البلدان (١/٣٤٧) .

(٣) انظر المزيد على إتحاف المرید للسحيمي . ج ١ (ق١٧/أ-ب) .

(٤) أحمد بن محمد بن علي الحسني ، فقيه مصري من أعيان الشافعية وصلحائهم . من كتبه : تاج البيان لألفاظ القرآن ، والعطايا الربانية ، والمزيد على إتحاف المرید ، وزهرة الطالب بشرح الكواكب ، والمقتدي بشرح الهدهدي . توفي (١١٧٨هـ) . انظر الأعلام (١/٢٤٣) .

(٥) أحمد بن علي بن إبراهيم الحسيني أبو العباس البدوي المتصوف ، أصله من المغرب ، ولد بفاس سنة (٥٩٦هـ) ، وأقام بمكة والمدينة ، ودخل مصر أيام الظاهر بيبرس . توفي سنة (٦٧٥هـ) ودفن في طنطا . =

(إنَّ جوهرة التوحيد كتاب نفيس ، غير أنَّ شُرَّاحه صَعَّبوه ، وحوَاشيه زادوه صعوبة ، فاقتضى رأينا أنَّك تجعل لنا عليه حاشية توضح معناه بسهولة من غير تعقيد ولا تخليط).

فاستبشرتُ لذلك ، وأجبتُ راجياً لفضل / الله ، لا لحولي وقوتِّي ، ١/ب ورجوتُ منه النفع بها ، كما نفع بأصلها . إنه جواد كريم .

* * *

= الأعلام (١٧٥/١) بتصرف . وانظر لواقع الأنوار للشعراني (١٨٣/١) وشذرات الذهب (٣٤٥/٥).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بَيَانُ فِي الْبَسْمَلَةِ

قوله: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

ابتدأ بها اقتداء بالكتاب العزيز ، وعملاً بقوله ﷺ:
«كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فَهُوَ أَقْطَعُ ، أَوْ
أَجْذَمُ ، أَوْ أُبْتَرٌ»^(١) . والمعنى: ناقص وقليل البركة .

إن قلت: إنَّ هذا الكتاب شعر ، وقد قال العلماء: لا يُبْدَأُ الشعر
بالبسملة .

(١) رواه الخطيب البغدادي في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع برقم (١٢١٠) ، والسبكي في طبقات الشافعية (٦/١) ، وإسناده ضعيف جداً خلافاً لمن حسنه كالنووي وغيره ، وقد جعله الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٨/٢٢٠) من قسم الضعيف والإسناد الواهي . ولكن من ناحية عملية كان رسول الله ﷺ عندما يرسل رسائل إلى الملوك والأمراء يبدأ فيها بسم الله الرحمن الرحيم . وفي الحديث الذي أخرجه ابن حبان والنسائي وأبوداود وغيرهم ، وحسنه النووي والسيوطي ، ولفظه عندهم : «كل أمر ذي بال لا يُبْدَأُ فِيهِ بِحَمْدِ اللَّهِ أَقْطَعُ» و«كل كلام لا يُبْدَأُ فِيهِ بِالْحَمْدِ لِلَّهِ فَهُوَ أَجْذَمُ» . انظر تخريج الحديث الأخير في ص (٥٠) من هذا الكتاب .

أجيب: بأن الشعر الذي لا يُبدَأُ بالبسملة هو ما احتوى على مدح مَنْ لا يجوز مدحه ، أو ذمَّ مَنْ لا يجوز ذمُّه .

وأما هذا الكتاب فموضوعه علم التوحيد ، وهو أشرف العلوم ، فكان من الأمور ذوات البال قطعاً .

وأفرد البسملة عن الشعر ، ولم يأتِ بها نظماً كما فعل الشاطبي^(١) في قوله:

بَدَأْتُ بِبِسْمِ اللَّهِ فِي النَّظْمِ أَوْلَا (٢)

لأنَّه يعسر الإتيان بها على هيئتها من غير تغيير بخلاف الحمدلة ، ولأنَّه خلاف الأولى .

والبَاءُ للاستعانة متعلِّقة بمحذوف ، والأولى أن يكون فعلاً ؛ لأنَّه الأصل في العمل . وخاصّاً ؛ لأنَّ كلَّ شارع في أمر يُضْمِر ما كانت البسملة مبدأً له . ومؤخراً ؛ لإفادة الحصر .

وإضافة (اسم) إلى لفظ الجلالة من إضافة العامِّ للخاصِّ ؛ لأنَّه يعمُّ لفظ الجلالة وغيره من باقي الأسماء الواردة .

وسياتي أن أسماءه تعالى توقيفية^(٣) ، فلا يجوز أن يُطلق عليه إلا ما ورد النصُّ به عند أهل التحقيق .

(١) القاسم بن فيرّة بن خلف الرعيني ، إمام القراء ، كان ضريباً ، ولد بشاطبة في الأندلس سنة (٥٣٨هـ) ، وتوفي بمصر سنة (٥٩٠هـ) ، وهو صاحب حرز الأمانى المعروفة بالشاطبية . كان عالماً بالتفسير والحديث واللغة . انظر طبقات الشافعية (١/٣٦٨) ، بغية الوعاة (٢/٢٦٠) ، غاية النهاية في طبقات القراء (٢/٢٠) .

(٢) وعجز البيت : تبارك رحماناً رحيماً وموثلاً . حرز الأمانى (٣) .

(٣) انظر ص (٢١٣) من هذا الكتاب .

وإنما حُصِّصَ في البسملة لفظ الجلالة ؛ لأنه الاسم الجامع ؛ لكونه موضوعاً للذات المتصفة بكل كمال ، المنزَّهة عن كل نقص . ولذلك كان هو الاسمَ الأعظمَ عند أهل التحقيق ، وتخلَّف الإجابة لبعض الناس ؛ لفقد الشروط^(١) . وإلا ففي الحديث :

«رُبَّ أشعثَ أغبرَ ذي طِمْرين^(٢) لو أقسمَ على الله لأبره^(٣)» .

وحُصِّصَ (الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ) ؛ لأنَّهما مظهر النعم الدنيوية والأخروية .

فالأوَّل : منشأ جلائل النعم كمّاً وكيفاً .

والثاني : منشأ دقائقها كمّاً وكيفاً على التحقيق .

ولاحتوائها^(٤) على اسم الله الأعظم ، وعلى الاسمين اللذين بهما

(١) إن للإجابة شروطاً أعظمها : أكل الحلال ، ثم الدعاء وأنت موقن بالإجابة ، ثم هناك شروط أخر القبول فيها أرجى ، كما هو في بعض الأوقات : كالتَّسَحُّر ، وساعة يوم الجمعة ، وبين الأذان والإقامة ، وكما هو في بعض الأمكنة : كعرفات ، وفي مزدلفة ، وبعد رمي الجمره الأولى والثانية ، وعند لقاء الكعبة المشرفة .

ومن جملة ما يُرجى أيضاً : الدعاء عند الاضطرار مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُ لَكُمْ خُلْفَاءَ الْأَرْضِ ۗ إِنَّهُ مَعَ اللَّهِ قِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ سورة النمل الآية ٦٢ .

وقد أفرد الإمام الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين باباً لأداب الدعاء . انظر (٣٠٤/١) .

(٢) الطَّمْرُ : الثوب الخَلَق . النهاية في غريب الحديث (١/١٣٨) .

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرک (٤/٣٢٨) عن أبي هريرة مرفوعاً بهذا اللفظ .

وأخرجه مسلم بنحوه (٢٦٢٢) عن أبي هريرة مرفوعاً .

وله شاهد أخرجه الطبراني في الأوسط من حديث ثوبان مرفوعاً . مجمع البحرين (٨/٢٤٦) .

قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٢٦٤) : رجاله رجال الصحيح .

(٤) الجار والمجرور متعلقان بقوله : (كانت جامعة لمعاني القرآن . . .) الآتي .

مُنشأُ النِّعمِ الدنيويَّةِ والأخرويَّةِ ، الحسيَّةِ والمعنويَّةِ كانت جامعة لمعاني القرآن الذي جمع الكتب السماويَّة ؛ لأنَّ معنى القرآن انحصر في بيان كمالات الله تعالى ، وبيان ظهور رحمته وتصرفاته في خلقه دنيا وأخرى . / وقد احتوت البسملة على ذلك . وتفصيل ذلك عند أهل ١/٢ البصائر^(١) .



(١) ويزيد الباجوري على ذلك : ومعناها الإشاري (بي كان ما كان وبي يكون ما يكون) . وحينئذ يكون في الباء إشارة إلى جميع العقائد ؛ لأن المراد : بي وجد ما وجد ، وبي يوجد ما يوجد . ولا يكون كذلك إلا مَنْ اتصف بصفات الكمال ، وتنزَّه عن صفات النقصان اهـ . تحفة المرید (٣) .

١ - الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى صَلَاتِهِ ثُمَّ سَلَامٌ اللَّهُ مَعَ صَلَاتِهِ

بيان في الحمدلة

قوله : (الحمد لله)

ابتدأ بها أيضاً ؛ لما ورد : «كُلُّ كِتَابٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِالْحَمْدِ لِلَّهِ^(١) فَهُوَ أَجْذَمُ»^(٢) .

إن قلت : إنَّ الابتداء بالبسملة يُفَوِّتُ الابتداء بالحمدلة ، وبالعكس .

قلت : حمل العلماء الابتداء بالبسملة على الحقيقي : وهو ما لم يسبقه شيء ؛ لقوة حديثها على حديث الحمدلة^(٣) ، والابتداء بالحمدلة على الإضافيِّ : وهو ما تقدّم أمام المقصود^(٤) [سبقه شيء أم لا]^(٥) .

والبسملة وإن كانت تغني عن الحمدلة من حيث وجودُ الثناء

(١) في (د) : بالحمدلة .

(٢) أخرجه ابن حبان برقم (١ - ٢) . والنسائي في الكبرى (١٠٣٢٨) . وأبو داود (٤٨٤٠) . وابن ماجه (١٨٩٤) . وغيرهم عن أبي هريرة مرفوعاً .

وحسنه النووي في الأذكار (ص١٦٤) . والسيوطي في الجامع الصغير (٦٢٨٣) وغيرهما . ولفظه عندهم : «كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِحَمْدِ اللَّهِ أَقْطَعُ» و«كُلُّ كَلَامٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِالْحَمْدِ لِلَّهِ فَهُوَ أَجْذَمُ» .

(٣) ويظهر لنا من خلال تخريج حديثي البسملة والحمدلة أن الأمر على عكس ما ذهب إليه المؤلف رحمه الله . والله أعلم . انظر تخريج حديث البسملة في ص(٤٦) من هذا الكتاب .

(٤) وهو علم التوحيد هنا .

(٥) ساقطة من (م) ، وأثبتناها من (د) .

١ - الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى صَلَاتِهِ نَمَّ سَلَامٌ اللَّهُ مَعَ صَلَاتِهِ

فيها ، إلا أنَّ مراعاة الاقتداء بالكتاب العزيز أتم^(١).

والحمد لغةً : الثناء باللسان^(٢) على الفعل الجميل الاختياري على جهة التعظيم والتبجيل [سواء]^(٣) كان في مقابلة نعمة أم لا .

ومراده باللسان : الكلام ؛ ليشمَل القديم والحادث ، فهو مجاز مرسل من إطلاق السبب ، وهو اللسان ، وإرادة المسبب ، وهو الكلام ، ودخل التعريف ؛ لأنه مجاز مشهور^(٤).

وخرج بالاختياري الاضطراري^(٥) ؛ فإنه مدح لا حمد .

وقولنا : على جهة التعظيم والتبجيل . أي : على وجه هو التعظيم . وفي الحقيقة ذكْرهما للإيضاح ؛ لفهم ذلك من قوله : على الفعل

(١) إذ بدأ الكتاب العزيز: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ۞ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ .

(٢) عرّف الباجوري الحمد لغة فقال :

(الثناء بالكلام على الجميل الاختياري على جهة التبجيل... انظر تحفة المرید (٤) . أي : استبدل الكلام باللسان حتى لا يستعمل المجاز في التعريف .

(٣) ساقطة من (م) ، وأثبتناها من (د) .

(٤) لأن التعاريف عادة تصان عن المجازات ، لذلك ينبغي أن تكون بالفاظ حقيقية . انظر حاشية الأمير على إتحاف المرید (٨) .

(٥) كأن يكون الممدوح جميل الوجه حسن الصورة ؛ فإنه يمدح في ذلك ، ولا يُحمد عليه ؛ لأن الجمال ليس من صنيعه . على عكس الكريم مثلاً ؛ فإنه يحمد على كرمه ؛ لأنه من صنيعه . انظر تحفة المرید (٤) .

١ - الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى صَلَاتِهِ ثُمَّ سَلَامٌ اللَّهُ مَعَ صَلَاتِهِ

الجميل ، وأيضاً لتخرج السخرية كقوله تعالى : ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾^(١).

فشمل هذا التعريف أقسام الحمد الأربعة :

- ١ - حمد قديم لقديم : وهو حمد الله تعالى نفسه بنفسه أزلاً^(٢).
- ٢ - وحمد قديم لحادث : كحمد الله بعض عباده^(٣).
- ٣ - وحمد حادث لقديم : وهو حمدنا لله سبحانه وتعالى.
- ٤ - وحمد حادث لحادث : كحمدنا بعضنا لبعض.

وأما أركانه فخمسة :

- ١ - حامد : وهو فاعل الحمد.
- ٢ - ومحمود : وهو من وقع عليه الحمد.
- ٣ - ومحمود به : وهو مدلول صيغة الحمد^(٤).
- ٤ - ومحمود عليه : وهو السبب الباعث على الحمد^(٥).
- ٥ - وصيغته : وهي اللفظ الدالُّ على الحمد.

-
- (١) سورة الدخان (٤٩).
 - (٢) وذلك في قوله سبحانه : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ وهو كلام الله الأزلي.
 - (٣) كقوله تعالى : ﴿ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ سورة ص آية (٣٠ - ٤٤).
 - (٤) كالكرم مثلاً.
 - (٥) وهو الكرم أيضاً ، فقد يكون محموداً به ، ومحموداً عليه . يقول الباجوري :
(ثم اعلم أن المحمود به والمحمود عليه قد يتحدان ذاتاً ويختلفان اعتباراً ،
كما إذا أكرمك زيد فقلت : زيد كريم ؛ فإن الكرم من حيث كونه باعثاً على
الحمد يقال له : محمود عليه ، ومن حيث كونه مدلول الصيغة يقال له :
محمود به ، وقد يختلفان ذاتاً واعتباراً كما إذا أكرمك زيد فقلت : زيد عالم ،
فإن المحمود عليه هو الكرم والمحمود به هو العلم) اهـ . تحفة المرید (٤).

١- الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى صَلَاتِهِ ثُمَّ سَلَامٌ اللَّهُ مَعَ صَلَاتِهِ

وَعُرْفًا^(١) : فعل^(٢) يَنْبِئُ عَنْ تَعْظِيمِ الْمُنْعَمِ بِسَبَبِ كَوْنِهِ مَنْعَمًا عَلَى الْحَامِدِ أَوْ غَيْرِهِ .

والشكر لغة : هو الحمد عرفاً بإبدال الحامد بالشاكر .

واصطلاحاً : صرف العبد جميعاً ما أنعم الله به عليه إلى ما خُلِقَ^(٣) لأجله .

و(أل) في الحمد : إما للجنس ، أو للاستغراق ، أو للعهد^(٤) .

سأل أبو العباس المرسي^(٥) ابنَ النحاس النحوي^(٦) عن (أل) في الحمد ، فقال : (يا سيدي يقولون : إنها جنسية) ، فقال له : (لا بل هي عهدية ؛ لأن الله لما علم عجز خَلْقِهِ عَنْ كُنْهٍ حَمْدِهِ أَرْلَأَ حَمِدَ نَفْسِهِ بِنَفْسِهِ)^(٧) اهـ .

(١) أي والحمد عرفاً .

(٢) كقيامنا إجلالاً لمن له علينا فضل ونعمة ، فهذا حمد بالفعل لا باللسان .

(٣) نائب الفاعل ضمير مستتر يعود على ما أنعم الله به على العبد ، فيصرف العبد مثلاً نعمة البصر أو السمع أو غيرها إلى ما خُلِقَتْ مِنْ أَجْلِهِ .

(٤) وهو حمد الله نفسه بنفسه ، وحمد أوليائه له .

(٥) أحمد بن عمر شهاب الدين ، فقيه متصوِّف ، من أهل الإسكندرية ، أصله من مرسية في الأندلس توفي سنة (٦٨٦هـ) ، كان عَلَامةَ زمانه في العلوم الإسلامية . الأعلام (١/١٨٦) ، وانظر النجوم الزاهرة (٧/٣٧١) .

(٦) محمد بن إبراهيم بهاء الدين الحلبي ، شيخ العربية بالديار المصرية ، ولد في حلب سنة (٦٢٧هـ) . سكن القاهرة ، مشهور بالدين والصدق والعدالة وحسن الأخلاق ، توفي سنة (٦٩٨هـ) . بغية الوعاة (١/١٣ - ١٤) .

(٧) في هذه المحاوررة دلالة على العلم اللدني الذي ينعم الله به على أوليائه ؛ إذ أدرك أبو العباس كون اللام في (الحمد) عهدية . والله أعلم .

١- الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى صَلَاتِهِ تُمَّ سَلَامُ اللَّهِ مَعَ صَلَاتِهِ

ب/٢ واللام في (الله) للاستحقاق ، / وهي : ما وقعت بين معنى وذات .
وأما لام الملك فهي : ما وقعت بين ذاتين إحداهما تُمَلِّكُ كقولك :
(المال لزيد).

وأما لام الاختصاص فهي : ما وقعت بين ذاتين إحداهما لا تُمَلِّكُ
كقولك : (الجلُّ للفرس).

قوله : (على صَلَاتِهِ)

بكسر الصاد ، أي : عَطِيَّاتِهِ ، والإضافة تأتي لما تأتي له اللام . أي :
جميع إنعاماته . وآثر الحمد على النعمة ؛ لأنه مقيّد وهو أفضل من
المطلق^(١) عند بعضهم ، وعند بعضهم المطلق أفضل .

وفي الحقيقة : الجارُّ والمجرور خبر بعد خبر ، فيكون مُؤَدِّياً للحمد
المطلق بالخبر الأول ، وللمقيّد بالثاني ، فجمع بين القولين ، وشرب
بالكأسين .

وجملة (الحمد...) خبريّة لفظاً ، إنشائيّة معنى على التحقيق ، وهي

(١) والمطلق كقولنا : (الحمد لله) أما المقيّد فهو ما أتى به الناظم بقوله : الحمد
لله على صَلَاتِهِ ، فقيّد الحمد بالعطيات .
ومَنْ فضّل الحمد المقيّد جعله كالفرض ؛ لأنّه أتى بعد نعم الله على عبده ،
وجعل الحمد المطلق كالتنفل .
ومَنْ فضّل الحمد المطلق فَحَجَّجَهُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْعَبْدَ يَحْمَدُ رَبَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَى كُلِّ
حَالٍ ؛ لِأَنَّهُ رَبٌّ يَسْتَحِقُّ الْحَمْدَ دَائِماً . انظر تحفة المريد (٥) .

١- الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى صَلَاتِهِ ثُمَّ سَلَامُ اللَّهِ مَعَ صَلَاتِهِ

لإنشاء الثناء بالمضمون ، لا لإنشاء المضمون^(١)؛ لأنَّ المضمون كمال الله ، وهو قديم .

وأتى بها اسمية اقتداءً بالكتاب العزيز ، ولم يعطفها على البسملة اقتداءً بالقرآن العظيم أيضاً ، وليكون كلُّ مقصوداً بالابتداء .

بَيَانُ فِي الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

قوله : (ثمَّ سلام الله)

ثمَّ للترتيب الرُّتْبِي^(٢)؛ لأنَّ حَقَّ الله مقدَّم على حَقِّ المخلوق ، فإنَّ البسملة والحمدلة ثناء على الله ، والصلاة والسلام ثناء على رسول الله ، ولذلك تُقدَّم تحية مسجده ، عليه الصلاة والسلام ، على السلام عليه ﷺ .

وقدَّم السلام - وإن كانت رتبته التأخير عن الصَّلَاة كما في آية : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(٣) - لضرورة النظم ، وأفاد التأخير بلفظ (مع) . يقال : جاء الوزير مع السلطان ، ولا يقال : جاء السلطان مع الوزير .

(١) أي : لا لإنشاء الكمال لله بهذه العبارة؛ إذ كمال الله أزليٌّ .

(٢) وهذا الترتيب غير الترتيب الذكري والترتيب الزمني المفادين من (ثمَّ) أيضاً . وتجيء ثمَّ لمعانٍ أخر . انظر الكلبيات لأبي البقاء الكفوي (٢/١٢٥) .

(٣) سورة الأحزاب (٥٦) .

١ - الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى صَلَاتِهِ ثُمَّ سَلَامٌ اللَّهُ مَعَ صَلَاتِهِ

والسلام: التحية ، أي: زيادة الإكرام بأن يحيي الله بكلامه القديم كما يحيي أحدنا ضيفه .

قوله: (مع صَلَاتِهِ)

الظرف متعلق بمحذوف حال من المبتدأ على رأي سيبويه^(١) .

والضمير في صَلَاتِهِ عائد على الله ، وجمع بين الصلاة والسلام؛ لأنَّ إفراد أحدهما عن الآخر قيل: مكروه .

والصلاة من الله رحمته المقرونة بالتعظيم ، ومن غيره التضرع والدعاء ولو من الملائكة؛ لقوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَجْلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِءِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا... ﴾^(٢) الآيات إلى قوله: ﴿ وَفِيهِمُ السَّيِّئَاتِ... ﴾^(٣) .

ولا يجوز الدعاء للنبي عليه الصلاة والسلام بغير الوارد (كِرْحَمَهُ اللهُ)، بل المناسب واللائق في حق الأنبياء الدعاء بالصلاة والسلام ،

(١) عمرو بن عثمان بن قنبر إمام البصريين أبو بشر ، أصله من فارس ، أخذ عن الخليل بن أحمد ويونس ، كان علامة حسن التصنيف ، توفي سنة (١٨٠ هـ) وعمره اثنتان وثلاثون سنة اهـ . بغية الوعاة (٢/٢٢٩) .

(٢) سورة غافر (٧) وتام الآية: ﴿... رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾ .

(٣) سورة غافر (٩) .

١ - الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى صَلَاتِهِ ثُمَّ سَلَامٌ اللَّهُ مَعِ صَلَاتِهِ

وفي حقّ الصحابة والتابعين والأولياء والمشايخ الترضي ، وفي حقّ غيرهم يكفي أيّ دعاء كان .

قال تعالى : ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ﴾ (١) .



(١) سورة النور (٦٣) والآية ساقطة من (م) وأثبتناها من (د) .

تعريف النبيّ

قوله: (على نبيّ)

خبر المبتدأ أي: كائنان على نبيّ.

أ/٣ / إن قلت: إنّ الدُّعاء إن كان بخير تعدّى باللام ، وإن كان بشرّ تعدّى بعلى .

أجيب: بأنّه ضمّن الصلاة معنى العطف ، وهو يتعدّى بعلى .

والحقُّ في الجواب أن يقال: محلُّ ذلك ما لم يكن بعنوان الصلاة والسلام ، فإن كان به تعيّن تعديته بعلى؛ للفرق بين صلّيتُ له وصلّيتُ عليه ، وسلّمتُ له وسلّمتُ عليه . فلو تعدّى باللام لأوهم معنى فاسداً؛ لأنّ صلّيتُ له بمعنى عبدته ، وسلّمتُ له معناه فوّضتُ له الأمر ، ولأنّه خلاف الوارد في القرآن والأحاديث .

والنبيّ: بالهمز وعدمه ، والوزن على كلّ صحيح في اللغة ، مأخوذ من النّبأ وهو الخبر ، فهو اسم فاعل ، أو اسم مفعول^(١) .

أو من النّبوة وهي الرّفعة ، فهو اسم فاعل لرفعه مرتبة غيره ، أو اسم مفعول؛ لأنّه مرفوع الرتبة ، وما من نبيّ إلا وهو أفضل من أمّته .

واصطلاحاً: إنسان ذكر حرٌّ من بني آدم ، أوحِيَ إليه بشرع ، فإن أمر بتبليغه كان رسولاً أيضاً ، وإلا فنبيّ فقط . فبينهما عموم وخصوص مطلق على الصحيح ، فلا يكون النبيّ:

(١) لأنّ (فَعِيل) يأتي بمعنى فاعل: كعليم . وبمعنى مفعول: كجريح .

٢ - على نبيّ جاء بالتَّوْحِيدِ وقد عَرَى الدِّينُ عن التَّوْحِيدِ

- من الجنّ ، وأمّا قول الله تعالى : ﴿ يَمَعَشَرَ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ... ﴾^(١) فمعناه من أحكمهم وهم الإنس .

- ولا من الملائكة ، وأمّا قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا ﴾^(٢) أي : للأنبياء ليلغوهم عن الله الشرائع لا للأمة .

- ولا أنثى ، والقول بنبوّة مريم ضعيف بل هي صديقة ، وقوله تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَمْرَ مُوسَى... ﴾^(٣) الآية . لا يقتضي النبوة ، بل المراد الإلهام ، وهو الإلقاء في القلب ؛ فإنّه يقع حتى لبعض الحيوانات غير العاقلة كما في آية : ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّعْلِ... ﴾^(٤) .

وقولنا : أوحى إليه بشرع ، أي : كان له كتاب أم لا .

واختلف في عدّة الأنبياء ، فقليل : مئة ألف وأربعة وعشرون ألفاً ، وقيل : مئتا ألف وأربعة وعشرون ألفاً ، أرسل منهم ثلاثمئة وثلاثة عشر ، أو أربعة عشر .

والحقّ أنه لا يعلم عدّتهم إلا الله تعالى ؛ لضعف الحديث الوارد في

(١) سورة الأنعام (١٣٠) .

(٢) سورة الحج (٧٥) . وتام الآية : ﴿ ... وَ مِنَ النَّاسِ إِنَّكَ اللَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ .

(٣) سورة القصص (٧) . وتام الآية : ﴿ ... أَنْ أَرْضَعِيهَا فَإِذَا خَفْتِ عَلَيْهِ فَكَلِّبِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ .

(٤) سورة النحل (٦٨) وتام الآية : ﴿ ... أَيْنَ أَخَذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾ .

٢ - على نبيِّ جاء بالتَّوْحِيدِ وقد عَرَى الدِّينُ عن التَّوْحِيدِ

ذلك^(١) ، ولقوله تعالى : ﴿ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ^(٢) .

إرسال النبي ﷺ على فترة من الرسل

قوله : (جاء بالتوحيد)

صفة لنبيٍّ ؛ لأنَّ الجمل بعد النكرات صفات ، ومحطُّ الصفة قوله :
وقد عرى الدين عن التوحيد

لأنَّه حال من فاعل جاء ؛ لأنَّ الحال وصف لصاحبها قيد في
ب/ عاملها ، وبهذا التقرير ظهر توضيح الصفة / للموصوف ؛ لأنَّه لم يأت

(١) أخرج أحمد في المسند (٥/٢٦٥) عن أبي أمامة في حديث طويل فيه : أن
أبا ذرٍّ سأل رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله كم عدَّة الأنبياء ؟ قال : «مئة ألف
وأربعة وعشرون ألفاً ، الرسل من ذلك ثلاثمئة وخمسة عشر جمًّا غفيراً...» .
وأخرجه ابن جرَّان (٣٦١) في حديث طويل .

والذي ثبت في هذا الباب ما أخرجه الحاكم في المستدرک (٢/٢٦٢) .
والطبراني في الكبير (٨/٧٥٤٥) عن أبي أمامة أن رجلاً قال : ... يا رسول الله
كم كانت الرسل ؟ قال : ثلاثمئة وثلاثة عشر .

قال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/٢١٠) : رجاله رجال الصحيح غير
أحمد بن خليل الحلبي وهو ثقة اهـ . وصححه الحاكم ووافقه الذهبي .
وأما رواية : «مئتا ألف وأربعة وعشرون ألفاً» في عدَّة الأنبياء ، فقال الحافظ
السيوطي في (تخريج أحاديث العقائد) ص (٢١٤) : لم أقف عليه .

(٢) سورة غافر (٧٨) .

نبيّ بالتوحيد في حال خلوّ الدِّين عن التوحيد إلا نبينا ﷺ ، قال تعالى : ﴿يَتَأَهَّلَ الْكِنْبُ فَدَجَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ﴾ (١) .

وقوله : (جاء) أي : أرسله الله للثقلين على رأس الأربعين ، وقيل : على أوّل الأحد والأربعين ، والصحيح أنّ الوحي في المنام كان في ربيع الأول ، وإتيان جبريل يقظة له بالقرآن كان في رمضان .

واختلف هل ربيع الأول الذي جاء له الوحي فيه مناماً هو أوّل الأربعين ، أو الأحد والأربعين ، خلاف مبسوط في شراح الحديث (٢) .

والحكمة في كون النبوة على رأس الأربعين ؛ لأنّ عندها كمال العقل ، وكمال القوة ، وليس هذا الأمر مختصاً بنبيّنا ، بل الأنبياء كذلك إلا يحيى وعيسى ؛ لقوله تعالى في حق يحيى : ﴿وَأَتَيْنَهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ (٣) ، وقوله تعالى في حق عيسى : ﴿ءَاتَيْنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ (٤) هكذا قيل ، والحق حتى عيسى ويحيى . وأما قوله تعالى : ﴿وَأَتَيْنَهُ الْحُكْمَ﴾ أي : العلم والمعرفة لا النبوة ، وقوله تعالى : ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ من التعبير بالماضي عن المستقبل ؛ لتحقق الحصول ، كقوله تعالى : ﴿أَنزَلَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ (٥) ﴿وُفِّخَ فِي الصُّورِ﴾ (٦) . أو المعنى : وجعلني نبياً أي : في علمه

(١) سورة المائدة (١٩) .

(٢) انظر توضيح الخلاف في فتح الباري بشرح صحيح البخاري (٧/١٦٤) .

وانظر تحفة المرید (٧-٨) .

(٣) سورة مريم (١٢) .

(٤) سورة مريم (٣٠) .

(٥) سورة النحل (١) وتام الآية ﴿... فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ .

(٦) سورة الكهف (٩٩) والآية بتمامها ﴿وَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجًا فِي بَعْضٍ وَفُخِّحَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمَاعًا﴾

٢ - على نبيٍّ جاء بالتَّوحيدِ وقد عَرَى الدِّينُ عن التَّوحيدِ

بأن أطلعه الله على اللوح المحفوظ ، فرأى نفسه معدوداً من الأنبياء ،
وحينئذ فلم يُرفع للسماة وعمره ثلاث وثلاثون سنة كما قيل ، بل الصَّحيح
أنه ما رُفِعَ إلا بعد مضيِّ ثمانين سنة من النبوة ، وبعد نزوله من السماء يعيش
أربعين سنة ، فيكون عمره مئة وستين ^(١) ﷺ .

قوله : (بالتوحيد)

أي : الشرعيُّ ، وهو أفراد المعبود بالعبادة مع اعتقاد وحدته ذاتاً
وصفاتٍ وأفعالاً ، فقولنا : (إفراد المعبود بالعبادة) أي : عدم الشريك له
فيها ظاهراً وباطناً .

وقولنا : (مع اعتقاد وحدته) أي : معرفة وحدته .

والاعتقاد هنا : هو الجزم المطابق للحقِّ ، إمَّا بكشف ، أو دليل

(١) أخرج الطبراني في الكبير عن عائشة عن فاطمة ، رضي الله عنهما ، أن رسول الله
ﷺ أخبرها في مرضه الذي قبض فيه : « أن جبريل كان يعارضه بالقرآن في كل
عام مرّة ، وأنه عارضه بالقرآن العام مرّتين ، وأخبره أنه لم يكن نبي إلا عاش
نصف عمر الذي قبله ، وأن عيسى بن مريم عاش عشرين ومئة سنة . ولا أراني إلا
ذاهباً على رأس الستين . . . » (٤١٧-٤١٦/٢٢) برقم (١٠٣١) .
ورواه الطحاوي في مشكل الآثار (١/٤٩-٥٠) .

كما أخرج الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « ينزل
عيسى بن مريم ، فيمكث في الناس أربعين سنة » (٢١٨/٦) برقم (٥٤٦٠) .
وروى الحاكم نحوه في المستدرک عن أبي هريرة (٢/٥٩٥) ، وأبو داود في كتاب
الملاحم باب خروج الدجال برقم (٤٣٢٤) .

أقول : إذا مكث عيسى - عليه السلام - مئة وعشرين سنة في قومه ، كما ورد في
الحديث الأوّل ، وسيمكث في الناس بعد نزوله أربعين سنة ، كما ورد في
الحديث الثاني ، كان المجموع مئة وستين سنة ، وهذا موافق لما ذكره الإمام
الصاوي رحمه الله .

٢- على نبيّ جاء بالتَّوْحِيدِ وقد عَرَى الدِّينُ عن التَّوْحِيدِ

تفصيلي^(١) ، أو إجمالي^(٢) ، أو تقليد لعارف .

وقولنا : (ذاتاً) أي : فلا تشبه ذوات المخلوقين ، ففيه نفي الكَمِّ المنفصل في الذات^(٣) . وليست ذاته مركبة من أجزاء ، ففيه نفي [الكَمِّ]^(٤) المتّصل فيها أيضاً .

وقولنا : (وصفات) أي : فقدرته واحدة ، وعلمه واحد ، وهكذا ، ففيه نفي الكَمِّ المتّصل في الصّفات ، ولا تشبه صفات الحوادث ، ففيه نفي الكَمِّ المنفصل / فيها^(٥) .

أ/٤

وقولنا : (وأفعالاً) أي : منفردٌ في الأفعال ، فليس لأحد فعلٌ كفعل الله تعالى ، ففيه نفي الكَمِّ المنفصل فيها . وأما المتّصل فهو ثابت ؛ لأنّ أفعال الله كثيرة على حسب شؤونه في خلقه .

قوله : (وقد عرى . . . إلخ)

يقال : عرا يعرو عُرُوّاً ، كعلا يعلو علوّاً ، بمعنى الإصابة والاعترا ، كما قال الشاعر^(٦) :

(١) كقولنا في البرهان على وجود الله : الكون متغير ، والتغير حادث وممكن ، وكل حادث وممكن لا بدّ له من موجِد يوجده ، ومن مرجّح يرجح أحد طرفي إمكانه على الآخر ، فلا بدّ إذاً من وجود الخالق .

(٢) كقولنا في البرهان على وجود الله : هذا الكون من حيث كونه ممكناً أو حادثاً دليل على وجود الله سبحانه .

(٣) أي : نفي التعدد ، فلا إله آخر غير الله .

(٤) ساقطة من (م) ، وأثبتناها من (د) .

(٥) أي : لا يوجد قدرة ثانية كقدرة الله سبحانه وتعالى .

(٦) هو أبو صخر الهذلي ، شاعر من الفصحاء ، كان في العصر الأموي موالياً لبني مروان متعصباً لهم ، وله في عبد الملك وأخيه عبد العزيز مدائح . انظر خزانة الأدب للبغدادي (١/٥٥٥) باختصار . وتمام البيت :

٢ - على نبيّ جاء بالتَّوْحِيدِ وقد عَرَى الدِّينُ عن التَّوْحِيدِ

وإِنِّي لَتَعْرُونِي لِذِكْرِكَ هِزَّةٌ

وليس هذا مراداً ، بل مراده الخلوُّ ، ومادّته : عَرِيَ كَعَلِمَ ، والوزن لا يستقيم عليه إلا بكسر الراء وحذف الياء^(١) .

قوله : (الدِّين)

هو لغةٌ : ما يتدَيَّن به ، حقّاً كان أو باطلاً .

واصطلاحاً : وضع إلهيٌّ ، سائق لذوي العقول السليمة باختيارهم المحمود إلى ما هو خير لهم بالذات .

فقولنا : وضع إلهيٌّ ، أي : أحكام وضعها المولى وشرعها وبيّنها .

وأما وصف نبيّنا بكونه شارعاً فباعتراف نقلها عن الله ؛ ولذلك يقولون : نبيّنا هو الشارع المجازيُّ ، والله هو الشارع الحقيقيُّ .

واحترز بذلك عن وضع الخلق ، كآلات النِّجارة والقِرَازة^(٢) وغير ذلك ، فلا تسمّى ديناً .

وقولنا : (سائق) أي : باعث^(٣) ، خرج به الأوضاع الإلهية غير السائقة ، كإنبات الأرض وإمطار السماء^(٤) .

= كما انتفضَّ العصفورُ بللَّهُ القطرُ

(١) يوجّه بأن (عرا) في كلامه بفتح الراء المقلوب عن كسرهما ، والأصل : عَرِيَ كَعَلِمَ ، قُلِبَت الكسرة فتحة لمناسبة الوزن ، فتحرّكت الياء ، وانفتح ما قبلها فقلبت ألفاً ، وصار عرا كراى اهـ . تحفة المريد (٩) .

وقد وقع في بعض النسخ (خلا) بدل (عرا) .

(٢) القِرَازة : حرفة بيع القَرِّ ، والقِرَاز كشدّاد بائع القَرِّ . انظر تاج العروس (قزز) .

(٣) لأن المكلف إذا سمع ما يترتب على فعل الواجب من الثواب ، أو على فعل الحرام من العقاب ، انساق إلى فعل الأول وترك الثاني اهـ . تحفة المريد (١٠) .

(٤) قلنا هذا سائق لصالح المعاش ، أي : أنّه سبب فيه ، كما أن الأحكام سبب =

٢ - على نبِيٍّ جَاءَ بِالتَّوْحِيدِ وقد عَرَى الدِّينُ عَنِ التَّوْحِيدِ

وقولنا : (لذوي العقول) خرج به ما يسوقهم وغيرهم من الحيوانات ،
كالأوضاع الطبيعية التي تهتدي بها الحيوانات لمنافعها ، كسج العنكب
واتخاذ النحل بيوتا ، ومضارها كاجتناب المهاوي والمهالك .

وقولنا : (باختيارهم) خرج به الأوضاع الإلهية الاتفاقية ، كالحميّة
والعصبية^(١) .

وقولنا : (المحمود) احترازاً عن الاختيار المذموم ، كالانهماك في
الدنيا والشهوات ، فلا يسمّى ديناً .

وقولنا : (إلى ما هو خير لهم بالذات) أي : كالانهماك في خدمة الله
وطاعته ومحبته ؛ فإن ذلك خير ذاتي يترتب عليه الفوز الأكبر غداً ،
واحترازاً بذلك عن الخير لا بالذات ، كالانهماك في تصحيح الأبدان
بالحكمة والعقاير وغير ذلك ، فلا يُسمّى ديناً .

وأجمع من هذا التعريف وأظهر منه قوله تعالى :

﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ
وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴾^(٢) .

= للسعادة الأبدية . . . فالأحسن التمثيل لغير السائق بالأوضاع الإلهية التي
لا اطلاع لنا عليها ، كما تحت الأرضين وما فوق السماء ؛ فإن ما لانعرفه
لا يسوقنا لشيء اهـ . حاشية الأمير على إتحاف المرید (١٣) .

(١) الحميّة : حمي من الشيء ، وعنه كرضي حميّة بالتشديد كمنزلة أنف منه ،
وداخله عارٌ وأنفة أن يفعله ، وهي الأنفة والغيرة اهـ . تاج العروس (حمي) .

والعصبية : تعصّب أتى بالعصبية ، وهو أن يدعو الرجل إلى نصرة عصبته
والتألف معهم على من يناوئهم ظالمين كانوا أو مظلومين . والتعصّب المحاماة
والمدافعة ، وتعصّبنا له ومعناه : نصرناه اهـ . تاج العروس (عصب) .

(٢) سورة البينة (٥) .

٢ - على نبيٍّ جاء بالتَّوْحِيدِ وقد عَرَى الدِّينُ عن التَّوْحِيدِ
 ٣ - فَأَرشَدَ الخَلْقَ لِدِينِ الحَقِّ بِسَيْفِهِ وَهَدِيهِ لِلْحَقِّ

وسمِّي ديناً للتدئين به ، ويسمَّى مِلَّةً أيضاً ، وصرطاً مستقيماً . قال تعالى :
 ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ ^(١) أي : الدِّينَ القَيِّمَ الذي لا اعوجاج فيه .

قوله : (عن التوحيد)

المراد به اللغويُّ ، وهو مطلق الإفراد ، فبينهما جناس تام ، وهو اتفاق
 ب/٤ اللفظين لفظاً ، واختلافهما معنى ، فلا إيطاء/ في البيت ^(٢) .

قوله : (فأرشد الخلق)

مرتب على قوله : (جاء بالتوحيد) ، ويؤخذ منه أنه لم يتأخر عن
 الإرشاد لحظة ما ^(٣) .

والإرشاد يطلق على الدلالة - وإن لم يكن معها وصول للمقصود -
 ويطلق على الوصول ، فإن حُمل على الأوَّل كان عامّاً للناس مؤمنهم
 وكافرهم ، وإن حُمل على الثاني كان خاصّاً بمن آمن .

و(أل) في (الخلق) للعهد ، أي : الخلق المعهودين ، وهم الثقلان ^(٤) :
 الإنس والجنّ ، أعني المكلفين منهم ، فأرساله لهما إرسال تكليف بنصّ
 القرآن [لا] ^(٥) سيِّما في سورة الرحمن والجنّ . وفي الحديث : « لَهُم مَّالَنَا

(١) سورة الفاتحة (٦) .

(٢) الإيطاء من عيوب القافية ، وهو : أن تتكرَّر القافية في قصيدة واحدة بمعنى واحد ،
 فإن كان لمعنيين لم يكن إيطاء . انظر الوافي في العروض والقوافي (٢٤٢) .

(٣) لأنَّ الفاء في قوله : (فأرشد الخلق) أفادت الترتيب مع التعقيب .

(٤) سمِّي الإنس والجن بالثقلين ؛ لأنَّهما أثقلا الأرض . وقيل : لثقلهما بالذنوب ،
 وقيل : لثقل ميزانهما بالحسنات . تحفة المريد (٧) . وانظر حياة الحيوان
 الكبرى (٢٥٨/١) .

(٥) ساقطة من (م) ، وأثبتناها من (د) .

٣ - فَأَرْشَدَ الْخَلْقَ لِدِينِ الْحَقِّ بَسِيفِهِ وَهَدِيهِ لِلْحَقِّ

وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَيْنَا» (١) وَمَنْ أَنْكَرَهُ كَفَرَ .

ولم يرسل للجن نبي غير نبينا ﷺ ، وأما حكم سليمان فيهم فحكم سلطنة وملك لا حكم نبوة . وأما قوله تعالى : ﴿... يَلْقَوْنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا﴾ (٢) فلا يقتضي أن موسى أرسل لهم ، بل المراد أن هذا الكتاب يدعو إلى الله ، كما كان موسى يدعو إلى الله .

وأما إرساله للملائكة لإرسال تكليف على المعتمد ، لكن بأمر تليق بهم (٣) ، لا تقاس على أمور الثقيلين .

وأما إرساله لباقي الخلق من الحيوانات غير (٤) العاقلة والجمادات لإرسال تشریف إجماعاً (٥) .

وأما قوله تعالى : ﴿وَقُوْدُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ (٦) المقتضي عذاب

(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ فيما بين يدي من المصادر ، ومع ذلك فإن النصوص متواترة في تكليف الجن منها قوله تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ .

(٢) سورة الأحقاف (٣٠) . وهذه الآية مرتبطة في معناها بما قبلها ، وهو قوله تعالى : ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفْرًا مِنَ الْجِنَّ يَشْتَمُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ (١٥) قَالُوا يَلْقَوْنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ .

(٣) أمّا ما يتعلّق بالتوحيد والعقيدة فلا يحتاجون إلى رسول ؛ لأنّ الإيمان عندهم جبليّ ، وكذلك عبادتهم ، ولذلك فالرّاجح أنّ إرسال النبي ﷺ إلى الملائكة إرسال تشریف لا تكليف . انظر حاشية الأمير على إتحاف المرید (١١) ، وتحفة المرید (٧ - ١١) .

(٤) في (م) و(د) : الغير العاقلة ، وأثبتناها بدون (أل) لإغراقها في الإبهام وإضافتها .

(٥) وهذا العموم في الإرسال ينزل تحت قوله تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ الأنبياء (١٠٧) .

(٦) سورة البقرة (٢٤) .

٣ - فَأَرْشَدَ الْخَلْقَ لِلدِّينِ الْحَقِّ بِسَيْفِهِ وَهَدِيهِ لِلْحَقِّ

الحجارة ؛ فإن التعذيب لأهل النار لا لنفس الحجارة ^(١) .
وأما ما ورد من أنه يقتصُّ للجَمَاءِ من القرآن ^(٢) ، فالقصاص بغير
العذاب بالنار ، بل بشيء يرضي الآخر .

قوله : (لدين الحق)

أي : الله ؛ فإن الحقَّ من أسمائه تعالى ، ومعناه : الثابت الذي لا يقبل
الزوال أولاً ولا أبداً ، ولا يتصور العقل عدمه .

قوله : (بسيفه وهديه)

إن قلت : إن إرشاده بالسيف لم يكن عَقِبَ البعثة ، بل كان بعد
الهجرة ، فلم يحسن التعقيب .

أجيب : بأنَّ التعقيب بالنسبة للأمر به أي : فحين أمر بالجهاد لم يتأخَّر
أبداً ، بل كان عيداً لمن آمن .

والمراد بالسَّيْفِ آلة الحرب ، فيشمل غيره ، فهو من تسمية الكلِّ باسم
البعض ^(٣) الأعظم الأشهر .

قوله : (وهديه)

المراد به القرآن والسُّنَّة ، فكان ﷺ يرأسل الأعداء أولاً ^(٤) بالقرآن

(١) ووضع الحجارة معهم في النار إهانةً لعبادها الذين اتخذوها آلهة ، وأشدُّ
تحسيراً . والحجارة الموضوعة في النار هي تلك التي اتُّخذت آلهة لا كلُّ
حجارة . والله أعلم . انظر مدارك التنزيل (٣٢/١) .

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٧٣٦٣) ، وأحمد في مسنده (٢٣٥/٢) عن
أبي هريرة مرفوعاً بلفظ : « لَتَوْدُنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا حَتَّى يَقْتَصَّ لِلشَّاةِ الْجَمَاءِ
مِنَ الشَّاةِ الْقَرْيَاءِ تَنْطُحُهَا » . وإسناده صحيح . وأخرجه بنحوه مسلم (٢٥٨٢) .

(٣) في (م) : باسم جزئه ، وما أثبتناه من (د) .

(٤) أخرجه نحوه مسلم في صحيحه (١٧٣١) .

٣ - فَأَرْشَدَ الْخَلْقَ لِدِينِ الْحَقِّ بِسَيْفِهِ وَهَدِيهِ لِلْحَقِّ

.....

والدعوة للإسلام ، فإن أجابوا للإسلام فظاهر ، وإلا أعلمهم بالتهيؤ
للجهاد ، وهكذا أصحابه وخلفاؤه من بعده ، / يجب عليهم أن يفعلوا ١/٥
هكذا .

قوله : (للحقّ)

هو مطابقة الحكم للواقع ، فيبينها جناس تامّ ، ولا إبطاء في البيت .
ويطلق على الأقوال والعقائد والأديان والمذاهب باعتبار اشتمالها
عليه ، وضدّه الباطل .

* * *

سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ ﷺ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ

قوله : (مُحَمَّدٌ)

هو أشرف أسمائه ﷺ ، وله أسماء كثيرة ، فقد ورد أن له ألف اسم ، كما أن الله ألف اسم ، ولكن هذا الاسم أشرفها وأعلاها ؛ لاقرانه مع اسم الله في كلمة التوحيد ، ولما ورد : «أَنَّهُ خَلَقَ الثُّورَ الْمُحَمَّدِيَّ وَسَمَّاهُ مُحَمَّدًا»^(١) ، ولأنه مكتوب على أوراق أشجار الجنة ، وعلى دائرة العرش ، ولا يدخل أحد الجنة إلا بذكره ، ولو من الأمم السابقة ؛ لأن الأنبياء نُؤابهُ ؛ لما ورد في الحديث الشريف : «لَوْ أَدْرَكَنِي مُوسَى مَا وَسِعَهُ إِلَّا اتِّبَاعِي»^(٢) ، ولأخذ الميثاق على الأنبياء أنه لو ظهر

(١) وَرَدَتْ عِدَّةٌ أَحَادِيثٍ تَتَعَلَّقُ بِالثُّورِ الْمُحَمَّدِيِّ ، مِنْهَا هَذَا الْحَدِيثُ . وَمِنْهَا مَا ذَكَرَهُ الْعَجْلُونِيُّ نَاقِلًا عَنِ الْمَوَاهِبِ فِي حَدِيثٍ : «أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ نُورَ نَبِيِّكَ يَا جَابِرُ» ، فَقَالَ : رَوَاهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ بِسَنَدِهِ عَنِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بَلْفِظٍ : «... يَا جَابِرُ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ قَبْلَ الْأَشْيَاءِ نُورَ نَبِيِّكَ مِنْ نُورِهِ...» . انظر كشف الخفاء (٢٦٥/١) .

ولم يسلم الكثيرون بهذه الأحاديث ؛ لأنها لم ترد في كتب الحديث المعتمدة . وقد أفرد الشيخ عبدالله العُمَاري رسالة سَمَّاهَا : (مرشد الحائر لبيان وضع حديث جابر) . فليُنظر ذلك في ص (١٣٠-١٣٣) .

(٢) أخرجَه أحمد في المسند (٣/٣٨٧) . وأبو يعلى . والبخاري . كما في مجمع الزوائد (١/١٧٤) . قال الحافظ الهيثمي : وفيه مجالد بن سعيد ، ضعفه أحمد ويحيى بن سعيد وغيرهما اهـ .

ولفظه عند أحمد : أن عمر بن الخطاب أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض =

٤ - مُحَمَّدِ الْعَاقِبِ لِرَسُولِ رَبِّهِ وَالِهِ وَصَحْبِهِ وَحِزْبِهِ

محمد، وواحد منهم حي، ليؤمنن به ولينصرنه^(١).

ومحمد بدل من نبي، أو عطف بيان^(٢)، والأولى جعله عطف بيان؛ لأنَّ المبدل منه في نيّة الطرح والرمي، مع أنّ وصفه بالنبوة مقصود أيضاً^(٣).

= أهل الكتب، فقرأه النبي ﷺ، فعصّب، فقال: «أُمَّتَهُوَكُونُ فِيهَا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بِيضَاءَ نَقِيَّةٍ. لَا تَسْأَلُوهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَيُخْبِرُوكُمْ بِحَقِّي، فَتَكْذِبُوا بِهِ، أَوْ بِيَاظِلٍ، فَتُصَدِّقُوا بِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى ﷺ كَانَ حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبَعَنِي».

والتهوُّك كالتهوُّر، وهو الوقوع في الأمر بغير رويّة. النهاية في غريب الحديث (٢٨٢/٥).

وللحديث شاهد أخرجه الطبراني في الكبير كما في مجمع الزوائد (١٧٤/١) وقال: فيه أبو عامر القاسم بن محمد الأسدي، ولم أر من ترجمه، وبقية رجاله موثّقون. وللحديث شواهد بمعناه يقوى بها.

(١) هذا مضمون قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَآءَ آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ آل عمران (٨١).

(٢) ويجوز أن يكون مرفوعاً على أنّه خبر لمبتدأ محذوف، أي هو محمد. وأن يكون منصوباً على أنه مفعول لفعل محذوف، والتقدير أعني محمداً أو نحو ذلك، ولكنّ الرسم لا يساعده. انظر تحفة المرید (١٢).

(٣) وذكر الباجوري مثل هذا القول فتابعه الأجهوري في تقريراته موضحاً ذلك بقوله: المطروح عمل عامل المبدل منه لا نفس المبدل منه، بل هو مقصود اهـ. تحفة المرید (١٢).

أي: إن المبدل منه في نيّة الطرح والرمي من حيث العامل النحوي الذي تسلط على البدل لا من حيث المعنى. فالنبوة إذا مقصودة ولو على القول بأنّه بدل.

٤ - مُحَمَّدِ الْعَاقِبِ لِرُسُلِ رَبِّهِ وَإِلَيْهِ وَصَحْبِهِ وَحِزْبِهِ

وهو عَلَمٌ منقول من اسم مفعول الفعل المضَعَّف ، وهو حَمَدٌ بالتشديد ؛ لأنه أكثر الخلق حامديَّةً ومحموديَّةً^(١) ، ولذلك لم يذكر اسمه في القرآن مجرداً عما يُشعر بالتعظيم ، بخلاف غيره من الأنبياء ، وببده لواء الحمد يوم القيامة ، وكلُّ الأنبياء والأمم السابقة تحت ذلك اللواء ؛ لقوله في الحديث : «آدَمُ فَمَنْ دُونَهُ تَحْتَ لِوَائِي»^(٢) .

وأوَّل من سَمَّاه به رَبُّهُ في المَلَأ الأعلى ، وأوَّل من سَمَّاه به في الأرض أُمَّهُ ، ثُمَّ أَظْهَرَ ذَلِكَ جَدَّهُ لِرُؤْيِيَةٍ كَانَ رَأَاهَا .

قوله : (العاقب)

أي : الخاتم أي : الذي أتى ختاماً لِرُسُلِ الله وأنبيائه ، ففي الحديث : «أَنَا الْعَاقِبُ فَلَا نَبِيَّ بَعْدِي»^(٣) أي : تُبْتَدَأُ نَبُوَّتُهُ^(٤) فلا ينافي نزولُ

(١) حامديَّة : أي أكثر الخلق حمداً لله . ومحموديَّة : أي أكثر الخلق المحمودين مِنْ قَبْلِ المخلوقات .

(٢) رواه بهذا اللفظ الإمام أحمد في المسند (٢٨١/١) عن ابن عباس رضي الله عنهما . وهو قطعة من حديث أخرجه الحاكم في المستدرک (٣٠/١) من طريق إسحاق بن يحيى عن عبادة بن الصامت مرفوعاً . وإسحاق مجهول ولم يدرك عبادة . وهو قطعة من حديث أيضاً رواه الترمذي في سننه (٣٦١٨) وفيه عليُّ بن زيد بن جدعان وهو ضعيف . ورواه تحت رقم (٣١٤٧) من حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - وحسنه .

(٣) أخرجه البخاري في المناقب : باب رقم (١٧) . وفي التفسير : باب رقم (٦١) . وأخرجه مسلم في صحيحه (٢٣٥٤) عن جبير بن مطعم مرفوعاً بلفظ : «... وأنا العاقب الذي ليس بعده أحد» .

وأخرجه الترمذي في سننه (٢٨٤٠) عن جبير بلفظ : «وأنا العاقب الذي ليس بَعْدِي نَبِيٌّ» .

(٤) أي : لا تبتدئ نبوة نبي بعده ﷺ .

٤- مُحَمَّدٍ الْعَاقِبِ لِرَسُولِ رَبِّهِ وَأَلِهِ وَصَحْبِهِ وَحِزْبِهِ

عيسى في آخر الزمان ووجودُ الخَضِرِ^(١) وإلياس الآن^(٢).

قوله : (لرسل ربّه)

إن قلت : كما أنّه خاتم الرسل خاتم الأنبياء أيضاً.

أجيب : بأنه أطلق الخاصَّ ، وأراد العامَّ ، أو في الكلام اكتفاء على حدّ : ﴿سَرَّيْلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ﴾^(٣) يعني والبرد.

والربُّ يقال لمعانٍ منها^(٤) : السيّد والمالك والمصلح والمرّي والخالق والمعبود والمدبّر والحائر والصاحب والثابت والقريب والجامع

(١) في الخَضِرِ عليه السلام أقوال :

قيل ولي ، وقيل نبي ، وقيل رسول . وخير الأمور أوساطها . انظر تحفة المرید (١٤).

وقد أورده صاحب الإصابة في عداد الصحابة الذين ثبتت رؤيتهم النبي ﷺ اهـ . انظر الإصابة لابن حجر (٢/٢٨٦).

(٢) قال ابن حجر في الإصابة (٢/٢٩٣) : روى ابن شاهين بسند ضعيف إلى خُصيف قال : أربعة من الأنبياء أحياء اثنان في السماء : عيسى وإدريس ، واثنان في الأرض : الخضر وإلياس ، فأما الخضر فإنه في البحر ، وأما صاحبه فإنه في البرّ.

(٣) سورة النحل (٨١).

(٤) نظم الشجاعى معاني الربّ في قوله :

قَرِيبٌ مُحِيطٌ مَالِكٌ وَمَدَبِّرٌ
وخالقنا المعبودُ جَابِرٌ كَسَرْنَا
وَجَامِعُنَا وَالسَّيِّدُ أَحْفَظُ فَهَذِهِ
مَرَبٌّ كَثِيرُ الْخَيْرِ وَالْمُولُ لِلنَّعْمِ
وَمُضْلِحُنَا وَالصَّاحِبُ الثَّابِتُ الْقَدَمِ
مَعَانٍ أَتَتْ لِلرَّبِّ فَادْعُ لِمَنْ نَظَمَ

تحفة المرید (١٣).

٤- مُحَمَّدٍ الْعَاقِبِ لِرُسُلِ رَبِّهِ وَأَلِهِ وَصَحْبِهِ وَحِزْبِهِ

والمحيط والكثير الخَيْرِ والذي يولي النعم ويزيدها^(١).

٥/ب وهو في الأصل / مصدر بمعنى التربية: وهي تبليغ الشيء شيئاً فشيئاً إلى الحدّ الذي أَرادَه المرابي. أطلق عليه تعالى مبالغة (كعدل)^(٢).

وقيل: اسم فاعل أصله (رابب) حُذفت ألفه ، وأدغمت إحدى الباءين في الأخرى.

أو صفة مشبّهة ، وأصله (رَبِّ كَحَذِر).

وإذا أفرد ودخلت عليه (أل) اختص بالله سبحانه وتعالى.

آل النبي ﷺ و صحبه

قوله: (وآله)

معطوف على نبيّ ، أي : ثمّ سلام الله مع صلّاته على آله . . . إلخ .

وجازت الصلاة على غير الأنبياء تبعاً ، وحذفت (على) لضرورة النظم ، وإلا فالأصل ذكرها ؛ للردّ على الشيعة الذين يزعمون حديثاً لا أصل له ، وهو: «لا تفصلوا بيني وبين آلي بعلي»^(٣) ، وليبين بها

(١) في (د) : ويزيلها .

(٢) وذلك بجعل العين نفس المعنى ؛ لكثرة استعمال المصدر نعتاً اهـ . شرح ابن عقيل (٢٠١/٢) .

(٣) حديث باطل لا أصل له . ذكره القواقجي في كتابه: اللؤلؤ المرصوع فيما لا أصل له ، أو بأصله موضوع ص (٢٢٠) برقم (٦٩٧) .

٤- مُحَمَّدِ الْعَاقِبِ لِرُسُلِ رَبِّهِ وَأَلِهِ وَصَحْبِهِ وَحِزْبِهِ

اختلاف الرتب.

والآل: أ - في مقام الزكاة:

- بنو هاشم والمطلب (عند الإمام الشافعي).
- وبنو هاشم فقط (عند المالكية والحنابلة).
- وَخَصَّتِ الْحَنْفِيَّةُ فِرْقًا خَمْسَةً مِنْ بَنِي هَاشِمٍ: آلَ عَلِيٍّ ،
وآلَ جَعْفَرٍ ، وآلَ عَقِيلٍ ، وآلَ الْعَبَّاسِ ، وآلَ الْحَارِثِ بْنِ
عَبْدِ الْمَطْلِبِ .

فائدة:

أولاده ﷺ الذكور ثلاثة: عبد الله - ويلقب بالطيب الطاهر - والقاسم ،
وإبراهيم .

والإناث أربع: زينب ، ورقية ، وأُمُّ كُلْثُومٍ ، وفاطمة .
وكلُّهُم مِّنْ خَدِيجَةَ إِلَّا إِبْرَاهِيمَ ، فَمِنْ مَّارِيَةَ الْقُبَيْطِيَّةِ^(١) ، أَهْدَاهَا لَهُ
المقوقس من مصر .

= وذكره ملا علي القاري في كتابه: الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعية ص(٣٣٩) برقم (٥١١) بلفظ: «مَنْ فَصَلَ بَيْنِي وَبَيْنَ آلِي بَعْلِيَّ ، فَعَلَيْهِ كَذَا وَكَذَا» . وقال: باطل لا أصل له .

(١) بعث بها وبأختها سيرين وأخيها مأبور المقوقس صاحب الإسكندرية إلى رسول الله ﷺ في سنة سبع من الهجرة ، أسلمت هي وأختها ثم أخوها . أنزلها رسول الله ﷺ في العالية ، وحملت منه بإبراهيم ، ماتت سنة ست عشرة في خلافة عمر رضي الله عنه . انظر الإصابة (٨/١١١ - ١١٢) .

٤ - مُحَمَّدِ الْعَاقِبِ لِرُسُلِ رَبِّهِ وَأَلِهِ وَصَحْبِهِ وَحِزْبِهِ

وجمع بعضهم زوجاته اللاتي مات عنهن بقوله:

تُوْفِّي رَسُولُ اللَّهِ عَنْ تِسْعِ نِسْوَةٍ إِلَيْهِنَّ تُعْزَى الْمَكْرُمَاتُ وَتُنْسَبُ
فَعَائِشَةُ مَيْمُونَةٌ وَصَفِيَّةٌ وَحَفْصَةُ تَتْلُوهُنَّ هِنْدٌ وَزَيْنَبُ
جُوَيْرِيَّةٌ مَعَ رَمَلَةٍ ثُمَّ سَوْدَةَ ثَلَاثٌ وَسِتُّ نَظْمَهُنَّ مَهْدَبٌ

ب - وأمّا في مقام المدح والثناء الوارد في الكتاب والسنة فأقاربه^(١).

ج - وأمّا في مقام الدعاء فأتقياء أمته:

- إمّا بتقوى الشرك بالإيمان.

- وإمّا بتقوى المعاصي بالطاعات.

- وإمّا بتقوى الأغيار بالتوجه للواحد القهار ، وهذا مقام

خواصّ الخواصّ كالأنبياء ، والكُمَّل من غيرهم .

قوله: (وصحبه)

اسم جمع لصاحب ، وجمعه أصحاب ، وَعَظْفُهُ عَلَى الْآلِ مِنْ عَظْفِ الْخَاصِّ عَلَى الْعَامِّ .

والصحابيُّ: مَنْ لَقِيَ النَّبِيَّ ﷺ مُؤْمِنًا بِهِ فِي عَمْرِهِ وَلَوْ مَرَّةً ، لِقِيًا مَتَعَارَفًا ، وَلَوْ كَانَ وَقْتُ الْمَلَاقَةِ صَغِيرًا ، وَمَاتَ عَلَى ذَلِكَ ، وَلَوْ مِنَ الْجَنِّ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْأَنْبِيَاءِ فِي حَالِ الْحَيَاةِ .

٦/أ فَعَيْسَى وَالْحَضِرُ وَالْيَاسُ وَالْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ / اجْتَمَعُوا بِهِ فِي الْأَرْضِ

(١) أي: إذا ورد ذكر الآل في مقام المدح والثناء فالمراد أقاربه ﷺ ، كقوله:

تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ سورة الأحزاب (٣٣) .

٤ - مُحَمَّدِ الْعَاقِبِ لِرُسُلِ رَبِّهِ وَإِلَيْهِ وَصَحْبِهِ وَحِزْبِهِ

صحابة باقون إلى الآن .

قوله : (وحزبه)

عَطْفُهُ عَلَى الصَّحْبِ مِنْ عَطْفِ الْخَاصِّ [عَلَى الْعَامِ] ^(١) ، فَهُوَ خَاصُّ الْخَاصِّ ؛ لِأَنَّهُمُ الْمَلَاذِمُونَ لِلنَّبِيِّ فِي أَشْغَالِهِ وَحُرُوبِهِ وَهَجْرَتِهِ وَصَلَاتِهِ لِلْقَبْلَتَيْنِ ، وَعَاشِرُوهُ الزَّمَانَ الطَّوِيلَ ، وَفَازُوا بِخَطَابِ الْقُرْآنِ لَهُمْ مَشَافَهَةٌ ، وَحُلُولُ جَبْرِيلَ بَيْنَهُمْ فِي غَالِبِ الْأَوْقَاتِ ، وَلِذَلِكَ وَرَدَ فِيهِمْ : «اللَّهُ اللَّهُ فِي أَصْحَابِي لَا تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضًا مِنْ بَعْدِي» «فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنْفَقَ أَحَدُكُمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ» ^(٢) إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ .

(١) ساقطة من (م) . وأثبتناها من (د) .

(٢) جمع الشيخ الصاوي هنا بين حديثين :

الأول : أخرجه أحمد في المسند (٥٤/٥ - ٥٥ - ٥٧) . والترمذي في سننه (٣٨٦٢) . وغيرهما عن عبد الله بن مغفل قال : قال رسول الله ﷺ :

«اللَّهُ اللَّهُ فِي أَصْحَابِي ، اللَّهُ اللَّهُ فِي أَصْحَابِي ، لَا تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضًا بَعْدِي ، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ فَبِحَبِّي أَحَبَّهُمْ ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَبِبِغْضِي أَبْغَضَهُمْ ، وَمَنْ آذَاهُمْ فَقَدْ آذَانِي ، وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللَّهُ ، وَمَنْ آذَى اللَّهُ فَيُوشِكُ أَنْ يَأْخُذَهُ» .

وإسناده ضعيف فيه عبد الله بن عبد الرحمن ويقال : عبد الرحمن بن زياد .

قال الذهبي في الميزان (٤٥٢/٢) : لا يعرف . وقال ابن معين : لا أعرفه .

ولذلك قال الترمذي : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه .

وقال البخاري : في إسناده نظر . انظر (الضعفاء) للعقيلي (٢٧٢/٢) .

الثاني : «لَا تَسْبُوا أَصْحَابِي فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ» .

أخرجه البخاري (٣٦٧٣) عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً . وأخرجه مسلم

(٢٥٤٠) عن أبي هريرة مرفوعاً .

٥- وَبَعْدُ فَالْعِلْمُ بِأَصْلِ الدِّينِ مُحْتَمٌّ يَحْتَاجُ لِلتَّيْبِينِ

فائدة:

الحقُّ أنَّه لا يعلم عدَّة الصَّحابة إلا الله ، كما لا يعلم عدَّة الأنبياء والأولياء إلا الله تعالى .

علم الحقيقة فرض على كل مكلف

قوله: (وبعدُ)

جرت عادة المؤلفين بذكر هذه اللفظة في أوائل كتبهم اقتداء برسول الله ﷺ؛ لأنه كان يأتي بها في خطبه ومراسلاته^(١) ، واستمرَّ على ذلك العمل .

وأصلها: (أما بعد) حذفت أمَّا ، وعُوِّضَ منها^(٢) الواو .

وهي كلمة يؤتى بها للانتقال من أسلوب إلى أسلوب آخر ، فلا يؤتى بها بين كلامين متجانسين ، ولا أوَّل الكلام ولا آخره .

واختُلف في أوَّل من نطق بها ، فقيل: آدم ، وقيل: قُسُّ بن

(١) أخرج مسلم (٨٦٧) عن جابر أنه ﷺ قال في خطبته: «... أمَّا بعد فإنَّ خير الحديث كتاب الله...» . وأخرج البخاري (٧) حديثاً جاء فيه إرسال النبي ﷺ كتاباً إلى هرقل جاء فيه: «... أمَّا بعد فإنِّي أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم...» .

وقد صحَّح عن النبي ﷺ استعمال (أما بعد) في مواطن كثيرة .

(٢) في (د) (عنها) ، وفي (م) منها وهو الأوضح .

٥ - وَبَعْدُ فَالْعِلْمُ بِأَصْلِ الدِّينِ مُحْتَجٌّ يَحْتَاجُ لِلتَّبَيِّنِ

ساعده^(١) ، وقيل: سُحْبَان^(٢) ، وقيل: كعب^(٣) ، وقيل: يعرب بن قحطان^(٤) ، وقيل: داود ، وقيل: إنها كانت له فصل الخطاب^(٥) .
والكلام عليها شهير^(٦) .

(١) قُسُ بْنُ سَاعِدَةَ الْإِيَادِيِّ بْنِ عَمْرٍو بْنِ عَدِيٍّ ، مِنْ بَنِي إِيَادٍ أَحَدِ حُكَمَاءِ الْعَرَبِ ، وَمِنْ كِبَارِ خُطْبَائِهِمْ ، طَالَتْ حَيَاتُهُ ، وَأَدْرَكَهُ النَّبِيُّ ﷺ قَبْلَ النَّبُوَّةِ ، تُوْفِيَ سَنَةَ (٢٣ ق. هـ) . انظر الأغانى (١٥/٥٥٧٠) ، البيان والتبيين (١/٣٠٨) .

(٢) سحبان بن زُفَرٍ بْنِ إِيَاسِ الْوَالِئِيِّ مِنْ بَاهِلَةَ ، خُطِيبٌ يَضْرِبُ بِهِ الْمَثَلَ فِي الْبَيَانِ ، اشتهر في الجاهلية ، وعاش زمناً في الإسلام ، أسلم في زمن النبي ﷺ ولم يجتمع به ، وأقام في دمشق أيام معاوية ، توفي سنة (٥٤ هـ) . انظر الإصابة (٢٥٠/٣) ، البداية والنهاية (٦٩/٨) .

(٣) كعب بن لؤي بن غالب من قريش من عدنان ، جدُّ جاهليٍّ ، خطيب من سلسلة النسب النبويِّ ، كان عظيم القدر عند العرب ، وهو أوَّل من سنَّ الاجتماع يوم الجمعة ، وزعم ثعلب أنه أوَّل من قال : (أمَّا بعد) ، توفي سنة (١٧٣ ق. هـ) . انظر البداية والنهاية (٢/٢٤٨) ، لسان العرب مادة (بعد) .

(٤) يعرب بن قحطان أحد ملوك العرب في جاهليَّتهم الأولى ، يوصف بأنه من خطبائهم وحكمائهم وشجعانهم ، وهو أبو قبائل اليمن كلِّها ، وبنوه العرب العاربة . مات بصنعاء . الأعلام (٨/١٩٢) ، تاريخ أبي الفداء (١/٨٣) .

(٥) وفي هذا إشارة إلى قوله تعالى : ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ﴾ سورة ص (٢٠) .

إذ قيل: في تفسيرها: إنَّ فصل الخطاب هو قوله: (أمَّا بعد) . انظر مدارك التنزيل (٣٧/٤) .

(٦) نظم بعضهم الخلاف في أوَّل مَنْ قَالَ (أمَّا بعد) بقوله:

جَرَى الْخُلْفُ أَمَّا بَعْدُ مَنْ كَانَ بَادِئاً بِهَا خَمْسُ أَقْوَالٍ وَدَاوُدُ أَقْرَبُ
وَكَانَتْ لَهُ فَصْلَ الْخِطَابِ وَبَعْدَهُ فَقُسُ بْنُ سَحْبَانَ فَكَعْبٌ فَيَعْرُبُ

حاشية الصاوي على الشرح الصغير (١/١٤) .

٥- وَبَعْدُ فَالْعِلْمُ بِأَصْلِ الدِّينِ مُحْتَمٌّ يَحْتَاجُ لِلتَّبَيِّنِ

قوله : (فالعلم)

الفاء واقعة في جواب الشرط الذي نابت عنه الواو ، وأصل الكلام :
مهما يكن من شيء فأقول بعد البسمة والحمدلة^(١) .

وقوله : (بأصل الدين)

مراده به العقائد التي تجب على كل مكلف ، وهو : الواجب والجائز
والمستحيل^(٢) في حق الله ، وفي حق رسله .

والعلم : يطلق على الملكة الراسخة في النفس التي بها إدراك الشيء
على حقيقته ، وعلى الإدراك ، وعلى القواعد والضوابط التي احتوى
عليها الفرع . والمناسب هنا الإدراك .

والمعنى : إدراك العقائد على ما هي عليه محتمٌّ .

ووضده الجهل : وهو عدم الإدراك رأساً ، وهو البسيط . أو إدراك
الشيء على خلاف ما هو عليه ، وهو المركب ، كاعتقاد الفلاسفة قدم
العالم^(٣) .

(١) وفي (م) مهما يكن من شيء بعد فأقول البسمة والحمدلة . وما أثبتناه من (د)
هو الأصوب . والله أعلم .

(٢) الواجب : هو ما لا يتصور في العقل عدمه .

الجائز : ما يصح في العقل وجوده وعدمه .

المستحيل : هو ما لا يُتصور في العقل وجوده ، أو ما لا يقبل الوجود .

انظر شرح السنوسي على أم البراهين (٣١ - ٣٢) .

(٣) وذلك بقولهم : (إن العالم من عرشه لفرشه قديم) .

انظر الرد عليهم في ص (١٢٨) من هذا الكتاب .

٥- وَبَعْدُ فَالْعِلْمُ بِأَصْلِ الدِّينِ مُحْتَمٌّ يَحْتَاجُ لِلتَّبَيِّنِ

قوله: (محتّم)

هو واللازم والفرض والواجب بمعنى وهو :

ما يثاب على فعله ، ويعاقب على تركه ، عينياً في العينيّ: وهو معرفة الواجب والمستحيل والجائز بالدليل الجملي ، وكفائياً في الكفائيّ: وهو معرفة ما ذكر بالدليل التفصيلي . فمن لم يعرف الدليل الجملي ، بل أدركها بكشف كفى ذلك بالأولى ممن عرفها بالدليل التفصيلي .

وأما مَنْ عرفها / بدون دليل أصلاً ، بل بالتقليد فهو مؤمن عاصٍ ٦/ب باتّفاق أهل السُّنة ^(١) .

وأما القول بكفر المقلّد فهو لأبي هاشم الجُبّائي ^(٢) من المعتزلة .

والواجب على العامّ والخاصّ الدليل الجملي ^(٣): وهو المعجوز عن

(١) وفي هذا الكلام تفصيل: وهو أنه يكون عاصياً؛ إذا كانت عنده أهلية لفهم الدليل ، وقصّر في ذلك . أمّا إذا لم يرزق الأهلية فيكفيه التقليد وليس عاصياً انظر ص (١٠٩) من هذا الكتاب .

(٢) عبد السلام بن محمّد بن عبد الوهّاب الجُبّائي المعتزليّ ، من أبناء أبان مولى عثمان ، عالم بالكلام ، من كبار المعتزلة ، له آراء انفرد بها ، وتبعته فرقة سُمّيت البهشميّة نسبة إلى كنيته أبي هاشم . توفّي سنة (٣٢١ هـ) . انظر وفيات الأعيان (٣/١٨٣) ، البداية والنهاية (١١/١٨٧) .

(٣) عرفه الشيخ إبراهيم اللقاني في شرح جوهرته فقال: الجملي بضم الجيم وفتح الميم أو إسكانها: الذي يحصل في الجملة للمكلف العلم والطمأنينة بعقائد =

٥ - وَبَعْدُ فَالْعِلْمُ بِأَصْلِ الدِّينِ مُحْتَمٌّ يَحْتَاجُ لِلتَّيْسِينِ

تقريره. وحلّ شبهه معاً أو أحدهما.

وأما التفصيليُّ: فهو المقدور على تقريره وحلّ شبهه.

فصاحب الجُمليّ هو الذي يَصوّر العقائد في ذهنه ، وإن لم يحفظ اللفظ ، بحيث لو سُئل عن المعنى^(١) لا يشكُّ فيه .

ودليله على كلّ واحدة^(٢) وجود العالم من غير تفصيل في كيفية الاستدلال ، أو مع التفصيل لكن يعجز عن ردّ الشُّبه ، فإن قدر على التّفصيل وردّ الشبه كان من أهل التفصيلي .

واعلم أنّهم اختلفوا في كَيْفِيَّة الاستدلال بالعالم على أربعة أقوال :

الأوّل - من جهة الإمكان ، أي : استواء الوجود والعدم . ونظم الدليل عليه أن تقول :

العالم ممكن ، وكلّ ممكن له صانع ، فالعالم له صانع ، وهذا هو التّحقيق كما قال البيضاوي^(٣) .

= الإيمان ؛ بحيث لا يقول قلبه فيها: لا أدري سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته
اهـ . عمدة المرید ج ١ (ق ٦٣/أ) .

(١) أي : لو سُئل عن أي معنى في العقيدة كالوحدانية أو القدرة مثلاً لا يشكُّ فيه .

(٢) في (د) واحد .

(٣) عبد الله بن عمر بن علي ناصر الدين الشيرازي البيضاوي ، قاضي القضاة ، الإمام العلامة ، المفسّر الفقيه ، ولد في المدينة البيضاء بفارس ، وولّي قضاء شيراز ، توفّي سنة (٦٨٥ هـ) . من تصانيفه : مختصر الكشّاف ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، طوابع الأنوار في التوحيد . انظر الأعلام (٤/١١٠) ، بغية الوعاة (٢/٥٠) ، البداية والنهاية (١٣/٣٠٩) .

٥- وَبَعْدُ فَالْعِلْمُ بِأَصْلِ الدِّينِ مُحْتَجٌّ يَحْتَاجُ لِلتَّبَيِّنِ

الثاني - من جهة الحدوث ، أي: الوجود بعد العدم . ونظمُ الدليل عليه أن تقول:

العالم حادث ، وكلُّ حادث له صانع ، فالعالم له صانع ، وهذا عمدة أكثر المتكلمين .

الثالث - من جهتهما معاً . ونظمه:

العالم ممكن حادث ، وكلُّ ما^(١) كان كذلك فله صانع .

الرابع - من جهة الإمكان بشرط الحدوث . ونظمه كالذي قبله ، وإنما الفرق بينهما: أن الحدوث أخذ جزءاً في الأوّل^(٢) ، وشرطاً في هذا . فتأمل .

مبادئ كل فن عشرة

[واعلم أنه^(٣) لا بدّ لكلّ شارع في فنّ أن يعلم مبادئه العشرة ، وإلا كان شروعه من غيرها عبثاً . وهي: حدّه وموضوعه وواضعه وحكمه واسمه ونسبته ومسائله واستمداده وفائدته وغايته^(٤) .

(١) في (م) مَنْ . وأثبتناها من (د) .

(٢) أي: في الثالث .

(٣) ساقطة من (م) . وأثبتناها من (د) .

(٤) وقد جمعت في قول الشاعر:

إِنَّ مَبَادِي كُلِّ فَنٍّ عَشْرَةٌ الْحَدُّ وَالْمَوْضُوعُ ثُمَّ الثَّمَرَةُ
وَفَضْلُهُ وَنِسْبَةُ وَالْوَاضِعُ وَالاسْمُ الِاسْتِمْدَادُ حُكْمُ الشَّارِعِ
مَسَائِلٌ وَالْبَعْضُ بِالْبَعْضِ اكْتَفَى وَمَنْ دَرَى الْجَمِيعَ حَازَ الشَّرْفَا
انظر حاشية الصبّان على شرح السلم للملوي (٣٥) .

٥- وَبَعْدُ فَالْعِلْمُ بِأَصْلِ الدِّينِ مُحْتَمٌّ يَحْتَاجُ لِلتَّبَيِّنِ

١ - فحده: علم يعرف به ما يجب لله وما يستحيل وما يجوز ، وما يجب للرسول وما يستحيل وما يجوز ، وأحوال المعاد والممكنات^(١) .

٢ - وموضوعه: ذات الله وصفاته .

٣ - وواضعه: الأشاعرة والماتريدية ، أي: الذين دونوا كتبه ، وردوا على المعتزلة ، وإلا فالتوحيد جاء به كل نبيٍّ من آدم إلى محمد ﷺ ، وهو معنى قوله تعالى:

﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَتُهُمْ أَقْتَدَ ﴾^(٢) وقوله تعالى:

﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ . . . ﴾^(٣) الآيات . وقوله تعالى: ﴿ وَسَأَلْنَا مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾^(٤) .

١/٧ ٤ - وحكمه: الوجوب العينيُّ بالدليل / الإجماليُّ ، والكفائيُّ أي: بالدليل التفصيليُّ .

٥ - واسمه: علم التوحيد ، وعلم أصول الدين ، وعلم الكلام ، وعلم العقائد .

٦ - ونسبته: أصل لعلوم الدين ، وما سواه فرع .

(١) ذكُرُ الممكنات هنا من حيث إنها يتوصَّل بها إلى وجود صانعها . وأحوال المعاد (السمعيَّات) من حيث اعتقادها . انظر تحفة المرید (٨) .

(٢) سورة الأنعام (٩٠) .

(٣) سورة الشورى (١٣) وتامها: ﴿ . . . وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴾ .

(٤) سورة الزخرف (٤٥) .

٥ - وَبَعْدُ فَالْعِلْمُ بِأَصْلِ الدِّينِ مُحْتَمٌّ يَحْتَاجُ لِلتَّبَيِّنِ

- ٧- ومسائله: الواجبات والمستحيلات والجائزات.
- ٨- واستمداده: من الكتاب والسُّنَّة والعقل^(١).
- ٩- وفائدته: في الدُّنْيَا صِحَّةُ الأَعْمَالِ.
- ١٠- وغايته: الفوز برضا الرَّحْمَنِ ، ودخول الجنان.

قوله: (يحتاج للتبيين)

أي: الإيضاح. والتبيين: إخراج الشيء من حيز الخفاء إلى حيز التجلي، وإنما احتاج للتبيين؛ لظهور الشُّبُهَةِ والعقائد الفاسدة، وانتشارها بعد الخمسمئة؛ لأنَّ الأُمَّةَ اِفْتَرَقَتْ ثَلَاثًا وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، منهم فرقة ناجية، وهي ما كانت موافقة لما عليه النبي وأصحابه، والاثنان والسبعون غالبها كُفَّارٌ^(٢)؛ لما في الحديث:

«اِفْتَرَقَتِ الأُمَّةُ السَّابِقَةُ عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ [فِرْقَةً]^(٣)، وَسَتَفْتَرِقُونَ ثَلَاثًا

(١) ولا يُؤخَذُ بالأُمُورِ العَقْلِيَّةِ فِي التَّوْحِيدِ إِلَّا بِالْيَقِينِيَّاتِ ، أَمَّا الفِئَةُ فَيُؤخَذُ فِيهِ بِالظَّنِّيَّاتِ .

(٢) قال عبد القاهر البغدادي: قد علم كل ذي عقل من أصحاب المقالات المنسوبة إلى الإسلام أن النبي - عليه الصلاة والسلام - لم يُرد بالفِرَقِ المذمومة التي عدّها من أهل النار فرق الفقهاء الذين اختلفوا في فروع الفقه مع اتفاقهم على أصول الدين، وإنما فضّل النبي - عليه الصلاة والسلام - بذكر الفرق المذمومة فرق أصحاب الأهواء الضالة الذين خالفوا الفرقة الناجية في أبواب العدل والتوحيد، أو في الوعد والوعيد، أو في بابي القدر والاستطاعة، ونحوها من الأبواب التي اتفق عليها أهل السُّنَّةِ والجماعة، وخالفهم فيها أهل الأهواء الضالة من القدرية والخوارج والجهمية...، فصحَّ تأويل الحديث المروي في افتراق الأمة ثلاثاً وسبعين فرقة إلى هذا النوع من الاختلاف دون الأنواع التي اختلفت فيها أئمة الفقه من فروع الأحكام في أبواب الحلال والحرام. انظر الفِرَقَ بَيْنَ الفِرَقِ (٦ - ٧).

(٣) ساقطة من (م)، وأثبتناها من (د).

٥ - وَبَعْدُ فَالْعِلْمُ بِأَصْلِ الدِّينِ مُحْتَجٌّ يَحْتَاجُ لِلتَّبَيِّنِ

وَسَبْعِينَ فِرْقَةً ، وَاحِدَةٌ نَاجِيَةٌ ، وَاثْنَتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ» (١) فَمَنْ أَجَلَ ذَلِكَ احتاجت أهل السنة لإخراج عقائدهم من بين فِرْتٍ وَدَمٍ لَبِنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ (٢) .

وَعِلْمُ التَّوْحِيدِ فِي الْأَصْلِ كَانَ سَهْلًا ، وَلِذَلِكَ اكْتَفَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ (٣) مِنَ النَّبِيِّ ﷺ حِينَ سَأَلَهُ عَنْ نِسْبَةِ (٤) اللَّهِ تَعَالَى بِسُورَةِ الْإِحْلَاصِ (٥) . فَمَنْ

(١) أخرج أبو داود نحو هذا السياق (٤٥٩٧) .

والحديث له طرق بألفاظ متقاربة . أخرجه أحمد (٣٣٢ / ٢) . وأبو داود (٤٥٩٦) . وابن ماجه (٣٩٩١) . والترمذي (٢٦٤٣) . والحاكم (١٢٨ / ١) . وغيرهم عن أبي هريرة .

قال الترمذي : حديث حسن صحيح اهـ . وصححه الحاكم ووافقه الذهبي . ورواه بنحوه ابن أبي عاصم في الثُّنَّةِ برقم (٦٨) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه .

(٢) مذهب أهل السنة توسط بين المذاهب الفاسدة فقد خرج لبناً خالصاً سائغاً للشاربين من بين فرث ودم .

قال ابن عباس - رضي الله عنه - : إذا اعتلفت البهيمة وأنضح العلف في كرشها كان أسفله فرثاً وأوسطه لبناً وأعلاه دماً . انظر المقتدي بشرح الهدهدي (١٩١) .

(٣) عبد الله بن سلام بن الحارث الإسرائيلي أبو يوسف صحابي . قيل : إنَّه من نسل يوسف بن يعقوب ، أسلم عند قدوم النبي ﷺ المدينة ، وكان اسمه : الحصين فسمَّاه رسول الله ﷺ عبد الله ، أقام بالمدينة إلى أن مات سنة (٤٣ هـ) . انظر الإصابة (١١٨ / ٤) .

(٤) في (د) صفة .

(٥) قال السيوطي : أخرج ابن أبي حاتم والطبراني ، وأبو نعيم في الحلية من طريق

محمد بن حمزة بن يوسف بن عبد الله بن سلام أن عبد الله بن سلام - رضي الله عنه - قال لأخبار اليهود ، إنني أردت أن أحدث بمسجد أينا إبراهيم عهداً . فانطلق

إلى رسول الله ﷺ وهو بمكة فوافاه بمنى ، والناس حوله ، فقام مع الناس ، فلما نظر إليه رسول الله ﷺ قال له : أنت عبد الله بن سلام؟ قال : نعم . قال : ادنْ ، فدنا

منه ، فقال : أنشدك بالله ! أما تجدني في التوراة رسول الله؟ فقال له : انعت لنا =

٦- لَكِنْ مِنَ التَّطْوِيلِ كَلَّتِ الْهِمَمُ فَصَارَ فِيهِ الْاِخْتِصَارُ مُلْتَزَمًا

عرفها بمعانيها كفته في العقائد .

ثمَّ لَمَّا اِخْتَلَطَ بِشِبْهِ أَهْلِ الضَّلَالِ ، اشْتَغَلَ أَبُو الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيُّ (١) وَأَبُو مَنْصُورِ الْمَاتَرِيدِيُّ (٢) بِتَدْوِينِهِ وَضَبْطِهِ . كَمَا اشْتَغَلَتِ الْأُئِمَّةُ الْأَرْبَعَةُ الْمُجْتَهِدُونَ بِتَدْوِينِ الْفُرُوعِ وَالرَّدِّ عَلَى الْمَخَالِفِ . وَكَاشْتَغَالَ الْجَنِيدُ (٣) وَأَضْرَابَهُ بِعِلْمِ السَّرِّ وَالتَّصَوُّفِ ، وَمَعْرِفَةِ شُرُوطِهِ وَأَدَابِهِ ؛ لِأَنَّهُ نُقِلَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ عِلْمُ الظَّاهِرِ وَالبَاطِنِ .

قوله : (لكن من التطويل)

هذا استدراك على قوله : . . . يحتاج للتبيين ؛ لأنه ربَّما يُوهَمُ منه أَنَّهُ لَمَّا كَانَ مُحْتَاجًا لِلتَّبْيِينِ وَالتَّخْلِيسِ مِنَ الشُّبْهِ وَالعُقَائِدِ الْفَاسِدَةِ لَزِمَهُ التَّطْوِيلُ ، فَقَالَ : لَكِنْ . . . إلخ .

والتطويل : هو الكلام الزائد على أصل الحاجة .

ربك ، فجاء جبريل ، فقال : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾ ﴾ فقرأها رسول الله ﷺ . فقال ابن سلام : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله . ثم انصرف إلى المدينة ، وكنتم إسلامه اهـ . الدر المنثور (٨ / ٦٧٠) .

(١) عليُّ بن إسماعيل بن إسحاق ، من نسل الصحابيِّ أبي موسى الأشعري . مؤسس مذهب الأشاعرة ، ولد في البصرة (٢٦٠ هـ) تلقى مذهب المعتزلة ، ثم رجع ، وجاهر بخلافهم ، توفي ببغداد سنة (٣٢٤ هـ) من مصنفاته : الردُّ على المجسِّمة ، وإمامة الصديق .

انظر اللباب في تهذيب الأنساب (١ / ٦٤) ، وفيات الأعيان (٣ / ٢٨٤ - ٢٨٥) .

(٢) محمَّد بن محمَّد بن محمود ، من أئمَّة علماء الكلام ، نسبته إلى ماتريد بسمرقند . من كتبه : التوحيد ، وأوهام المعتزلة ، مات بسمرقند (٣٣٣ هـ) . الأعلام (٧ / ١٩) ، وانظر الفوائد البهية في تراجم الحنفية (١٩٥) .

(٣) انظر ترجمة الشارح له ص (٣٣٩) .

٦- لَكِنْ مِنَ التَّطْوِيلِ كَلَّتِ الْهَمَمُ
٧- وَهَذِهِ أَرْجُوزَةٌ لَقَّبْتُهَا
فَصَّارَ فِيهِ الْاِخْتِصَارُ مُلْتَزِمٌ
جَوْهَرَةَ التَّوْحِيدِ قَدْ هَدَّبْتُهَا

قوله: (كَلَّتِ) أي: تعبت.

قوله: (الهمم)

جمع هَمَّةٌ ، وهي في اللغة: القوَّة والعزم.

واصطلاحاً: حالة للنفس تتبعها قوَّة إرادة وغلبة انبعاث إلى نيل مقصود ما؛ فإن تعلَّقت بمعالِي الأمور فهي عليَّة ، وإلا فدنِيَّة .

وقولنا: (بمعالي الأمور) أي: بأن كان ساعياً في حَسَنَةِ لمعاده ، أو درهم لمعاشه .

وقولنا: (وإلا فدنِيَّة) أي: [إن] ^(١) تعلَّقت / بالدُّنيا فقط . ب/٧

وإسناد الكَلِّ للهمم مجاز عقلي ، أي: كَلَّت أصحابها .

قوله: (فصار فيه الاختصار)

وهو ذكر العقائد بأدلتها فقط دون ذكر السُّببِ وأدلتها ، والردُّ على أصحابها ، أي: فلا يكون مني تطويل بأن أذكر العقائد وأدلتها والشبه وأدلتها ، والردُّ على أصحابها ، ولا اقتصار ^(٢) بأن أذكر العقائد فقط دون أدلتها .

قوله: (وهذه)

اسم الإشارة عائد على الألفاظ فقط ، أو المعاني فقط ، أو التُّقُوش فقط ، أو الألفاظ والمعاني ، أو الألفاظ والتُّقُوش ، أو المعاني

(١) ساقطة من (م) ، وأثبتناها من (د) .

(٢) في (م) والاختصار ، والصواب ما أثبتناه من (د) .

٧- وهـِ أَرْجُوزَةٌ لَقَّبْتُهَا جَوْهَرَةَ التَّوْحِيدِ قَدْ هَدَّبْتُهَا

والتُّقُوشِ ، أو الثلاثة ، احتمالات سبعة ، المختار منها عوده على المعاني المستحضرة ذهنياً .

ثمَّ إن قلنا: إِنَّ الذَّهْنَ يقوم به المَفْصَلُ ، فالأمر ظاهر^(١) .
وإن قلنا: إِنَّه لا يقوم به المَفْصَلُ ، فالكلام على حذف مضاف واحد ، أي: مَفْصَلٌ هذه ، إن قلنا: إِنَّ أسماء الكتب من قبيل عِلْمِ الشخص ، وأمَّا إن قلنا: إِنَّها^(٢) من قبيل عِلْمِ الجنس ، فالكلام على حذف مضافين أي: مَفْصَلٌ نوع هذه .

والحقُّ أَنَّ الذَّهْنَ يقوم به المَفْصَلُ ، وأسماء الكتب والعلوم من قبيل علم الشخص؛ بناءً على أَنَّ الشيء لا يتعدَّد بتعدُّد محلِّه ، والفرق تَحَكُّمٌ ، فلا حاجة لتقدير شيء أصلاً^(٣) .

واعلم أن اسم الإشارة لا يُشار به إلا لمحسوس حاضر ، والمعاني الذهنيَّة معقولة ، فيكون في الكلام استعارة بالكناية؛ حيث شبَّه المعاني الذهنية بشيء محسوس ، وطوى ذكر المشبَّه به ، ورمز له بشيء من لوازمه ، وهو الإشارة ، فإثبات الإشارة تخييل .

ولك أن تجري فيها استعارة تصريحية بأن تقول: شبَّه المعقول

(١) أي: فالأمر واضح في حصول التطابق بين المبتدأ والخبر: (هذه أرجوزة) ، وهذا على قول: إِنَّ الذَّهْنَ يقوم به المَفْصَلُ ، وهو تصوُّر المنظومة بأبوابها وأبحاثها . انظر تحفة المرید (١٧) .

(٢) في (م): إنه . وأثبتناها من (د) .

(٣) أي: إن الفرق بين المبتدأ والخبر في كون أحدهما مجملاً والآخر مفصلاً ، وكون أحدهما عِلْمِ جنس والآخر علم شخص تحكُّمٌ لا تعرفه أرباب العربية ولا حاجة إليه . انظر تحفة المرید (١٧) .

٧ - وهذه أَرْجُوزَةٌ لَقَّبْتُهَا جَوْهَرَةَ التَّوْحِيدِ قَدْ هَدَّبْتُهَا

بالمحسوس ، واستعير لفظ اسم الإشارة الموضوع للمحسوس لذلك المعقول . والأوّل أقرب .

قوله : (أرجوزة)

أي : منظومة من بحر الرَجَز أحد بحور الشعر الستة عشر ، وأجزاؤه : مستعلن ستّ مرات .

وعِدَّتُها : مئة وأربعة وأربعون إن قلنا : إنها من كامله ، وأمّا إن قلنا : إنها من مشطوره ، فتكون مئتين وثمانية وثمانين .

وإنّما كانت نظماً ؛ لأنّه أسهل وأحلى في تعاطيه وحفظه ، ولا يردّ علينا ما ورد من ذمّ الشعر ؛ لأنّ ذلك في شعر اشتمل على مدح مَنْ لا يجوز مدحه ، وذمّ مَنْ لا يجوز ذمّه ، وأمّا في مثل هذا الكتاب فممدوح غاية المدح ؛ لقوله عليه الصلاة والسلام : «إِنَّ مِنَ الشُّعْرِ لِحِكْمًا»^(١) .

قوله : (لقبتُها)

أي سمّيتها تسمية تُشعر بمدح ؛ لأنّ اللّقب ما أشعر بمدح أو ذمّ ،
أ/٨ وهو / يتعدّى بالباء وبنفسه .

قوله : (جوهرة)

هي في الأصل الدُرّة الغالية النفيسة ، ولا شك أنّ مسائلها نفيسة

(١) أخرجه البخاري (٦١٤٥) عن أبي بن كعب مرفوعاً ولفظه : «إِنَّ مِنَ الشُّعْرِ حِكْمَةً» . وأبو داود (٢٧٨/٥) بلفظ : «إِنَّ مِنَ الْبَيِّنِ سِحْرًا ، وَإِنَّ مِنَ الشُّعْرِ حِكْمًا» برقم (٥٠١١) .

وأخرجه الترمذي ، الأدب (٦٢/٨) عن ابن عباس : «إِنَّ مِنَ الشُّعْرِ حِكْمًا» برقم (٢٨٤٨) .

٧- وهذه أَرْجُوزَةٌ لَقَبْتُهَا جَوْهَرَةَ التَّوْحِيدِ قَدْ هَدَّبْتُهَا

٨- والله أَرْجُوفِي الْقَبُولِ نَافِعًا بِهَا مُرِيدًا فِي الثَّوَابِ طَامِعًا

جداً ، فشَبَّهَ الشيءَ النفيسَ بالجوهرة ، واستعار اسمَ المشبَّه به للمشبَّه
بجامع النفاسة في كلِّ ، على طريق الاستعارة التصريحية الأصلية .

وإذا كانت جوهرة التوحيد الذي هو أشرف العلوم ، فهي جوهرة
غيره بالأولى .

قوله : (قد هَدَّبْتُهَا)

أي : نَفَّحْتُهَا وَصَفَيْتُهَا مِنْ كِدْرَاتِ الشُّبْهِ وَالْعَقَائِدِ الْفَاسِدَةِ وَالْحَشْوِ
والتطويل ، وهذه الجملة دليل لتسميتها جوهرة .

قوله : (والله أَرْجُوفِي)

تقديم المعمول يؤذن بالحصص ، أي : لا أَرْجُو إِلَّا اللَّهَ .

والرجاء : تَعَلَّقَ الْقَلْبَ بِمَرْغُوبٍ فِي حَصُولِهِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ مَعَ الْأَخْذِ
فِي الْأَسْبَابِ ، كَرَجَاءِ الْجَنَّةِ مَعَ تَرْكِ الْمَعَاصِي وَفِعْلِ الطَّاعَاتِ ، فَإِنْ لَمْ
يَكُنْ أَخْذٌ فِي الْأَسْبَابِ فَهُوَ طَمَعٌ ، وَهُوَ مَذْمُومٌ .

وقولنا : (في حصوله في المستقبل) أي : وَأَمَّا لَوْ تَعَلَّقَ بِمَاضٍ كَتَمَّنِي
الشباب بعد ذهابه ، فهو تَمَنٌُّّ .

قوله : (في الْقَبُولِ)

أي : قَبُولِ أَعْمَالِي .

والقبول : هُوَ الرِّضَا بِالشَّيْءِ وَالْإِثَابَةُ عَلَيْهِ ، وَالرِّضَا : هُوَ إِنْعَامُ اللَّهِ
عَلَى عَبْدِهِ ، أَوْ إِرَادَةُ إِنْعَامِهِ فَيَكُونُ مَعْنَى الْقَبُولِ : إِنْعَامُ اللَّهِ أَوْ إِرَادَةُ

٨- والله أَرْجُو فِي الْقَبُولِ نَافِعاً بِهَا مُرِيداً فِي الثَّوَابِ طَامِعاً

إنعامه ، فهو مرادف للرضا ، فعلى الأوّل صفة فعل ، وعلى الثاني صفة ذات ، هذا في حقّ الله .

وأما القبول بالنسبة لغيره تعالى ، فهو الرضا بالشيء مع ترك الاعتراض على فاعله .

قوله : (نافعاً بها)

حال من لفظ الجلالة ، والضمير في (بها) يعود على الأرجوزة ، أو على الجوهرة ، ويكون المعنى نافعاً بمسمّأها .

إن قلت : تقييده رجاء القبول من الله بالنعف لمريدها ، يوهم أنّ رجاءه لله قاصر على تلك الحالة ، مع أنّ الله يُرجى في كلّ حال .

والجواب : أنّه لمّا وثق بالنعف لمريدها من الله ، فكان أمراً لازماً لا يتخلف ، فصحّ تقييد رجائه به .

قوله : (مريداً)

أي : شخصاً مريداً لها وقاصداً لها .

والمعنى : لا أرجو في قبول تأليفي أو أعمالني إلا الله ، حال كون الله سبحانه وتعالى نافعاً بتلك الأرجوزة مريدها وقاصدها ؛ لأنّها اشتملت على أشرف العلوم ، فمن عرفها فهو ناج في الدنيا والآخرة .

واعلم أنّه شاع قوله ﷺ : « ما اتَّخَذَ اللهُ مِنْ وَلِيٍّ جَاهِلٍ ، وَلَوْ اتَّخَذَهُ لَعَلَّمَهُ »^(١) .

(١) هذا الحديث لا أصل له . قال الحافظ ابن حجر : ليس بثابت كما في المقاصد الحسنة (٣٦) ، وتابعه على ذلك الفُتَي في التذكرة (٢٧) ، وملاً علي القاري =

٨ - والله أَرْجُو فِي الْقَبُولِ نَافِعًا بِهَا مُرِيدًا فِي الثَّوَابِ طَامِعًا

فمعنى ذلك أَنَّ شَرْطَ الْوَالِيَةِ الْمَعْرِفَةَ بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وَظَهُورُ نُورِ الْإِيمَانِ / لَهُ حَتَّى يَكُونَ مَر_اقِبًا لِلَّهِ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ ، فَيُتَبَّحُ ذَلِكَ أَنَّهُ ب/٨ يَسْتَدِلُّ بِالْحَقِّ عَلَى الْخَلْقِ عَكْسَ الْعَوَامِّ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُؤْمِنٍ - وَإِنْ كَانَ مَعَهُ نُورُ الْإِيمَانِ - إِلَّا أَنَّهُ تَارَةٌ يَحْضُرُ وَتَارَةٌ يَغِيبُ ، فَلِذَلِكَ كَانَ يَسْتَدِلُّ بِالْخَلْقِ عَلَى الْحَقِّ ، وَلَيْسَ مَعْنَاهُ الْعِلْمُ بِالْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ كَالْأَنْكِحَةِ وَالْبِيَعَاتِ^(١) وَغَيْرِ ذَلِكَ ، فَإِنَّ هَذَا لَيْسَ شَرْطًا بِإِجْمَاعِ الْعَارِفِينَ .
وَالنَّفْعُ : ضِدُّ الضَّرِّ ، وَهُوَ إِيْصَالُ الْخَيْرِ لِلْغَيْرِ .

قوله : (في الثواب طامعاً)

الجارُّ والمجرور متعلِّقٌ بـ (طامعاً) مقدَّمٌ عليه ، ومرادُه بالطمع : الرَّجَاءُ ؛ لِأَنَّ مَنْ تَعَلَّقَ بِهَا وَأَرَادَهَا قَاصِدًا وَجِهَ اللَّهُ تَعَالَى ، فَهُوَ رَاجٍ لِرَحْمَتِهِ وَثَوَابِهِ ، وَلَيْسَ بِطَامِعٍ ؛ لِوُجُودِ الْأَخْذِ فِي الْأَسْبَابِ .

والثواب : مقدار من الجزاء ، أعدَّه الله لعباده يوم القيامة بمحض فضله في نظير أعمالهم الحسنة ، فثواب الأعمال يكون في القيامة لا غير .

وأما ما وجد في الدنيا من العافية أو سعة الرزق مثلاً ، فهو قسمة من الله ، وليست جزاءً للأعمال الصالحة . وإلا لما رأى ذلك الكافر

= في المصنوع (١٥٦) ، وغيرهم . وقالوا : معناه صحيح . انظر كشف الخفا

(٢/٢٥٣) ، والأسرار المرفوعة في الأحاديث الموضوعة (٣٠٢) .

(١) في (م) : البيعات . وما أثبتناه من (د) . والبيعات : الأشياء التي يُتْبَاعُ بِهَا فِي التِّجَارَةِ . لِسَانَ الْعَرَبِ (بِيع) .

٨ - والله أَرْجُو فِي الْقَبُولِ نَافِعاً بِهَا مُرِيداً فِي الثَّوَابِ طَامِعاً

أصلاً. قال ﷺ:

«لَوْ كَانَتْ الدُّنْيَا تَرْتُنُّ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بُعُوضَةٍ مَا سَقَى الْكَافِرَ مِنْهَا جُرْعَةً مَاءً»^(١).

واعلم أنَّ من العباد من يعبد الله لأجل تعجيل حصول الثواب ، وهذه كلا عبادة.

ومنهم من يعبد الله رجاءً في ثوابه وخوفاً من عقابه ، وهذه مرتبة عوامِّ المؤمنين. وقد أشار المصنّف إلى هذه المرتبة بقوله: ... في الثواب طامعاً.

ومنهم من يعبد الله لوجهه ، ليس راجياً في ثواب ولا خائفاً من عقاب ، وهذه مرتبة الخواصِّ ، وهي أعلى. وعبارة المصنّف في الحقيقة شاملة لهذه المرتبة ، إمّا بالأولى ؛ لأنّه إذا نفع بها الطامع في الثواب فبالأولى الطامع في ذات الله ، أو لأنّ من عبَدَ الله لذاته لا ينافي قصده مع ذلك الثواب ؛ لأنّه حاصل بوعده الله ، فنظره للثواب من حيث هو أنّ الله وعد به ، ووعده لا يتخلّف ، فهو مصدّق بوعده الله ، وإن كانت همّته رضا الله ورؤية وجهه ؛ لما في الحديث: «عَجِبَ رَبُّكَ مِنْ قَوْمٍ يُسَاقُونَ إِلَى الْجَنَّةِ بِالسَّلَاسِلِ»^(٢).

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٢٠). والبيهقي في الشعب (٣٢٥/٧). وغيرهما عن سهل بن سعد مرفوعاً. وإسناده ضعيف ، ولكن للحديث شواهد تقويه من حديث ابن عمر وابن عباس وغيرهما. وانظر مجمع الزوائد (٢٨٨/١٠).

(٢) أخرجه البخاري (٣٠١٠) و(٤٥٥٧). وأحمد في المسند (٣٠٢/٢ - ٤٠٦ - ٤٥٧). وأبو داود (٢٦٧٧) بنحوه عن أبي هريرة مرفوعاً. وابن أبي عاصم في السنّة رقم (٥٧٣).

الْقِسْمُ الْأَوَّلُ
الإلهيات

٩- فَكُلُّ مَنْ كُفِّ شَرْعاً وَجَبَا عَلَيْهِ أَنْ يَعْرِفَ مَا قَدْ وَجَبَا

معرفة الواجب والجائز والمستحيل في حقِّ الله ورسله واجبة

قوله: (فكل من كُفِّ... إلخ)

الفاء واقعة في جواب شرط مقدر ، كأنه قال: إذا علمت ما تقدّم من المقدّمة فأصغ للمقصود من الكتاب؛ لأنّ المقصود منه بيان الواجب والمستحيل والجائز / في حقّ الله ، وفي حقّ رسله .

أ/٩

والمكفّف من الإنس: هو البالغ العاقل الذي بلغته دعوة النبيّ .

وأما من الجنّ: فلا يشترط فيه البلوغ؛ لأنّ تكليفهم من حين الولادة^(١) .

فالمراد: المكفّف من الثقلين احترازاً عن الملائكة؛ لأنّ توحيدهم جبليّ لا كلفة فيه ، ولو على القول بتكليفهم بشرعنا؛ لأنّ المراد أنّهم مكفّفون بما يليق بهم .

والتكليف: هو إلزام ما فيه كلفة ، وقيل: طلب ما فيه كلفة .

(١) قال السحيمي: لا يعتبر البلوغ في آدم وحواء والملائكة مكفّفون من أول الفطرة - أي: الخلق - قطعاً ، وكذا الجنّ على المعتمد اهـ .
المزيد على إتحاف المريد (ج ١ ق ١٣٨/أ) .

كما ذكر الإمام السيوطي نقلاً عن الشيخ عزّ الدين بن جماعة في شرح بدء الأمالي أنّ المكفّفين على ثلاثة أقسام:

- ١ - قسم كُفِّ من أول الفطرة قطعاً ، وهم الملائكة وآدم وحواء .
- ٢ - قسم لم يُكفّف من أول الفطرة قطعاً ، وهم أولاد آدم .
- ٣ - قسم فيهم نزاع ، والظاهر أنّهم مكفّفون من أول الفطرة ، وهم الجنّ .
انظر الحباتك في أخبار الملائك (٢٥٥) .

٩ - فَكُلْ مَن كُفِّ شَرْعاً وَجَبَا عَلَيْهِ أَنْ يَعْرِفَ مَا قَدْ وَجَبَا

فعلى الأوّل: يكون قاصراً على الواجب والحرام ، وعلى الثاني: يكون شاملاً للخمسة .

وعدّهم المباح من أقسام التكليف فيه نوع تسمّح ؛ لأنّه لا يقال له إلزام ما فيه كُلفه ، أو طلب ما فيه كُلفه .

فالمكفّف مَنْ تعلّقت به هذه الخمسة ، أعني: الواجب ، والحرام ، والمندوب ، والمكروه ، والمباح^(١) .

وقولنا: (هو البالغ) من البلوغ . وله علامات وهي :

فرق الأرنبة ، وغلظ الحنجرّة^(٢) ، ونبات العانة ، وتنن الإبط ، وكبر الثدي ، والإنزال ، والحيض ، وبلوغ خمس عشرة سنة^(٣) عند الإمام الشافعي^(٤) ، وثمانية عشرة عند مالك^(٥) ، فمن مات قبل البلوغ فهو ناج ، ولو من أولاد الكفّار ، ولا يعاقب على كفر ولا غيره^(٦) .

(١) الواجب: ما يُثاب على فعله ، ويعاقب على تركه .

الحرام: ما يُثاب على تركه ، ويعاقب على فعله .

المندوب: ما يُثاب عليه ، ولا يعاقب على تركه .

المباح: ما لا يُثاب على فعله ، ولا يعاقب على تركه .

انظر المقاصد للإمام النووي (١٤) .

(٢) الحنجرّة بالفتح: رأس الغلصمة حيث تراه ناتئاً من خارج الحلق ، والجمع حناجر ، والحنجور: الحلق اهـ . لسان العرب مادة (حنجر) .

(٣) وهو المفتى به عند السادة الأحناف رضي الله عن جميع الأئمة . انظر حاشية ابن عابدين (٩٦/٥ - ٩٧) .

(٤) انظر ترجمة الشارح للإمام الشافعي في ص (٣٣٥) من هذا الكتاب .

(٥) انظر ترجمة الشارح للإمام مالك في ص (٣٣٢) من هذا الكتاب .

(٦) اختلف الناس في ولدان المشركين على أقوال :

أحدها: أنّهم في الجنّة ، واحتجّوا بحديث سَمُرَة: «أنه عليه الصلاة والسلام رأى =

٩- فَكُلُّ مَنْ كُفَّفَ شَرْعاً وَجَبَا عَلَيْهِ أَنْ يَعْرِفَ مَا قَدْ وَجَبَا

وإنَّما يؤمر الصبيُّ بالإيمان إن كان عاقلاً ، فإن جُنَّ قبل البلوغ ، واستمرَّ حتَّى مات ، فهو ناجح .

وإن جُنَّ بعد البلوغ ، والحال أنَّه كان غير مؤمن ، ومات كذلك ، فهو غير ناجح .

وقولنا: (ولا يعاقب على كفر) ينافي قول المالكيَّة: (إن ردَّ الصبيُّ معتبرة ، وإسلامه كذلك) (١) .

أجيب: بأنَّه لا منافاة؛ لأنَّ اعتبار ردَّته عندهم (٢) إنَّما هي من جهة ترتُّب

= مع إبراهيم عليه الصلاة والسلام أولاد المسلمين وأولاد المشركين .
والقول الثاني: أنَّهم مع آبائهم في النار ، واستدلَّ عليه بما روي عن عبد الله بن أبي قيس أنه أتى عائشة ، فسألها عن ذراري الكفَّار ، فقالت: قال رسول الله ﷺ: «هم تبع لآبائهم» فقلت: يا رسول الله بلا أعمال؟ فقال: «الله أعلم بما كانوا عاملين» .

والقول الثالث: التوقُّف فيهم ، واعتمدوا على قوله ﷺ: «الله أعلم بما كانوا عاملين» وهو في الصحيحين .

ومنهم: من جعلهم من أهل الأعراف ، وهذا القول يرجع إلى مَنْ ذهب إلى أنَّهم من أهل الجنة؛ لأنَّ الأعراف ليس دار قرار ، ومآل أهلها إلى الجنة . انظر مختصر تفسير ابن كثير (٢/ ٣٧٠) .

ونقل ابن عابدين - رحمه الله - في حاشيته عن ابن الهمام قوله: وقد اختلف في سؤال أطفال المشركين وفي دخولهم الجنَّة أو النار ، فتردَّد فيهم أبو حنيفة وغيره ، وقد وردت فيهم أخبار متعارضة ، فالسبيل تفويض أمرهم إلى الله تعالى ، وقال محمد بن الحسن: اعلم أنَّ الله لا يعذب أحداً بلا ذنب . انظر ردَّ المحتار على الدرِّ المختار (١/ ٥٧٢) .

(١) انظر بلغة السالك لأقرب المسالك للصاوي (١/ ٣٧٤) .

(٢) في (م) عنده ، وأثبتناها من (د) .

٩- فَكُلُّ مَنْ كُفِّ شَرْعًا وَجَبَا عَلَيْهِ أَنْ يَعْرِفَ مَا قَدْ وَجَبَا

الأحكام الدنيوية: كالغسل والصلاة عليه والدفن^(١) لا غير.

واعلم أن أهل الفترة ناجون ، ولو بدّلوا وغيرّوا ، وعبدوا الأصنام ، على الصحيح^(٢) ؛ لقوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾^(٣) .

وكذا البُله والصبيان والمجانين .

إن قلت: إنّه قد ورد في امرئ القيس^(٤) وحاتم الطائي^(٥) وبعض أفراد أنّهم يدخلون النار ، ويُعذّبون مع أنّهم من أهل الفترة .

(١) في (م) الكفن ، وأثبتناها من (د) .

(٢) هذا عند الأشاعرة ؛ لأن معرفة الله عندهم وجبت بالشرع ، وأمّا عند الماتريدية فمعرفة سبحانه وجبت عندهم بالعقل ؛ إذ لو لم يرد بها الشرع لأدركها العقل استقلالاً لوضوحها . انظر تحفة المريد (٢٠) .

(٣) سورة الإسراء (١٥) .

(٤) ورد: «امرؤ القيسي صاحب لواء الشعراء إلى الثار» أخرجه أحمد (٢٢٨/٢) . والبزار في زوائده (٢٠٩١) . وابن عدي (١٣٨/٧ و٣٠٠) و(٨٥/٤) . والبخاري في التاريخ الكبير (٨/الكنى ٢٠) . وابن حبان في المجروحين (٣/١٥٠) .

قال صاحب فيض القدير عن هذا الحديث: أحمد بن حنبل وكذا البزار كلاهما من حديث هشيم عن أبي الجهم عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة . قال الهيثمي: (فيه أبو الجهم شيخ هشيم بن بشير ، ولم أعرفه ، وبقية رجاله رجال الصحيح) اهـ . وأقول: أبو الجهم ضعيف جداً . قال الذهبي في الضعفاء: أبو الجهم عن الزهري . قال أبو زرعة : واهي الحديث . (١٨٦/٢) .

(٥) ورد في حق حاتم الطائي الحديث الذي أخرجه أحمد (٢٥٨/٤) . والطيالسي

(١٠٣٤) . وابن حبان (٣٣٢) وغيرهم عن عدي بن حاتم - رضي الله عنه - قال :

قلت: يا رسول الله إنَّ أبي كان يصل الرِّحْمَ وكان يفعل ويفعل! قال ﷺ: «إِنَّ أَبَاكَ

أَرَادَ أَمْراً فَأَدْرَكَهُ» يعني الذِّكْرَ . وفي رواية لأحمد (٣٧٩/٤): «... إِنَّ أَبِي كَانَ

يُصَلُّ الرِّحْمَ ، ويفعل ويفعل ، فهل له في ذلك؟ يعني من أجر ، قال ﷺ: «إِنَّ =

٩- فَكُلُّ مَنْ كُفِّرَ شَرْعًا وَجَبَا عَلَيْهِ أَنْ يَعْرِفَ مَا قَدْ وَجَبَا

أجيب: بأن الحديث في شأن ذلك رواية آحاد ، ورواية الآحاد لا تقاوم الدليل القطعي^(١).

وعلى أنه ليس رواية آحاد ، فدخلهم الثار لحكمة يعلمها الله .

ودخل في أهل الفترة أجداد رسول الله ﷺ وأبواه ، فهم ناجون خلافاً لمن شدَّ ، وقال بموتهما على الكفر ، على أنه ورد حديث بإحيائهما/ ٩/ب وإيمانهما به ، وإن كان ضعيفاً^(٢).

= أبَاكَ طَلَبَ أَمْرًا فَأَصَابَهُ. وإسناده قوي. انظر مجمع الزوائد (١١٩/١) فالحديث حسن .

(١) وهو قوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ . سورة الإسراء (١٥) .

(٢) نص كثير من الحفاظ على بطلان هذا الحديث : كالدار قطني وابن عساكر والجوزقاني

وابن نصار السلامي وابن الجوزي وابن كثير والذهبي وابن حجر وغيرهم .

والحديث أخرجه الخطيب في السابق واللاحق كما في اللآلئ (١/٢٦٦) ، وابن

شاهين في الناسخ (٦٣٠) وغيرهم . وهو في إحياء أم النبي ﷺ .

أما حديث إحياء والد النبي ﷺ فلا أصل له .

وصرح الإمام الباجوري بنجاة أبوي النبي ﷺ ؛ لكونهما من أهل الفترة ، بل جميع

آبائه وأمهاته ناجون ، ومحكوم بإيمانهم .

وأورد في ذلك نصوصاً ، ثم قال : ولعل هذا الحديث صحَّ عند أهل الحقيقة

بطريق الكشف ، كما أشار إليه بعضهم بقوله :

أَيَقْنَتْ أَنَّ أَبَا النَّبِيِّ وَأُمَّهُ أَحْيَاهُمَا الرَّبُّ الْكَرِيمُ الْبَارِي

حَتَّى لَهُ شَهِدَا بِصِدْقِ رِسَالَةِ صَدَّقَ فِتْلِكَ كَرَامَةَ الْمُخْتَارِ

هَذَا الْحَدِيثُ وَمَنْ يَقُولُ بَضْعِهِ فَهُوَ الضَّعِيفُ عَنِ الْحَقِيقَةِ عَارِ

تحفة المرید (٢٠)

وانظر كتاب نشر العلمين المتينين في إحياء الوالدين الشريفيين للإمام جلال الدين

السيوطي الذي عقده مؤلفه لبيان هذه المسألة .

٩ - فَكُلُّ مَنْ كُفِّ شَرْعاً وَجَبَا عَلَيْهِ أَنْ يَعْرِفَ مَا قَدْ وَجَبَا

قال الحافظ الدمشقي (١):

حَبَا اللَّهُ النَّبِيَّ مَزِيدَ فَضْلٍ عَلَى فَضْلِ وَكَانَ بِهِ رَوْفَا
فَأَحْيَا أُمَّهُ وَكَذَا أَبَاهُ لِإِيمَانٍ بِهِ فَضْلاً مُنِيفَا
فَسَلَّمَ فَالْقَدِيمُ بِذَا قَدِيرُ وَإِنْ كَانَ الْحَدِيثُ بِهِ ضَعِيفَا

إن قلت: [إِنَّ] (٢) آزر أباً إبراهيم الخليل كان كافراً بنص القرآن.

أجيب: بأنه كان عمّه ، وإثماً سمّاه أباً ؛ لأنّ عادة العرب تسمية العمّ أباً (٣).

قوله: (شريعاً)

منصوب على التمييز لقوله: (وجب) أي: وجب عليه أن يعرف ما ذكر من جهة الشرع ، وليس منصوباً بنزع الخافض ؛ لأنّه سماعيٌّ. وردّ (٤)

(١) حافظ دمشق شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر عبد الله بن محمد القيسي الدمشقي ، المعروف بابن ناصر الدين الشافعي ، ولد سنة (٧٧٧هـ) بدمشق وبها نشأ ، حافظ للحديث ومؤرخ ، مات سنة (٨٤٢هـ) بدمشق مسموماً وحصلت له الشهادة ، ودفن بمقابر العقبية. من كتبه: افتتاح القاري لصحيح البخاري ، برد الأكباد عند فقد الأولاد ، وغيرهما. انظر شذرات الذهب (٧/٢٤٣). والضموم اللامع (٨/١٠٣).

(٢) ساقطة من (م) ، وأثبتناها من (د).

(٣) في هذا بيان يوضح فيه المؤلف أنّ أباً سيدنا إبراهيم في الجنة لأنّ إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - جدّ النبي ﷺ وأبو إبراهيم كذلك ، وهكذا استطاع أن يوفّق المؤلف بين الآية : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَرَأَيْتَ إِذْ أَخَذْتُ عَصَا مَاءِ الْهَيْمَةِ فِي أَرْبَعِ أَرْبَعِ وَأَقَامَكَ فِي صَلَاتِ مُبِينٍ ﴾ سورة الأنعام (٧٤) والقول الذي أتى به ، ومفاده: أنّ أجداد النبي ﷺ ناجون كما هو حال أهل الفترة.

(٤) وردّه على المعتزلة: هو بيانه أنّ التكليف ثبت بالشرع لا بالعقل وذلك بقوله:

فَكُلُّ مَنْ كُفِّ شَرْعاً وَجَبَا عَلَيْهِ أَنْ يَعْرِفَ مَا قَدْ وَجَبَا
وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة.

٩- فُكِّلَ مَنْ كُفِّ شَرْعاً وَجَبَا عَلَيْهِ أَنْ يَعْرِفَ مَا قَدْ وَجَبَا

بذلك على المعتزلة القائلين: إنَّ معرفة الله تعالى واجبة بالعقل^(١).
فمنهم من يقول: لا حاجة للرُّسل، فإرسالهم عبث. وهؤلاء كفَّار.
ومنهم من يقول: إنَّ إرسالهم معونة للعقل. وهؤلاء فسَّاق.
واعلم أنَّ الأحكام التي وردت لنا عن الشَّرْع عشرة، ولا مدخل
للعقل فيها، - خلافاً لمن ذكِرَ -^(٢) خمسة وضعيَّة^(٣)، وخمسة تكليفيَّة:
فالأولى هي: السبب^(٤)، والمانع^(٥)، والشَّرْط^(٦)، والصَّحة، والفساد.
والثانية هي: الحرمة، والوجوب، والنَّدب، والكراهة، والإباحة.
قوله: (أن يعرف)

أَنَّ وما دخلت عليه في تأويل مصدر فاعل (وجب)، أي: معرفة.
والمعرفة: هي الجزم المطابق للحقِّ، قيل: عن دليل، وقيل: ولو
بلا دليل.

-
- (١) ويزيدون على ذلك معرفة الأحكام أيضاً، فمذهب المعتزلة يوجب معرفة الله،
ومعرفة الأحكام بطريق العقل لا بطريق الشرع. انظر تحفة المريد (٢٠).
 - (٢) جملة اعتراضية المراد بها القائلون: إنَّ المعرفة واجبة بالعقل. وانظر التعليق
السابق.
 - (٣) المراد بالخمسة الوضعية: الأحكام التي استنبطها الفقهاء، وإنَّما هي في
الأصل خطاب الله تعالى المتعلق بجعل الشيء سبباً أو شرطاً أو مانعاً أو
صحيحاً أو فاسداً. انظر تحفة المريد (١٩).
 - (٤) وهو ما يلزم من وجوده الوجود. كالصلاة فقد ذكر أنَّ أسبابها أوقاتها.
 - (٥) وهو ما يلزم من وجوده الفساد أو عدم الوجود.
 - (٦) وهو ما يتوقَّف على وجوده الشيء، وهو خارج عن ماهيَّته كالوضوء للصلاة.
انظر تفصيل الأحكام الوضعيَّة والتكليفيَّة في كتاب المقتدي بشرح الهددي
على أمِّ البراهين للسحيمي (٣٣-٣٤).

٩- فَكُلُّ مَنْ كُفِّ شَرْعًا وَجِبًا عَلَيْهِ أَنْ يَعْرِفَ مَا قَدْ وَجِبَا

قوله: (ما قد وجبا لله . . . إلخ)

أي: ثبت ، بمعنى أنه لا يتصورُ العقلُ عدمه ، ودليل هذا: إمَّا العقل ، أو السمع ، أو مختلف فيه ؛ لأنَّ ما توقَّفت المعجزة عليه ، وهي: الوجود والقدم والبقاء والمخالفة للحوادث والقيام بالنفس والقدرة والإرادة والعلم والحياة ، وكونه قادراً ومريداً وعالماً وحيّاً ، دليلها^(١) عقليّ ، والذي أوجبها هو الشرع ، بمعنى أنه إذا جاءنا رسول وقال لنا: إنني مرسل من عند الله ، وآية صدقي انشقاق القمر مثلاً ، يحتاج الأمر إلى استفادة هذه الصفات من العقل أولاً ، وإلا بأن استفيدت من الرّسول لزم الدور ؛ لأنَّ بهذه الصفات تثبت المعجزة ، وبالمعجزة تثبت هذه الصفات ، فصار كلُّ متوقِّفاً على الآخر .

واختلفوا في الوجدانية ، والأصحُّ أنّ دليلها عقليّ ، وأمّا ما لا تتوقّف المعجزة عليه كالسمع والبصر والكلام ، وكونه سميعاً بصيراً متكلماً ، فدليله سمعيّ^(٢) .

وأمّا القول بأنَّ دليلها عقليّ - لأنّه لو لم يتّصف بها لاتّصف بضدّها ١/١٠ وهو نقص ، والنقص عليه محال - فمردود بأنّ / هذا نقص في حقّ الحوادث ، ولا يقاس الحادث على القديم^(٣) ؛ لأنّ ما كان كمالاً في حقّ

(١) كذا في (د) . وفي (م) : (دليلهما) . ولعله أراد بثنية الضمير عوده على صفات المعاني والصفّات المعنوية .

(٢) أي : نصّ قرآنيّ ، أو حديث شريف ، نؤمن به بمجرد السماع ، وذلك كقوله تعالى : ﴿ إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾ سورة طه (٤٦) .

(٣) لأنّ كلّاً من الحادث والقديم له صفته : فالعقل مثلاً انتقاصه في الحوادث نقص ، ووجوده في القديم نقص ، فلا يوصف الله سبحانه بأنّه عاقل ؛ لأنّ العقل هو الذي يعقل صاحبه عن فعل ما لا ينبغي .

١٠- لله والجائز والمُمتنعَا ومِثْلُ ذَا لِرُسْلِهِ فَاسْتَمِعَا

الحادث لا يلزم أن يكون كمالاً في حقّه تعالى ، ألا ترى الزوجة والولد ، فإنهما من كمالات الحادث لا القديم ، فلو لم تثبت هذه الصفات من القرآن والسنة ما بُرهنَ عليها ، وأمّا الصفات المتقدّمة فصنعة^(١) العالم متوقّفة على ثبوتها ، فبراهينها عقلية .

واعلم بأنهم عرّفوا الواجب : بأنّه ما لا يُتصوّر في العقل عدمه ، أي : لا يحكم العقل بعدمه .

والجائز : بأنّه ما يصحّ في العقل وجوده وعدمه .

والممتنع الذي هو المستحيل : بأنّه ما لا يتصوّر في العقل وجوده ، أي : لا يحكم العقل بوجوده ، وهذا معنى قول أستاذنا الشيخ الدردير^(٢) في خريدته^(٣) :

فَالوَاجِبُ الْعَقْلِيُّ مَا لَمْ يَقْبَلِ الْإِنْتِفَاءَ فِي ذَاتِهِ فَاِبْتِهَالِ
وَالْمُسْتَحِيلُ كُلُّ مَا لَمْ يَقْبَلِ فِي ذَاتِهِ الثَّبُوتَ ضِدُّ الْأَوَّلِ
وَكُلُّ أَمْرٍ قَابِلٌ لِالِانْتِفَاءِ وَلِلثَّبُوتِ جَائِزٌ بِلا خَفَا
وهو أوضح وأخصر من كلام السنوسي^(٤) رضي الله عن الجميع .

(١) في (د) فصفة .

(٢) أحمد بن محمّد العدويّ أبو البركات الشهير بالدردير ، فاضل من فقهاء المالكية ، ولد بمصر سنة (١١٢٧هـ) من كتبه : أقرب المسالك لمذهب الإمام مالك ، الخريفة البهية في علم التوحيد ، شرح الخريفة ، توفي بالقاهرة سنة (١٢٠١هـ) انظر شجرة النور الزكية (٣٥٩) ، وحلية البشر (١/١٨٥) .

(٣) انظر حاشية الصاوي على شرح (الخريفة البهية) للدردير ص (٣٩) وما بعدها .

(٤) محمّد بن يوسف السنوسي الحسني من جهة الأمّ ، عالم تلمسان في عصره ، له تصانيف كثيرة منها : عقيدة أهل التوحيد ، ويسمى : العقيدة الكبرى ، وأمّ =

١٠ - اللهُ وَالْجَائِزَ وَالْمُمْتَنِعَا وَمِثْلُ ذَا لِرُسُلِهِ فَاسْتَمِعَا

وكلُّ منها إمَّا نظريٌّ أو ضروريٌّ^(١):

١ - آ - فالواجب النظريُّ كصفات الله تعالى .

ب - والضروريُّ كتحيُّز الجرم ، أي : أخذه قدرًا من الفراغ

٢ - آ - والمستحيل النظريُّ كثبوت النقائص لله .

ب - والضروريُّ كخلوِّ الجرم عن الحركة والسكون أو الحيِّز .

٣ - آ - والجائز النظريُّ كتعذيب المطيع وإثابة العاصي .

ب - والضروريُّ كحركة الجرم أو سكونه .

وهذه الأقسام الثلاثة إمَّا عقلية ، وهي المقصودة هنا ، أو عادية أو شرعية^(٢) ، وتفصيلها يطلب من المطوِّلات .

قوله : (ومثل ذا . . . إلخ)

بالرفع : مبتدأ خبره محذوف تقديره ثابت ، أو معطوف على (أن يعرّف) . أي : [وجب عليه]^(٣) معرفة ، ووجب عليه مثل ذا ، واسم الإشارة عائد على ما ذكر من الواجب والجائز والمستحيل ، فلذلك أفردته . واعتراض بأنَّ الواجب والجائز والمستحيل في حقِّ الله غير

= البراهين ، ويسمى : العقيدة الصغرى . ولد سنة (٨٣٢هـ) ، وتوفِّي سنة

(٩٨٥هـ) . انظر شجرة النور الزكية (٢٦٦) .

(١) فالنظريُّ : ما يتوقف على نظر واستدلال ، كالقدم لله تعالى .

والضروريُّ : ما لا يتوقف على نظر واستدلال .

انظر شرح الدردير على الخريدة البهية (٤٠) .

(٢) وهذا التقسيم إلى عقلية وعادية وشرعية يشبه تقسيم الدلالات في المنطق إلى

دلالة عقلية وطبيعية ووضعية . انظر إيضاح المبهم للدمهوري ص(٦) .

(٣) ساقطة من (م) . وأثبتناها من (د) .

١٠ - لله والجائز والمُمتنعَا ومِثْلُ ذَا لِرُسْلِهِ فَاسْتَمِعَا

ما ذكر في حقِّ الرُّسُلِ ، أُجيب: بأنَّ التشبيه غير تامٍّ ، بل التشبيه في مطلق واجب ومستحيل وجائز . فإنَّ الواجب في حقِّ الله الوجود... إلخ ، وفي حقِّ الرسل الصدق... إلخ . وأيضاً أدلَّة صفات الله غالبها عقليٌّ ، وأمَّا أدلَّة صفات الرُّسُلِ فسمعية ما عدا الصدق .

قوله: (فاستمعا)

يحتمل أن يكون تكملة ، ويحتمل أنه تنبيه على الاعتناء بهذا الكلام^(١) .

وَأَلِفُهُ بَدَلُ مِنْ نُونِ التَّوَكِيدِ الخفيفة ، وأصله: اسْتَمِعَنْ ، فَلَمَّا وَقَفَ عَلَيْهَا أَبْدَلَتْ أَلِفًا ، قَالَ ابْنُ مَالِكٍ^(٢) :

وَأَبْدَلْتَهَا بَعْدَ فَتْحِ أَلِفَا وَفَقًا كَمَا تَقُولُ فِي قِفْنِ قِفَا^(٣)

(١) وهناك احتمال ثالث : هو أنه أشار بقوله : (فاستمعا) إلى المبحث الثالث من

التوحيد وهو : السمعيات . فقد ذكر الصاوي في شرح قول الناظم :
فَوَاجِبٌ لَهُ الوجودُ... أن مباحث هذا الفن ثلاثة : الإلهيات والنبوات
والسمعيات . انظر ص(١٤٢) من هذا الكتاب .

(٢) محمد بن عبد الله جمال الدين الطائي الشافعي النحوي . ولد سنة (٦٠٠هـ)

كان إماماً في النحو والقراءات وعللها ، له تصانيف منها : الألفية في النحو ،
وسمّاها الخلاصة ، وتسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ، توفي سنة (٦٧٢هـ)
انظر بغية الوعاة (١/١٣٠) وما بعدها .

(٣) انظر ألفية ابن مالك (باب نوني التوكيد) .

حُكْمُ إِيْمَانِ الْمُقَلِّدِ وَالْخِلَافِ فِيهِ

قوله: (إذ كلُّ من قلَّد... إلخ)

علَّة لقوله: (... ..) وَجَبَا عَلَيْهِ أَنْ يَعْرِفَ ... إلخ

١٠/ب وحاصل ما انحطَّ عليه كلام الأشياخ: أنَّ / مَنْ عرف الله بالدليل ولو جَملياً، ولو لم يكن باصطلاح أهل الكلام، فهو مؤمن اتِّفاقاً، ومَنْ عرفه بلا دليل أصلاً، بل بالتقليد، ففيه ستة أقوال:

الأوَّل: لأبي هاشم الجُبَّائي^(١) رئيس المعتزلة، ونقله عن أهل السنَّة كَذِبٌ؛ إذ إيمانه غير صحيح في الآخرة^(٢)، وأمَّا في الدنيا فاتَّفَقوا

(١) سبقت ترجمته في ص (٨١).

(٢) هذا هو رأي الجُبَّائي يقول: إنَّ إيمان المقلِّد غير صحيح في الآخرة. ولا توافق أهل السنَّة على ذلك؛ فقد قال رسول الله ﷺ لأعرابيٍّ: «قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ ثُمَّ اسْتَقِمْ» أخرجه مسلم (الإيمان ٦٢) برقم (٣٨). وسأل عليه الصلاة والسلام الجارية: «أينَ اللهُ؟» فأشارت بيدها إلى السماء، فقال عليه الصلاة والسلام: «أَعْتَقَهَا؛ فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ»، أخرجه مسلم في حديث طويل (المساجد ٣٣) برقم (٥٣٧)، وأخرجه الإمام مالك في الموطأ، باب العتق برقم (١٤٦٤).

فبمجرد نطق الأعرابي بالإيمان مع الاستقامة صار في عداد المؤمنين، وبإشارة الجارية إلى السماء عند سؤالها: أين اللهُ؟ شهد رسول الله ﷺ لها بالإيمان. وكلُّ ذلك دون معرفتهما بالدليل.

١١- إذْ كُلُّ مَنْ قَلَّدَ فِي التَّوْحِيدِ إِيْمَانَهُ لَمْ يَخْلُ مِنْ تَرْدِيدِ

على^(١) إيمانه ؛ لقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَقَ إِلَيْكُمْ أَسْلَمَ ^(٢) لَسْتَ مُؤْمِنًا ﴾^(٣) .

الثاني : هو صحيح إلا أنه عاصي لترك النظر مطلقاً ، كان فيه أهلية للنظر أم لا^(٤) .

الثالث : [هو]^(٥) صحيح إلا أنه عاصي بترك النظر إن كان فيه أهلية للنظر ، وكان متمكناً من المعرفة^(٦) .

الرابع : إن قَلَّدَ معصوماً كالقرآن والسنة فهو غير عاصي ، وإلا فهو عاصي .

الخامس : أنَّ النظر حرام ، وهو مذهب غالب الصوفية ؛ فإنهم يقولون : متى غاب حتَّى يُستدلَّ عليه ، ومتى خفي حتى تكون الآثار تدل عليه؟

السادس : أنَّ النظر شرط كمال ، فمن كان فيه أهلية النظر ، ولم ينظر فقد خالف الأولى .

(١) الاتفاق عند أهل السنة والمعتزلة .

(٢) فبمجرد إلقاء السلام سمِّي مؤمناً رغم عدم تبيُّن دليله على إيمانه .

(٣) سورة النساء (٩٤) .

(٤) المراد به : ترك النظر في الدليل الجُملي ، أمَّا النظر في الدليل التفصيلي فهو فرض كفاية .

(٥) ساقطة من (م) . وأثبتناها من (د) .

(٦) هذا هو القول المعتمد من بين الأقوال الستة ، كما صرح الشارح بذلك بعد .

١١- إذْ كُلُّ مَنْ قَلَّدَ فِي التَّوْحِيدِ إِيْمَانُهُ لَمْ يَخْلُ مِنْ تَرْدِيدِ

والحقُّ الذي عليه المعوَّل: أنَّه مؤمن عاص بترك النظر إن كان فيه أهلية .

واعلم أنَّهم اختلفوا في الإيمان:

فقيل: هو المعرفة ، وردَّ ذلك بأنَّ كثيراً من الكفَّار يعرفونه كما يعرفون أبناءهم مع أنَّهم كفَّار ، فلو كانت المعرفة تستلزم الإيمان لكان كلُّ مَنْ عرف أنَّ الله واحد ومحمَّداً رسوله مؤمناً ، وليس كذلك . وهذا القول مكذوب على الأشعريِّ^(١) .

وقيل: هو حديثُ النفس التابعُ للمعرفة ، أي: قول النفس: آمنت وصدَّقت ، بعد المعرفة التي هي الجزم المطابق للحقِّ عن دليل ، فلو كان حديث النفس تابعاً للتقليد لكان مقتضاه أنَّه ليس بمؤمن^(٢) .

ولكن قال المصنِّف:

إنَّ هذا تعريف للإيمانِ الكامل ، فالتابع للتقليد إيمان إلا أنَّه غير كامل .

أو يقال: إنَّه تعريف لأصل الإيمان ، ويكون جارياً على أحد القولين المتقدمين في المعرفة^(٣) ، وهذا القول للأشعريِّ ، وأبي بكر

(١) سبقت ترجمته في ص (٨٧) .

(٢) ومن هنا نخرج بتعريف للإيمان مختصر جامع هو: أنه التصديق الصادر عن الجزم في القلب ، مع القبول والإذعان . وانظر شرح قول الماتن: (وفُسِّر الإيمان بالتصديق . . .) في ص (١٣٠) وما بعدها .

(٣) وهما: أنَّ المعرفة هي الجزم المطابق للحق عن دليل ، أو الجزم المطابق للحق عن غير دليل . انظر ص (١٠٣) من هذا الكتاب .

١١- إذْ كُلُّ مَنْ قَدَّ فِي التَّوْحِيدِ إِيْمَانُهُ لَمْ يَخْلُ مِنْ تَرْدِيدِ

الباقلاّني^(١) ، وأبي إسحاق الأُسفراييني^(٢) ، وجمهورهم .
قال ابن العربي^(٣) : أقسام الإيمان خمسة :

(١) محمّد بن الطيّب بن محمد ، قاضٍ من كبار علماء الكلام ، انتهت إليه الرّئاسة في مذهب الأشاعرة . ولد في البصرة سنة (٣٣٨هـ) ، وسكن بغداد ، وتوفّي فيها سنة (٤٠٣هـ) . من كتبه : إعجاز القرآن ، ومناقب الأئمة ، التمهيد . انظر شجرة النور الزكية (٩٢) ، وفيات الأعيان (٤/٢٦٩) .

انظر تعريف الإيمان للباقلاني في كتابه التمهيد ص(٣٤٦) .

(٢) إبراهيم بن محمّد ، عالم بالفقه والأصول ، كان يلقّب بركن الدّين ، وكانت له مناظرات مع المعتزلة . نشأ في أسفرايين - بين نيسابور وجرجان - له كتاب : الجامع في أصول الدّين ، مات سنة (٤١٨هـ) . وفيات الأعيان (١/٢٨) ، شذرات الذهب (٣/٢٠٩) .

(٣) محمّد بن علي بن محمّد بن العربي ، أبو بكر الحاتمي ، الطائي ، الأندلسي ، المعروف بمحيي الدين بن عربي ، الملقّب بالشيخ الأكبر ، فيلسوف ، ولد في (مرسية) في الأندلس (٥٦٠هـ) ، زار الشام وبلاد الروم والعراق والحجاز ، ثم استقرّ في دمشق ، وتوفّي فيها (٦٣٨هـ) . له نحو أربعمئة كتاب ورسالة منها : الفتوحات المكية ، مفاتيح الغيب ، التعريفات . انظر الأعلام (٧/١٧٠) ، وشذرات الذهب (٥/١٩٠) .

واعلم أنّ ابن العربي اثنان ، وكلٌّ منهما أندلسي ، الأوّل الذي قيل فيه خزانة العلم وقطب المغرب ، هو الإمام محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي القاضي الفقيه المالكي المولود في إشبيلية (٤٦٨هـ) ، والمتوفّي (٥٤٣هـ) . والثاني محيي الدين بن العربي الصوفيّ المترجم أعلاه .

وقد يفرّق بينهما فيقال في الأوّل ابن العربي ب(أل) ، وفي الثاني ابن عربي بدون (أل) .

انظر حاشية الدسوقيّ على أمّ البراهين (٥٨) ، وشجرة النور الزكية (١٣٦) ، والأعلام (٦/٢٣٠) .

١١- إذْ كُلُّ مَنْ قَلَّدَ فِي التَّوْحِيدِ إِيْمَانُهُ لَمْ يَخْلُ مِنْ تَرْدِيدِ

١- إيمان تقليد: وهو من أخذ العقائد عن شيخ ، وجزَمَ بها من غير معرفة دليل .

٢ - وإيمان علم: وهو معرفة العقائد بأدلتها ، وهذا من أهل علم اليقين .

وكلا القسمين صاحبهما محجوب .

٣ - وإيمان عيان: وهو معرفة الله بمراقبة القلب ، فلا يغيب رُتبه ١١/أ عن خاطره طرفة عين؛ بل هيئته في قلبه كأنه يراه ، وهو مقام / المراقبة وعين اليقين .

٤ - وإيمان حق: وهو رؤية الله بقلبه ، وهو معنى قولهم: (العارف يرى الله في كل شيء) . وهو مقام المشاهدة وحق اليقين .

وصاحب هذا المقام والذي قبله يستدكُّ بالحقِّ على الخلق .

٥ - وإيمان حقيقة: وهو الفناء بالله عمَّا سواه والسكر بحبِّه ، فلا يشهد إلا إيَّاه ، كمن غرق في بحر ، ولم يرَ له ساحلاً ، وهذا ليس له دليل ولا مدلول .

فالواجب على الشخص أحد القسمين الأوَّلين ، وأمَّا الثلاثة الأخر فعلوم ربانيَّة يَخُصُّ بها مَنْ يشاء .

قوله: (من ترديد) أي: تردُّدٍ وشكِّ وتحيرٍ .

= والملاحظ في كتب الترجمة أنه قد يطلق (ابن العربي) على كليِّ منهما كما فعل الشارح هنا .

١٢- ففیه بعضُ القومِ یحکي الخُلفاً وبعضُهم حَقَّقَ فیهِ الکَشْفَا
١٣- فقال: إِنْ یَجْزِمُ بِقَوْلِ الْغَیْرِ کفی وإِلا لَمْ یَزَلْ فی الضَّیْرِ

قوله: (یحکي الخُلفاً)^(١)

أي: الخلاف ، وأصل الخُلف يكون في خُلف الوعد.

قوله: (وبعضهم)

أي: القوم ، وهو التاج السُّبکي^(٢) ، حيث جعل الخلاف لفظياً.

قوله: (حَقَّقَ فیهِ) الضمير يعود على المقلِّد.

قوله: (الکَشْفَا)

أي الإيضاح ، والألف فيه للإطلاق ، جامعاً بهذا الكشف بين القول
بالإجزاء وعدمه .

قوله: (فقال) أي: السُّبکي .

وقوله: (إِنْ یَجْزِمُ)

أي: المقلِّد ، أي: يُصَمِّمُ اعتقاده بحيث لو رجع مُقلِّده لم يرجع .

قوله: (بقول الغير)

المراد بالغير الشخص الذي قلَّده في العقائد من غير معرفة دليلها .

قوله: (کفی) أي: كفاه في العقائد .

(١) المراد بالخلف هنا: الأقوال الستة التي مرَّت في إيمان المقلِّد ص(١٠٨) وما بعدها .

(٢) تاج الدين السُّبکي ، عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي ، قاضي القضاة ، المؤرِّخ الباحث ، ولد في القاهرة سنة (٧٢٧هـ) ، وانتقل إلى دمشق مع والده وسكنها ، وتوفي بها سنة (٧٧١هـ) . نسبه إلى (سُبک) من أعمال المنوفية بمصر . من تصانيفه : طبقات الشافعية الكبرى ، معيد النعم ومبيد النقم ، جمع الجوامع . انظر الدرر الكامنة (٤٢٥/٢) .

١٣- فَقَالَ: إِنَّ يَجْزِمُ بِقَوْلِ الْغَيْرِ كَفَى وَإِلَّا لَمْ يَزَلْ فِي الضَّيْرِ

قوله: (وإلا لم يزل في الضير)

أي: في ضرر الشك، فتحصل أن الحق الذي عليه جميع أهل السنة، أن إيمان المقلد صحيح، إلا أنه يكون عاصياً بترك النظر إن كان فيه أهلية له، والحال أن اعتقاده جازم بحيث لا يرجع برجع مقلده.

قال الغزالي^(١): (أسرفت طائفة بتكفير عموم^(٢) المسلمين، وزعموا أنه من لم يعرف العقائد الشرعية بالأدلة التي حرروها فهو كافر، فضيقوا رحمة الله الواسعة، وجعلوا الجنة مختصة بجماعة يسيرة من المتكلمين) اهـ. سحيمي^(٣).

وأما من عنده شك أو وهم أو تردّد فهو كافر إجماعاً^(٤). كمن يقول:

(١) محمّد بن محمّد الغزالي الطوسي أبو حامد، حجّة الإسلام، فيلسوف متصوّف، له نحو مئتي مصنف، ولد في خراسان سنة (٤٥٠هـ)، وتوفي فيها سنة (٥٠٥هـ). نسبته إلى صناعة الغزل، أو إلى (غزاة) من قرى طوس. من كتبه: إحياء علوم الدين، تهافت الفلاسفة، المضمون به على غير أهله. انظر وفيات الأعيان (٢١٦/٤) وما بعدها. شذرات الذهب (١٠/٤ - ١١).

(٢) وردت العبارة عند السحيمي: (بتكفير عوام المسلمين). انظر المزيد على إتحاف المرید ج ١ (ق ١٥٢/ب - ١٥٣/أ).

(٣) سبقت ترجمته ص (٤٤).

(٤) أما الخواطر النفسية التي لا يرتاح القلب إليها، وتشمئز السريرة المؤمنة الداخلية منها، فذاك محض الإيمان؛ لما ورد من حديث أبي هريرة قال: جاء ناسٌ من أصحاب النبي ﷺ فسألوه: إِنَّا نَجِدُ فِي أَنْفُسِنَا مَا يَتَعَاطَمُ أَحَدُنَا أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ، قال: «أَوْ قَدْ وَجَدْتُمُوهُ؟» قالوا: نعم قال: «ذَاكَ صَرِيحُ الْإِيمَانِ». قال الخطّابي: قوله: «ذَاكَ صَرِيحُ الْإِيمَانِ» معناه: أن صريح الإيمان هو الذي يمنعكم من قبول ما يلقيه الشيطان في أنفسكم والتصديق به، وليس معناه أن الوسوسة نفسها صريح الإيمان. وذلك أنها إنّما تتولّد من فعل الشيطان =

١٣- فَقَالَ: إِنَّ يَجْزِمُ بِقَوْلِ الْغَيْرِ كفى وَإِلَّا لَمْ يَزَلْ فِي الضَّيْرِ

المسلمون لهم دين ، والنصارى مثلاً لهم دين ، والله أعلم بمن هو على الحقّ .

واعلم أنّ ثمرة الإيمان فعل الطاعات ، فمن آمن ولو بالتقليد ، وأكثر من الطاعات نور الله قلبه^(١) ، فلربّما رَقَاهُ إِلَى تِلْكَ الْمَرَاتِبِ الَّتِي تَقَدَّمَ ذِكْرُهَا ، وَأَمَّا مَخَالَفَةُ اللَّهِ فَلَا تَفِيدُ إِلَّا الْوَيْبَالَ ، وَلَوْ لِلْعَالَمِ بِالْأَدَلَّةِ؛ لقوله تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ... ﴾^(٢) الآية .

ولربّما يُظْلَمُ قَلْبُهُ ، وَتَلْتَبِسُ عَلَيْهِ الْأَدَلَّةُ حَتَّى لَا يَدْرِي أَيْنَ يَتَوَجَّهُ .

وقد حُكِيَ أَنَّ الْفَخْرَ^(٣) حِينَ احْتَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ وَرَدَّتْ عَلَيْهِ شُبُهَةٌ عَجَزَ

عَنْ دَفْعِهَا ، فَصَارَ يَقُولُ: / (اللَّهُمَّ إِيْمَانًا كِإِيْمَانِ الْعَجَائِزِ) . ب/١١

= وتسويله ، فكيف يكون إيماناً صريحاً؟!

أخرج الحديث مسلم (١٣٢) . أبو داود (٥١١١) . وللتوسع انظر: زاد المعاد (٤٦١/٢) .

(١) فكما أنّ الأَطْعَمَةَ تَقْوِي الْجِسْمَ وَتَغْذِيهِ ، وَتَقْوِي شَهِيئَتَهُ؛ فَإِنَّ الطَّاعَاتِ تَفْتَحُ لِمُصَاحِبِهَا أَبْوَابَ فِي طَاعَاتٍ أَكْثَرَ ، فَيَنُورُ اللَّهُ بِهَا قَلْبَهُ . وَكَذَلِكَ فَإِنَّ كَثْرَةَ الْمَعَاصِي تَجْرُ إِلَى مَعَاصِي أَكْثَرَ فَيُرَانُ عَلَى قَلْبِ صَاحِبِهَا .

وذكر الغزالي - رحمه الله - في إحيائه أنّ كثرة المعاصي سبب لسوء الخاتمة والعياذ بالله . انظر إحياء علوم الدين (٣٠/٥) .

(٢) سورة الجاثية (٢٣) وتامها: ﴿... وَخَمَّ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ، وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشْوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ .

(٣) محمّد بن عمر بن الحسين التيمي البكري ، الإمام المفسّر ، وأحد زمانه في المعقول والمنقول ، وهو قرشيّ النسب ، أصله من طبرستان ، ومولده في الرّيّ سنة (٥٤٤هـ) ، توفي في هراة سنة (٦٠٦هـ) . من تصانيفه: مفاتيح الغيب ، معالم أصول الدين ، المسائل الخمسون في أصول الكلام .

انظر وفيات الأعيان (٢٤٨/٤) وما بعدها . البداية والنهاية (١٣/٦٦ - ٦٧) .

١٣- فَقَالَ: إِنَّ يَعْجِزِم بِقَوْلِ الْغَيْرِ كَفَى وَإِلَّا لَمْ يَزَلْ فِي الضَّيْرِ

وحكي عن ابن العربي^(١) أنه في تلك الحالة كان واقفاً في الصلاة، فضرب برجله مراراً، فسئل عن ذلك فقال: (إن الفخر احتضرتة الوفاة، فاحتوشته الشياطين يريدون نزع إيمانه، فضربتهم برجلي، فمات على الإيمان والحمد لله)^(٢).

* * *

-
- (١) وهو محيي الدين بن عربي الذي سبقت ترجمته في ص (١١١) .
(٢) علل الاستغناء عن ذكر هذه القصة في كتاب عقده المؤلف - رحمه الله - لبيان عقيدة أهل السنة والجماعة أولى .

١٤- واجزِمُ بَانَ أَوْلَا مِمَّا يَجِبُ مَعْرِفَةً وَفِيهِ خُلْفٌ مُتَّصِبٌ

وجوب معرفة الله تعالى

قوله : (واجزِمُ بَانَ أَوْلَا . . . إلخ)

الجزم : هو القطع ، أي : اقطع باعتقادك أيها المكلف ذكراً أو أنثى ، حرّاً أو عبداً ، جنياً أو إنسياً .

وأول : أصله : أوأُل على وزن أفْعَل ، فقلبت الهمزة واواً ، ثم أدغمت في الواو لاجتماع المثلين ، وله استعمالان :

١ - بمعنى قبل وسابق ، فيكون منصرفاً منوّناً ، ومنه قولهم : الحمد لله أَوْلَاً وآخِراً .

٢ - وصفة ، فيكون أفْعَل تفضيل معناه الأسبق ، ويكون ممنوعاً من الصرف للوصف ووزن الفعل ؛ فإن حمل في النظم [على الأول فظاهر ، وإن حُمِل] ^(١) على الثاني فصرفه لضرورة النظم .

وفي ذلك المعنى قال الأجهوري ^(٢) :

إذا أَوْلُ قَدْ جَاءَ مَعْنَاهُ أَسْبَقُ فَمَنْعُ انصِرَافٍ فِيهِ أَمْرٌ مُحْتَمٌّ
لَوْصِفٍ وَوزنِ الفعلِ يَأْتِيهَا الفَتَى عَلَيْكَ بِضَبْطِ العِلْمِ عِلْكَ تَفْهَمُ
وإن كان ظرفاً فاحْكُمْنُ فِيهِ بِالذِي حَكَمْتَ بِهِ فِي قَبْلُ وَاللهُ أَعْلَمُ

(١) ساقطة من (م) ، وأثبتناها من (د) .

(٢) عبد البرّ بن عبد الله ، فقيه شافعي مصري ، له شروحٌ وحواشٍ في الفقه وغيره . منها : منحة الأحياب ، فتح القريب المجيد بشرح جوهرة التوحيد ، توفي سنة (١٠٧٠هـ) . هدية العارفين (١/٤٩٨) ، خلاصة الأثر (٢/٢٩٨) .

١٤- واجزِمُ بَأَنَّ أَوَّلًا مِمَّا يَجِبُ مَعْرِفَةً وَفِيهِ خُلْفٌ مُنْتَصِبٌ

قوله: (مِمَّا يَجِبُ)

(مِنْ): تبعية، و(ما): اسم موصول، أي: بعض الذي يجب، وهو صفة (لأوَّلًا) الواقع اسم أنَّ على المعنى الأوَّل، وللضاف إليه اسمُ التفضيل على الثاني، والأصل: أنَّ أوَّلَ شيءٍ ممَّا يجب.

وقوله: (معرفة)

خبر أنَّ، وهي عند المناطقة والنحويين أخصُّ من مطلق العلم؛ لأنَّها تطلق على إدراك الجزئيات والبسائط، والعلم يطلق على إدراك المركَّبات والكليَّات والجزئيات والبسائط^(١).

وأما عند أهل السنَّة فهما مترادفان، ولكن لا يقال في الله عارف؛ لإيهامها سبق الجهل، ولأنَّ أسماءه توقيفية.

والمراد بمعرفة الله معرفة صفاته، لا معرفة حقيقة ذاته؛ لأنَّها ليست من الواجبات، فضلاً عن كونها من أوَّلها، بل لا تُعرف لأحد، ولو

(١) لذلك نقول: عرفت زيداً، وعلمت زيداً، وعلمت زيداً مجتهداً.

ولا يجوز: عرفت زيداً مجتهداً؛ لأنَّ المعرفة مختصة بالمفردات.

قال النسفي في تبصرة الأدلَّة: المعرفة اسم للعلم المستحدث لا لمطلق العلم، وقال بعض أهل اللغة: بأنَّ العلم اسم شامل على ما يتعلَّق بالمعنى في الجملة، وما يتعلَّق به في التفضيل، والمعرفة: اسم لما يتعلَّق بالمعنى في التفضيل، وبيانه أنك تقول: أعلم زيداً، كما تقول: أعرف زيداً، فيتعلَّقان بذات زيد منفصلاً عن خبر يتعلَّق به، وتقول: علمت زيداً عالماً، فيتعلَّق العلم بمعنى الجملة المركَّبة من المبتدأ والخبر، ولا يقال: عرفت زيداً قائماً إلا إذا أريد بقولك: (قائماً) الحال لا الخبر. انظر تبصرة الأدلة (٧/١).

١٤- واجزِمُ بَأَنَّ أَوَّلًا مِمَّا يَجِبُ مَعْرِفَةً وَفِيهِ خُلْفٌ مُنْتَصِبٌ

ارتفعت درجته ، وإن أمكنت معرفتها عقلاً^(١) كذا قيل ، والأصحُّ أنها لا تجوز عقلاً كما لا تجوز شرعاً ، كما في شرح الكبرى عن الإمام الغزالي^(٢) . فَإِنَّ الحَادِثَ يَقْصُرُ بِالطَّبْعِ عَنِ عَظِيمِ هَذَا المَقَامِ .

قال الشريف المقدسي^(٣) في مفاتيح الكنوز:

ظَنَنْتَ جَهْلًا بَأَنَّ اللهَ / تُدْرِكُهُ تَوَاقِبُ الفِكْرِ أَوْ تَدْرِيهِ إِيقَانًا ١٢/أ
أَوْ العُقُولَ أَحَاطَتْهُ بِدِيهَتِهَا أَوْ هَلْ أَقَامَتْ بِهِ لَوْلَاهُ بُرْهَانًا^(٤)
اللهُ أَعْظَمُ قَدْرًا أَنْ يُحِيطَ بِهِ عِلْمٌ وَعَقْلٌ وَرَأْيٌ جَلَّ سُلْطَانًا
هَذَا عِتْقَادِي فَإِنْ قَصَّرْتُ فِي عَمَلِي فَاسْأَلُ اللهَ تَوْفِيقًا وَغُفْرَانًا^(٥)

(١) أي: لو أعطى الله عقلاً القدرة على إدراك ذاته سبحانه لكان ذلك ممكناً لا مستحيلاً . وقوله: (كذا قيل) مطية التضعيف ، والأصحُّ عدم الجواز كما ذكر الشارح .

(٢) سبقت ترجمته ص(١١٤) .

(٣) عبد السلام بن أحمد بن غانم المقدسي عُرِّ الدِّين ، حكيم صوفيٍّ واعظ . من تصانيفه: حلُّ الرُّمُوزِ ومفاتيح الكنوز ، الفتوحات الغيبية في الأسرار القلبية ، توفي بالقاهرة سنة (٦٧٨هـ) .

البداية والنهاية (١٣/٣٢٣ - ٣٢٤) ، شذرات الذهب (٥/٣٦٢) .

(٤) أي: هل استطاعت العقول أن تقيم برهاناً لولا توفيق الله لها؟ فإذا كانت لا تستطيع ذلك إلا بفضل منه فكيف تستطيع هذه العقول القاصرة المحتاجة إلى توفيق الله ومدده أن تدرك ذاته سبحانه وتعالى؟! .

(٥) الأبيات من قصيدة طويلة مطلعها:

يا أَيُّهَا المَدْعَى اللهُ عِرْفَانًا وقد تفوّه بالتوحيد إعلانا
وتطلب الحقَّ بالعقل الضعيف وبالـ قياسِ والرأي تحقيقاً وتبياناً
ظننت جهلاً

انظر مفاتيح الكنوز وحلُّ الرموز (ق/٣٠ - ب - ٣١/أ) .

١٤- واجزِمَ بَأَنَّ أَوْلَىٰ مِمَّا يَجِبُ مَعْرِفَةٌ وَفِيهِ خُلْفٌ مُّتَصِّبٌ

وفي الحديث: «إِنَّ اللَّهَ أَحْتَجَبَ عَنِ الْبَصَائِرِ كَمَا أَحْتَجَبَ عَنِ الْأَبْصَارِ، وَإِنَّ الْمَلَأَ الْأَعْلَىٰ يَطْلُبُونَهُ كَمَا تَطْلُبُونَهُ»^(١). وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «تَفَكَّرُوا فِي الْخَلْقِ وَلَا تَفَكَّرُوا فِي الْخَالِقِ؛ فَإِنَّهُ لَا تُحِيطُ بِهِ الْفِكْرَةُ»^(٢).

وسئل أبو بكر الصديق: بَمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟ قال: (عَرَفْتُ رَبِّي بِرَبِّي وَلَوْلَا رَبِّي مَا عَرَفْتُ رَبِّي)، فقيل له: هل يتأتى لبشر أن يدركه؟ فقال: (العجز عن الإدراك إدراك)^(٣).

وسئل علي بن أبي طالب: بَمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟ قال: (عَرَفْتُهُ بِمَا عَرَفَنِي بِهِ نَفْسُهُ، لَا يُدْرِكُ بِالْحَوَاسِّ، وَلَا يُقَاسُ بِالْقِيَاسِ، وَلَا يُشَبَّهُ بِالنَّاسِ، قَرِيبٌ فِي بَعْدِهِ، بَعِيدٌ فِي قَرْبِهِ، فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، وَلَا يُقَالُ تَحْتَهُ شَيْءٌ، وَأَمَامَ كُلِّ شَيْءٍ، وَلَا يُقَالُ أَمَامَهُ شَيْءٌ، وَهُوَ فِي كُلِّ شَيْءٍ لَا كَشْيَءٍ فِي شَيْءٍ، فَسُبْحَانَ مَنْ هُوَ كَذَا، وَلَا يُقَالُ هَكَذَا أَحَدٌ سِوَاهُ).

وفي الحديث: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ خَلْقَهُ فِي ظُلْمَةٍ، ثُمَّ رَشَّ عَلَيْهِمْ مِنْ

(١) ذكره الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٥٩٧/٩) نقلاً عن ابن عربي في حقائق الأسماء. ولم نجده فيما بين أيدينا من كتب الحديث.

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٦٥/٦ - ٦٧) عن عبد الله بن سلام وابن عباس. وأخرجه الطبراني في الأوسط. والبيهقي في الشعب (١٢٠).

قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨١/١): وفيه الوزع بن نافع وهو متروك اهـ. وأخرجه الأصبهاني في الترغيب (٦٧٢) عن عمرو بن مرة مرسلًا.

انظر الجامع الصغير (تَفَكَّرُوا فِي خَلْقِ اللَّهِ...) و(تَفَكَّرُوا فِي آيَةِ اللَّهِ...).
(٣) وأنشدوا في ذلك:

لَا يَعْرِفُ اللَّهُ إِلَّا اللَّهُ فَاتَّشَدُوا وَالدِّينُ دِينَانِ إِيْمَانٌ وَإِشْرَاكُ
وَلِلْعُقُولِ حُدُودٌ لَا تَجَاوِزُهَا وَالْعَجْزُ عَنْ دَرْكِ الْإِدْرَاكِ إِدْرَاكُ
انظر المقتدي بشرح الهدهدي على أم البراهين (١٨١).

١٤- واجزِمُ بَأَنَّ أَوَّلًا مِمَّا يَجِبُ مَعْرِفَةً وَفِيهِ حُلْفٌ مُنْتَصِبٌ

نُورِهِ ، فَمَنْ أَصَابَهُ ذَلِكَ الثُّورُ هُدِيَّ ، وَمَنْ أَخْطَاهُ ذَلِكَ الثُّورُ ضَلَّ^(١) ، أي: فمعرفة العبد ربه نور من الله يقذفه في قلبه ، فيدرك بذلك أسرار ملكه ، ويشاهد غيب ملكوته ، ويلاحظ صفاته . وهذا معنى قول الله تعالى: ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾^(٢) أي: منورهما ، ومنور قلوب المؤمنين فيهما ، وَسَمِيَ الْحَقُّ ذَاتَهُ نَوْرًا؛ لِأَنَّ النُّورَ هُوَ الضِّيَاءُ الْمُظْهِرُ لِلْأَشْيَاءِ ، فَإِذَا سَمِيَ مَا يُظْهِرُ غَيْرَهُ بِالْإِضَافَةِ إِلَى الْإِدْرَاكِ نَوْرًا ، فَلِأَنَّ يُسَمَّى مَنْ يُظْهِرُ الْأَشْيَاءَ مِنَ الْعَدَمِ إِلَى الْوُجُودِ بِالْإِيجَادِ أَوْلَى ، بَلْ هُوَ نَوْرُ النُّورِ؛ لِأَنَّهُ مُظْهِرٌ لِكُلِّ نَوْرٍ. مَثَلُ نَوْرِهِ أَي: نور الله في قلب المؤمن [كمشكاة]^(٣) ، والمشكاة كوة غير نافذة فشبه صدره بالمشكاة ، وشبهه قلبه في صدره بالقنديل في المشكاة ، وشبهه معرفته بالمصباح في القنديل ، وشبهه القنديل الذي هو قلبه بالكوكب الدرّي المضيء ، وشبهه إمداده بالمعرفة بالزيت الصافي الذي يمدُّ السراج في الاشتعال .

وقد أطلق سيّد الصوفية الجنيد^(٤) القول: بأنّه لا يعرف الله إلا الله .

وقال / العارفون: (سبحان مَنْ كان عَيْنُ الْعِلْمِ بِهِ عَيْنَ الْجَهْلِ ١٢/ب

(١) أخرجه ابن جِبَّان في صحيحه (٦١٦٩) و(٦١٧٠) . والحاكم (٣٠/١) . وأحمد (١٧٦/٢) . وغيرهم ، وإسناده صحيح ، وصحّحه الحاكم ، وأقرّه الذهبي . وأخرجه ابن أبي عاصم في السنّة رقم (٢٤٣) و(٢٤٤) .

(٢) سورة النور (٣٥) وتَمَامُ الْآيَةِ: ﴿... مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ .

(٣) ساقطة من (م) . وأثبتناها من (د) .

(٤) انظر ترجمة الشارح للجنيد في ص (٣٣٩) .

١٤- واجزِمَ بَأَنَّ أَوَّلًا مِمَّا يَجِبُ مَعْرِفَةً وَفِيهِ خُلْفٌ مُتَّصِبٌ

به ، وعينُ الجهل به عينُ العلم به ^(١) ، وسبحان من يُعْرِفُ بَأَنَّهُ لَا يُعْرِفُ .
وسُئِلَ بعضُ العلماء عن الله تعالى فقال :

إِن سَأَلْتُ عَنْ أَسْمَائِهِ فَقَدْ قَالَ : ﴿ وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ ^(٢) .

وَإِن سَأَلْتُ عَنْ صِفَاتِهِ فَقَدْ قَالَ : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ^(٣) إِلَى آخِرِ
السُّورَةِ .

وَإِن سَأَلْتُ عَنْ أَقْوَالِهِ فَقَدْ قَالَ : ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ
فَيَكُونُ ﴾ ^(٤) .

وَإِن سَأَلْتُ عَنْ أَفْعَالِهِ فَقَدْ قَالَ : ﴿ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ ^(٥) .

وَإِن سَأَلْتُ عَنْ نَعْتِهِ فَقَدْ قَالَ : ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ
شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ ^(٦) .

وَإِن سَأَلْتُ عَنْ ذَاتِهِ فَقَدْ قَالَ : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ ^(٧) .

-
- (١) أَي : مَنْ قَالَ : عَرَفْتُ اللَّهَ عَلَى حَقِيقَتِهِ وَصَفَنَاهُ بِالْجَهْلِ .
وَمَنْ قَالَ : لَا يَعْرِفُ حَقِيقَةَ اللَّهِ أَحَدٌ ، وَأَنَا أَجْهَلُ تِلْكَ الْحَقِيقَةَ ، وَصَفَنَاهُ بِالْعِلْمِ .
(٢) سُورَةُ الْأَعْرَافِ (١٨٠) .
(٣) سُورَةُ الْإِحْلَاصِ .
(٤) سُورَةُ النَّحْلِ (٤٠) .
(٥) سُورَةُ الرَّحْمَنِ (٢٩) .
(٦) سُورَةُ الْحَدِيدِ (٣) .
(٧) سُورَةُ الشُّورَى (١١) .

١٤- واجزِمَ بَأَنَّ أَوَّلًا مِمَّا يَجِبُ مَعْرِفَةً فِيهِ خُلْفٌ مُتَّصِبٌ

قال أبو يزيد البسطامي^(١) في مقام المعرفة والتوحيد: (خضت بحراً ووقفت الأنبياء بساحله)^(٢).

وهذا كلام مُشكِكٍ الظاهر ، وأجيب عنه بثلاثة أجوبة:

الأوّل: أَنَّ معنى قوله: (وقفت الأنبياء بساحله) أنهم خاضوه وانتشلوا منه ، فوقفوا على ساحله الثاني؛ لعلو درجته ، وأمّا أنا فقد خضت ذلك البحر واستمرّيت^(٣) غارقاً فيه .

الثاني: أَنَّ المراد بالأنبياء ما عدا نبينا ﷺ فَإِنَّهُ أُعْطِيَ مَعَارِفَ لَمْ يَصِلْ إِلَيْهَا الْأَنْبِيَاءُ ، وَقَدْ وَصَلَ هَذَا الْعَارِفَ لِبَعْضِهَا بِالتَّبَعِ لَهُ ﷺ وَلَا مُحْظُورٌ فِي ذَلِكَ^(٤).

الثالث: أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ شَارِعُونَ ، فَلَمْ يَخُوضُوا ذَلِكَ الْبَحْرَ خَوْفًا عَلَى

(١) طيفور بن عيسى بن سروسان البسطامي ، زاهد مشهور ، نسبته إلى بسطام: بلدة بين خراسان والعراق ، ولد سنة (١١٨٨هـ) ، وتوفي سنة (٢٦١هـ).
وفيات الأعيان (٢/٥٣١) ، حلية الأولياء (١٠/٣٣) ، اللباب في تهذيب الأنساب (١/١٥٢).

(٢) ولو أَنَّ المؤلّف - رحمه الله - لم ينقل هذا القول عن أبي يزيد في كتاب بيّن فيه عقيدة أهل السنة والجماعة لكان أولى ، حتى لا يتجسّم تأويل هذا القول الذي يحتاج إلى التحقيق في نسبته إلى أبي يزيد . فقد سئل ابن حجر الهيثمي عن هذا القول ، فأجاب: لم يصح عنه ، وإن صح تعين تأويله بما يليق بجلالة الأنبياء . انظر قول ابن حجر في كتابه الفتاوى الحديثية (٢٣٥).

(٣) هذه لغة في استمرّيتُ أُبدل مكان اللام ياء؛ لكرهية التضعيف ، وإرادة حرف أخفّ . ونحوه تسرّيت ، والأصل تسرّزت ، فلمّا تواترت ثلاث راءات أُبدلوا إحداهنّ ياءً . انظر كتاب سيبويه (٤/٤٢٤) ، تاج العروس (٣/٢٦٤).

(٤) الإجابة الأولى أولى؛ لأنّ الواحد من أمة النبي ﷺ مهما وصل لا يفوق مقام واحد من الأنبياء صلوات الله عليهم وسلاماته أجمعين .

١٤- واجزَمَ بَأَنَّ أَوَّلًا مِمَّا يَجِبُ مَعْرِفَةً وَفِيهِ خُلْفٌ مُتَّصِبٌ

أهمهم من اقتدائهم بهم في ذلك الخوض . وأما هذا العارف فليس بمشرع ، فلم يبالي بما^(١) يقال فيه ، وليس بمقتدى به ، وذلك كقصة موسى عليه السلام مع الخضر . وفي هذا القدر كفاية .

قوله : (وفيه خلف متصب)

أي : اختلاف قائم في أول الواجبات على المكلف .

فقيل : المعرفة وهو الحق ، ولذا قدمه ، وأفرده عن قوله : (وفيه خلف) . وقيل : النظر . وقيل : أول جزء منه^(٢) . وقيل : القصد إليه^(٣) . وقيل : الشك^(٤) ، وهو لأبي هاشم الجبائي^(٥) رئيس المعتزلة . وقيل : النطق بالشهادتين . وقيل : الإسلام . وقيل : التقليد . وقيل : أحد أمرين ، إمّا التقليد أو المعرفة . وقيل : التفرغ للنظر بمعنى ترك الشواغل . وقيل : اعتقاد وجوب النظر . وقيل : الإيمان .

(١) في (م) : فيما . وما أثبتناه من (د) ، وهو الأفصح ، وبالي بالشيء يُبالي به إذا اهتمَّ به . لسان العرب (بلا) .

(٢) أي : المقدّمة الأولى من النظر ، وهي : أن العالم متغيّر .

(٣) القصد إلى النظر ، أي تفرغ القلب عن الشواغل اهـ . تحفة المرید (٤) .

(٤) ورُدَّ بأنّه مطلوب زواله ؛ لأنّ الشكّ في شيء من العقائد كفر ، فلا يكون مطلوباً حصوله ، ولعلّهم أرادوا ترديد الفكر ، فيؤول إلى النظر ، وعلى كلّ هو قول للمعتزلة وغير مُعتمد . انظر حاشية الأمير على إتحاف المرید (٣٩) ، وتحفة المرید (٢٤) .

(٥) سبقت ترجمته في ص (٨١) .

النظر وسيلة لمحرفة الله

قوله: (فانظر... إلخ)

لما كان أوّل الواجبات المعرفة على الأصحّ ، وكان النظر وسيلة لها ، كان واجباً .

وهو لغة: الإبصار والفكر .

واصطلاحاً: ترتيب أمور معلومة يُتوصّل بها إلى مجهول ، كما إذا أردت أن ترتّب أموراً؛ لتعرف بها وجوده تعالى ، وذلك / بأن تقول: ١٣/أ العالم متغيّر ، وهذه مقدّمة صغرى علّمت بالمشاهدة ، وكلُّ مُتغيّرٍ حادث؛ فإن كان موجوداً بعد عدم فحدوثه ظاهر ، وإن كان معدوماً بعد وجود ، فكلُّ ما جاز عليه العدم عليه قطعاً يستحيل القِدَم^(١) ، فنتج: العالم حادث. فنتقول: العالم حادث ، وكلُّ حادث لا بدّ له من مُحدّث ، وإلا لزم الترجيح من غير مرجّح وهو محال^(٢) ، فنتج: العالم لا بدّ له من محدّث ، وهذا المحدّث واجب الوجود ، إلى آخر الصفات

(١) يوضّح ذلك بالمثال التالي:

ابني مثلاً وُجد بعد عدم ، فهذا تمّ بالمشاهدة ، وحدوثه ظاهر .
وجديّ مثلاً عُدِم بعد وجود ، ولم أر وقت ولادته ، ولكنّه طالما عُدِم بعد وجود فهو حادث؛ لأنّ القديم لا يعدم .

ومن هنا نقول: كلُّ ماله بداية أو نهاية فهو ليس بقديم ، إنّما هو حادث .

(٢) لأنّ العالم بحدّ ذاته ممكن ، فوجوده وعدمه متساويان ، وترجيح أحدهما بدون مرجّح مستحيل ، لذلك لا بدّ له من موجد أوجده ، وهو الله تعالى . وهذا دليل وجوده سبحانه .

١٥ - فانظرُ إلى نَفْسِكَ ثُمَّ انْتَقِلِ لِلْعَالَمِ الْعُلُويِّ ثُمَّ السُّفْلِيِّ

التي يتوقف عليها الإيجاد^(١) ، وإلا ما وُجِدَ الْعَالَمُ .

قوله : (إلى نفسك)

أي : لأنها أقرب الأشياء إليك ، قال تعالى : ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾^(٢) وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿١٧﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أُنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾^(٣) .

فإذا تأمل الإنسان نفسه وجدها مشتملة على سمع وبصر وكلام وذوق وشمّ ولمس وطول وعرض ورضا وغضب وحزن وفرح وغير ذلك ، وكلها خارجة من العدم إلى الوجود ، ومن الوجود إلى العدم ، فهي حادثة مفتقرة لصانع حكيم واجب الوجود . . . إلخ .

وقوله : (إلى نفسك) الكلام على حذف مضاف ، أي : إلى أحوال نفسك .

والمراد بالنفس الذات ، وإنما بدأ بها لما ورد : «مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ عَرَفَ رَبَّهُ»^(٤) .

فقيب : معناه مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ بِالْحَدُوثِ وَالْفَقْرَ عَرَفَ رَبَّهُ بِالْقَدَمِ وَالْغَنَى .

(١) وهي القدم والبقاء . . .

(٢) سورة الذاريات (٢١) .

(٣) سورة المؤمنين (١٢ - ١٣ - ١٤) .

(٤) لا أصل له باتفاق المحدثين ، قال الإمام النووي في فتاويه (١٢٠) : (ليس هو بثابت) اهـ . وتابعه على ذلك السيوطي في الحاوي (٢/٢٣٩) ، والسخاوي في المقاصد (٤١٩) وغيرهما . ونقل الزركشي في التذكرة (١٢٩) عن أبي المظفر السمعاني أن هذا الحديث محكي عن يحيى بن معاذ الرازي من قوله . انظر كشف الخفا (٢/٣٦٢) ، والدرر المنتشرة في الأحاديث المشتهرة رقم (٣٩٣) .

١٥ - فانظر إلى نفسك ثم انتقل للعالم العلوي ثم السفلي

أي: من تفكر في بدائعها استدل بها. وقال الشريف المقدسي^(١) في مفاتيح الكنوز وحل الرموز:

(هو إشارة للتعجيز ، أي: أنت لا تعرف نفسك ، فلا تطمع في كنه ربك).
قوله: (للعالم العلوي)

أي: كالسَّمَوَاتِ السَّبْعِ ، والعرش والكرسي والملائكة والليل والنهار والسحاب.

وقوله: (ثم السفلي)

أي: كالأرض وما حوت من أشجار وأنهار قال تعالى:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْمُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾^(٢) ، فمن تأمل تلك الأشياء ، وعرف أنها مخلوقة لله سبحانه وتعالى ، وهو مُتَصَرِّفٌ فيها بالإيجاد والإعدام ، والحركة والسكون ، كان عارفاً بالدليل . قال بعض العارفين:

وفي كل شيء له آيةٌ تدلُّ على أنه الواحد^(٣)

(١) سبقت ترجمته ص (١١٩) وانظر مفاتيح الكنوز . . . (ق ٢٦/ب - ٢٧/أ).

(٢) سورة البقرة (١٦٤).

(٣) البيت من مجموعة أبيات قالها أبو العتاهية ليدل بها على سلامة عقيدته وهي:

ألا إننا كلنا بئادُ	وأئى بنى آدم خالداُ
وبدوهم كان من ربهم	وكلُّ إلى ربه عائداُ
فيا عجباً كيف يُعصى الإلـ	ه أم كيف يججده الجاحداُ
وفي كل شيء له آيةٌ	تدل على أنه واحد

انظر الأعاني (٤/١٢٤٩).

١٦- تَجِدُ بِهِ صُنْعًا بَدِيعَ الْحِكْمِ لَكِنْ بِهِ قَامَ دَلِيلُ الْعَدَمِ

قوله: (تجد به) أي: تعلم ، وتحقق فيه .

١٣/ب قوله: (صنعاً) يعني صنعة باهرة وبديعة على غير مثال سابق /

قوله: (لكن به قام دليل العدم... إلخ)

هذا ردُّ على الفلاسفة القائلين: (إنَّ العالمَ من عرشه لفرشه قديم) فردَّ عليهم بقوله:

لَكِنْ بِهِ قَامَ دَلِيلُ الْعَدَمِ

يعني وإن كان العالم متقناً بديعاً ، هو حادث؛ لِمَا قام به من دليل العدم؛ لأنَّه أجرام وأعراض^(١)، فحدوثُ الأعراضِ بمشاهدة التغيُّرِ ، والأجرامِ لملازمتها لها ، وملازم الحادث حادث بالضرورة^(٢).

(١) العالم كلُّه محصور في المقولات العشرة ، وهي الجوهر وأعراضه التسعة: الكمُّ بقسميه المتصل: أي المقدار من طول وعرض وعمق. والمنفصل: أي العدد. والكيف: أي الصفة. والإضافة: كالأبوة والبنوة. والأين: وهو حصول الشيء في المكان. والتمت: وهي حصول الشيء في الزمان. والوضع: وهو هيئة تحصل للجسم بسبب نسبة أجزائه بعضها إلى بعض ، نسبة تخالف الأجزاء لأجلها بالقياس إلى الجهات كالترُّبُع والافتراش. والملك: وهو كون الجسم بحيث يحيط بكلِّه أو ببعضه ما ينتقل بانتقاله كالتمميم والتعميم. والفعل: وهو كون الشيء مؤثراً في غيره ، مادام مؤثراً. والانفعال: وهو كون الشيء متأثراً الغير ، مادام متأثراً. ونظمها بعضهم فقال:

زيدُ الطَّوْبِيلُ الأزرَقُ ابنُ مالِكِ في بيتهِ بالأمنِ كانَ مُتَكِي
في كَفِّهِ غُضُنٌ لَوَاهُ فَالتَّوَى فهذهِ عَشْرُ مقولاتِ سَوَى

كتاب المقتدي بشرح الهددي للسحيمي ص(٣١).

(٢) شرح الباجوري الشطر الأخير بقوله: (أي: بالعالم - بمعنى الأجرام - قام دليل جواز العدم ، فهو على تقدير مضاف) انظر تحفة المرید (٢٦). فإننا لو نظرنا =

١٧- وَكُلُّ مَا جَازَ عَلَيْهِ الْعَدَمُ عَلَيْهِ قَطْعًا يَسْتَحِيلُ الْقِدَمُ

قوله: (وكلُّ ما جاز عليه العدم... إلخ)

هذه كُبرى قياسٍ مطويِّ الصغرى^(١)؛ لدلالة قوله:

... .. لَكِنْ بِهِ قَامَ دَلِيلُ الْعَدَمِ

وتقريره أن تقول: العالم جائز عليه العدم.

وكلُّ ما جاز عليه العدم استحال عليه القدم.

فتتج: العالم استحال عليه القدم، أي: فيكون حادثاً؛ لأنَّه لا واسطة^(٢) بين القديم والحادث؛ لأنَّ المراد بالعالم كلُّ ما سوى الله من الموجودات فقط، إن مشينا على الراجح من أنَّ الحقَّ: أن لا حال^(٣)، وأمَّا إن مشينا

= إلى موجود الآن كالباب مثلاً فإنَّه لا يقوم دليل العدم؛ إذ هو موجود، وليس معدوماً، وإنَّما هو قابل للعدم، وكل ما جاز عليه العدم استحال عليه القدم. (١) أي: هذا قياس اقترانيٌّ لأنَّه مؤلَّف من مُقدِّمتين مشتركتين في أمر يناسب طرفي المطلوب:

- المقدِّمة الصغرى، وهي محذوفة، وهذا معنى قوله: (مطوي الصغرى).

- المقدِّمة الكبرى، وهي مذكورة.

انظر تعريف القياس الاقتراني في مطالع الأنظار على طوابع الأنوار للأصفهاني (٤٤).

(٢) أي: لا حالة ثالثة بين القدم والحادث، وبانتفاء القدم يثبت الحدوث. وكلمة (واسطة) هنا مأخوذة من علماء المنطق؛ إذ معنى ذلك عندهم: وجود فرض ثالث لفرضين.

فقولنا مثلاً: زيد جالس، أو واقف، هذان فرضان، والواسطة أن يقول آخر: بل هو نائم أو سابع أو راکض مثلاً.

فالواسطة هنا نفت الصفتين (جالس وواقف) وأثبتت صفة ثالثة.

(٣) أي: من أنَّ الصواب أنَّ لا واسطة بين الموجود والمعدوم.

١٨- وَفُسِّرَ الْإِيمَانُ بِالتَّصْدِيقِ وَالتَّنَطُّقُ فِيهِ الْخُلْفُ بِالتَّحْقِيقِ

على مذهب من يُثبت الأحوال^(١)، فتقول: العالمُ كلُّ ما سوى الله من الموجودات والأحوال، فالمعدومات على كلِّ حال ليست من العالم، فلا يقال شريك الباري من العالم.

الإيمانُ والإسلامُ وما يتعلَّقُ بهما

قوله: (وفُسِّرَ الإيمانُ)

أي: الشرعيُّ، لَمَّا كان الإيمانُ والإسلامُ من مباحث هذا الفنِّ، بل هما المقصودان منه، استشعر سؤالَ سائلٍ عنهما، فأجاب بما ذكر.

والإيمان لغةً: مطلق التصديق.

واصطلاحاً: تصديق النبي ﷺ فيما جاء به ممَّا عُلِمَ من الدِّين ضرورة^(٢): كالصلاة والصيام والزكاة والحجِّ.

(١) أي: يثبت أنَّ هناك واسطة بين الموجود والمعدوم، وهي الأحوال، والمراد بالأحوال عند أصحاب هذا القول الوجودُ، فقولنا مثلاً: (فلان على الكرسيِّ) يبنىء بوجوده، والوجود هذا واسطة بين كون فلان على الكرسيِّ، وكونه ليس كذلك. وهذا الوجود في نظرهم غير الموجود (وهو فلان).
وممن أثبت الأحوال أبو بكر الباقلاني وإمام الحرمين الجويني. ولكنَّ المعتمد ما اتفق عليه الجمهور من نفي الحال. انظر مطالع الأنظار على طوابع الأنوار (٩٩).
وشرح المقاصد (٥٩/١).

(٢) أي: ما عُلِمَ به العامَّةُ والخاصَّةُ، ولا حاجة للرجوع إلى النصوص والعلماء في فهم هذا العلم، كفرض الصلاة والصيام والزكاة والحج وحرمة الزنى وشرب الخمر. انظر تحفة المريد ص(١٢٤)، وصفحة (٤١٧) من هذا الكتاب.

١٨- وَفُسِّرَ الْإِيمَانُ بِالتَّصَدِيقِ وَالتُّنْقُ فِيهِ الْخُلْفُ بِالتَّحْقِيقِ

والإسلام لغةً: مُتْلَقُ الانقياد ، يقال: أَسْلَمَتِ الدَّابَّةُ ، واستسلمت بمعنى انقادت .

واصطلاحاً: الانقياد إلى ما جاء به النبي ﷺ مِمَّا عَلِمَ ضرورة .

فالإسلام: انقياد ظاهريٌّ ناشئ عن تصديق باطنيٍّ .

والإيمان: تصديق باطنيٌّ ينشأ عنه انقياد ظاهريٌّ ، فتغايراً مفهوماً^(١) ، ولكن بينهما تلامر^(٢) .

فإذا علمت: أَنَّ الإيمان تصديق النبيِّ بما جاء به ، مِمَّا صار كالمعلوم بالضرورة ، تعلم أَنَّهُ يجب الإيمان بالأنبياء والرسل ، ولا يعلم عدَّتْهم إِلَّا اللهُ على الصحيح .

ويجب الإيمان تفصيلاً بمن اشتهر منهم ، وهم خمسة وعشرون مُجْمَعٌ عليهم ، وثلاثة مختلف فيهم . ثمانية عشرة في آية: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا ﴾^(٣) في الأنعام . وسيّدنا محمّد وآدم وصالح وشعيب وهود وإدريس وذو الكفل .

والثلاثة المختلف فيهم : ذو القرنين ، ولقمان ، والعزير .

(١) لأنَّ الناشئ عن شيء (وهو الإسلام) غير الشيء نفسه (وهو الإيمان) .

(٢) من حيث نفع صاحبهما؛ إذ لا يكون الإنسان مقبولاً إلا إذا كان مؤمناً مسلماً في آنٍ واحد .

(٣) والآية بتمامها مع ما بعدها : ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن دُورِيِّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ وَهُدًى وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ .

١٨- وَفُسِّرَ الْإِيمَانُ بِالتَّصْدِيقِ وَالتُّطُقُ فِيهِ الْخَلْفُ بِالتَّحْقِيقِ

ويجب الإيمان إجمالاً بجميع الملائكة ، وتفصيلاً بمن اشتهر
١/١٤ أ منهم / وهم :

جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل ورفيق وعتيد ورضوان ومالك .
وأما منكر ونكير فلا يكفر منكرهما ؛ لأنه اختلف في أصل سؤال القبر^(١) .
وقولنا : (ولكن بينهما تلازم... إلخ) هو الصحيح ، ولا يبعده قوله
تعالى :

﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾^(٢) لَأَنَّ تَغَايِرَ مَفْهُومِ
المسلم والمؤمن كافٍ في العطف ، فلا يلزم منه مغايرة ذات المؤمن
لذات المسلم .

ومحلُّ التلازم المذكور أن كان منه انقياد ظاهريٌّ وتصديق باطنيٌّ ، وإلا
فلا تلازم بينهما .

بل قد يكون مؤمناً ، وليس بمسلم ؛ إن كان معه تصديق ، ولم يثبُت
منه نطق . وقد يكون مسلماً وليس بمؤمن ، إن كان معه انقياد ظاهريٌّ
دون تصديق ، وهو معنى قوله تعالى :

﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمِنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي
قُلُوبِكُمْ ﴾^(٣) .

فإنَّ المعنى : لم يكن منكم تصديق بالقلب ، إنما كان منكم انقياد
ظاهريٌّ ، ولم يدخل التصديق في قلوبكم . فتأمل .

(١) لأنه ثبت في الأثر بغير تواتر . انظر العقائد النسفية (١٦٠) .

(٢) سورة الأحزاب (٣٥) .

(٣) سورة الحجرات (١٤) .

١٨- وَفُسِّرَ الْإِيمَانُ بِالتَّصَدِيقِ وَالتَّنَطُّقُ فِيهِ الْخُلْفُ بِالتَّحْقِيقِ
١٩- فَقِيلَ شَرْطُ كَالْعَمَلِ وَقِيلَ بَلْ شَطْرُ وَالْإِسْلَامِ أَشْرَحَنَّ بِالْعَمَلِ

قوله: (والنطق فيه الخلف... إلخ)

هذا مقيّد بالكافر الأصليّ ، وأمّا أولاد المسلمين فمسلمون ، ولو لم ينطقوا طول عمرهم ، غير أنّهم خالفوا الواجب الفرعيّ ، فالكافر الأصليّ القادر على التَّنَطُّقِ ، وتركه كافرٌ في الدّارين ، وإن تركه لعذر كخرس ، أو مات فوراً ، وقامت قرائن دخوله في الإسلام بغير النطق كإشارة مُفهِمة أو نحو ذلك ، فمسلم عندنا وعند الله ، وإلّا فمؤمن عند الله فقط .

قوله: (ف قيل شرط)

١ - أي: لإجراء الأحكام الدنيويّة ، ويؤيّدُه قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾^(١) ، وقوله عليه الصلاة والسلام: «اللَّهُمَّ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ»^(٢) .^(٣)

قال شيخنا الأمير^(٤): سمعنا من المشايخ كثيراً أنّ المدار عند المالكية

(١) سورة المجادلة (٢٢).

(٢) رواه بهذا اللفظ ابن ماجه رقم (٣٨٣٤) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ، وقال البوصيري في الزوائد (١٩٩/٢) : وهذا الحديث ضعيف ؛ لأنّ مداره على يزيد الرقاشي . ويزيد هذا ضعّفه كثير من علماء الحديث . انظر ميزان الاعتدال (٤١٨/٤).

وهو بنحوه عند الترمذي (٢١٤٠) ، وابن جِبَّان (٩٤٣) ، وأحمد بن حنبل (١٨٢/٤) ، والحاكم (٥٢٥/١) . وقد صحّحه الحاكم ووافقه الذهبي .

(٣) الآية والحديث كلّ منهما دليل على أنّ الإيمان في القلب ، وهو التصديق فقط . أمّا النطق فشرط لإجراء الأحكام الدنيويّة من التوارث والتناكح وغير ذلك ؛ لأنّ التصديق القلبي وإن كان إيماناً إلا أنه باطن خفي ، فلا بدّ له من علامة ظاهرة تدل عليه ؛ لتعلّق به تلك الأحكام . انظر تحفة المرید (٢٩).

(٤) محمّد بن محمّد السنباوي الأزهري ، عالم بالعربية من فقهاء المالكية ، ولد بمصر =

١٩- فقيلَ شَرْطُ كَالْعَمَلِ وَقِيلَ بَلْ شَطْرُ وَالْإِسْلَامِ اشْرَحَنَّ بِالْعَمَلِ

على أيّ لفظ يفيد الوجدانية والرسالة ، ونقله المصنّف في شرحه^(١) عن الأبي^(٢) مخالفاً لشيخه ابن عرفة^(٣) المشترط اللفظ المخصوص ، ونحوه للرملي^(٤) ، وجماعة من الشافعية ، ونحو ما للأبي للنووي^(٥) ، لكنّ

= سنة (١١٥٤هـ) اشتهر بالأمر؛ لأنّ جدّه كانت له إمرة في الصعيد ، أصله من المغرب ، توفيّ سنة (١٢٣٢هـ). من مؤلّفاته: حاشية على شرح عبد السلام لجوهرة التوحيد ، حاشية على مغني اللبيب. انظر شجرة النور الزكية (٣٦٢ - ٣٦٣) ، وحلية البشر (١٢٦٦/٣).

(١) انظر عمدة المرید للقاني ج ١ (ق ١٠٤/ب) ، وهداية المرید للقاني أيضاً (ق ٣٩/أ-ب).

(٢) أبو عبد الله محمّد بن خلف ، المعروف بالأبي الوشتاتي ، البارح المحقّق الأصولي ، أخذ عن أئمّة منهم ابن عرفة ، وهو من أكابر أصحابه ، توفيّ سنة (٨٢٨هـ).

من مؤلّفاته: إكمال الإكمال شرح على صحيح مسلم ، وله نظم وتفسير . انظر شجرة النور الزكية (٢٤٤). والبدر الطالع (١٦٩/٢) وعنده محمد بن خلفة .

(٣) محمّد بن محمّد الورغمي أ عبد الله ، إمام تونس وعالمها وخطيبها في عصره ، مولده سنة (٧١٦هـ). من كتبه: المختصر الشامل في التوحيد ، المختصر الكبير في الفقه المالكي ، توفيّ سنة (٨٠٣هـ) . انظر شجرة النور الزكية (٢٢٧).

(٤) محمد بن أحمد بن حمزة الرمليّ المصري الشافعي (شمس الدين) فقيه ، شارك في بعض العلوم ، ولد في القاهرة سنة (٩١٩هـ) ، نسبته إلى الرملة من قرى المنوفية بمصر ، توفيّ سنة (١٠٠٤هـ). من تصانيفه: نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج للنووي ، الفتاوى ، غاية البيان في شرح زبدة الكلام. انظر خلاصة الأثر (٣٤٢/٣) . ومعجم المؤلفين (٢٥٥/٨-٢٥٦).

(٥) يحيى بن شرف ، الخزامي ، الحوراني ، الشافعي ، أبو زكريا محيي الدين النووي ، علامة بالفقه والحديث ، مولده في (نوى) سنة (٦٣١هـ) ، ووفاته فيها سنة (٦٧٦هـ) ، تعلّم في دمشق ، وأقام بها زمناً طويلاً . له مؤلّفات كثيرة =

١٩- فِقِيلَ شَرْطُ كَالْعَمَلِ وَقِيلَ بَلْ شَطْرُ وَالْإِسْلَامَ اشْرَحَنَّ بِالْعَمَلِ

المصنّف رجّح التقييد بخصوص هذا اللفظ، ونقل أيضاً الخلاف في الترتيب^(١)، وظاهره تقوية اشتراطه. فانظر اهـ^(٢).

٢- وقيل: شرط في صحّة الإيمان، والمعتمد الأوّل.

قوله: (كالعمل)

تشبيهه في مطلق الشرطيّة^(٣)؛ لأنّ المختار عند أهل السنّة: أنّ الأعمال الصالحة شرط كمال للإيمان، فالتارك لها أو لبعضها من غير استحلال ولا عناد ولا شكّ في مشروعيتها مؤمن، فوّت على نفسه كمال الإيمان.

قوله: (وقيل: بل شرط)

أي: جزء من حقيقة الإيمان، وهذا القول لأبي حنيفة^(٤). وجماعة من الأشاعرة / يقولون: (إنّ النطق ركن داخل في حقيقة الإيمان، دون ١٤/ب سائر الأعمال الصالحة)، فالإيمان عندهم اسم لعمليّ القلب واللسان جميعاً، وهذا في غير المعذور، وإلا فيكفي التصديق للمعذور اتفاقاً. فتحصّل أنّ الأقوال ثلاثة لكنّها ترجع إلى قولين؛ لأنّ من قال: (إنه شرط

= منها: تصحيح التشبيه في فقه الشافعية، حلية الأبرار، رياض الصالحين، انظر النجوم الزاهرة (٧/٢٧٨).

- (١) أي ترتيب الشهادتين بتقديم وتأخير. انظر عمدة المرید للقاني ج ١ (ق ١٠٢/ب).
- (٢) انظر حاشية الأمير على إتخاف المرید (٤٩).
- (٣) أي: النطق شرط، والعمل شرط آخر، لكن كلّ منهما مغاير للآخر، فالأوّل لإجراء الأحكام، والثاني شرط كمال، لذا كان التشبيه بينهما لمطلق الشرطية. انظر تحفة المرید (٢٩).
- (٤) انظر ترجمة الشارح للإمام أبي حنيفة ص (٣٣٧). وانظر شرح الفقه الأكبر للملا علي القاري (٨٥).

١٩- فِقِيلٌ شَرْطٌ كَالْعَمَلِ وَقِيلَ بَلْ شَطْرٌ وَالْإِسْلَامَ أَشْرَحَنَّ بِالْعَمَلِ
٢٠- مِثَالُ هَذَا الْحَجِّ وَالصَّلَاةِ كَذَا الصِّيَامُ فَادْرِ وَالزَّكَاةُ

صحة) فقد وافق القائل في المعنى بأنه شطر .

وبقي قول ثالث وهو: أن الإيمان مركب من تصديق ونطق وعمل - وهو للمعتزلة - وعليه فمن ترك واجباً كالصلاة ، أو فعلَ حراماً كالزنى فهو كافر . وسيأتي للمتن ردُّه بقوله :

... .. وَلَا نَكْفُرُ مُؤْمِنًا بِالْوِزْرِ ^(١)

قوله : (أشرحنَّ بالعمل)

أي : وضَّحه بالعمل الصالح ، وهو امثال المأمورات واجتناب المنهيات ، والمراد الإذعان لتلك الأحكام ، وعدم ردِّها سواء عملها أم لا .

قوله : (مثال هذا)

[المثال] ^(٢) جزئي يذكر لإيضاح القاعدة ، والشاهد جزئيٌّ يذكر لإثبات القاعدة .

واسم الإشارة يعود على العمل الذي فسَّر به الإسلام .

قوله : (الحجُّ . . . إلخ)

أي : بعد النطق بالشهادتين ؛ لأنه لا بدَّ منهما في ثبوت الإسلام .
والحاصل : أنَّ النطق بالشهادتين من الإسلام ، وتقدَّم الكلام عليه ، وأنَّ الحجَّ وما عطف عليه ليس بلازم الاتصاف بأدائه بالفعل ، بل المدار على الإذعان والقبول ، وعدم مقابلتها بالرد والاستكبار . فتأمل .

(١) انظر ص (٤٠٤) من هذا الكتاب .

(٢) ساقطة من (م) . وأثبتناها من (د) .

٢١- وَرُجِّحَتْ زِيَادَةُ الْإِيمَانِ بِمَا تَزِيدُ طَاعَةَ الْإِنْسَانِ

الخلافاً في زيادة الإيمان ونقصه

قوله: (ورجّحت زيادة الإيمان... إلخ)

تقدّم أنّ عمل الجوارح من كمال الإيمان ، فمن صدّق بقلبه ، ونطق بلسانه ، ولم يعمل بجوارحه ، فهو مؤمن ناقص ، فلمّا كان له مدخلية في كمال الإيمان شرع يتكلّم على زيادته بالعمل ونقصه بنقصه ، فقال: (ورجّحت... إلخ).

وهذا الترجيح لجمهور الأشاعرة، والماتريدية، ومالك، والشافعي، وأحمد^(١). وحجّتهم: العقل والنقل.

أما العقل: فلأنّه يلزم عليه مساواة إيمان المنهمكين في الفسق والمعاصي لإيمان الأنبياء والملائكة ، واللازم باطل فكذا الملزوم^(٢).

(١) بقي من الأئمة الإمام أبو حنيفة - رحمه الله - إذ عنده الإيمان واحد ، وهو: الجزم والتصديق ، ولا يزيد بالطاعات ، ولا ينقص بالمعاصي ، ويقول - رحمه الله -: (إيماني كيإيمان جبريل عليه السلام) . وقد تبعه في ذلك بعض الماتريدية . وهو اختيار إمام الحرمين .

انظر شرح ملا علي القاري للفقهاء الأكبر (١٢٦ - ١٢٧) . وشرح المقاصد للفتاواني (٢/٢٩٢) .

(٢) المراد باللازم هنا المساواة بين إيمان أهل المعاصي ، وإيمان الأنبياء والملائكة ، وهو باطل في نظرهم ، فكذا الملزوم أي: الإيمان لا يزيد ولا ينقص بالعمل . وردّ القائلون بعدم الزيادة والنقصان: بأنّ الاختلاف بين أفراد المؤمنين بما فيه كمال الإيمان من الطاعات والمعاصي ، أمّا الجزم والتصديق فواحد .

٢١- وَرُجِّحَتْ زِيَادَةُ الْإِيمَانِ بِمَا تَزِيدُ طَاعَةَ الْإِنْسَانِ

وأما النقل : فقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا تَلَّيْتْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتَهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا . . . ﴾ (١) .

وقال ابن عمر رضي الله عنهما : قلنا : يا رسول الله إن الإيمان يزيد وينقص ؟ قال : «نعم يزيد حتى يُدْخِلَ صَاحِبَهُ الْجَنَّةَ ، وَيُنْقِصُ حَتَّى يُدْخِلَ صَاحِبَهُ النَّارَ» (٢) .

وقال رسول الله ﷺ : «لَوْ وُزِنَ إِيمَانُ أَبِي بَكْرٍ بِإِيمَانِ هَذِهِ الْأُمَّةِ لَرَجَحَ» (٣) .

وقال عمر في حقّ أبي بكر : (ليت عملي^(٤) مدى عمري كيوم ليلة لأبي بكر ، إنّما أنا حسنة من حسناته) .

(١) سورة الأنفال (٢) .

(٢) كل حديث فيه أن الإيمان يزيد وينقص ، أو لا يزيد ولا ينقص فكذب مُخْتَلَقٌ . وهو كلام صحيح من إجماع السلف ، حكاه الشافعي وغيره . انظر المنار المنيف (١١٩) .

وقد ذكر ابن ماجه في باب الإيمان : (الإيمان يزيد وينقص) من قول أبي هريرة وابن عباس وأبي الدرداء (٢٨/١) .

(٣) لا أصل له في المرفوع ، وإنّما هو من قول عمر . أخرجه من قول عمر البيهقي في شعب الإيمان (٣٦) ، وغيره .

والمرفوع أخرجه ابن عدّي في الكامل (٥/٢٥٩ - ٢٦٠) وإسناده واهٍ .

انظر إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين للمرتضى الزبيدي (١/٣٢٣) و(٧/٥٧٢) ، وأحاديث القصاص (١٨) .

(٤) قال عمر هنا رضي الله عنه : (ليت عملي) ، ولم يقل : (إيماني وتصديقي) وهذا حجّة لأبي حنيفة - رحمه الله - ومن تبعه في ذلك .

٢١ - وَرُجِّحَتْ زِيَادَةُ الْإِيمَانِ بِمَا تَزِيدُ طَاعَةَ الْإِنْسَانِ
 ٢٢ - وَنَقَصُهُ بِنِقْصِهِ وَقِيلَ لَا وَقِيلَ لَا خُلْفَ كَذَا قَدْ نُقِلَ

ومراد عمر باليوم والليلة يوم وفاته ، عليه الصلاة والسلام ، وليلة / ١٥/١
 الغار ؛ فإنه رافقه في الغار ، وثبتت الناس حين دهشوا يوم الوفاة .
 وأيضاً فإنَّ المشاهد للشخص في نفسه أنه عند كثرة عبادته وذكره
 وإقباله على الله ، يجد في نفسه رقةً ونوراً ، لم يوجد عند عدم الطاعة^(١) .

قوله : (طاعة الإنسان)

هذا هو الشأن ، وإلا فقد يزيد من فضل الله ، لا بسبب طاعة .

قوله : (وقيل لا)

أي : وقال جماعة ، منهم الإمام أبو حنيفة وأصحابه : إنه لا يزيد
 ولا ينقص ؛ لأنه التصديقُ البالغُ حدَّ الجزم ، فلو قلنا بنقصه لكان ظناً ،
 وهو كفر ، ولو قلنا بزيادته لكان لا معنى له ؛ لأنه في غاية الجزم ، وهو
 منتهى الزيادة .

ومحلُّ الزيادة والنقص ، على القول به ، في غير إيمان الأنبياء
 والملائكة ؛ فإنَّ إيمان الأنبياء يزيد ولا ينقص ، وكذا إيمان الملائكة
 على قول ، وقيل : إيمانهم لا يزيد ولا ينقص .

إن قلت : إنَّ قوله تعالى في حقِّ الخليل : ﴿ قَالَ أَوْلَمْ تُؤْمِنُوا ﴾^(٢) يوهم

(١) هذا كلام مسلم به إلا أنه لا علاقة له بالجزم والتصديق ، إذ الإيمان
 واحد ، والإقبال على الله يزيد القلب رقةً ونوراً لا إيماناً .

(٢) سورة البقرة (٢٦٠) والآية بتمامها : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ
 قَالَ أَوْلَمْ تُؤْمِنُوا قَالَ بَلَىٰ وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ
 عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ .

٢٢- وَنَقَصَهُ بِنَقْصِهِ وَقِيلَ لَا وَقِيلَ لَا خُلْفَ كَذَا قَدْ نُقِلَا

أَنَّ إِيْمَانَ الْأَنْبِيَاءِ يَنْقُصُ .

أجيب : بأنَّ المعنى : أو لم يكفك إيمانك الكامل ؟ قال : بلى ، ولكن ليطمئنَّ قلبي برؤية المعجزة الباهرة ؛ لتقوم له الحجَّة على قومه .

وتأوَّل أبو حنيفة وَمَنْ تَبِعَهُ أَدَلَّةُ الْأَوَّلِينَ بِأَنَّ آيَةَ : ﴿ وَإِذَا تُلِّيتَ عَلَيْهِمْ ءَايَتُنَا زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾ ^(١) المراد الْمُؤْمِنُ بِهِ ^(٢) ؛ فَإِنَّ الصَّحَابَةَ كَانَتْ يَتَجَدَّدُ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ وَالْأَحْكَامُ شَيْئًا فَشَيْئًا ، فَكَلَّمَا زَادَتْ الْأَحْكَامُ زَادَ عِلْمُهُمْ بِهَا ^(٣) .

وتأوَّل الحديث : بأنَّ الزيادة والنقص ترجع إلى الأعمال لا التصديق .

ويزدُّ قوله بأنَّ التصديق مراتب قد تقدَّمت ^(٤) ؛ فَإِنَّ تَصَدِيقَ الْمُقَلِّدِ لَيْسَ كَتَصَدِيقِ الْعَارِفِ بِالذَّلِيلِ ، وَتَصَدِيقِ الْعَارِفِ بِالذَّلِيلِ لَيْسَ كَتَصَدِيقِ الْمُرَاقِبِ ، وَتَصَدِيقِ الْمُرَاقِبِ لَيْسَ كَتَصَدِيقِ الْمَشَاهِدِ ، وَتَصَدِيقِ الْمَشَاهِدِ لَيْسَ كَتَصَدِيقِ الْمُسْتَعْرِقِ ، بَلْ كُلُّ وَاحِدٍ أَعْلَى مِمَّا قَبْلَهُ .

(١) سورة الأنفال (٢) . انظر تفسير هذه الآية في تفسير المحرر الوجيز لابن عطية

(٢١٧/٦) . فقد ذكر لزيادة الإيمان وجوهاً كلها خارجة عن التصديق نفسه .

(٢) انظر شرح مُلَّا علي القاري على الفقه الأكبر للإمام أبي حنيفة رحمهما الله تعالى ص (٨٧) وما بعدها .

(٣) أي : أفراد الإيمان ، فحين نزل قوله تعالى : ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ آمنوا

بها ، ثمَّ نزل قوله تعالى : ﴿ أَقْبِرِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ السَّمْسِ ﴾ آمنوا بالصلاة ، ثمَّ نزلت

آية الزكاة فآمنوا بالزكاة ، وهكذا كلِّمًا نزلت آية آمنوا بمضمونها ، فزادت أفراد

الإيمان مع زيادة الآيات التي نزلت عليهم ، ولم يزد الجزم والتصديق .

انظر ما قاله التفتازاني في شرح المقاصد على زيادة الْمُؤْمِنِ بِهِ (١٩٣/٢) .

(٤) انظر الصفحة (١١١ - ١١٢) من هذا الكتاب .

٢٢ - وَنَقَصَهُ بِنَقْصِهِ وَقِيلَ لَا وَقِيلَ لَا خُلْفَ كَذَا قَدْ نُقِلَ

فالأوجه قول الجماعة : إنَّ الزيادة والنقص للتصديق نفسه ؛ لوجود هذه الأدلة العقلية والنقلية . وغير ذلك تأويلٌ لا يحتاج له .

ويحتمل أنَّ قول المصنف : وقيل [لا] ^(١) ، يعني لا ينقص بل يزيد فقط ، وهو قول الخطَّابي ^(٢) : الإيمانُ قولٌ وهو لا يزيد ولا ينقص ، وعملٌ وهو يزيد وينقص ، واعتقادٌ وهو يزيد ولا ينقص ، فإذا نقص ذهب ^(٣) .

قوله : (وقيل : لا خلف)

هذا للفخر الرازي ^(٤) جامعاً بين القولين بحمل القول بالزيادة والنقص على الأعمال ، والقول بأنَّه لا ينقص ولا يزيد على التصديق . وهو مردود بأنَّ الخلاف إنما هو في أصل الإيمان ، وهو التصديق فهو حقيقيٌّ لا لفظيٌّ ^(٥) .

وأشار بقوله : (كذا قد نُقِلَ) إلى التبرِّي منه ، وأنَّه غير معوَّل عليه ، وتقدَّم أنَّ المعوَّل عليه / الأوَّل .

ب/١٥

(١) ساقطة من (م) . وأثبتناها من (د) .

(٢) حمَّد بن محمَّد بن إبراهيم بن الخطَّاب البُستي ، أبو سليمان ، فقيه محدِّث من أهل بُست من بلاد كابل ، من نسل زيد بن الخطَّاب ، أخي عمر بن الخطَّاب رضي الله عنهما . ولد سنة (٣١٩هـ) ، وتوفِّي سنة (٣٨٨هـ) . من كتبه : معالم السنن في شرح سنن أبي داود ، وإصلاح غلط المحدِّثين . انظر وفيات الأعيان (٢/٢١٤) ، إنباه الرواة على أنباه النحاة (١/١٦٠) .

(٣) انظر حاشية الصاوي على شرح الخريدة البهية للدردير (١١٢) .

(٤) سبقت ترجمته ص (١١٥) . وانظر تفسيره مفاتيح الغيب في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا نُفِثَ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُهُمْ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾ سورة الأنفال (٢) . (٩٦/١٥) .

(٥) انظر إتحاف المرید (٥٦) .

٢٣- فَوَاجِبٌ لَهُ الْوُجُودُ وَالْقِدَمُ كَذَا بَقَاءٌ لَا يُشَابُّ بِالْعَدَمِ

١ - الصفات الواجبة لله تعالى (النفسية ، السلبية ، المعاني ، المحنوية)

أ - الصفة النفسية واجدة وهي :

الوجود

قوله : (فواجب له الوجود)

اعلم أن مباحث هذا الفن ثلاثة :

الإلهيات : وهو ما يتعلّق بالإله من واجب وجائز ومستحيل .

ونبوءات : وهو ما يتعلّق بالأنبياء ممّا يجب لهم وما يستحيل وما يجوز .

وسمعيّات : وهي ما دلّ عليها النقل فقط - ولا مدخل للعقل فيها -

كالحشر والنشر والصراط والجنّة والنار ، وتقدّم ذكرها إجمالاً

في قوله : فَكُلُّ مَنْ كُفِّ شَرْعاً . . الخ^(١)

وشرع الآن يفصل ما أجمله مقدّمًا للإلهيات ؛ لتعلّقها بالحقّ ،

وما تعلّق به مقدّم على غيره ، وبدأ من الإلهيات بالواجب لشرفه ، مقدّمًا

للوجود لأصالته ؛ فإنّ ما سواه مفرّع عليه .

عليه أن يعرف ما قد وجبا
ومثلُ ذا كرُسليه فاستمعا

(١) فكلُّ من كُفِّ شَرْعاً وَجِبَا
اللهِ وَالْجَائِزَ وَالْمُمْتَنِعَا

٢٣- فَوَاجِبٌ لَهُ الْوُجُودُ وَالْقِدَمُ كَذَا بَقَاءٌ لَا يُشَابُّ بِالْعَدَمِ

قوله : (الوجود)

أي: الذاتِيُّ وهو صفة نفسية ؛ والمراد بها : صفة ثبوتية ، يدلُّ الوصف بها على نفس الذات دون معنى زائد عليها .

فقولنا : (ثبوتية) خرج به الصفات السلبية كالقدم والبقاء .

وقولنا : (على نفس الذات) خرج به صفات المعاني ؛ فإنَّها تدلُّ على معنى لا على ذات .

وبقولنا : (دون معنى زائد عليها) خرجت المعنوية .

واختلف في الوجود : هل هو عين الموجود أو غيره .

والذي عليه الأشعريُّ الأوَّل ؛ بناء على نفي الأحوال ، وهو المعتمد ؛ لأنَّه لا واسطة بين الوجود والعدم عند الأشعريِّ ، فالوصف به^(١) [أمر]^(٢) اعتباري^(٣) ، يعتبره الشخص ، لا ثبوت له ، مثال ذلك : كما إذا أخرجت ثوباً من صندوق مثلاً ، فالثوب يوصف بالظهور ، وهو

(١) (به) أي : بالوجود .

(٢) ساقطة من (م) . وأثبتناها من (د) .

(٣) الأمر الاعتباريُّ هو قيام الصفة بالذات ، وهو قسمان :

- أمر اعتباريُّ اختراعيُّ : وهو الذي يخترع بالذهن ، ولا وجود له في الواقع ، كتصوُّرنا جبلاً من ياقوت ، أو بحراً من زئبق .

- وأمر اعتباريُّ انتزاعيُّ : وهو ما انتزع من الهيئة القائمة ، كقولنا مثلاً : (قيام زيد) فهذا الوصف منتزع من الهيئة ، فزيد أماننا ، ووصفه بالقيام أمر اعتباريُّ انتزاعيُّ ، والوجود من هذا القبيل . انظر تحفة المرید (٤٨) .
وتقريرات الأجهوري عليها .

٢٣- فَوَاجِبٌ لَهُ الْوُجُودُ وَالْقَدَمُ كَذَا بَقَاءٌ لَا يُشَابُّ بِالْعَدَمِ

أمر اعتباري لا ثبوت له في الخارج - بحيث يصح أن يرى (١) - ولا (٢) في نفسه ، بل هو أمر يعتبره الشخص في نفسه فقط .

وعلى هذا فتسمية الوجود صفة (٣) بناء على قول بعض المحققين : ليس المراد بالصفة المعنى القائم بالشيء ، بل (٤) ما يحكم به عليه ، سواء كان عين حقيقته أو قائماً بها أو خارجاً عنها . فدخل في هذا التعريف الوجود ، وصفات السلوب ، وصفات المعاني ، والصفات المعنوية . ولو على القول بنفي الأحوال (٥) . فتأمل .

وقولنا : (أي الذاتي) معناه : أنه وجد لذاته (٦) ، ولا مدخل لغيره فيه ، فوجوده واجب لذاته ، لا يقبل الانتفاء أولاً ولا أبداً .

(١) نائب الفاعل ضمير مستتر تقديره (هو) يعود على (الظهور) .

(٢) في (د) : بحيث يصح أن يرى في نفسه .

(٣) هذا قول آخر في تعريف الوجود : وهو أن الوجود صفة .

(٤) هذا تفسير للصفة ، بأن المراد منها ما يحكم به عليه سواء كان عين حقيقته كقولنا : الله موجود ، أو قائماً به كقولنا : الله قادر ، أو خارجاً عنه كقولنا : الله قديم ، فقد نفينا عنه الحدوث .

(٥) ونفي الأحوال هو المعتمد عند المحققين ؛ إذ يقولون : (الحال محال) .

وصار المراد من الجملة الأخيرة : أنه لا مانع من وصف الشيء بصفة تكون عين حقيقته ، أو قائمة به ، أو خارجة عنه ، مع نفي الأحوال .

(٦) ولا يعني (أنه وجد لذاته) أنه أوجد ذاته ؛ إذ لا يقول هذا الكلام عاقل ، إنما يعني : أنه لا مدخل لغيره في وجوده ، وهو احتراز عن الوجود المسبب عن الغير . انظر تحفة المرید (٣٤) .

٢٣ - فَوَاجِبٌ لَهُ الْوُجُودُ وَالْقِدَمُ كَذَا بَقَاءً لَا يُشَابُّ بِالْعَدَمِ

وقولنا : (لذاته) احترازاً من تعلق علم الله بوجود وُلْدٍ لشخص مثلاً ، فوجود الولد واجب ، لكن ليس لذاته بل لتعلق علم الله به^(١) .

والدليل على كونه واجب الوجود أن تقول : الله مفتقر إليه العالم ، وكلُّ ما افتقر إليه العالم فهو واجب الوجود ؛ لأنَّه لو كان جائز الوجود لكان حادثاً ، ولو كان حادثاً لافتقر إلى محدث ، ولو افتقر إلى محدث لافتقر محدثه إلى محدث / ، فيلزم إما الدَّور^(٢) أو التسلسل^(٣) ، وما أدَّى للدور ١/١٦ باطل ؛ لأنَّه يلزم عليه تقدُّم الشيء على نفسه وتأخُّره عنها ، وهو تناقض ، فهو محال ، وكذا ما أدَّى للتسلسل ؛ لأنَّه يلزم عليه وجود حوادث لا أوَّل لها ، وهو باطل للتناقض ؛ لأنَّ مقتضى كونها حوادث أن تكون لها أوَّل ، فبطل افتقار محدثه إلى محدث ، ويلزم منه بطلان افتقاره إلى محدث ،

(١) وهناك مثال أوضح ، وهو قوله تعالى : ﴿ وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدَّمَ آمَنٌ ﴾ سورة هود (٣٦) . لذلك صار في عقيدة سيِّدنا نوح أن إيمان مَنْ لم يؤمن مستحيل ، وذلك لتعلق علم الله به لا لذاته ، ولهذا دعا عليهم بالهلاك . انظر تفسير الطبري (٣٠٧/١٥) .

(٢) الدَّور : هو توقُّف كل واحد من الشيئين على الآخر اهـ . الكليات (٢/٣٣٤) . ومثاله : مالو فرض أن أحدهم أراد الانتساب إلى كلية جامعية ، فقبل له : إن ذلك متوقف على أن يكون موظفاً ، ولما طَلَبَ التوظيف قيل له : إن ذلك متوقف على أن يكون متخرجاً من كلية جامعية ، فإن تحقيق أحد الغرضين مستحيل ما دام الأمر كذلك . انظر كبرى اليقينيَّات الكونية (٨٦) .

(٣) التسلسل : ترتب أمور غير متناهية اهـ . انظر حاشية الأمير على إتحاف المرید (٦٠) . ومثاله : ادعاء أحد حقيقة علمية ، ولما سُئِلَ عن دليلها ذكر برهاناً مجهولاً يتوقف على برهان ، ولما سُئِلَ عن برهان هذا البرهان جاء ببرهان مثله يتوقف على برهان آخر ، وهكذا إلى ما لا نهاية ، فمن ذلك يتبيَّن أن ادعاء تلك الحقيقة العلمية باطل . انظر كبرى اليقينيَّات الكونية (٨٣) .

٢٣ - فَوَاجِبٌ لَهُ الْوُجُودُ وَالْقِدَمُ كَذَا بَقَاءً لَا يُشَابُّ بِالْعَدَمِ

ولزم منه بطلان كونه حادثاً ، ولزم منه بطلان جواز وجوده ، فثبت وجوب وجوده ؛ لأنه لا واسطة بينهما .

تنبيه :

شاع على السنة العوام : (الله موجود في كل الوجود) ، وهو كلام صحيح في نفسه ؛ لأن مفاده وحدة الوجود ، لكنّه غير لائق منهم ؛ لإيهام الحلول^(١) ، وتأويله أن تقول :

معناه أنّه مع كلّ موجود أي : لا يغيب عن موجود^(٢) أصلاً ، ومعنيته معه معناها تصرّفه فيه وتدبيره له معيّة معنويّة لا يعلمها إلا هو ، كما أنّ ذاته لا يعلمها إلا هو . لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء^(٣) .

ومن كلام ابن وفا^(٤) : . . . أنّ من أعظم إشارات وحدة الوجود قوله تعالى :

(١) الحلول والاتحاد مستحيلان ، وهما كفر وإلحاد .

أمّا وحدة الوجود فهي صحيحة ، وتفسيرها : أنّه لا شيء غير الله سبحانه وتعالى وجوده ذاتي ، بل تفرد ربنا بذلك ، فوحدة الوجود الذاتي له دون غيره جلّ وعلا . قال الباجوري في سياق هذا المعنى عند قول الناظم (الوجود) : وجوده لذاته لا لعلّة . أي : إنّ الغير ليس مؤثراً في وجوده تعالى ، وليس المراد أنّ الذات أثرت في نفسها ؛ إذ لا يقوله عاقل ، وإنّما ضاق عليهم التعبير وبعضهم لا يشاهد لغيره وجوداً ، وهذا يسمّى عندهم : وحدة الوجود اهـ . انظر تحفة المريد (٣٤) .

(٢) في (د) لا يغيب عنه موجود .

(٣) وهذا مصداق قوله تعالى : ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ سورة يونس (٦١) .

(٤) عليّ بن محمّد بن محمّد بن وفا أبو الحسن القرشي الأنصاري الشاذلي المالكي المتصوّف ، إسكندريّ الأصل ، مولده في القاهرة سنة (٧٥٩هـ) . له مؤلفات =

٢٣ - فَوَاجِبٌ لَهُ الْوُجُودُ وَالْقِدَمُ كَذَا بَقَاءٌ لَا يُشَابُّ بِالْعَدَمِ

﴿ سَنَرِيهِمْ إِبْتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوْلَمَ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٢﴾ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِيَّةٍ مِّنْ لِّقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَّا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ﴿١﴾ .

ومن أطف إشارة كما قال شيخنا الأمير في حاشيته^(٢) قول أبي مدين التلمساني^(٣) :

الله قُلْ وَذَرِ الْوُجُودَ وَمَا حَوَى
فَالْكُلُّ دُونَ اللَّهِ إِنْ حَقَّقْتَهُ
وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ وَالْعَوَالِمَ كُلَّهَا
مَنْ لَا وُجُودَ لِذَاتِهِ مِنْ ذَاتِهِ^(٤)
وَالْعَارِفُونَ فَنَوَابِهِ لِمَ يَشْهَدُوا
وَرَأَوْا سِوَاهُ عَلَى الْحَقِيقَةِ هَالِكًا
إِنْ كُنْتَ مُرْتَادًا بُلُوغَ كَمَالِ
عَدَمٍ عَلَى التَّفْصِيلِ وَالْإِجْمَالِ
لَوْلَاهُ فِي مَحْوٍ وَفِي اضْمِحْلَالِ
فَوْجُودُهُ لَوْلَاهُ عَيْنُ مُحَالِ
شَيْئًا سِوَى الْمُتَكَبِّرِ الْمُتَعَالِي
فِي الْحَالِ وَالْمَاضِي وَالْأَسْتِقْبَالِ

= منها: الوصايا ، الباعث على الخلاص في أحوال الخواص ، مفاتيح الخزائن العلية . توفي (٨٠٧ هـ) . الضوء اللامع (٦/٢١) ، هدية العارفين (١/٧٢٧) .

(١) سورة فصلت (٥٣ - ٥٤) .

(٢) حاشية الأمير على إتحاف المرید لعبد السلام اللقاني (٥٩) .

(٣) شعيب بن الحسن الأندلسي التلمساني ، صوفي ، أصله من الأندلس ، وأقام بفاس ، وسكن بوجاية ، وكثر أتباعه ، توفي بتلمسان سنة (٥٩٤ هـ) ، وقد قارب الثمانين . له : مفاتيح الغيب لإزالة الريب وستر العيب . انظر شجرة النور الزكية (٦٤) ، شذرات الذهب (٤/٣٠٣) .

(٤) هذا البيت تأييد للتعليق (١) من الصفحة (١٤٦) الذي بيّن فيه أنّ معنى وحدة الوجود هو تفرّد الله سبحانه وتعالى بالوجود الذاتي ؛ إذ كلُّ وجود غير ذاتي هو عين المحال لولا المدد الإلهي .

ب - الصفاتُ السلبيةَّةُ خَمْسُ

١ - القَدَمُ

قوله : (والقدم)

هذا شروع منه في أوَّل الصفات السلبيةَّة ، وهي خمسةٌ ، وتسمَّى مهمَّات الأُمَّهَات^(١) ؛ لأنَّه يلزم من نفي ضدِّ هذه الخمسة تنزيهه تعالى عن جميع النقائص .

ومعنى القدم في حقِّه تعالى عدم الأوليَّة ، أو عدم افتتاح الوجود ، فالقديم هو الذي لا أوَّل له ، أو الذي لا افتتاح لوجوده .

وهل الأزلِيُّ مرادف للقديم ؟ وهو ما قاله ابن التلمساني^(٢) وأئمة اللغة ، فهما ما لا أوَّل له عدمياً كان أو وجودياً^(٣) ، قائماً بنفسه أو لا^(٤) .

(١) ويقصد بهذا أنَّ الصفات السلبيةَّة أكثر من أن تحصى إلا أنَّ هذه الخمسة أهمُّها ، وذلك كنفى الصاحبة والوالد والولد ، فيدخل ذلك تحت الوجدانية مثلاً . . . وهكذا . انظر تحفة المرید (٣٤ - ٣٥) ، وحاشية الصاوي على شرح الخريدة (٥٤) .

(٢) ابن التلمساني عبد الله بن محمَّد بن علي ، الفهري المصري الشافعي ، شرف الدين أبو محمَّد ، فقيه أصوليٌّ ، تصدَّر للإقراء بالقاهرة ، ولد سنة (٥٦٧هـ) ، وتوفِّي سنة (٦٤٤هـ) . من تصانيفه : شرح التنبيه للشيرازي في فروع الفقه الشافعي . انظر معجم المؤلفين (٦/١٣٣) .

(٣) فالعدميٌّ مثلاً : القَدَمُ ، والوجدانية ، فهما ينفيان الحدوث والشريك .

والوجوديٌّ : كالقدرة فهي مثبتة لله تعالى .

(٤) القائم بنفسه هو الذات العلية ، والقائم بغيره القدرة التي هي من صفات الله =

٢٣- فَوَاجِبٌ لَهُ الْوُجُودُ وَالْقِدَمُ كَذَا بَقَاءٌ لَا يُشَابُّ بِالْعَدَمِ

وقال السعد^(١) : الأزليُّ أعمُّ من القديم ؛ إذ القديم : ما قام بنفسه ولا أوَّل لوجوده ، والأزليُّ : ما لا أوَّل له عَدَمياً أو وجودياً ، قائماً بنفسه أو بالذات العليَّة .

فصفات الله يقال لها / أزليَّة ، ولا يقال لها قديمة ، والأعدام ١٦/ب
الأزليَّة كذلك^(٢) .

وأما ذات الله فيقال لها : أزليَّة قديمة ، ودليله : أنه لو لم يكن قديماً لكان حادثاً ، ولو كان حادثاً لافتقر إلى مُحدث ، ولو افتقر إلى مُحدث لافتقر مُحدثه إلى مُحدث ، وهكذا فيلزم الدَّور أو التسلسل ، وتقدِّم بطلانهما^(٣) .

= سبحانه ، وكل من العدميِّ والوجوديِّ والقائم بنفسه والقائم بغيره يسمَّى قديماً وأزلياً على قول ابن التلمساني .

انظر تحفة المرید (٣٥) ، وحاشية الصاوي على شرح الخريدة (٥٤) .

(١) مسعود بن عمر بن عبد الله سعد الدين الفتازاني ، من أئمة العربية والبيان والمنطق ، وُلد بفتازان من بلاد خراسان سنة (٧١٢هـ) ، وتوفي في سمرقند (٧٩١هـ) . من كتبه : تهذيب المنطق ، مقاصد الطالبين . انظر بغية الوعاة (٢/٢٨٥) ، الدرر الكامنة (٥/١١٩-١٢٠) .

(٢) مثال للأعدام الأزليَّة : فلان ولادته سنة كذا ، وقبل ولادته لم يكن موجوداً ، أي : كان معدوماً ، فعدمه ليس له أوَّل ، فيقال : إنه عدم أزليُّ ، ولا يقال : إنه عدم قديم بناء على القول الثاني ، وهو قول السعد .

(٣) وبطلانهما يؤدِّي إلى بطلان افتقاره إلى محدث ، وهذا البطلان يؤدِّي إلى بطلان كونه حادثاً ، وهذا بدوره يؤدِّي إلى قدمه سبحانه وتعالى . انظر تحفة المرید (٣٥) .

٢٣- فَوَاجِبٌ لَهُ الْوُجُودُ وَالْقِدَمُ كَذَا بَقَاءٌ لَا يُشَابُّ بِالْعَدَمِ

٢ - البقاء

قوله : (كذا بقاء)

هو في حقه تعالى عدم الآخريّة ، أو عدم اختتام الوجود ، فالباقي هو الذي لا آخر لوجوده ، أو الذي لا اختتام لوجوده .

إن قلت : إنّ وجوب الوجود يغني عن القدم والبقاء ، بل والمخالفة للحوادث^(١) .

أجيب : بأنّه وإن كان يغني لكنّه بالمعنى الالتزامي^(٢) ، وعلماء هذا الفن لا يكتفون بدلالة الالتزام لزيادة الإيضاح .

والدليل على ثبوت البقاء أنّه لو جاز عليه طرؤُ العدم لاستحال عليه القدم^(٣) ؛ لأنّ^(٤) مَنْ جاز عدمه استحال قِدمه ، كما تقدّم في قول

(١) وذلك لأنّ وجوب الوجود ينفي كلاً من الحدوث وعدم البقاء ؛ إذ تعريف الواجب كما نعلم هو : (ما لا يُتصوّر في العقل عدمه) . فلو قلنا : إنّهُ حادث ، فمعنى ذلك أنّه كان قبل حدوثه عدماً ، وهذا ينافي وجوب الوجود .

وإن قلنا : لن يكون باقياً ، نافي أيضاً وجوب الوجود ، إذا ثبت القدم والبقاء بوجوب الوجود ، وكذلك المخالفة للحوادث .

(٢) أي : ثبت ذلك بالدلالة الالتزامية ، وهي الدلالة العقلية التي لا يتفطن لها كل إنسان ، كالشرح الذي بيّن في التعليق السابق ؛ لذلك يرى علماء التوحيد أنّه لا بدّ من التصريح بالدلالة الوضعية ؛ لشدة خطر الجهل في هذا الفن ، فلا يستغنون بملزوم عن لازم ، ولا بعامّ عن خاصّ ، فيننوا القدم والبقاء والمخالفة للحوادث . انظر تحفة المرید (٣٥) .

(٣) وبعبارة أخرى : مَنْ ثبت قِدمه استحال عدمه ؛ لأنّ القديم (وهو الموجود الذي لا ابتداء لوجوده) لا موجد له ، ووجوده ذاتيّ ، وعلى هذا فهو واجب الوجود ، ولو لحقه عدم لا يكون وجوده واجباً .

(٤) في (م) بأنّ . وأثبتناها من (د) .

٢٣- فَوَاجِبٌ لَهُ الْوُجُودُ وَالْقِدَمُ كَذَا بَقَاءٌ لَا يُشَابُّ بِالْعَدَمِ

المصنّف :

وَكُلُّ مَا جَازَ عَلَيْهِ الْعَدَمُ عَلَيْهِ فَطَعًا يَسْتَحِيلُ الْقِدَمُ

أو يقال : لو لم يتّصف بوجوب البقاء لجاز عليه العدم ، ولو جاز عليه العدم لكان حادثاً ، إلى آخر دليل القدم ، فدليله إمّا القِدَم نفسه أو دليله .

قوله : (لا يشاب بالعدم)

أي : لا يخالطه العدم ولا يلحقه ، فبقاء الله تعالى لا يقارن بزمان^(١) ، بل وسائر صفاته ؛ لأنّ الزمان إمّا مقارنة متجدّد موهوم لمتجدّد معلوم^(٢) ، أو حركة للفلك ، وكلاهما حادث ، ولا يقترن بالمتجدّد والحادث إلّا ما كان مثلهما ، فليس له أجل . بخلاف بقاء غيره تعالى ، فإنّه مخالط بالعدم ومقرون بالزمان . كما أنّ قدمه تعالى ذاتيّ لا يتصوّر العقل عدمه . وأمّا قدم غيره فزمانيّ يقال : (بناء قديم) ، يعني طال زمنه .

فالأقسام ثلاثة :

١ - شيء لا أوّل له ولا آخر ، وهو ذات الله وصفاته .

٢ - وشيء له أوّل وآخر ، وهو الدُّنيا .

٣ - وشيء له أوّل ولا آخر له ، كالجنّة والنار وما فيهما .

(١) فهو سبحانه وتعالى كان قبل الزمن ، وهو مع الزمن ، وبعد الزمن ، وليس وجوده ضمن زمان .

(٢) كوعد أحد زيارتنا مثلاً عند طلوع الشمس ، فمجيئه موهوم ، وطلوع الشمس معلوم . انظر حاشية الملّوى على أمّ البراهين (ق ٢١/ب) . وانظر تحفة المرید . (٣٦) .

٢٤- وَأَنَّهُ لِمَا يَنَالُ الْعَدَمُ مُخَالَفٌ بُرْهَانٌ هَذَا الْقِدَمُ

وبقاء الجَنَّةِ والنارِ شرعيٌّ بالفضل والعدل ، لا عقليٌّ ، بل هو جائز عقلاً ؛ لسبق الحدوث .

٣ - مخالفته تعالى للحوادث

قوله : (وَأَنَّهُ لِمَا يَنَالُ الْعَدَمُ مُخَالَفٌ . . . إلخ)

أَنَّ بفتح الهمزة ، هي واسمها وخبرها خبر لمبتدأ محذوف تقديره : والصفة الثالثة أَنَّهُ^(١) . . . إلخ ، وهو حرف توكيد ونصب ، والهاء اسمها ، ومخالف خبرها ، ولما ينال متعلق بمخالف ، والعائد محذوف ، أي : يناله . وهذه هي الصفة الثالثة من صفات السُّلوب . والمعنى : أَنَّ ذاته وصفاته تعالى مخالفة لكلِّ حادث ، والمخالفة لما ذُكِرَ عبارة عن سلب الجرمية والعرضية والكلية والجزئية ولوازمها^(٢) عنه تعالى ، وإنَّما وجب له ما ذُكِرَ^(٣) ؛ لأنَّ الحوادث إمَّا : جواهر أو أعراض ، أو أزمنة

(١) يقول الباجوري : (. . .) وَأَنَّ وما دخلت عليه في تأويل مصدر معطوف على الوجود ، والتقدير : وواجب له تعالى مخالفته للحوادث التي يلحقها العدم . . .) . اهـ تحفة المريد (٣٦) .

أي : فواجب له الوجود والبقاء والمخالفة للحوادث .
(٢) فلازم الجرمية التحيُّر ، ولازم العرضية القيام بالغير ، ولازم الكلية الكِبَر ، ولازم الجزئية الصِغَر اهـ . حاشية الأمير على إتحاف المريد (٦٧) . وتحفة المريد (٣٦) .

وقال السحيمي : فلازم الجرمية التحيُّر ، ولازم العرضية القيام بالغير ، ولازم الكلية التركيب ، ولازم الجزئية كونها حيِّراً للغير ، وإن كان التحيُّر حقيقة من أوصاف الجرم لا الجرمية ، وهكذا الباقي اهـ . المزيد على إتحاف المريد ج ١ (ق ٢٤٤/ب) .

(٣) كذا في (د) ، والمراد وجوب سلب الجرمية والعرضية ، والكلية والجزئية ، ولوازمها عن الله تعالى .

٢٤- وَأَنَّهُ لِمَا يَنَالُ الْعَدَمُ مُخَالَفٌ بُرْهَانٌ هَذَا الْقِدَمُ

أو أمكنة ، أو جهات / أو حدود ، ولا شيء منها بواجب الوجود ؛ لما ١٧/أ
ثبت لها من الحدوث ، واستحالة القدم عليها .

وقد تَسَمَّحُ^(١) - رضي الله عنه - في التعبير عن الصفة بقوله :

وَأَنَّهُ لِمَا يَنَالُ الْعَدَمُ مُخَالَفٌ

لأنَّ الصفة هي مخالفته تعالى للحوادث ، والمؤدَّى واحد .

قوله : (برهان هذا القدم)

يصحُّ أن يكون برهان مبتدأ ، والقدم خبره ، والمعنى : برهان
المخالفة للحوادث نفس القدم ، وهو قد ثبت دليلاً . ويصحُّ أن يكون
الكلام على حذف مضاف تقديره : دليل القدم ، وتقديره أن تقول : الله
تعالى مخالف للحوادث ؛ إذ لو لم يكن مخالفاً لها لكان مماثلاً ؛ لعدم
الواسطة^(٢) ، لكنَّ مماثلته للحوادث باطلة ؛ إذ لو مائل شيئاً منها لكان
حادثاً مثلها ، لكنَّ كونه حادثاً باطل ؛ إذ لو كان حادثاً لافتقر إلى

= وفي (م) : (وإنما ما وجب له ما ذكر . . .) ولعلَّ المراد نفي وجوب
الجرمية والعرضية ، والكلية والجزئية ، ولوازمها عنه جلَّ وعلا . والله
أعلم .

(١) يندفع ادعاء التسمُّح الذي أشار إليه الصاوي - رحمه الله - بأنَّ الصفة مخالفته ،
لا أنَّه مخالف ، ووجه اندفاع ذلك : أنَّ القاعدة سبَّك أنَّ المفتوحة بمصدر
من خبرها ، وهو شائع في العربية ، فلا يقال فيه تَسَمَّح . انظر حاشية الأمير
على إتحاف المرید (٦٩) . وتحفة المرید (٣٦) .

(٢) أراد بالواسطة هنا الشيء الوسط بين أمرين ، وقد نفى هذه الوساطة ؛ لأنَّه
ليس هناك أمر ثالث ، فإمَّا مخالف للحوادث أو مماثل ، وحاشاه سبحانه أن
يكون مماثلاً ، إذ هو مخالف للحوادث .

٢٥ - قِيَامُهُ بِالنَّفْسِ وَحَدَانِيَّتُهُ مَنْزَهَا أَوْصَافُهُ سِنِّيَّتُهُ

مُحَدَّث ، لَكِنَّ افْتِقَارَهُ بَاطِل . . . إلخ ما تقدّم .

٤ - قِيَامُهُ تَعَالَى بِالنَّفْسِ

قوله : (قيامه بالنفس)

المراد بالنفس الذات ، واختلف في معنى الباء هذه ، فقيل : للآلة^(١) ، وقيل : للسببية^(٢) ، وقيل : بمعنى (في) وهو الأقرب ، وقد اقتصر عليه المَلَوِي^(٣) في حاشيته ، والمعنى : أنه مستغن في نفسه ليس باعتبار شيء آخر^(٤) ، ويؤخذ من هذه الصفة جواز إطلاق النفس على

(١) أصل هذا القول للسكتاني ، ونحوه للشيخ يحيى الشاوي ، وزاد : وفائدته تظهر في المقابل ، أي : قيامه بنفسه لا بغيره ، فالمعنى أن الغير ليس آلة في قيامه تعالى . وهو تخلص من إساءة الأدب ، لو جعلت نفسه آلة ، وهو نظير قولهم : وجوده لذاته لالعة . انظر حاشية الأمير على إتحاف المريد (٦٨) ، وتحفة المريد (٣٧) .

(٢) قال الأمير في حاشيته على إتحاف المريد : ولكنّ الأولى أن الباء للسببية ؛ لأن الآلة واسطة الفعل ، كقطعت بالسكين ، ولا يناسب هنا . وتبعه في ذلك الباجوري . انظر حاشية الأمير (٦٨) ، وتحفة المريد (٣٧) .

(٣) أحمد بن عبد الفتّاح بن يوسف المجيري الشافعي شهاب الدين ، ولد سنة (١٠٨٨هـ) ، وتوفي (١١٨١هـ) . من مؤلفاته : حاشية على شرح القبرواني على متن السنوسية في التوحيد .

انظر سلك الدرر للمراي (١١٦/١ - ١١٧) ، معجم المؤلفين (١٧٢/١) .
(٤) يوضح الباجوري هذا المعنى بقوله : (. . . هذا العبد في نفسه يساوي كذا ، أي : لا باعتبار شيء آخر معه) . تحفة المريد (٣٧) . وانظر حاشية الأمير على إتحاف المريد (٦٨) .

٢٥- قِيَامُهُ بِالنَّفْسِ وَحَدَانِيَّتِهِ مُنْزَهاً أَوْصَافُهُ سَيِّئَةً

الله تعالى وقد ورد : ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾^(١) ، ﴿ وَأَصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴾^(٢) .

وفي الحديث : «لَا أَحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَيَّ نَفْسِكَ»^(٣) إلى غير ذلك .

خلافاً لمن يقول : إنه لا يجوز إطلاقها على الله إلا في مقام المشاكلة^(٤) مستدلاً بقوله تعالى : ﴿ تَعَلَّمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾^(٥) ، ومعنى استغنائه المذكور عدم افتقاره إلى محلّ أي : ذاتٍ يقوم بها ، وإلى مخصّص أي : مؤثّر^(٦) .

(١) سورة الأنعام (٥٤) .

(٢) سورة طه (٤١) .

(٣) أخرجه مسلم (٤٨٦) عن عائشة - رضي الله عنها - مرفوعاً . وأخرجه مالك في الموطأ (٢١٤/١) .

(٤) المشاكلة لغة : المماثلة . واصطلاحاً : ذكر الشيء بلفظ غيره ؛ لوقوعه في صحبته تحقيقاً أو تقديرأ . مثال التحقيقي قوله تعالى : ﴿ تَعَلَّمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ و ﴿ وَمَكْرُؤًا وَّمَكْرًا لِلَّهِ ﴾ فإن إطلاق النفس والمكر في جانب البارئ تعالى إنما هو للمشاكلة . ومثاله التقديري قوله تعالى : ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ ﴾ أي : تطهير الله ؛ لأنّ الإيمان يطهر النفوس . شرح عقود الجمان (١١٠-١١١) .

(٥) سورة المائدة (١١٦) .

(٦) وعلى هذا أصبح القيام بالنفس له معنيان ، الأوّل : الموجد الذي لا يحتاج إلى من يوجدّه ، بل هو وجد بذاته ، والثاني : أنّه لا يحتاج سبحانه إلى ذات يقوم بها ؛ لأنّ ذلك للعرض ، أي : للمعاني والصفات ، كالكرم مثلاً . يحتاج إلى كريم .

٢٥- قِيَامُهُ بِالنَّفْسِ وَحِدَانِيَّتِهِ مُنْزَهًا أَوْصَافُهُ سَنِيَّةً

والحاصل أن القسمة رباعية :

- ١ - مستغن عن المحلّ والمخصّص معاً ، وهو ذات الله .
 - ٢ - ومستغن عن المخصّص فقط ، وهو صفات الله تعالى .
 - ٣ - ومفتقرٌ للمخصّص فقط ، وهو ذواتنا^(١) .
 - ٤ - ومفتقرٌ لهما ، وهو صفاتنا .
- والدليل على استغنائه عن المحلّ أن تقول : لو احتاج إلى محلّ لكان صفة ، ولو كان صفة لم يكن متّصفاً بصفات المعاني والمعنوية^(٢) ، والقرّض أنّه متصف بها ، وإلا لما وُجد العالم^(٣) ، فبطل كونه صفة ، وثبت كونه ذاتاً .

- والدليل على استغنائه عن المخصّص أن تقول : لو احتاج إلى مخصّص لكان حادثاً ، ولو كان حادثاً لافتقر إلى مُحدّث ، كيف وقد سبق وجوب وجوده وقدمه وبقائه ومخالفته للحوادث ؟ !

٥ - الوحدانية

قوله : (وحدانية)

هذه الصفة أهمّ الصفات ، ولذا سُمّي علم التوحيد بها ، ولم يكفر ١٧/ب بضدّها إلا بعض الإنس ، وأمّا الجن برمتهم فلا / يعتقدون الشرك لله سبحانه ، وإنّما الكافر منهم بغير الشرك .

(١) أي : ليست ذواتنا محتاجة إلى ذات تقوم بها ، لكنّها محتاجة إلى مخصّص

فقط ، أي : موجد يوجدها وهو الخالق سبحانه . انظر تحفة المريد (٣٧).

(٢) لأنّ الصفة لا تقوم بصفة .

(٣) لأنّ من صفاته القدرة ، ولو لم يتّصف بذلك لما وُجد العالم .

٢٥- قِيَامُهُ بِالنَّفْسِ وَخُدَانِيَّتُهُ مُنَزَّهًا أَوْصَافُهُ سِنِّيَّةً

وهذه هي الصفة الخامسة من الصفات السلبية ، وقد نفت كموماً^(١) خمسة :

- ١ - الكَمِّ المتَّصل في الذات ، وهو عدم التَّركيب فيها^(٢) .
- ٢ - والكَمِّ المنفصل فيها ، وهو عدم التَّظير .
- ٣ - [والكَمِّ المتَّصل في الصفات ، وهو عدم التَّركيب^(٣) فيها .
- ٤ - والكَمِّ المنفصل فيها ، وهو عدم التَّظير]^(٤) .
- ٥ - والكَمِّ المنفصل في الأفعال ، وهو عدم المشارك له فيها ، والمتَّصل فيها لا يُنفى ؛ لأنَّه ثابت ؛ لأنَّ أفعاله كثيرة على حسب شؤونه في خلقه .

وهذا على مختار الأشعري^(٥) : من أنَّ صفات الأفعال حادثة^(٦) .

(١) المراد هنا بالكَمِّ العدد . والكَمُّ نوعان : المنفصل : وهو ما كان في أشياء متباعدة متفاكَّة ، والمتصل ضدُّه ، هكذا الاصطلاح هنا . انظر حاشية الأمير (٧٣) .

(٢) إذ ذات أحدنا تتألَّف من أعضاء مختلفة ، أمَّا ذات الله سبحانه وتعالى فليست كذلك ؛ لأنَّه ليس كمثل شئ .

(٣) ونفى الباجوري في الكَمِّ المتَّصل في الصفات عدم التَّعدُّد في صفات الله تعالى من جنس واحد ؛ إذ له قدرة واحدة ، وعلم واحد ، وكذلك بقيَّة الصفات . انظر تحفة المريد (٣٨) .

أقول : لأنَّ الصفات معانٍ ، والمعاني لا تتعدَّد .

والصاوي هنا ينفي عدم التركيب في الصفات كما نفى ذلك في الذات .

(٤) ساقطة من (م) . وأثبتناها من (د) .

(٥) سبقت ترجمته في ص (٨٧) .

(٦) أي : إنَّ التعلُّق التنجيزيَّ للأفعال حادث ؛ إذ أراد الله إيجاد أحدنا مثلاً من الأزل ، فما أرادَه نَفَذَه بقدرته ، فهذا فعله ، وهذا الفعل حادث .

وضَّح أبو بكر الباقلائي هذه الفكرة في كتابه التمهيد : بأنَّ وَصَفَ الله نفسه =

٢٥- قِيَامُهُ بِالنَّفْسِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ مُنْزَهًا أَوْصَافَهُ سَيِّئَةً

وأما على كلام الماتريدية : من أن صفات الأفعال قديمة ترجع لصفة واحدة وهي التكوين ، فالكَمَانُ^(١) معاً منفياً أيضاً .

والدليل على ثبوت الوحدانية ، بمعنى عدم النظير في الذات والصفات - وأما عدم التركيب فتقدم في المخالفة ، وأما عدم المشارك في الأفعال فسيأتي في قوله :

وَقُدْرَةٌ بِمُمْكِنٍ تَعَلَّقَتْ^(٢)

وأما عدم التركيب في الصفات فسيأتي في قوله :

ووحدة أوجب لها

النقل والعقل :

أما النقل فأيات كثيرة جداً منها : ﴿وَاللَّهُ كَرِيمٌ إِلَهٌُ وَجِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾^(٣)
﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾^(٤) ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾^(٥) إلى غير ذلك .

= بنحو : إنني خالق ورازق وعادل ومحسن وما جرى مجرى ذلك ، هو من صفات الأفعال ، وهي محدثات اهد بتصرف . انظر التمهيد (٢١٥) .

(١) الكم المنفصل في الأفعال ، والكم المتصل فيها .

(٢) وفي قوله أيضاً :

فَخَالِقٌ لِعَبْدِهِ وَمَا عَمِلُ مُوَفَّقٌ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَصِلُ
(٣) سورة البقرة (١٦٣) .

(٤) سورة البقرة (٢٥٥) وآل عمران (٢) .

(٥) سورة آل عمران (٦) .

٢٥- قِيَامُهُ بِالنَّفْسِ وَحَدَانِيَّتِهِ مُنْزَهًا أَوْصَافُهُ سَنِيَّةٌ

وأما العقل فقد عَلَّمنا الله كَيْفِيَّتَهُ بقوله تعالى : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾^(١) وقوله تعالى : ﴿ مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾^(٢) .

وتقرير ذلك البرهان ، ويسمى برهان التمانع والتطارد في فرض اختلافهما ، وبرهان التوارد في فرض اتّفاقيهما .

أمّا الثاني فتقريره أن تقول : لو وجد فردان متّصفان بصفات الألوهية تقديراً ، وأرادا معاً إيجاد شيء ، فإمّا أن يحصل بإرادتهما معاً ، وذلك باطل ؛ لأنّه يلزم عليه اجتماع مؤثّرين على أثر واحد^(٣) ، أو بإرادة أحدهما ، وذلك باطل أيضاً ؛ لأنّه يلزم عليه عجز الآخر ، ويلزم عجز الأوّل أيضاً ؛ لوجود المماثلة بينهما^(٤) .

وتقرير الأوّل أن تقول :

لو اختلفا بأن أراد أحدهما إيجاد شيء والآخر إعدامه ، فإمّا أن يتمّ مرادهما ، وهو باطل للزوم اجتماع الضدّين ، أو لا يتمّ مرادهما معاً ، وهو باطل أيضاً ؛ للزوم عجزهما معاً . أو يتمّ مراد أحدهما دون الآخر ، وهو باطل أيضاً ؛ للزوم عجز من لم يتمّ مراده ، وعجز من تمّ

(١) سورة الأنبياء (٢٢) .

(٢) سورة المؤمنون (٩١) .

الدليل في الآيتين السابقتين ، دليل نقلي عقلي : أما النقلي فظاهر ، وأما العقلي فهو ما سيوضحه الشارح في تقرير البرهان .

(٣) واجتماع المؤثّرين على أثر واحد مستحيل .

(٤) ولو قلنا : كلُّ إله أوجد نصفاً على حدة ، فمعنى ذلك أنّ كلّاً منهما عاجز عن النصف الآخر الذي لم يوجد . انظر تحفة المرید (٣٨) .

مراده أيضاً ؛ لوجود المماثلة بينهما^(١) ، فبطل التعدد ، وثبت
الوحدانية^(٢) .

والحقُّ أن آية : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهَا إِلَهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾^(٣) حُجَّةٌ قطعية ، لا
أ/١٨ دليل إقناعي^(٤) كما قيل ، بل قال في التبصرة : (إن هذا القول كاد / أن
يكون كفراً) .

وتقريره^(٥) : لو تعدد الإله لم تتكوّن السموات والأرض ؛ لأنّ تكوّنهما
إمّا بمجموع القدرتين أو بأحدهما ، والكلُّ باطل .

أمّا الأوّل فلأنّ شأن الإله كمال القدرة ، فإذا توجّهت قدرته لشيء
أبرزته .

وأمّا الآخر فلِمَا مَرَّ ، فيلزم عجزه ، فلا يوجد شيء من العالم ، وعدم
وجود العالم محال ؛ لأنّه خلاف الحسّ والعيان ، فيكون معنى (فسدتا) لم
توجدا ، وهذا هو الحقُّ .

تنبيه :

(إلّا) في قوله تعالى : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهَا إِلَهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾^(٦) صفة لآلهة

-
- (١) لأنّ الفرضية قائمة أصلاً على وجود المماثلة بين الإلهين .
(٢) يُحكى عن ابن رشد : أنّه إذا نفذ مراد أحدهما دون الآخر كان الذي نفذ مراده هو
الإله دون الآخر ، وتمّ دليل الوحدانية ، وهذا يسمّى برهان التمانع ؛ لتمانعهما
وتخالفهما . تحفة المرید (٣٨) .
(٣) سورة الأنبياء (٢٢) .
(٤) لأنّ الدليل الإقناعي يفيد الظنّ لا اليقين . انظر مجموعة الحواشي البهية على
شرح العقائد النسفية (١/٨٩) .
(٥) أي : تقرير الدليل القطعيّ .
(٦) سورة الأنبياء (٢٢) .

٢٥ - قِيَامُهُ بِالنَّفْسِ وَحَدَائِيَّتِهِ مُنْزَهًا أَوْصَافُهُ سَنِيَّةٌ

بمعنى غير ، فهي اسم، لكن لم يظهر إعرابها إلا فيما بعدها ؛ لكونها على صورة الحرف ، ولا يجوز أن تكون (إلّا) هنا أداة استثناء ، لا من جهة المعنى ولا من جهة اللفظ .

أَمَّا الْأَوَّلُ : فَلأنّه يلزم منه نفي التوحيد ؛ إذ التقدير : لو كان فيهما آلهة ليس فيهم الله لفسدنا ، فيقتضي بمفهومه : أنّه لو كان فيهما آلهة فيهم الله لم تفسدا ، وهو باطل .

وَأَمَّا الثَّانِي : فَلأنّ المتسنى منه يشترط أن يكون عامّاً ، و(آلهة) جمع منكر في الإثبات فلا عموم له ، فلا يصحُّ الاستثناء منه^(١) ، كذا قال المحققون .

قوله : (منزهاً)

حال من الضمير في قوله : (فواجب له الوجود) وكذا قوله : (أوصافه سنيّة) فهي حال مترادفة^(٢) .

قوله : (سنيّة)

إمّا من (السنا) بالقصر بمعنى الضياء ، أي : صفاته كالضياء بمعنى النور بجامع الاهتداء ؛ لأنّه يهتدى بآثارها ، أو من (السنا) بالمدّ بمعنى الرفعة ؛ لأنّها مرتفعة ومنزّهة عن النقائص ، فأوصافه سبحانه وتعالى

(١) وتوضيح ذلك أنّه لا يصح أن يقال في المستثنى : جاء رجالٌ إلا زيداً ، على عكس : جاء الرجال إلا زيداً .

(٢) أي : حال بعد حال . ويجوز جعل (أوصافه سنيّة) حالاً من الضمير في (منزهاً) ، فصارت الحال متداخلة ؛ لدخول صاحب الحال الثانية في الحال الأولى ؛ لأنه ضمير مستتر فيه . انظر تحفة المرید (٣٩) . والمزيد على إتحاف المرید ج ١ (ق٢٦٥/ب) .

٢٦- عَنْ ضِدِّ أَوْ شِبْهِ شَرِيكِ مُطْلَقًا وَوَالِدِ كَذَا الْوَلَدُ وَالْأَصْدِقَا

رفيعة جميلة جليلة ، فمن تعلق بها ، ونظر لها وشاهدها لم يحكم بقبح شيء . قال بعض العارفين :

إِذَا مَا رَأَيْتَ اللَّهَ فِي الْكُلِّ فَاعِلًا رَأَيْتَ جَمِيعَ الْكَائِنَاتِ مِلَاحًا
وَإِنْ لَمْ تَرَ إِلَّا مَظَاهِرَ صُنْعِهِ حُجِبَتْ فَصَيَّرَتِ الْحِسَانَ قَبَاحًا

قوله : (عن ضد)

متعلق بمنزهاً ، والضدان : هما الأمران الوجوديان اللذان بينهما غاية الخلاف^(١) ، فلو كان لله ضد في ذاته أو صفاته لم يكن واجب الوجود والقدم والبقاء . . . إلخ .

فكل صفة من هذه الصفات تنفي الضد .

قوله : (أو شبهه)

هو المشابه في غالب الأحوال ، وأما النظير فهو المشابه في أندر الأحوال ، والمثيل هو المشابه في جميع الأحوال ، وتقدم أنه مخالف للحوادث ، فلا شيء يشبهه ولا يناظره ولا يماثله .

قوله : (شريك مطلقاً)

أي : في ذاته وصفاته وأفعاله ، وتقدم البرهان على ذلك^(٢) .

(١) وهما لا يجتمعان ، وإذا قُدِّر وجود أحدهما انتفى الآخر ، وطالما ثبت وجود الله عز وجل ، وثبتت صفاته ، انتفت أضدادهما . انظر تحفة المريد (٣٩) .

(٢) في شرح قول الماتن : (قيامه بالنفس وحدانية) انظر ص (١٥٨ - ١٥٩) من هذا الكتاب .

٢٦- عَنْ ضِدِّهِ أَوْ شِبْهِهِ شَرِيكَ مُطْلَقًا وَوَالِدٍ كَذَّاءٍ الْوَالِدُ وَالْأَصْدِقَا

قوله : (والد)

أي : منزّه عن كونه ناشئاً ومنفصلاً عن غيره ؛ لأنّه حينئذٍ يكون غير واجب الوجود ، مماثلاً للحوادث ، مع أنّه ثبت وجوب وجوده ، ومخالفته للحوادث .

قوله : (كذا الولد)

أي : فهو منزّه عن الولد ؛ لكونه / مخالفاً للحوادث ، ودليل ذلك ١٨/ب قوله تعالى : ﴿ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿١٥﴾ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴿١٦﴾ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿١٧﴾ ﴾ ، فتنزّه الله عن أن يكون غيره علّة فيه ، أو هو علّة في غيره (٢) ؛ لوجوب وجوده وقدمه وبقائه ومخالفته للحوادث .

قوله : (والأصدقا)

جمع صديق وهو الذي قال فيه بعضهم :

إِنَّ أَخَاكَ الْحَقَّ مَنْ كَانَ مَعَكَ وَمَنْ يَضُرُّ نَفْسَهُ لِيَنْفَعَكَ
وَمَنْ إِذَا رَيْبٌ (٣) الزَّمَانِ صَدَعَكَ شَتَّتَ فِيكَ شَمْلَهُ لِيَجْمَعَكَ

وكما أنّه منزّه عن الصديق منزّه عن ضده وهو العدو ، وفي الحديث

القدسي :

« يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَقْدِرُوا عَلَى ضَرِّي (٤) فَتَضُرُّونِي ، وَلَا نَفَعِي

(١) سورة مريم (٩٠ - ٩١ - ٩٢) .

(٢) انظر العلّة والمعلول في ص (١٦٥) من هذا الكتاب .

(٣) الريب : صرّف الدهر . انظر لسان العرب (ريب) .

(٤) الضّر بالفتح ضدّ النفع ، والضّر بالضم الهزال وسوء الحال . انظر مختار

الصحاح (ضرر) .

٢٦- عَنْ ضِدِّ او شِبْهِ شَرِيكِ مُطْلَقًا وَوَالِدِ كَذَا الْوَلَدُ وَالْأَصْدِقَا

فَتَنْفَعُونِي»^(١) فلا يصل له من أحد ضَرًّا ولا نفع ، وأمَّا قوله تعالى : ﴿ فَأَوْلِيَّتِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ ﴾^(٢) فمعناه المخلصين في عبادته وحبِّه ، وقوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ ﴾^(٣) معناه غير المخلصين ، فالصديق هو المخلص ، والعدوُّ ضده وهو غير المخلص ، والمولى منزّه عن الصديق والعدوِّ بالمعنى الأوَّل لا بالمعنى الثاني ، والأصل في ذلك قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾^(٤) .

(١) قطعة من حديث طويل أخرجه مسلم في صحيحه (٢٥٧٧) من حديث أبي ذرٍّ مرفوعاً ، بلفظ : «... يا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُّونِي ، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي...» .

ورواه أيضاً أحمد في المسند (١٦٠/٥) . والترمذي رقم (٢٤٩٥) . وقال الإمام النووي : (قال أبو مسهر : قال سعيد بن عبد العزيز : كان أبو إدريس [الْحَوْلَانِي] إِذَا حَدَّثَ بِهَذَا الْحَدِيثِ جِثًا عَلَى رِكْبَتَيْهِ [وَقَالَ] : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ رَوَيْنَاهُ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ وَغَيْرِهِ ، وَرَجُلٌ إِسْنَادُهُ مِنِّي إِلَى أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كُلُّهُمْ دِمَشْقِيَّونَ ، وَدَخَلَ أَبُو ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دِمَشْقًا .

فاجتمع في هذا الحديث جمل من الفوائد ، منها : صحَّةُ إسناده ومتمنه ، وعلوُّه وتسلسله بالدمشقيين - رضي الله عنهم وبارك فيهم - ومنها ما اشتمل عليه من البيان لقواعد عظيمة في أصول الدين وفروعه ، والآداب ، ولطائف القلوب ، وغيرها والله الحمد .

وروينا عن الإمام أبي عبد الله أحمد بن حنبل - رحمه الله تعالى - قال : (ليس لأهل الشام حديث أشرف من هذا الحديث) اهـ . الأذكار (٣٥٦ - ٣٥٧) .

(٢) سورة النساء (٦٩) .

(٣) سورة فصلت (١٩) .

(٤) سورة الشورى (١١) .

٢٦- عَنْ ضَيْدٍ أَوْ شَبِيهِ شَرِيكِ مُطْلَقًا وَوَالِدٍ كَذَا الْوَلَدَ وَالْأَصْدِقَا

قال أبو إسحاق الأُسْفَرَايِينِي (١) : (أجمع أهل الحقّ على أنّ جميع ما قاله المتكلمون في التوحيد يرجع إلى كلمتين :
 إحداهما : اعتقاد أنّ كل ما تُصوّر في الأذهان فالله بخلافه .
 ثانيهما : اعتقاد أنّ ذاته ليست مشبّهةً بذات ، ولا خالية عن صفات).

وناهيك بسورة الإخلاص دليلاً ؛ فإنّها نفت أصول الكفر الثمانية :
 الكثرة : بمعنى التركيب ، والعدد ، والتّقصّ : بمعنى الاحتياج ،
 والقلة : بمعنى البساطة ، والعلة (٢) ، والمعلول (٣) ، والشبيه ، والنظير .

أمّا الكثرة والعدد فانتفاؤهما بقوله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾
 والتّقصّ والقلة بقوله : ﴿ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴾
 والعلة والمعلول بقوله : ﴿ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُؤَلَدْ ﴾
 والشبيه والنظير بقوله : ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ .
 تمّة :

في آية : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ (٤) سؤال مشهور ، وهو أنّ الجمع بين الكاف ومثل يوهم محالاً في حقّه تعالى (٥) ؛ لأنّ الكاف بمعنى

(١) سبقت ترجمته ص (١١١) .

(٢) فليس هو علة لغيره ، أي : ليس والداً لغيره .

(٣) وليس هو معلولاً لغيره ، أي : ليس هو مولوداً من غيره . انظر تحفة المريد (٤٠)

(٤) سورة الشورى (١١) .

(٥) وهو أنّه ليس مثلٍ مثله شيء . أي : ويوجد مثله شيءٌ ، وهذا محال في حقّه سبحانه . انظر تحفة المريد (٤٠) .

مثل ، والنفي إنما سُلِّطَ عليها ، وهو باطل من وجهين :

أحدهما: أنَّ المقصود من الآية نفي مثل ذاته^(١) ، لا نفي مثل مثله .

والآخر: أنَّ مثل المثل يقتضي إثبات المثل وهو محال .
أجيب عنه بستة أجوبة :

أحدها : أنَّ الكاف زائدة لغير توكيد .

الثاني: أَنَّهَا مُؤَكَّدَةٌ لنفي الشبيه ، أي : انتفى المِثْلُ انتفاءً مُؤَكَّدًا ١/١٩
لأنَّه من نفي المؤكَّد/ الذي هو مِثْلُ المِثْلِ حتى يتوَهَّم بقاء المثل .

الثالث : أنَّ مِثْلَ بمعنى المِثْلِ بفتحتيْن أي : الصفة .

الرابع : أَنَّهُ بِمَعْنَى نَفْسِ نَحْوِ: ﴿فَإِنَّمَا أَمْتُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ...﴾^(٢) .

الخامس: أَنَّهَا مِنْ بَابِ الْكِنَايَةِ ، وَفِيهَا طَرِيقَانِ ثَانِيَهُمَا هُوَ

السَّادِسُ ، وَتَقْرِيرٌ أَوَّلُهُمَا : أَنَّ نَفِي مِثْلِ المِثْلِ أَرِيدُ بِهِ نَفِي المِثْلِ ؛

لأنَّ مِثْلَ المِثْلِ لَازِمٌ لِلْمِثْلِ^(٣) ، وَنَفِي اللّازِمِ يَدُلُّ عَلَى نَفِي

الملزوم^(٤) .

(١) أي : أنَّ المِثْلَ بِمَعْنَى الذَّاتِ ، وَدَخَلَتْ عَلَيْهَا الْكَافُ عَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ ، فَاصْبَحَ

المعنى : ليس كذاته شيء .

(٢) سورة البقرة (١٣٧) .

(٣) لِأَنَّهُمَا مِثْلَانِ ، وَبِإِثْبَاتِ المِثْلِ أَوْ نَفْيِهِ يَثْبُتُ أَوْ يَنْتَفِي المِثَالُ أَيْضًا ، وَهَذَا لَمَّا نَفَى المِثْلَ انْتَفَى المِثَالُ أَيْضًا .

(٤) وَلِتَوْضِيحِهَا نَقُولُ : هُنَاكَ مَا يَعْرِفُ فِي عِلْمِ المنطق بِاللّازِمِ وَالملزومِ ، كَقَوْلِنَا

مِثْلًا : (يلزم من كون هذا إنساناً كونه حيواناً) ، ففاعل يلزم وهو : (كونه

حيواناً) يسمّى لازماً ، و(كون هذا إنساناً) يسمّى ملزوماً .

ومن القواعد المتعلّقة باللّازِمِ وَالملزومِ :

أ - نفي اللّازِمِ يَدُلُّ عَلَى نَفِي الملزومِ ؛ إذ نفي كونه حيواناً يَدُلُّ عَلَى نَفِي كونه =

٢٦- عَنْ ضَيْدٍ أَوْ شِبْهِ شَرِيكِ مُطْلَقًا وَوَالِدٍ كَذَّابًا وَالْأَصْدِقَاءَ

الثاني : أنَّها من باب : (مِثْلُكَ لَا يَبْخُلُ) بمعنى أنت لا تبخل^(١) ،
فالقصد نفي مثله تعالى بأبلغ وجه ؛ إذ هي أبلغ من الصريح ؛
لتضمُّنها إثبات الشيء بدليله اهـ . تقرير التَّفْرَوي^(٢) على
المصنِّف .

إنساناً .

ب - إثبات الملزوم يدُّ على إثبات اللازم ؛ إذ إثبات إنسانيته يدُّ على إثبات
حيوانيته .

ج - نفي الملزوم لا يدُّ على نفي اللازم ولا على إثباته ، فنفي إنسانيته
لا يدُّ على نفي حيوانيته أو إثباتها ، فيمكن أن يكون جامداً أو حيواناً غير
ناطق .

د - إثبات اللازم لا يدُّ على نفي الملزوم ولا على إثباته ، فثبوت الحيوانية
لا يدُّ على نفي الملزوم أو إثباته ، فيمكن أن يكون حيواناً ناطقاً أو حيواناً
غير ناطق .

(١) هذا على طريقة العرب من أنَّهم إذا قصدوا سَلَبَ أوصاف الذمِّ أو النقص عن
أحد لا يسندونها إليه تأدُّباً وتشريفاً ؛ فلذا كان قولك للكريم : مثلك لا يبخل ،
أحسن من قولك : أنت لا تبخل ؛ لأنَّ فيه إيهام اتصافه بالبخل ثم سلبه عنه .
فقوله : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ أحسن من قوله : ليس كالله شيء ، أو ليس مثله
شيء اهـ بتصرف من المقتدي بشرح الهدهدي على أم البراهين (٧٤) .

(٢) أحمد بن غنيم بن سالم شهاب الدين ، التَّفْرَوي الأزهري المالكي ، فقيه من
بلدة نَقْرَى بمصر نشأ بها ، وتفقه وتأدَّب ، ولد سنة (١٠٤٤هـ) ، وتوفي سنة
(١١٢٦هـ) في القاهرة . من كتبه : الفواكه الدواني ، التعليق على البسمة ،
شرح الرسالة النورية . انظر شجرة النور الزكية (٣١٨) ، سلك الدرر
(١٤٨/١) .

ج - صفات المعاني سبع

١ - القدرة

قوله : (وقدرة... إلخ)

لَمَّا تَكَلَّمَ عَلَى الصِّفَةِ النَّفْسِيَّةِ ، وَالصِّفَاتِ السَّلْبِيَّةِ ، شَرَعَ الْآنَ فِي الْكَلَامِ عَلَى صِفَاتِ الْمَعَانِي ، وَقَدَّمَهَا عَلَى الْمَعْنَوِيَّةِ ؛ لِكُونِهَا وَجُودِيَّةً وَأَصْلًا لِلْمَعْنَوِيَّةِ ؛ لِأَنَّ مَنْ وَجِبَ لَهُ الْعِلْمُ لَزِمَ مِنْهُ كَوْنُهُ عَالِمًا وَهَكَذَا... .

وَكَمَا تَسَمَّى صِفَاتِ الْمَعَانِي ، تَسْمَى الصِّفَاتِ الذَّاتِيَّةِ ؛ لِأَنَّهَا لَا تَنْفَكُ عَنِ الذَّاتِ ، وَالصِّفَاتِ الْوُجُودِيَّةِ ؛ لِأَنَّهَا مَتَحَقِّقَةٌ بِاعْتِبَارِ نَفْسِهَا^(١) ، وَإِضَافَةَ صِفَاتِ الْمَعَانِي لِلْبَيَانِ .

وصفات المعاني في اللغة : ما قابل الذات^(٢) ، فشمّل النفسية والسلبية^(٣) .

(١) أي : ليست مكتسبة ولا حادثة ، بل هي ثابتة متحققة بنفسها ، ليست مفتقرة إلى غيرها .

(٢) قوله : (ما قابل الذات) أي : أنَّ صفات المعاني ليست بذات ، بل هي عَرَضُ فِي الْحَادِثِ .

(٣) قوله : (شمّل النفسية والسلبية) كقولنا مثلاً : فلان كريم ، أو فلان يأبى الضيم ، فكلُّ من الكرم وإبَاء الضيم ، مقابل الذات .

٢٧- وَقُدْرَةٌ إِرَادَةٌ وَغَايِرَتْ أَمْرًا وَعِلْمًا وَالرِّضَا كَمَا ثَبَّتْ

واصطلاحاً: كلُّ صفة قائمة بموصوف زائدة على الذات موجبة له حكماً .

فخرج بقولنا: (قائمة بموصوف) السلبية ، وبقولنا: (زائدة على الذات) النفسية ، لأنها عين الذات ، وبقولنا: (موجبة له حكماً) المعنوية ؛ لأنها نفسها حكم^(١) ، وعلى القول بأنها أمور اعتبارية^(٢) فقد خرجت بقولنا : (قائمة بموصوف) .

وهذا التعريف للمعاني من حيث هي كانت لتقديم أو حادث ، وحينئذٍ فالفرق بين صفات القديم والحادث : أنَّ صفات القديم قديمة ولا تسمّى أعراضاً^(٣) ، وصفات الحادث حادثة وتسمّى أعراضاً .

وبدأ من صفات المعاني بالقدرة ، ومعناها :

لغة: القوّة .

واصطلاحاً : صفة أزليّة ، قائمة بذاته ، زائدة عليها ، يتأتّى بها إيجاد كلِّ ممكن وإعدامه ، على وفق الإرادة . وتعبيرنا بأزليّة دون

(١) فالعلم مثلاً يوجب كونه عالماً ، فصفة (كونه عالماً) معنوية ؛ لأنها نفسها حكم .

(٢) ذكر الباجوري - رحمه الله - أنَّ الصفات المعنويّة ليست بصفات ، إنما هي أمور اعتباريّة ، وهي عبارة عن الإخبار بأنَّ المعاني قائمة بالموصوف (ككونه قادراً وكونه عالماً . . .) أي قيام القدرة والعلم و . . . بذاته سبحانه . انظر تحفة المرید (٤٩) .

(٣) لأنَّ العَرَض من الطرؤ ، فالجاهل مثلاً عندما يعرض له العلم يصير عالماً ، فعلمه حادث ، أمّا علم الله سبحانه فليس بعَرَض ؛ لأنَّ الله اتَّصَف به من الأزل ، وكذلك بقيّة صفات الله تعالى .

٢٧ - وَقُدْرَةٌ إِرَادَةٌ وَغَايَرَتْ أَمْرًا وَعِلْمًا وَالرِّضَا كَمَا ثَبَتَ

قديمة : إمّا بناء على أنّ القديم والأزليّ مترادفان ، أو على أنّ الأزليّ أعمُّ من القديم^(١) ؛ لأنّه يشمل الذات والصفات والمعدوم^(٢) والموجود^(٣) ، وتخصيص القديم بالذات الواجبة الوجود .

فخرج بقولنا : (قائمة بذاته) السليبيّة ، وبقولنا : (زائدة عليها) النفسيّة^(٤) ، وبقولنا : (يتأتى بها إيجاد كلّ ممكن وإعدامه . . . إلخ) ما عدا المعرّف^(٥) ؛ لأنّ تعلق الإرادة التخصيص ، وتعلّق [العلم]^(٦) الانكشاف والإحاطة ، وتعلّق الكلام الدلالة ، والحياة لا تعلّق لها بشيء ، والسمع والبصر الانكشاف .

وخرج بقولنا : (كلّ ممكن) الواجبات كذات الله وصفاته ،

(١) قال الباجوري :

واعلم أنّ لهم في القديم والأزليّ ثلاثة أقوال :

- الأول : أنّ القديم هو الموجود الذي لا ابتداء لوجوده ، والأزليّ : ما لا أوّل له عدميّاً أو وجوديّاً ، فكلّ قديم أزليّ ولا عكس .
- الثاني : أنّ القديم هو القائم بنفسه الذي لا أوّل لوجوده ، والأزليّ ما لا أوّل له عدميّاً أو وجوديّاً ، قائماً بنفسه أو بغيره . . .
- الثالث : أنّ كلاّ منهما ما لا أوّل له عدميّاً أو وجوديّاً ، قائماً بنفسه أو لا ، وعلى هذا فهما مترادفان اهـ . تحفة المرید (٣٥) . وانظر ص (١٤٨ - ١٤٩) من هذا الكتاب .

(٢) المراد بالمعدوم هنا شريك الله ، فهو معدوم من الأزل .

(٣) المراد بالموجود ربُّنا سبحانه وتعالى .

(٤) لأنّه كما قال الأشعري : الوجود هو عين الموجود .

(٥) أي : القدرة ، وتعلّقها بالإيجاد ؛ لذلك خرج بقوله : (يتأتى بها إيجاد . . .) كلّ ما عداها ، وبيان ذلك ما أورده بعدّ بقوله : (لأنّ تعلق الإرادة . . .) .

(٦) ساقطة من (م) ، وأثبتناها من (د) .

٢٧- وَقُدْرَةٌ إِرَادَةٌ وَغَايِرَتْ أَمْرًا وَعِلْمًا وَالرِّضَا كَمَا ثَبَّتْ

والمستحيلات / كالشريك والولد ، فإنَّ القدرة لا تعلق لها بهما؛ لأنها ١٩/ب إن تعلقت بالواجب فإمّا أن تعدمه ، وهو محال ، وإمّا أن توجده ، وهو تحصيل الحاصل .

وإن تعلقت بالمستحيل فإمّا أن تتعلّق بإعدامه ، وهو تحصيل الحاصل ، أو بإيجاده وهو محال ، فتخلّف قدرة الله عن تعلقها بالواجب والمستحيل ليس بعجز^(١) .

ودخل في قولنا: (كل ممكن) أفعالنا الاختيارية ، ففيه ردٌّ على المعتزلة القائلين: بأنَّ العبد يخلق أفعال نفسه الاختيارية^(٢) .

وكما أنّ قدرة الله تتعلّق بالإيجاد ، تتعلّق بالإعدام على المشهور ، وقيل: لا تتعلّق بالإعدام ، بل إذا أراد الله إعدام شيء أمسك عنه المدد^(٣) .

(١) إذ ذلك ليس من تعلقها ، ويوضّح هذا بتمثيل هو: أن نطلب من إنسان النظر بأذنه في كتاب ، فتعجز الأذن عن النظر ، وهي في ذلك ليست بعاجزة حقيقة؛ لأنها يطلب منها غير وظيفتها؛ إذ وظيفتها السمع لا البصر .

(٢) فأفعالنا اكتسابية ، والخالق هو الله القائل: ﴿ هَلْ مِنْ خَلْقٍ عِندَ اللَّهِ ﴾ سورة فاطر (٣) و﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ سورة الصافات (٩٦) . انظر ص(٢٣٠) من هذا الكتاب .

(٣) وهو قول الأشعري الذي يقرّر فيه: أنّه لا حاجة لتعلّق القدرة بالإعدام ، إنّما يرى أنّه متى انقطع المدد الإلهي عن العبد رجع إلى صفته العدمية ، فيكون الانعدام بهذا الانقطاع لا بقوة . وذلك كالفتيل الذي انتهى زيتة ؛ فإنّه ينطفئ تلقائياً دون حاجة إلى قوّة تطفئه . انظر تحفة المرید (٤٠) . وحاشية الدسوقي على أم البراهين (٩٩) .

والتعاريف في صفات الباري - جلَّ وعلا - ليست حدوداً حقيقية^(١)، وإنما هي رسوم^(٢)؛ لأنَّه لا يعلم كنه ذاته وصفاته إلا هو. واعلم أنَّ أعدامنا^(٣) الأزلية لا تتعلَّق بها القدرة، ولا الإرادة اتِّفَاقاً لوجوبها، وأمَّا أعدامنا فيما لا يزال^(٤) السابقة على وجودنا، ووجودنا بعد عدمنا، واستمرار وجودنا، وإعدامنا بعد وجودنا، وإيجادنا يوم القيامة، فمن تعلَّقات القدرة والإرادة^(٥).

وأقسام الممكنات ستَّة، أشار لها بعضهم بقوله:

المُمْكِنَاتُ الْمُتَقَابِلَاتُ وَجُودُنَا وَالْعَدَمُ الصِّفَاتُ
أَزْمِنَةٌ أَمَكِنَةٌ جِهَاتُ كَذَا الْمُقَادِيرُ رَوَى الثَّقَاتُ^(٦)

(١) لأنَّ الحدَّ في علم المنطق تعريف بالجنس والفصل، وهو تعريف بالحقيقة، كقولنا مثلاً: (الإنسان حيوان ناطق) فكلمة حيوان (جنسٌ)، وكلمة ناطق (فصلٌ)، وهذه هي حقيقة الإنسان. أمَّا حقيقة الله - سبحانه - وصفاته فلا يعلمها إلا هو.

(٢) المراد بكلمة رسوم القسم الثاني من التعريفات في علم المنطق التي هي عند المناطقة ثلاثة أقسام: (الحدُّ، الرسم، التعريف باللفظ)، وأمَّا الحدُّ: فقد أشرنا إليه في التعليق الماضي. وأمَّا الرسم: فهو التعريف بالآثار كتعريف الإنسان بالحيوان الضاحك. وأمَّا التعريف باللفظ: فهو إبدال اللفظ بلفظ مرادف له أشهر منه، كتعريف الغضنفر بالأسد. انظر إيضاح المبهم للدمنهوري (٩).

(٣) أعدام جمع عدم، ومراده بهذا: أنَّ أعدامنا في الأزل واجبة، إذ كان الله ولا شيء معه، فلذلك لا تتعلَّق بها القدرة ولا الإرادة؛ إذ تعلَّقتُما بالجائز لا بالواجب. انظر تحفة المريد (٤٠).

(٤) أي: بعد الأزل.

(٥) لأنَّ كلَّ المذكورات جائزة الوجود، فلذلك تعلَّقتُ بها القدرة والإرادة.

(٦) ومعنى كونها متقابلات أنها متباينات. فالوجود يقابل العدم وبالعكس. وبعض =

٢٧ - وَقُدْرَةٌ إِرَادَةٌ وَغَايِرَتْ أَمْرًا وَعِلْمًا وَالرِّضَا كَمَا ثَبَّتْ

ومعنى على وفق الإرادة: أَنَّ ما خَصَّصه بإرادته أبرزه بقدرته ،
فالإرادة سابقة على القدرة^(١).

إن قلت: إنَّهما قديمان فلا يتصور سَبْقِيَّة.

أجيب: بأنَّ السَّبْقِيَّة بالنظر للتعلُّق التنجيزي ، لا بالنظر لذات
الصفات^(٢) ، ولا للصلاحيَّة.

ودليل اتِّصافه بالقدرة أن تقول: الله صانع قديم له مصنوع حادث ،
وكلُّ ما كان كذلك لا بدَّ له من قدرة يُوجد بها الأشياء ويُعَدِّمها ، فينتج:
الله لا بدَّ له من قدرة.

= الصفات يقابل بعضاً ، فكونه أبيض مثلاً يقابل كونه أسود . وبعض الأزمنة يقابل
بعضاً ، فكونه في زمن الطوفان مثلاً يقابل كونه في زمن سيدنا محمد ﷺ .

وبعض الأمكنة يقابل بعضاً ، فكونه في مكان كذا كمصر يقابل كونه في مكان
غيره . وبعض الجهات يقابل بعضاً ، فكونه في جهة المشرق يقابل كونه في جهة
المغرب . وبعض المقادير يقابل بعضاً ، فكونه طويلاً مثلاً يقابل كونه قصيراً اهـ .
تحفة المريد بتصرف (٤١) . وانظر حاشية الدسوقي على أم البراهين (١٠٠) .

(١) أي: إنَّ إرادة الله سبحانه خَصَّصت أيَّ مخلوق بشيء من الممكنات الستة
المتقابله ، فأبرزته قدرة الله عزَّ وجلَّ ، وجائز على هذا المخلوق أن يكون بغير
هذه الصفات والأزمنة والأمكنة والجهات والمقادير .

(٢) إذ الصفات بذاتها أزلية ، أمَّا بالتعلُّق التنجيزي فالإرادة سابقة على القدرة؛ لأنَّ
القدرة أنجزت ما خَصَّصته الإرادة . وعليه فتعلُّق القدرة التنجيزي الحادث بعد
تعلُّق الإرادة التنجيزي القديم .

٢ - الإِرادَةُ

قوله: (إرادة)

هي لغة: القصد.

واصطلاحاً: صفة أزليّة زائدة على الذات قائمة بذاته تعالى ، شأنها تخصيص الممكن ببعض ما يجوز عليه .

فقولنا: (قائمة بذاته تعالى) يعني أنّ ذاته متّصّفة بها.

وقولنا: (ببعض ما يجوز عليه) أي: وهو واحد من الستّة المتقدّمة ، فلا يخرج عن إرادة الله شيء من الممكنات ؛ لأنّ تعلقها كتعلّق القدرة ، فلا تتعلّق بالواجبات ولا بالمستحيلات ، وإنّما تتعلّق بالممكنات خيرها وشرّها ، فالشروع والقبائح بإرادة الله كغيرها .

الفرق بين الإِرادَةِ وكلِّ من الأمر والعلم والرضا

قوله: (وغيرت أمراً... إلخ)

حاصل ذلك أنّ القسمة رباعيّة؛ لأنّه:

١ - إمّا أن يأمر ويريد ، كإيمان المؤمنين والأنبياء ، أمرهم به وأراده منهم بدليل وقوعه .

٢ - وإمّا أن لا يريد ولا يأمر ، / ككفر من ذكر ، لم يأمرهم به ولم يرده منهم ؛ إذ لو أراد لوقع .

٣ - وإمّا أن يأمر ولا يريد ، كإيمان أبي جهل وإبليس وأضرابهما ،

٢٧ - وَقُدْرَةُ إِرَادَةٍ وَعَايِرَتٌ أَمْرًا وَعِلْمًا وَالرِّضَا كَمَا ثَبَتَ

أمرهم بالإيمان ولم يرده منهم؛ إذ لو أراداه لوقع .
 ٤ - وإمّا أن يريد ولا يأمر ، ككفر من ذكر ، أراداه منهم بدليل وقوعه منهم ، ولم يأمرهم به .

فبيّن الأمر والإرادة عموم وخصوص من وجه^(١) ، يجتمعان في إيمان المؤمنين ، وينفرد الأمر دون الإرادة في إيمان الكافرين ، وتنفرد الإرادة دون الأمر في كفرهم .

واختلف العلماء في جواز نسبة فعل الشرّ لله ، واستحسن بعض المتأخّرين جوازه في مقام التعليم لا في غيره ، وهو المعتمد ، وكذا يقال في نحو: خالق القردّة والخنازير وكلّ أمر خسيس ، فلا يجوز: سبحان من رزق الهدهد ، وسبحان من دبّب الشوك ، إن لم يكن في مقام التعليم .

وقوله: (أمرًا)

أي نفسياً: وهو اقتضاء فعلٍ غير كفّ^(٢) مدلولٍ عليه بلفظ غير نحو كُفّ .

(١) وضابط العموم والخصوص الوجهي: أن يجتمعا في مادة ، وينفرد كل منهما في مادة أخرى . وذلك كما في النسبة بين معنى الإنسان والأبيض ؛ فإنهما يجتمعان في الإنسان الأبيض وينفرد الإنسان في الأسود مثلاً كما ينفرد الأبيض في الثلج والقطن . انظر المنطق المفيد للبهنسي (١/٣٦) .

(٢) أي: فعل إيجابي لا سلبي كقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ سورة البقرة (٤٣) ، أمّا الكُفّ فهو النهي كقولنا مثلاً: (كُفّ عن كذا) .

قال الأمير:

قوله: (غير كُفّ) بفتح الكاف استثناء متصل ؛ فإن الكُفّ فعل من أفعال النفس .
 قوله: (مدلول) صفة لكُفّ المخرَج ، ومصدوق الغير لا تفعل ، فالاقتضاء ، أي: طلب الكُفّ من حيث دلالتها عليه نهي ، وأمّا إن دلّ عليه بكُفّ بضم =

قوله: (وعلماً)

أي: لأنَّ تعلُّقه تعلُّق انكشاف عامٍّ في الواجبات والجائزات والمستحيلات^(١).

قوله: (والرِّضا)

هو قبول الشيء والإثابة عليه ، وحينئذٍ فيبين الأمر والرِّضا تلازم؛ لأنَّهُ لا يأمر إلا بما يرضاه .

قوله: (كما ثبت)

أي: بالدليل العقليِّ ، وهو أن تقول: الله صانع للعالم بالاختيار ، وكلُّ ما كان كذلك تجب له الإرادة ، فينتج : الله تجب له الإرادة .
واعلم أنَّهم اختلفوا في معنى إرادته تعالى ، قال سعد الدِّين^(٢) في شرح المقاصد:

- فعندنا هي صفة قديمة زائدة على الذات . . . إلخ ما تقدّم^(٣) .
- وعند الجُبَّائي^(٤) : صفة زائدة على الذات قائمة لا بمحلِّ .
- وعند الكرَّامية^(٥) : صفة حادثة قائمة بالذات .

= الكاف ، ونحوها كاترك ، كان أمراً بهذا الاعتبار ، فالمغايرة إضافية . فتأمل .
حاشية الأمير على إتحاف المرید (٨٣-٨٤) .

(١) بينما تعلُّق الإرادة خاصٌّ بالجائزات فحسب ، لذلك غايرت الإرادة العلم .

(٢) سبقت ترجمته ص (١٤٩) .

(٣) انظر تعريف الإرادة في ص (١٧٤) من هذا الكتاب .

(٤) سبقت ترجمته ص (٨١) .

(٥) أصحاب أبي عبد الله محمد بن كرام ، كانوا ممَّن يثبتون الصفات ، إلا أنَّهم

ينتهون فيها إلى التجسيم والتشبيه ، وهم طوائف بلغ عددهم اثنتي عشرة =

٢٧- وَقْدَرَةُ إِرَادَةٌ وَغَايَرَتْ أَمْرًا وَعِلْمًا وَالرِّضَا كَمَا ثَبَّتْ

- وعند ضرار^(١): نفس الذات .
 - وعند النجار^(٢): صفة سلبية، هي كون الفاعل ليس بمكره ولا ساه^(٣).
 والحق ما ذكرنا^(٤).^(٥)

= فرقة . انظر الملل والنحل (١٠٨/١).

(١) ضرار بن عمرو الغطفاني ، قاضي من كبار المعتزلة ، طمع برياستهم في بلده ، ولم يدركها فخالفهم ، فكفروه وطرده . صنّف نحو ثلاثين كتاباً بعضها في الردّ عليهم وعلى الخوارج . قال الجشمي : ومَنْ عدّه من المعتزلة فقد أخطأ ؛ لأننا نبتزأ منه فهو من المجبرة . الأعلام (٢١٥/٣) ، لسان الميزان (٢٠٣/٣) .

(١) الحسين بن محمّد بن عبد الله النجار الرازي ، رأس الفرقة النجارية من المعتزلة ، وإليه نسبتها ، وهو من متكلّمي المجبرة ، له مع النّظام عدّة مناظرات ، وله كتب منها : البدل ، والقضاء والقدر . توفي سنة (٢٢٠هـ) .

انظر اللّباب في تهذيب الأنساب (٢٩٨/٣) ، كشف الظنون (٣٠٣-٣٠٤) .

(٣) انظر قول سعد الدين هذا في شرح المقاصد (٦٩/٢ - ٧٠) .

(٤) تنفي عبارة المصنّف : (والحقّ ما ذكرنا) قول كلّ من الجُبائي والكرّامية وضرار والنجار ، وقد أتى بأقوالهم من قبيل الأطلاق فحسب .

(٥) انظر التفسير الكبير للإمام الفخر الرازي في تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ سور يس (٨٢) ، وفي الردّ على أقوال بعض الفرق التي ذكرها الإمام الصاوي هنا . (١١٠/٢٦) وما بعدها .

وانظر المعتمد في أصول الدين لأبي يعلى الحنبلي في الردّ على هذه الفرق ص(٧٤) وما بعدها .

وانظر كتاب الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد للجويني ص(٩٤) وما بعدها في الردّ على هذه الفرق .

٣ - العلم

قوله: (وَعِلْمُهُ)

هذه هي الصفة الثالثة من صفات المعاني وهي:

صفة أزلية قائمة بذاته تعالى، تتعلق بالواجبات والجائزات والمستحيلات تعلق إحاطة وانكشاف^(١).

والدليل على ثبوت العلم له تعالى أن تقول: الله صانع للعالم صنفاً متقناً بالإرادة والاختيار، وكلُّ من كان كذلك يجب له العلم، ينتج: الله يجب له العلم.

إن قلت: إنَّ هذا الدليل أفاد علمه بالجائزات فقط لا الواجبات والمستحيلات.

قلت: علمه بالواجبات والمستحيلات مأخوذ من عدم افتقاره للمخصَّص؛ لأنَّه لو لم يعلم ذاته وصفاته، وأنَّ الشريك مستحيل عليه، لكان محتاجاً لمن يكمله.

قوله: (ولا يقال مكتسب)

أي: ناشيء عن نظر واستدلال^(٢)، أو متجدد بعد عدم، فيلزم عليه

(١) المراد بالانكشاف ظهور الشيء من غير سبق خفاء. انظر تحفة المرید (٤٣).

(٢) لأنَّه إن نشأ عن نظر واستدلال فقد سبقه جهل؛ لذلك ليس علمه سبحانه مكتسباً، إنَّما هو أزلِّي. انظر تحفة المرید (٤٤).

٢٨- وَعِلْمُهُ وَلَا يُقَالُ مُكْتَسَبٌ فَاتَّبِعْ سَبِيلَ الْحَقِّ وَاطْرَحِ الرَّيْبَ

قيام الحادث به - تعالى / الله عن ذلك - وما ورد ممَّا يوهم اكتساب ٢٠/ب علمه مؤوَل ، قال تعالى : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنُعَلِّمَهُمْ ﴿١﴾ فظاهر الآية أَنَّ بإيقاظهم يتجدد علم الله ، وحاصل التأويل أن تقول : إِنَّ قوله : (لنعلم) ، أي : لِيُظْهَرَ لَهُمْ مُتَعَلَّقٌ عَلِمْنَا ، أي : لِنُعَلِّمَهُمْ ، واللام للعاقبة والفائدة ، لا للعلَّة .

قوله : (فاتبع سبيل الحق) أي : طريق الحكم المطابق للواقع .

قوله : (واطرح الرِّيب) جمع ريبة أي : اطرح الشكوك ، وكلام أهل الزبيغ^(٢) القائلين بعدم اتصافه بصفات المعاني ؛ لثلاً يلزم عليه تعدد القدماء .

(١) سورة الكهف (١٢) وتامها : ﴿ ... أَيُّ الْحَزِينِ أَخَصِّنَ لِمَا لَيْسُوا أَمْدًا ﴾ .

(٢) وهم المعتزلة الذين يقولون بعدم وجود صفات المعاني (القدرة والإرادة والعلم . . .) ويرون في ذلك تعدد القدماء ؛ لأنَّ الصفات المذكورة قديمة عند أهل السنَّة والجماعة ، ويتَّهمون أهل السنَّة بالإشراك ، ويقولون عن أنفسهم بأنهم أهل التوحيد والعدل ؛ لأنهم وحدوا القديم ، ولم يعددوه ، وسيأتي الردُّ الصريح عليهم في قوله :

مُتَكَلِّمٌ ثُمَّ صِفَاتُ الدَّاتِ لَيْسَتْ بِغَيْرٍ أَوْ بَعَيْنِ الدَّاتِ
وانظر مقالات الإسلاميين للأشعري ص(٤٨٣) ، والإرشاد إلى قواطع الأدلة
في أصول الاعتقاد للجويني (٧٩) ، والتمهيد للباقلاني ص(٩٧) والردُّ عليهم .

٤ - الحياة

قوله: (حياته)

هذه هي الصفة الرابعة من صفات المعاني ، وهي صفة أزلية قائمة بذاته تقتضي صحّة العلم والقدرة والإرادة والكلام والسمع والبصر^(١) .
ودليل اتّصافه تعالى بها أن تقول: الله متّصف بالقدرة والإرادة والعلم ، وكلُّ من كان كذلك تجب له الحياة ، ينتج: الله تجب له الحياة؛ إذ لا يتصوّر قيامها بغير حيٍّ ، وحياة الله أزلية لا بروح ، بخلاف حياة الحادث فإنّها بالروح .

٥ - الكلام

قوله: (كذا الكلام)

هذه هي الصفة الخامسة من صفات المعاني ، ودليلها هي وما بعدها نقليٌّ ، وسيأتي في قوله: (..بذي أتانا السمع)؛ لأن صنع العالم لا يتوقّف على الاتصاف بها^(٢) .

(١) أي: من لم يكن متّصفاً بصفة الحياة لا يصحُّ أن يتّصف بهذه الصفات: (العلم والقدرة والإرادة...).

(٢) أي: بالصفات التي أشار إلى أنّ دليلها نقليٌّ ، وأمّا قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَضَيْتَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ فالأمر في هذه الآية ليس قولاً ولا أمراً على حقيقته ، بل هو عبارة عن تعلق القدرة التجزيّي الحادث ، كُنّي عنه بقوله: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ وإلا فكيف يخاطب الشيء قبل وجوده؟

وانظر التفسير الكبير للإمام الفخر الرازي في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ

٢٩ - حَيَاتُهُ كَذَا الْكَلَامُ السَّمْعُ ثُمَّ الْبَصَرُ بِذِي أَتَانَا السَّمْعُ

إن قلت: إنه يمكن أن يكون دليلها عقلياً ، وتقريره أن تقول: لو لم يتَّصَف بها لَاتَّصَف بضعدها وهو نقص ، والتَّقْص عليه محال .

أجيب: بأن التَّقْص مشاهد في الحوادث ، ولا يقاس القديم على الحادث ؛ لأنَّ كمال الحادث لا يلزم أن يكون كمالاً في حقِّ الله ، ألا ترى الزوجة والولد؛ فإنهما كمال في حقِّ الحادث لا القديم ، فضَعْف الدَّلِيل الْعَقْلِي^(١) .

ثمَّ إِنَّ الْكَلَام فِي حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى صِفَةٌ أَرْلِيَّةٌ قَائِمَةٌ بِذَاتِهِ ، لَيْسَتْ بِحَرْفٍ وَلَا صَوْتٍ ، مَنَافِيَةٌ لِلشُّكُوتِ وَالْآفَةِ ، تَتَعَلَّقُ بِالْوَاجِبَاتِ وَالْجَائِزَاتِ وَالْمُسْتَحِيلَاتِ تَعَلُّقٌ دَلَالَةٌ .

واعلم أنَّ كَلَامَ اللَّهِ يَطْلُقُ بِالِاشْتِرَاكِ عَلَى الْحَسِيِّ ، وَعَلَى النَّفْسِيِّ : الَّذِي هُوَ الصِّفَةُ الْقَدِيمَةُ ، فَهُوَ حَقِيقَةٌ عَرَفِيَّةٌ فِي كُلِّ^(٢) .

- فَالْحَسِيِّ^(٣) : مَا كَانَ بِحَرْفٍ وَصَوْتٍ ، وَمَدْلُولُهُ بَعْضُ مَدْلُولِ

= أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿ سورة يس (٨٢) .

- (١) والحقُّ أنَّ الدَّلِيلَ عَلَى الصِّفَاتِ يَنْقَسِمُ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ :
الأوَّل: عقلي يؤيِّده السَّمْعُ ، وَذَلِكَ فِي الْبَرَهَانِ عَلَى (الوجود والقدم والبقاء . . .)
والثاني: سمعيُّ يؤيِّده العقلُ ، وَذَلِكَ فِي الْبَرَهَانِ عَلَى (السَّمْعِ وَالْبَصْرِ وَالْكَلامِ) .
والثالث: ما اختلف فيه ، وهو الوحدانية ، فقيل: دليلها سمعي ، وقيل: عقلي .
والأصحُّ أنَّ دليلها عقليُّ . تحفة المريد (٢١) بتصرف .
- (٢) أي: إنَّ كَلَامَ اللَّهِ حَقِيقَةٌ عَرَفِيَّةٌ فِي الْكَلَامِ الْحَسِيِّ وَالْكَلامِ النَّفْسِيِّ ، وَلَيْسَ هُوَ حَقِيقَةً فِي وَاحِدٍ مَجَازِيًّا فِي الْآخَرِ .

(٣) أي: اللفظي وهو حادث والله سبحانه لا يتكلَّم به بل خلَّقه الله في اللوح المحفوظ ، وأنزله على جبريل ، ونزل به جبريل على سيِّدنا مُحَمَّدٍ ﷺ بالمعنى واللفظ جميعاً على الراجح . انظر حاشية الأمير على إتحاف المريد (٨٨) ، وتحفة المريد (٤٥-٤٦-٥٩) .

الكلام النفسي القديم القائم بذاته تعالى .

- والنفسي^(١) : ما ليس بحرف ولا صوت ، ولا يوصف بتقديم ولا تأخير ، ولا تقسيم ، ولا بداية ولا نهاية^(٢) ، يتعلّق بما يتعلّق به العلم^(٣) ، وهو قديم ليس بمخلوق .

فالكتب السماوية دالة على بعض مدلول الكلام النفسي ، ولا يحيط بكلّ مدلوله إلا هو^(٤) ؛ [لأنّ مدلول الكلام النفسي : الواجبات والمستحيلات والجائزات تفصيلاً . وأمّا الكتب السماوية فقد دلّت على بعض الواجبات

(١) يوضّح الكلام النفسي بالخواطر الداخلية في النفس التي تُترجم عن طريق اللسان بالكلام الحسي كما قال الأخطل :

إِنَّ الْكَلَامَ لَنَفْسِي الْفُؤَادِ وَإِنَّمَا جُعِلَ اللَّسَانُ عَلَى الْفُؤَادِ دَلِيلًا

(٢) الله سبحانه متكلم في كلّ لحظة بجميع كلماته ، ويوضّح ذلك : بتصور العبد مثلاً قانوناً في الرياضيات بجميع أجزائه في كلّ لحظة ، وذلك من قبيل إحاطة علم العبد في هذه المسألة ، فكيف والله - جلّ وعلا - محيط بكلّ شيء في كلّ لحظة؟! والله المثل الأعلى .

(٣) أي : بجميع الواجبات والجائزات والمستحيلات ، وتكلم الله سبحانه وتعالى على الواجبات كقوله : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾ سورة الحشر (٢٢) .

وتكلمه على الجائزات كقوله : ﴿ إِنَّ قُرُونًا كَانَتْ مِنْ قَوْمِ مُوسَى ﴾ سورة القصص (٧٦) .

وتكلمه على المستحيل كقوله : ﴿ مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَتْ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ ﴾ سورة المؤمنون (٩١) . انظر تحفة المرید (٤٥) .

(٤) إذ لو كانت الكتب السماوية دالة على كلّ مدلول الكلام النفسي لكان علم الرسل مساوياً لعلم الله تعالى ، وذلك مستحيل . انظر ص (٢٠٢-٢٠٣) من هذا الكتاب .

٢٩- حَيَاتُهُ كَذَا الْكَلَامُ السَّمْعُ ثُمَّ الْبَصَرُ بِذِي أَتَانَا السَّمْعُ

تفصيلاً ، وكلّ الواجبات إجمالاً ، وكذا المستحيلات والجائزات^(١) .

وتكليم الله لموسى على الجبل كان / بالكلام النفسي على التحقيق ١/٢١
عند الأشاعرة وبعض الماتريدية ، خلافاً للمعتزلة^(٢) والبعض الآخر من
الماتريدية .

فتقسيم الكلام إلى أمر ونهي ، وخبر واستخبار ، ووعده ووعيد ، إنّما
هو لتلك المدلولات التي دلّ عليها الكلام الحسيّ ، وأمّا الصفة القديمة
فيستحيل انقسامها كما علمت .

أخرج الطبراني^(٣) عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال :

«أَوْحَى اللهُ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنِّي جَعَلْتُ فِيكَ عَشْرَةَ آلِفِ

(١) وردت هذه الفقرة في (م) على النحو التالي: [... لأنّ مدلول الكلام النفسي

الواجبات تفصيلاً ، وكذا الواجبات إجمالاً ، وكذا المستحيلات والجائزات .

وتكليم الله لموسى ...] وأثبتنا ما في (د) . وبعد الرجوع إلى حاشية الصاوي

على شرح الخريدة ص(٧٠) تبين أن العبارة التي أثبتناها هي الصحيحة .

(٢) تقول المعتزلة : إنّ التكليم كان بالأصوات التي خلقها الله في الشجرة ، وأسمعها

موسى عليه الصلاة والسلام . انظر تحفة المريد (٤٧) .

والمعتزلة ينفون الكلام النفسيّ لله تعالى ، ويقولون : الكلام مخلوق حادث .

انظر مقالات الإسلاميين للأشعري ص(١٩٢ - ١٩٣) .

(٣) سليمان بن أحمد بن أيوب ، أبو القاسم من كبار المحدثين ، أصله من طبرية

الشام ، وُلِدَ بَعْدَ سَنَةِ (٢٦٠ هـ) ، تَوَفَّى بِأَصْبَهَانَ سَنَةَ (٣٦٠ هـ) . له المعجم

الصغير والأوسط والكبير ، وكتب في التفسير ، ودلائل النبوة . انظر النجوم

الزاهرة (٥٩/٤) ، وفيات الأعيان (٤٠٧/٢) .

٢٩- حَيَاتُهُ كَذَا الْكَلَامُ السَّمْعُ ثُمَّ الْبَصَرُ بِذِي أَتَانَا السَّمْعُ

سَمِعَ حَتَّى سَمِعْتَ كَلَامِي ، وَعَشْرَةَ آلَافٍ لِسَانٍ حَتَّى أَجَبْتَنِي»^(١) .
وأخرج القضاعي^(٢) : «إِنَّ اللَّهَ نَاجَى مُوسَى بِمِئَةِ أَلْفٍ وَأَرْبَعِينَ أَلْفَ
كَلِمَةٍ ، فَأَشْرَقَ وَجْهُهُ بِالثُّورِ لَمَّا جَاءَ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ ؛ لِيَعْرِفَ النَّاسُ صِدْقَ
مَا أَدْعَاهُ ، فَمَا رَأَاهُ أَحَدٌ إِلَّا عَمِي ، فَكَانَ يَمْسَحُ الرَّائِيَّ إِلَيْهِ - أَي : وَجْهَهُ -
بِثُوبٍ مِمَّا عَلَيْهِ ، فَيَرُدُّ اللَّهُ عَلَيْهِ بَصَرَهُ ، فَتَبَرَّقَعَ ؛ لِئَلَّا تَذَهَبَ أَبْصَارُ النَّاسِ
عِنْدَ رُؤْيَيْهِ ، وَبِقِيِّ الْبُرْقُوعِ عَلَى وَجْهِهِ إِلَى أَنْ مَاتَ ، وَكَانَ يُسَدُّ أُذُنَيْهِ بَعْدَ
رُجُوعِهِ مِنَ الْمَنَاجَاةِ مُدَّةً ؛ لِئَلَّا يَسْمَعَ كَلَامَ النَّاسِ ، فَيَمُوتَ مِنْ وَحْشَةِ
قُبْحِهِ»^(٣) ، وَصَارَ يَسْمَعُ دَيْبَبَ النَّمْلَةِ السَّوْدَاءِ فِي اللَّيْلَةِ الظُّلْمَاءِ مِنْ مَسِيرَةِ
عَشْرَةِ فَرَاسِخَ»^(٤) .

(١) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٢٧٥) . وابن الجوزي في الموضوعات (١١٢/١-١١٣) . والبزّار . وابن أبي حاتم . وأبو نعيم . وهو حديث منكر لا أصل له ، ولم نجده عند الطبراني كما ذكر المؤلف .
والأشبه أنه من الإسرائيليات فقد أخرج نحوه الحكيم في النوادر عن كعب الأبحار كما في الدر المنثور (٥٣٦/٣) .

(٢) محمد بن سلامة بن جعفر أبو عبد الله القضاعي ، من علماء الشافعية ، توفي سنة (٤٥٤ هـ) .

من كتبه: الإنباء عن الأنبياء ، تواريخ الخلفاء ، دُرّة الواعظين . انظر وفيات الأعيان (٢١٢/٤ - ٢١٣) .

(٣) يقول الباجوري: (. . .) لِأَنَّهُ صَارَ عِنْدَهُ كَأَشَدِّ مَا يَكُونُ مِنْ أَصْوَاتِ الْبَهَائِمِ الْمُنْكَرَةِ ، بِسَبَبِ مَا ذَاقَ مِنَ اللَّذَّةِ الَّتِي لَا يَحَاطُ بِهَا عِنْدَ سَمَاعِ كَلَامِ مَنْ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ . اهـ تحفة المرید (٤٧) .

(٤) الذي أخرجه القضاعي في مسند الشهاب (١٤٥٨) هو الشطر الأوّل فقط .
وأخرجه الطبراني في الكبير (١٢) برقم (١٢٦٥٠) ، وليس في كلا الروايتين =

٢٩ - حَيَاتُهُ كَذَا الْكَلَامُ السَّمْعُ ثُمَّ الْبَصَرُ بِذِي أَتَانَا السَّمْعُ

وقال سيدي علي الخوَّاص^(١): نشأة أهل الجَنَّة مخالفة لنشأة أهل الدُّنيا التي نحن عليها صورةً ومعنى ، كما أشار إليه حديث: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ»^(٢). فيبصر الإنسان في الجَنَّة بسائر جسده ، ويسمع كذلك ، ويأكل كذلك ، ويشمُّ كذلك ، وينطق كذلك ، ويدرك كذلك ، وهذا القدر القليل من أحوال الجَنَّة يبعده عقل من يسمع ذلك ، فكيف بغير القليل ممَّا هو أعظم من ذلك؟! . وقال: ولم أرَ أَحَدًا تكلَّم على ما ذكرته غير سيِّدي عمر بن الفارص^(٣) - رضي الله عنه - في

= ما سرده الصاوي سوى اللفظ الأوَّل ، وإسناده تالف ساقط .

وقوله: «صار يسمع دبيب النملة السوداء...» أخرجه الطبراني في الصغير (٤٦).
وبقيَّة الكلام ليس من كلام النبي ﷺ ، وإنما هو من الإسرائيليات ، أخرجه أبو الشيخ وابن المنذر بنحوه كما في الدر المنثور (٣/٥٣٧).

(١) علي البرلسي الخوَّاص ، أحد العارفين بالله تعالى ، أستاذ الشيخ عبد الوهَّاب الشعراني ، كان عليًّا أميًّا ، لا يقرأ ولا يكتب ، ومع ذلك يتكلَّم على الكتاب والسنة ، توفي سنة (٣٩٣هـ) ، ودفن بمصر . انظر الكواكب السائرة (٢/٢٢٠-٢٢١) ، لواقح الأنوار (٢/١٥٠) ، لطائف المنن (١/٢٦).

(٢) أخرج البخاري (٣٢٤٤) . ومسلم (٢٨٢٤) عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : قال الله عز وجل : «أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ» . وأخرجه مسلم (٢٨٢٥) عن سهل بن سعد مرفوعاً .

(٣) عمر بن عليِّ بن مرشد الحموي الأصل ، المصريُّ المولد والدار والوفاة ، أشعر المتصوفين ، يلقَّب بسلطان العاشقين ، في شعره فلسفة تتصل بما يسمَّى بوحدة الوجود ، وُلد سنة (٥٧٦هـ) ، وتوفي سنة (٦٣٢هـ) . له ديوان شعر . انظر وفيات الأعيان (٣/٤٥٤) ، شذرات الذهب (٥/١٤٩ - ١٥٣).

٢٩ - حَيَاتُهُ كَذَا الْكَلَامُ السَّمْعُ ثُمَّ الْبَصَرُ بِذِي أَتَانَا السَّمْعُ

تأنيته اهـ^(١) ملخصاً من السحيمي^(٢).

فإذا علمت ذلك فلا تستغرب قول العلماء: (إنَّ موسى سمع الكلام بجميع أجزائه ، من جميع جهاته).

٦ - السَّمْعُ

قوله: (السَّمْعُ)

هذه هي السادسة من صفات المعاني وهي: صفة أزلية قائمة بذاته تعالى تتعلق بجميع الموجودات^(٣) تعلق إحاطة وانكشاف ، وهذا هو

(١) انظر المقتدي بشرح الهددي للسحيمي (١٠٥).

(٢) في (د) زيادة هي: [أي حيث قال:

يُشَاهِدُ مِنِّي حُسْنَهَا كُلُّ ذَرَّةٍ	بِهَا كُلُّ طَرْفٍ جَالٍ فِي كُلِّ طَرْفَةٍ
وَيُثْنِي عَلَيْهَا فِي كُلِّ لَطِيفَةٍ	بِكُلِّ لِسَانٍ طَالٍ فِي كُلِّ لَفْظَةٍ
وَأَنْشَقُ رِيَاهَا بِكُلِّ رَقِيقَةٍ	بِهَا كُلُّ أَنْفٍ نَاشِقٍ كُلِّ هَبَةٍ
وَيَسْمَعُ مِنِّي لَفْظَهَا كُلُّ بَضْعَةٍ	بِهَا كُلُّ سَمْعٍ سَامِعٍ مُتَنَصِّتٍ
وَيَلْتَمُّ مِنِّي كُلُّ جِزءٍ لِشَامَهَا	بِكُلِّ فَمٍ فِي لَثْمِهِ كُلِّ قُبْلَةٍ]

انظر الأبيات في ديوان ابن الفارض (٦٩).

(٣) فيسمع سبحانه وتعالى كلاً من الأصوات والذوات ، ويصير جميع الموجودات حتى الأصوات ولو خفية جداً ، كدبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء . بمعنى أن كلاً منكشف لله بسمعه وبصره .

ولكن يجب اعتقاد أن الانكشاف بالسمع غير الانكشاف بالبصر ، وأن كلاً منهما غير الانكشاف بالعلم ، ولكل حقيقة يفوض علمها الله تعالى اهـ . تحفة المرید ص (٤٦) بتصرف .

٢٩- حَيَاتُهُ كَذَا الْكَلَامُ السَّمْعُ ثُمَّ الْبَصَرُ بِذِي أَتَانَا السَّمْعُ

التحقيق عند السنوسي^(١) والأشعري^(٢)، لا بالمسموعات فقط خلافاً للسعد^(٣).

٧ - الْبَصَرُ

وكذا (البَصَر) الذي هو الصفة السابعة ، فالخلاف فيه أيضاً ، والحقُّ أنَّ تعلُّقه بالموجودات لا بالمبصَّرات ، فيسمع الأصوات ، ولو خفيةً جداً كدبيب النملة السوداء في الليل المظلم . وكذا يونس وهو في قعر البحر في بطن الحوت ، فنداؤه ونداء سيدنا محمد ليلة الإسراء^(٤) فوق السموات السبع مستويان له تعالى ، ويبصر الأشياء ، ولو دقيقة ، قال بعضهم :

يَا مَنْ يَرَى مَدَّ الْبَعُوضِ / جَنَاحَهَا فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ الْبَهِيمِ الْأَلِيلِ ٢١/ب
ولكنَّ سَمِعَ اللهُ تَعَالَى لَيْسَ بِصِمَاخٍ وَأَذَانٍ ، وَبَصْرُهُ لَيْسَ بِحَدَقَةٍ
وَأَجْفَانٍ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾^(٥).

قوله : (بذي أتانا السَّمْع)

اسم الإشارة عائد على الصِّفَات الثلاثة : الكلام والسمع والبصر .
أي : إِنَّ دَلِيلَ هَذِهِ الصِّفَاتِ الثَّلَاثَةِ نَقْلٌ مِنْ الْكِتَابِ وَالسَّنَةِ وَالْإِجْمَاعِ

(١) سبقت ترجمته ص (١٠٥ - ١٠٦) .

(٢) سبقت ترجمته ص (٨٧) .

(٣) إذ يرى السَّعْدُ التَّفْتَازَانِي - رضي الله عنه - أنَّ السَّمْعَ يَتَعَلَّقُ بِالْمَسْمُوعَاتِ فَقَطْ ، أَي بِالْأَصْوَاتِ خَاصَّةً لَا بِالْمَوْجُودَاتِ عَامَّةً . انظر شرح العقائد النسفية (١٠٧) .

(٤) أخرج حديث الإسراء والمعراج البخاري (٣٨٨٧) . ومسلم (١٦٢) وما بعدها .

(٥) سورة الشورى (١١) .

٣٠- فَهَلْ لَهُ إِدْرَاكٌ أَوْ لَا خُلْفٌ وَعِنْدَ قَوْمٍ صَحَّ فِيهِ الْوَقْفُ

والتواتر ، قال تعالى : ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾^(١) ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾^(٢) .

وأجمع أهل الأديان والعقلاء على أنه تعالى سميع بصير متكلم ، والمشتق يدلُّ على المشتقِّ منه . خلافاً للمعتزلة النافين للمعاني ، حيث قالوا : سميع بلا سمع ، بل بذاته وهكذا^(٣) .

وأما إنكار كونه سمياً وهكذا ، فهو كفر ؛ لأنه صادم الوارد صراحة ، وإنما كانت أدلة هذه الصفات الثلاثة نقلية ؛ لأنَّ إيجاد العالم ليس متوقفاً عليها ؛ لأنَّ صفة العلم مغنية عنها ، فإنَّ الفرض أنَّ علمه محيط بحقائق الواجبات والجائزات والمستحيلات على ما هي عليه تفصيلاً في كل جزئية ، فهو غنيٌّ عن المؤكِّد^(٤) .

صفة الإدراك (والخلاف فيها)

قوله : (فهل له إدراك . . . إلخ)

حاصله أنهم اختلفوا هل للمولى صفة زائدة على السبع المعاني

(١) سورة النساء (١٦٤) .

(٢) سورة الشورى (١١) .

(٣) أي : بصير بلا بصر ، ومتكلم بلا كلام .

(٤) أي : غنيٌّ عن إقامة الدليل العقليِّ على السمع والبصر والكلام .

٣٠- فَهَلْ لَهُ إِدْرَاكٌ أَوْ لَا خُلْفٌ وَعِنْدَ قَوْمٍ صَحَّ فِيهِ الْوَقْفُ

تسمى الإدراك - يدرك بها الملموسات والمذوقات والمشمومات؛ لأنها كمالات ، وكلُّ كمال يجب أن يثبت له - أو لا؛ لأنه لم يرد إطلاقه على الله ، وصفة العلم مغنية عنه .

وقيل بالوقف وهو الأصحُّ؛ لأنه وإن لم يرد إطلاقه ، لكنّه كمال ، فلا نشبهه ولا نفيه .

وعلى القول بإثباته ، فقول يتعلّق بالملموسات والمذوقات والمشمومات ، وقيل: يتعلّق بالموجودات ، وقيل: هو صفات ثلاث على حسب تعلّقه بالملموسات والمشمومات والمذوقات ، فتكون صفات المعاني عشرة ، ومن نفاها أو صحّح الوقف بنى ذلك على أنّ دليل الصفات الثلاثة^(١) نقلي؛ لأنّ العقلي ضعيف ، فإنّه لا يلزم من كونها كمالاً في حقّ الحوادث كونها كمالاً في حقّ القديم^(٢) .

قوله: (خُلْفٌ)

خبر لمبتدأ محذوف تقديره: في جوابه خُلْفٌ ، أي: اختلاف^(٣) .

(١) السمع والبصر والكلام .

(٢) والحاصل أنّ صفة الإدراك: يشتها من يقول بالدليل العقلي فيها ، وفي السمع والبصر والكلام ، إلى جانب الدليل النقلي في الثلاثة الأخيرة . وينفيها من يقول في ذلك بالدليل السمعي فقط . ويقول بالوقف من يراها كمالاً ، فلا يشتها ولا ينفيها . وهذا القول أسلم وأصحُّ من القولين الأوّلين . انظر تحفة المرید (٤٨) .

(٣) والصحيح أن يقول - رحمه الله - : مبتدأ خبره محذوف تقديره: في جوابه خلف .

أو خبر لمبتدأ محذوف تقديره: الجواب خلف .

٣١- حَيٌّ عَلِيمٌ قَادِرٌ مُرِيدٌ سَمِعَ بَصِيرًا يَشَاءُ يُرِيدُ

٥ - الصفات المعنوية سبع

١ - كونه حيًّا

قوله: (حيٌّ)

لَمَّا فرغ من صفات المعاني شرع يتكلم على الصفات المعنوية ،
والصفة هي: كونه حيًّا. وأمَّا (الحيُّ) فهو اسم من أسمائه تعالى .
ودليلها هو دليل المعاني؛ لأنها ملازمة لها؛ لأنَّ كونه حيًّا... إلخ
يستلزم حياة وهكذا.

وحياته تعالى حقيقية ذاتية ، وأمَّا حياة الحادث فهي عرضية قابلة
للزوال في كلِّ لحظة.

٢ - كونه عليمًا

قوله: (عليم)

أي: من صفاته كونه عليمًا بالواجبات والجزاءات والمستحيلات ،
فالصفة هي كونه عليمًا وعالمًا ، والاسم عليم وعالم وعالَم ، وتقدَّم
الدليل عليها^(١).

(١) انظر ص (١٧٨) من هذا الكتاب .

٣١- حَيِّ عَلِيمٌ قَادِرٌ مُرِيدٌ سَمِعَ بَصِيرٌ مَا يَشَاءُ يُرِيدُ

٣ - كونه قادراً

(وقوله : قادر)

هذا هو الاسم أيضاً ، وأما / الصفة فهي كونه قادراً . ١/٢٢

٤ - كونه مريداً

قوله : (مريد)

هذا هو الاسم أيضاً ، وأما الصفة فهي كونه مريداً ، وتقدم الدليل [عليها] ^(١) أيضاً ^(٢) .

٥ - كونه سميعاً

قوله : (سميع)

بحذف الياء للضرورة ، وهذا هو الاسم أيضاً .

(١) ساقطة من (م) . وأثبتناها من (د) .

(٢) انظر ص (١٧٦) من هذا الكتاب .

٦ - كونه بصيراً

وكذا قوله: (بصير)

وأما الصفة فهي كونه سميعاً بصيراً ، وتقدّم أنّ دليلها سمعي ، قال تعالى: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(١).

قوله: (ما يشاء يريد)

أشار بذلك إلى أنّ المشيئة والإرادة مترادفان ، خلافاً لمن فرّق بينهما ، فما أَرَادَهُ أَزْلاً أَظْهَرَهُ فِيمَا لَا يَزَالُ^(٢) ، ومراداته تعالى هي شؤونه في خلقه ، كالخلق والرّزق والإحياء والإماتة والخفض والرفع .

حكى أنّ ابن الشجري^(٣) كان يقرّر في درسه قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾^(٤) فسأله سائل وقال له: ما شأن ربك اليوم؟ فأطرق رأسه ، وقام متحيراً ، فنام فرأى النبي ﷺ ، فسأله عن ذلك ، فقال له: السائل لك

(١) سورة الشورى (١١).

(٢) أي: فيما بعد الأزل.

(٣) هبة الله بن عليّ أبو السعادات ، من أئمة العلم باللّغة والأدب وأحوال العرب ، ولد سنة (٤٥٠هـ) في بغداد. من كتبه: الأمالي ، الحماسة . توفي سنة (٥٤٢هـ) . النجوم الزاهرة (٤/١٣٢) ، وفيات الأعيان (٦/٤٥).

(٤) سورة الرحمن (٢٩).

٣١- حَيِّ عَلِيمٌ قَادِرٌ مُرِيدٌ سَمِعَ بَصِيرٌ مَا يَشَاءُ يُرِيدُ

الخضر، فإذا أتاك في غدٍ وسألك، فقل له: (شؤونٌ يُبديها ولا يُبتديها^(١))، يرفعُ أقواماً ويضعُ آخرين^(٢) فلَمَّا أصبح أتاه وسأله، فأجابه بما ذكر، فقال له: صلِّ على مَنْ علَّمك، ومشى مسرعاً.

وورد: «إِنَّ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ لِكُلِّ إِنْسَانٍ مِثَّةَ أَلْفِ نَفْسٍ وَأَرْبَعَةَ وَعِشْرِينَ أَلْفَ نَفْسٍ، فِي كُلِّ نَفْسٍ يَمُوتُ مِثَّةُ أَلْفٍ، وَيُولَدُ مِثَّةُ أَلْفٍ، وَتَحْمَلُ مِثَّةُ أَلْفٍ، وَيُفْرَجُ عَنْ مِثَّةِ أَلْفٍ، وَيُعَزُّ مِثَّةُ أَلْفٍ، وَيَذَلُّ مِثَّةُ أَلْفٍ، وَيُعْتَقُ مِنَ النَّارِ مِثَّةُ أَلْفٍ»^(٣)، وقيل: في كلِّ [نفس] ^(٤) ستمئة ألفٍ، ومع هذا كلُّه الملائكةُ أكثرُ المخلوقات، فقد قال الصُّنْهَاجِي ^(٥)

(١) معنى (شؤون): أحوال، (يبديها): يظهرها، (ولا يبتديها): لا يستأنفها علماء. ومعنى ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ كل وقت هو في أمر يظهره على وفق ما قدره في الأزل، كإحياء وإماتة، وإعزاز وإذلال، وإغناء وإفقار، وإجابة داعٍ. انظر المزيد على إتحاف المريد للسحيمي ج ١ (ق ٢٩٢/ب).

قال بعضهم: شؤون يبديها لاشؤون يبتديها، أي: لا يتغير حكمه بأنه سيكون، ولكن يأتي وقتٌ قدر الله فيه فعله، فيبدو فيه ما قدره الله. انظر التفسير الكبير للرازي (٢٩/١٠٨-١٠٩).

(٢) أخرج البخاري في تاريخه، وابن ماجه، وابن حبان، وجماعة عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ أنه قال في قوله تعالى: ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾: «من شأنه أن يغفر ذنباً، ويُفَرِّجُ كرباً، ويرفع قوماً، ويضع آخرين» وزاد البزار: «ويجيب دعاء». انظر روح المعاني للألوسي (٢٧/١١٠-١١١).

(٣) لم نجد هذا النص في كتب الحديث. وجعله السحيمي من كلام الصوفيَّة. انظر المزيد ج ١ (ق ٢٩٣/أ).

(٤) ساقطة من (م). وأثبتناها من (د).

(٥) محمَّد بن سعيد بن عمر المغربي الصُّنْهَاجِي، قاضٍ بأزمور، يعرف بابن =

٣٢- مُتَكَلِّمٌ ثُمَّ صَفَاتُ الذَّاتِ لَيْسَتْ بَغَيْرِ أَوْ بَعَيْنِ الذَّاتِ

في كنز الأسرار:

(إن بني آدم عشر الجنّ ، وبني آدم والجنّ عشر حيوانات البرّ ، وهؤلاء كلّهم عشر الطيور ، وهؤلاء كلّهم عشر حيوانات البحار ، وهؤلاء كلّهم عشر ملائكة الأرض ، وهؤلاء كلّهم عشر ملائكة سماء الدنيا ، وهؤلاء كلّهم عشر ملائكة السماء الثانية ، وهكذا إلى الكرسيّ إلى العرش) .

٧ - كونه متكلماً

قوله: (متكلم)

هذا هو الاسم ، وأمّا الصفة فهي كونه متكلماً ، وتقدّم الكلام بدليله^(١) .

قوله: (ثمّ صفات الذات... إلخ)

هذه المسألة قصد بها المصنّف الردّ على المعتزلة ، حيث أوردوا على أهل السنّة شبهةً حاصلها: إنكم ادّعيتم وجود صفات المعاني وقدمها ، وقد كفرتم النصارى بزيادة إلهين ، فأنتم من باب أولى في الكفر؛ لإثبات قدماء ثمانية .

وحاصل الجواب: أنّ المحذور المبطل للتوحيد إنّما هو تعدّد القدماء المتغايرة المنفكّة ، وصفات الذات ليست كذلك ، فقوله:

= شاذ . له : كنز الأسرار ، ولواقح الأفكار . توفي سنة (٧٩٥هـ) . هدية العارفين (١٧٥/٢) .

(١) انظر ص (١٨٠ - ١٨١) وما بعدهما من هذا الكتاب .

٣٢- مُتَكَلِّمٌ ثُمَّ صَفَاتُ الذَّاتِ لَيْسَتْ بِغَيْرٍ أَوْ بَعِينِ الذَّاتِ

ليست بغير الذات: أي ليست مغايرة للذات منفكة عنها.

وقوله: (أو بعين الذات)

أو بمعنى الواو^(١)، أي: وليست هي عين الذات، أي: بل لا يقال لها: غير ولا عين. ولزوم الفساد بتعدد الآلهة إنما يحصل إن كانت قدما منفكة، كلُّ مستقلٍّ، / أو كانت الصفات عين الذات؛ لما يلزم ٢٢/ب عليه من أن العلم والقدرة إلى آخر الصفات عين الذات، والذات عينها، وهو تهافت باطل^(٢).

فعلم أن مذهب أهل السنة أن صفات الذات زائدة عليها، قائمة بها، لازمة لها لزوماً لا يقبل الانفكاك، فهي دائمة الوجود مستحيلة العدم، فهو حيٌّ بحياة، عالم بعلم، قادر بقدرة، وهكذا.

وقد نفى المعتزلة تلك الصفات هروباً من تلك الشبهة، وقالوا: قادر بذاته^(٣) إلى آخرها، وهو مذهب باطل^(٤)، لكنّه فسق^(٥)، وليس بكفر.

ثم اعلم أن وجوب صفات المعاني ذاتي لها، مثل وجوب الذات،

(١) لأن القاعدة أنها تكون بمعنى الواو بعد النفي. تحفة المرید (٥٠).

(٢) خلاصة القول: هو أن صفات الله سبحانه: القدرة والإرادة والعلم... هي صفات ملازمة له غير منفكة عنه جلّ وعلا، وهذا معنى قوله: (ليست بغير...). كما أن صفاته ليست عين الذات مفهوماً؛ لأنّ الذات هو الله سبحانه، أمّا القدرة والإرادة والعلم... فبمفهومها صفات الله جلّ جلاله، وليست ذاته، وهذا هو معنى قوله: (ليست بعين...).

(٣) أي: قادر وليس له قدرة، وعالم وليس له علم وهكذا... وكلُّ هذا باطل.

(٤) إذ أثبت الله العلم لنفسه في محكم كتابه بقوله: ﴿أَنْزَلْنَاهُ لِيَعْلَمُوهُ﴾.

(٥) لأنهم ما قالوا هذا القول إلا خوفاً من التعدد، فلذلك كان فسقاً ولم يكن كفراً.

٣٢- مُتَكَلِّمٌ ثُمَّ صَفَاتُ الذَّاتِ لَيْسَتْ بِغَيْرٍ أَوْ بَعِيْنِ الذَّاتِ

وليسَت ممكنة^(١) في نفسها واجبةٌ بوجوب الذات ، خلافاً لسعد الدين^(٢) ، تبعاً للفخر^(٣) ، وتبعه أيضاً جماعة كالبيضاوي^(٤) ، وشنَّع عليه ابن التلمساني^(٥) فقال: (وصرَّح أي: الفخر - والعياذ بالله - بكلمة لم يُسبق إليها ، فقال: هي ممكنة باعتبار ذاتها ، واجبة بوجوب ذاته ، جلَّ وعلا ، وضاهى قولَ الفلاسفة: العالمُ ممكن باعتبار ذاته ، واجب بوجوب مقتضيه ، ونعوذ بالله من زلَّةِ عالمٍ) وبنهاها على اعتقاد صحَّة شبهة الفلاسفة: بأنَّ الافتقار بمعنى مطلقِ التوقف يوجب الإمكان^(٦) ، وأنَّ كلَّ مرْكَبٍ مفتقر إلى جزئه ، وجزؤه غيره ، والمفتقر للغير لا يكون لإمكاناً ، وتوَهَّم التركيب باعتبار الصفات ، وادَّعوا بأنَّ الإمكان لا ينافي [القدَم]^(٧) ، وهي عقيدة باطلة تهدم كثيراً من مسائل أهل السنَّة .

والحاصل أنَّ الصفات:

١ - إما عين الذات ، وهي النفسية .

- (١) قوله: (وليسَت ممكنة) أي: لا يؤيِّد الصاوي فكرة كون صفات الله سبحانه ممكنةً ، أي: قابلة للوجود والعدم في نفسها ، واجبة بوجوب الذات ، إنما هي واجبة الوجود أصلاً .
- (٢) سبقت ترجمته (١٤٩) . انظر قول سعد الدين في شرح المقاصد (٥٦-٥٥/٢) .
- (٣) وشرح العقائد النسفية (١٠٣-١٠٢) .
- (٤) سبقت ترجمته (١١٥) .
- (٥) سبقت ترجمته (٨٢) . انظر مطالع الأنظار على طوابع الأنوار (١١٧-١١٩) .
- (٦) سبقت ترجمته (١٤٨) .
- (٧) أي: كلُّ ما يتوقَّف بوجوده على غيره يجب أن يكون ممكناً .
- (٧) في (م) الإمكان . وما أثبتناه من (د) .

٣٣ - فُقدْرَةٌ بِمُمْكِنٍ تَعَلَّقَتْ بِلا تَنَاهِي مَ بِهِ تَعَلَّقَتْ

- ٢ - أو غير الذات ، وهي السلبية - لكون مدلولها عدماً - والفعلية^(١)؛ لحدوثها.
- ٣ - أو لا عينُ الذات ولا غيرها ، وهي وجودية ، وتسمَّى المعاني .
- ٤ - أو لا عين الذات ولا غيرها ، وهي اعتبارية ، وتسمَّى معنوية .
- ٥ - أو صفات جامعة وهي : العزَّة والجلال والجمال والغنى ونحو ذلك .

بِإِيجَابِ تَعَلُّقَاتِ الصِّفَاتِ

١ - تَعَلُّقَاتِ القُدْرَةِ

قوله : (فقدرة بممكن تعلقت)

- اعلم أنَّ الصفات الوجودية قسمان : متعلق ، وغير متعلق .
- وضابط الأوَّل : ما يقتضي أمراً زائداً على القيام بمحلِّها^(٢) :
- كالقدرة : فإنَّها تقتضي مقدوراً يتأتَّى بها إيجاده وإعدامه .
 - والإرادة : فإنَّها تقتضي مراداً يتخصَّص بها^(٣) .

(١) المراد بالفعلية أفعاله سبحانه وتعالى كالإماتة والإحياء والإعطاء والمنع وغيرها .

(٢) قوله : القيام بمحلِّها يريد به الذات ، وعليه فالضابط هو : (ما يقتضي أمراً زائداً على الذات) . انظر حاشية الأمير على إتحاف المرید (٩٣) .

(٣) وعليه فوظيفة الإرادة التخصيص بإحدى الاحتمالات المتعددة للمخلوق (الممكنات المتقابلات) كأن يوجد الله بإرادته : في زمن دون زمن ، وحجم دون حجم ، ولون دون لون .

٣٣ - فُقدَرَةٌ بِمُمْكِنٍ تَعَلَّقَتْ بِلا تَنَاهِيٍّ مَا بِهِ تَعَلَّقَتْ

- والعلم: فإنه يقتضي معلوماً ينكشف به.
- والكلام: فإنه يقتضي معنى يدلُّ عليه.
- والسمع: فإنه يقتضي مسموعاً يُسمع به.
- والبصر: فإنه يقتضي مُبَصَّراً يُبَصَّرُ به.

وضابط ما لا يتعلَّق: ما لا يقتضي أمراً زائداً على قيامها بمحلِّها ، وهو الحياة لا غير .

والمتعلِّق إما متعلِّق :

- بجميع أقسام الحكم العقليِّ ، وهو العلم والكلام .

أ/٢٣ - أو بالجائزات فقط ، وهو / القدرة والإرادة .

- أو بالموجودات فقط واجبةً أو جائزة ، وهو السمع والبصر .

وقد شرع في تفصيل ذلك بقوله: (فقدرة). فالفاء فاء الفصيحة^(١) ، واقعة في جواب شرط مقدَّر ، تقديره إذا أردت معرفة تعلُّقات الصفات ، فالواجب عليك اعتقاد أنَّ القدرة الأزليَّة تتعلَّق بكلِّ ممكن؛ والمراد بالممكن ما عدا الواجب والمستحيل ، فتتعلَّق بالممكنات إيجاداً وإعداماً. ولا تتعلَّق بالواجبات؛ لأنَّها إن تعلَّقت بإيجادها لزم تحصيل الحاصل ، أو بإعدامها لزم قلب الواجب جائزاً ، وهو قلب للحقائق. ولا بالمستحيالات؛ لأنَّها إن تعلَّقت بإيجادها لزم قلب الحقائق ، أو بإعدامها لزم تحصيل الحاصل .

= بينما وجدنا أنَّ وظيفة القدرة الإيجاد والإعدام . انظر ص(٢٠٠-٢٠١) من هذا الكتاب .

(١) سمَّيت فاء الفصيحة؛ لأنها تفصح عن شرط مقدر . انظر شرح الكفراوي على متن الآجروميَّة ص(١١) .

٣٣ - فَقْدَرَةٌ بِمُمْكِنٍ تَعَلَّقَتْ بِلا تَنَاهِي مَا بِهِ تَعَلَّقَتْ

فعدم تعلُّق القدرة بالواجب والمستحيل ليس بعجز ، بخلاف الممكن . وأمَّا قول حُجَّة الإسلام الغزالي^(١) : (ليس في الإمكان أبدع مما كان) فاستشكلوه قديماً لإيهامه العجز ، وهو عليه محال - تعالى الله عنه - وأجيب عنه بأجوبة منها :

١ - أنَّ المراد بالإمكان إمكان الخلائق ، فالمعنى ليس في إمكان الخلائق تغيير ما أَرَادَهُ اللهُ وأبْدَعَهُ ، فالمنفي تعلُّق قدرة الخَلْق .

٢ - ومنها أن المراد إمكان الله باعتبار تعلُّق علمه أولاً بإيجاد هذا العالم على هذا النظام ، وتعلُّق القدرة التنجيزيُّ لا يكون إلا على طَبَق ما سبق به العلم ، وإلا لأنقلب العلم جهلاً ، فليس من الممكن إيجاد عالم غير هذا الموجود^(٢) ، وأمَّا قوله تعالى : ﴿ إِنَّا لَقَدِرُونَ عَلَيَّ أَنْ تُبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ ﴾^(٣) فباعتبار الجواز العقليِّ بقطع النظر عن تعلُّق العلم .

٣ - ومنها أنَّ المراد ليس في الإمكان جعلُ الحادث قديماً ؛ لعدم تعلُّق القدرة بذلك ؛ لأنَّ الشيء إمَّا قديم أو حادث ، فالحادث يستحيل خروجه عن وصف الحدوث إلى القدم ، ولو زيد في إتيانه مهما زيد لا يخرج عن وصف الحدوث والافتقار ، وذكر شيخنا الأمير^(٤) نقلاً عن ابن عربي^(٥)

(١) سبقت ترجمته (١١٤) .

(٢) القدرة تابعة للإرادة بالتعقل وبالزمن ، والإرادة تابعة للعلم بالتعقل لا بالزمن ، وعلى هذا لا يمكن أن يريد الله خلاف ما علم ، ولا أن يوجد خلاف ما أراد ، فالذي أَرَادَهُ هو هذا العالم ؛ لذلك لا يمكن أن يكون أبدع منه ؛ لأنَّه لم يُرَد غيره . انظر تحفة المرید (٥٢) . وص (٢٠٢) من هذا الكتاب .

(٣) سورة المعارج (٤١) .

(٤) سبقت ترجمته (١٣٣ - ١٣٤) . انظر حاشية الأمير على إتحاف المرید (٤٦) .

(٥) سبقت ترجمته (١١١) .

٣٣ - فُقْدْرَةٌ بِمُمْكِنٍ تَعَلَّقَتْ بِلا تَنَاهِي مَا بِهِ تَعَلَّقَتْ

٣٤ - وَوَحْدَةً أَوْجِبَ لَهَا وَمِثْلُ ذِي إِرَادَةٌ وَالْعِلْمُ لَكِنْ عَمَّ ذِي

والشعراني^(١) ما يفيد ذلك .

قوله : (بلا تناهي)^(٢) . . . (إلخ)

أي من غير نهاية لما تعلقت به ، فلا يخرج عنها فرد .

قوله : (ووحدة أوجب لها)

أي للقدرة ، يعني أنه يجب شرعاً أن تعتقد أن قدرة الله واحدة ، وتتعلق بكل ممكن إيجاباً وإعداماً ، وعدم تناهي متعلقاتها .

والدليل على أنها واحدة أنه يلزم على تعددها اجتماع مؤثرين على أثر واحد . وعلى أنها تتعلق بكل ممكن أنه لو خرج ممكن عن تعلّقها لزم منه العجز .

وعلى عدم تناهي متعلقاتها قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾^(٣) والمراد بالشيء في الآية معناه اللغوي ، وهو الممكن ،

(١) عبد الوهّاب بن أحمد بن علي الحنفي ، نسبة إلى محمّد بن الحنفية ، كان من علماء المتصوّفين ، ولد بمصر سنة (٨٩٨هـ) ، ونشأ بساقية أبي شعرة ، وإليها نسبته ، توفي في القاهرة سنة (٩٧٣هـ) . له تصانيف منها : القواعد الكشفية في الصفات الإلهية ، تنبيه المغترّين في آداب الدّين . انظر شذرات الذهب (٣٧٢/٨) ، الكواكب السائرة (١٧٦/٣) .

(٢) نضيف إلى ذلك أن القدرة تتعلّق بالممكنات المتناهية ، كنعيم الدّنيا ، وعمر المخلوقات فيها . وبالممكنات غير المتناهية ، كنعيم الجنّة وأنفاس أهلها . انظر تحفة المريد (٥١) .

(٣) سورة التوبة (٣٩) .

٣٤- وَوَحْدَةً أَوْجِبْ لَهَا وَمِثْلُ ذِي إِرَادَةٍ وَالْعِلْمُ لَكِنْ عَمَّ ذِي

وجزئيات الممكنات لا تتناهى^(١) خيراً كان أو شراً. خلافاً للمعتزلة القائلين: إنَّ العبد يخلق أفعال نفسه الاختيارية^(٢).

٢ - تَعَلُّقَاتُ الْإِرَادَةِ

قوله: (ومثل ذي إرادة)

اسم الإشارة عائد على القدرة، يعني أنَّ الإرادة مثل القدرة في الثلاثة المتقدِّمة، وهي تعلقها بتخصيص كلِّ ممكن، وعدم تناهي متعلقاتها،/ وكونها واحدة، فالمثلية في هذه الثلاثة [لا]^(٣) في ٢٣/ب التعلُّق، فإنَّ تعلق القدرة الإبراز، وتعلُّق الإرادة التخصيص.

-
- (١) كأنفاس البشر مثلاً في الدنيا والآخرة، والحركات والسكنات المتتالية.
(٢) أي: إنَّ المعتزلة ترى أنَّ العبد يخلق أفعال نفسه، وهذه الأفعال خارجة عن قدرة الله، وذلك حتَّى لا يجتمع مؤثران على أثر واحد. إلا أننا لا نسلِّم لهم بذلك؛ إذ يقول أهل السنة: إنَّ أفعال العبد يخلقها الله سبحانه، وللعبد الكسب فحسب؛ لذلك أفعالنا اكتسابية، والخالق هو الله جلَّت قدرته. انظر صفحة (٢٣٠) و(٢٤٠) من هذا الكتاب.

قال سعد الدين التفتازاني:

- واكتفى أهل السنة بأننا نعلم بالبرهان أن لا خالق سوى الله تعالى، ولا تأثير إلا للقدرة القديمة، ونعلم بالضرورة أن القدرة الحادثة للعبد تتعلق ببعض أفعاله كالصعود، دون البعض كالسقوط، فيسمى أثر تعلق القدرة الحادثة كسباً، وإن لم يعرف حقيقتها اهـ. شرح المقاصد (٩٣/٢ وما بعدها).
(٣) ساقطة من (م). وأثبتناها من (د).

٣٤- وَوَحْدَةً أَوْجِبْ لَهَا وَمِثْلُ ذِي إِرَادَةٍ وَالْعِلْمُ لَكِنْ عَمَّ ذِي

فللقدره تعلُّقان :

١ - صلُوحِيّ قديم^(١) : وهو صلاحِيَّتُها أزلًا لكلِّ جهات الممكن^(٢) الستّ التي هي :

إيجاده وإعدامه ، وكونه بهذه الصفة أو بصفة أخرى وهكذا .

٢ - وتنجيزِيّ حادث^(٣) : وهو تعلُّقُها بإيجاد الممكن دون إعدامه^(٤) ، بهذه الصفة دون غيرها ، في هذا المكان دون غيره ، وهذا الزمان دون غيره ، في هذه الجهة دون غيرها ، في هذا المقدار دون غيره .

وأما الإرادة فلها ثلاثة^(٥) تعلُّقات :

١ - صلُوحِيّ قديم : وهو صلاحِيَّتُها أزلًا لتخصيص الممكن بأحد الجهات المذكورة لا بعينه .

٢ - وتنجيزِيّ قديم : وهو تخصيصها أزلًا بما سيحصل في المستقبل ، فما عَلِمَ الله وجودَه خصَّصه بإرادته أزلًا ، فيستحيل تخلُّفه ، وهذا معنى قول الغزالي^(٦) : (ليس في الإمكان أبدع مما كان) .

(١) الصُّلُوحِي بضم الصاد نسبة للصُّلُوح مصدر بوزن القُعود . انظر حاشية الأمير (٩٤)

والمراد بالصلُوحِيّ : هو أنّ القدرة صالحة للإيجاد والإعدام من الأزل .

إتحاف المريد (٩٤) . وتحفة المريد (٤٠) .

(٢) انظر أقسام الممكنات في صفحة (١٧٢) من هذا الكتاب .

(٣) التعلُّق التنجيزي : هو التعلُّق الحادث المقارن لتعلُّق الإرادة بالحدوث الحالي إتحاف المريد (٩٤) .

(٤) انظر صفحة (١٧٢) من هذا الكتاب ، وما قاله المؤلّف فيما يتعلّق بالأعدام .

(٥) في (م) و(د) ثلاث ، والصواب لغة : ثلاثة .

(٦) سبق ترجمته في ص (١١٤) .

٣٤- وَوَحْدَةً أَوْجِبَ لَهَا وَمِثْلُ ذِي إِرَادَةٍ وَالْعِلْمُ لَكِنَّ عَمَّ ذِي

٣- وتنجزِيّ حادث: وهو تعلُّقها بتخصيصه عند بروزه على قول^(١).

إن قلت: لم يظهر لهذا التعلُّق حكمة؛ فإنّه قد تنجَزَ أزلاً، فيكون تحصيلاً للحاصل.

أجيب: بأنَّ حكمة هذا التعلُّق إظهاره للملائكة.

والحاصل: أنّ تعلُّق القدرة التنجزِيّ مترتب في التعلُّق والحصول على تعلُّق الإرادة التنجزِيّ^(٢)، وتعلُّق الإرادة مترتب على تعلُّق العلم في التعلُّق أيضاً، لا في الوجود؛ لأنَّ الواقع أنّهما قديمان^(٣)، وهذا معنى قولهم: (يجب الإيمان بالقضاء والقدر).

فالقضاء: هو عين تعلُّق الإرادة والعلم التنجزِيّ.

والقدر: هو عين تعلُّق القدرة التنجزِيّ، وتعلُّق الإرادة التنجزِيّ

(١) لم يسلم الباجوري بهذا التعلُّق وقال: (وزاد بعضهم تعلُّقاً ثالثاً، وهو تعلُّقها بالممكن حين وجوده بالفعل، فيكون تعلُّقاً تنجزِيّاً حادثاً. والحقُّ أنّ هذا ليس بتعلُّق، وإنّما هو إظهار للتعلُّق) اهـ. تحفة المرید (٥٢).

(٢) والمراد: أنّ تعلُّق القدرة التنجزِيّ الحادث مترتب على تعلُّق الإرادة التنجزِيّ القديم في الإدراك، وفي زمن الحصول (أي الوجود).

(٣) أي: تعلُّق الإرادة، وتعلُّق العلم؛ لأنَّ تعلُّق العلم تنجزِيّ قديم، وليس له تعلُّق تنجزِيّ حادث، ولا تعلُّق صلوحِيّ. كما أنّ تعلُّق الإرادة تعلُّق تنجزِيّ قديم، وليس لها تعلُّق تنجزِيّ حادث، لكنَّ لها تعلُّق صلوحِيّ قديم، بينما أثبت العلماء للقدرة سبعة تعلُّقات، واحد صلوحِيّ قديم، وثلاثة تعلُّقات قبضيّة، وثلاثة تعلُّقات تنجزِيّة حادثّة، فضَّلهَا الباجوري. انظر تحفة المرید ص(٤٠) وما بعدها. وص(٥٠) وما بعدها.

٣٤- وَوَحْدَةً أَوْجِبَ لَهَا وَمِثْلُ ذِي إِرَادَةٍ وَالْعِلْمُ لَكِنْ عَمَّ ذِي

٣٥- وَعَمَّ أَيْضاً وَاجِباً وَالْمُمْتَنِعُ وَمِثْلُ ذَا كَلَامِهِ فَلْتَتَّبِعْ

الحادث على القول به ، وسيأتي بيان ذلك^(١).

٣ - تعلقات العلم

قوله: (والعلم)

أي: فهو مثل القدرة في تعلُّقه بالممكنات ، وعدم تناهي متعلقاته ، وأنه واحد ، ولكنه لا يختصُّ بالممكنات ، بل هو عامُّ التعلُّق ، يتعلَّق بالممكنات تعلُّق إحاطةٍ وانكشاف ، والواجباتِ كذاته وصفاته ، والمستحيلاتِ كالتقائص . فعِلْمُ الله بالأشياء قبل وجودها أزليٌّ كعلمه بالواجبات والمستحيلات .

قوله: (عمّ ذي)

أي: الممكنات التي أشار لها بقوله: (بممكن)^(٢).

قوله: (وعمّ أيضاً واجباً) أي: كذاته تعالى وصفاته.

قوله: (والممتنع)

أي: أفراد المستحيل ، فعلمه سبحانه وتعالى متعلِّق بالممكنات والواجبات والمستحيلات تعلُّقاً تنجيزياً قديماً ، ولا يتأتى فيه

(١) انظر ص (٢٥٤ - ٢٥٥) من هذا الكتاب .

(٢) أراد قول الناظم:

فَقُدْرَةٌ بِمُمْكِنٍ تَعَلَّقَتْ بِلَا تَنَاهِي مَا بِهِ تَعَلَّقَتْ

٣٥- وَعَمَّ أَيْضاً وَاجِباً وَالْمُتَمَتِّعُ وَمِثْلُ ذَا كَلَامُهُ فَلَنْتَبِعُ

الصلاحية^(١) والحدوث^(٢)؛ لاستلزامه الجهل ، تعالى الله عنه .

٤ - تعلقات الكلام

قوله : (ومثل ذا كلامه)

اسم الإشارة عائد على العلم ، أي : إنَّ كلام الله تعالى كعلمه في وحدته ، وعدم تناهي متعلقاته ، وكونه يتعلَّق بالواجبات / ، والجائزات ٢٤/أ والمستحيلات ، لكنَّ تعلُّق العلم تعلُّقٌ إحاطة وانكشاف ، وتعلُّق الكلام تعلُّقٌ دلالة ، فكلام الله^(٣) يدلُّ على كنه ذاته وجميع كمالاته^(٤) ، وحقيقة الكائنات على ما ستوجد عليه^(٥) كعلمه ، وبهذا تعلم صحَّة ما تقدَّم^(٦) من أنَّ الكتب السماوية دلَّت على بعض مدلول الكلام النفسي^(٧) ، وإلا

- (١) لأنَّ مَنْ وصفناه بأنَّه صالح للعلم فقد نفينا عنه العلم عند الوصف بالصلاحية .
- (٢) لأننا إذا قلنا بالتعلُّق التنجيزيَّ الحادث في العلم ، فهذا يقتضي سبق الجهل ، تعالى الله سبحانه عن ذلك . انظر تحفة المريد (٤٣) .
- (٣) أي : كلام الله النفسي لا القرآن فحسب ؛ إذ القرآن بعض كلام الله سبحانه . انظر إتحاف المريد (٩٥) .
- (٤) هذا هو تعلُّقه بالواجبات .
- (٥) هذا هو تعلُّقه بالجائزات . وأمَّا ما يتعلَّق بالمستحيلات ففيه للنقائص كالشريك والصاحبة والولد .
- (٦) انظر الصفحة (١٨٢) من هذا الكتاب .
- (٧) يُستدل على هذا بقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ سورة لقمان (٢٧) .
وقوله تعالى : ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ أَوْ كَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾ سورة الكهف (١٠٩) .

٣٥ - وَعَمَّ أَيْضاً وَاجِباً وَالْمُتَمَتِّعُ وَمِثْلُ ذَا كَلَامُهُ فَلَنْتَبِعُ

لو كان القرآن مثلاً دالاً على جميع مدلول الكلام النفسي لساوى علمُ نبينا علمَ الله ؛ لأنه أُعطي جميع علم القرآن ، وهذا كفر بإجماع .

وللكلام ثلاثة ^(١) تعلُّقات :

١ - تنجيزيُّ قديم : وهو تعلُّقه بذات الله وصفاته ، والمستحيلات ، وأخبار الكائنات قبل وجودها .

٢ - وُصْلُوحيُّ قديم : وهو صلاحِيَّته لخطاب من لم يوجد ^(٢) .

٣ - وتنجيزيُّ حادث : وهو خطابه بالفعل لمن وُجد ^(٣) .

قوله : (فَلَنْتَبِعُ)

أي : فلنتبع القوم فيما التزموه ونعوّل عليهم ؛ لأنهم هم الفرقة الناجية التي قال فيها رسول الله ﷺ : «إِفْتَرَقَ مَنْ قَبْلَكُمْ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً ، وَسَتَفْتَرِقُونَ ثَلَاثًا وَسَبْعِينَ فِرْقَةً ، فِرْقَةٌ نَاجِيَةٌ ، وَالباقونَ فِي النَّارِ» ^(٤) .

(١) في (م) و(د) ثلاث . والصواب لغة : ثلاثة .

(٢) كقوله تعالى من الأزل : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ سورة البقرة (٤٣) ، فهذا خطاب من لم يوجد .

(٣) كقوله تعالى : ﴿ يَبْحَثُ خِذِّ الْكِتَابِ يَقُوهُ ﴾ سورة مريم (١٢) .

(٤) انظر تخريج الحديث في ص (٨٦) من هذا الكتاب .

٣٦- وَكُلُّ مَوْجُودٍ أَنْطُ لِلسَّمْعِ بِهِ كَذَا البَصْرُ إِدْرَاكُهُ إِنَّ قِيلَ بِهِ

٥ - تعلقات السمع

قوله: (أنط للسمع)^(١)

أي علّق السمع به ، أي: اعتقد تعلّق السمع بالموجودات^(٢) تعلّق إحاطة وانكشاف.

٦ - تعلقات البصر

قوله: (كذا البصر)

أي: فهو كالسمع يتعلّق بالموجوات.

تعلقات الإدراك

وقوله: (إدراكه)

معطوف على البصر بحذف العاطف.

(١) اللام في قوله: (للسمع) زائدة ، والسمع مفعول لأنط ، بمعنى علّق اهـ . تحفة المرید (٥٣).

(٢) وتعلّق السمع بجميع الموجودات هو رأي السنوسيّ - رحمه الله - ، وكذا البصر ، أما السّعد التفتازاني فيرى أنّ السمع يتعلّق بالمسموعات فقط ، وكذا البصر فيتعلّق بالمبصرات فقط . انظر ص (١٨٦ - ١٨٧) من هذا الكتاب . وشرح العقائد النسفية (١٠٧).

٣٦- وَكُلُّ مَوْجُودٍ أَنْطَ لِلسَّمْعِ بِهِ كَذَا البَصَرَ إِدْرَاكُهُ إِنْ قِيلَ بِهِ
٣٧- وَغَيْرُ عِلْمٍ هَذِهِ كَمَا ثَبَتَ ثُمَّ الحَيَاةُ مَا بِشَيْءٍ تَعَلَّقَتْ
.....

قوله: (إن قيل به)

أي: إنَّ الإدراك على القول بثبوته يتعلَّق بالموجودات ، وقيل: إنه يتعلَّق بالملسوسات والمذوقات والمشمومات كما سبق^(١).

وللسمع وما معه ثلاثة^(٢) تعلُّقات:

- ١ - تنجيزي قديم: وهو تعلُّقه بذاته وصفاته.
 - ٢ - وُصْلُوحي قديم: وهو تعلُّقه بذواتنا وصفاتنا قبل وجودنا.
 - ٣ - وتنجيزي حادث: وهو تعلُّقه بذواتنا وصفاتنا بعد وجودنا.
- وتعلُّقاتها مختلفة، ولكلِّ خاصية لم تكن للأخرى ، وحقيقة ذلك لا يعلمها إلا الله .

قوله: (وغير علم هذه)

اسم الإشارة مبتدأ عائد على الصفات الأربع ، أعني: الكلام والسمع والبصر والإدراك ، يعني أنَّها مغايرة للعلم في الحقيقة ، وكذا بعضها مع بعض .

وقوله: (كما ثبت)

أي: بالأدلة السمعية ، ولأنَّ المدلول لغة لكل واحدة غير المدلول للأخرى ، فوجب حمل ما ورد على ظاهره حتَّى يثبت خلافه ، واتِّحاد

(١) انظر ص (١٨٩) من هذا الكتاب .

(٢) في (م) و(د) ثلاث ، والصواب لغة ثلاثة .

٣٧- وَغَيْرُ عِلْمٍ هَذِهِ كَمَا ثَبَتَ ثُمَّ الْحَيَاةُ مَا بِشَيْءٍ تَعَلَّقَتْ

المتعلِّق لا يوجب اتِّحاد الحقيقة^(١). وسكت عن وَحدة هذه الصفات^(٢) كالحياة؛ للعلم بها من وجوبها لأخواتها؛ إذ لا فرق.

وأما وجوب التعلُّق فمستفاد من صيغة الأمر في قوله: (أنط) كما استفيد عدم تناهي متعلقاتها من أداة العموم التي هي (كلُّ).

قوله: (ثمَّ الحياة ما بشي تعلقت)

أي: لأنها صفة أزليَّة تُصَحِّحُ لمن قامت به أن يتَّصف بالصفات المعاني والمعنوية، فهي شرط في الجميع، ولا تقتضي أمراً زائداً^(٣) غير حصول معناها لمن قامت به.

والدليل عليها: ثبوت تلك الصفات، فحيث ثبتت هذه الصفات دلَّ ذلك على ثبوتها.

فتحصَّل أنَّ/ صفات الباري- جلَّ وعلا- من جهة التعلُّق أربعة أقسام: ٢٤/ب

١- قسم لا يتعلَّق بشيء: وهو الحياة، والصفة النفسية، والصفات السلبية والمعنوية.

٢- وقسم يتعلَّق بجميع أقسام الحكم العقليِّ: وهو العلم والكلام،

(١) فالعلم والكلام مثلاً اتَّحدا في كونهما يتعلَّقان بالواجب والجائز والمستحيل، وليس معنى هذا أنه يجب اتِّحاد حقيقتهما؛ إذ لكلُّ مدلول خاصٌّ به.

(٢) أي: لم يتحدَّث عن وجوب وَحدة هذه الصفات (السمع والبصر والإدراك) كما تحدَّث عن ذلك في القدرة وغيرها في قوله:

وَوَحْدَةٌ أَوْجِبُ لَهَا وَمِثْلُ ذِي إِرَادَةٍ وَالْعِلْمُ لَكِنْ عَمَّ ذِي
وذلك للعلم بها من وجوبها لأخواتها.

(٣) كما اقتضت القدرة مثلاً أمراً زائداً على الذات، وهو المقذور.

٣٧- وَغَيْرُ عِلْمٍ هَذِهِ كَمَا ثَبَتَ ثُمَّ الْحَيَاةُ مَا بِشَيْءٍ تَعَلَّقَتْ

لَكِنَّ تَعَلُّقَ الْعِلْمِ تَعَلُّقُ إِحَاطَةٍ وَانْكَشَافٍ ، وَالْكَلَامُ تَعَلُّقٌ دَلَالَةٌ .

٣- وَقِسْمٌ يَتَعَلَّقُ بِالْمَمْكَنَاتِ : وَهُوَ الْقُدْرَةُ وَالْإِرَادَةُ .

٤- وَقِسْمٌ يَتَعَلَّقُ بِالْمَوْجُودَاتِ : وَهُوَ السَّمْعُ وَالْبَصْرُ وَالْإِدْرَاكُ عَلَى الْقَوْلِ بِهِ .

فَالنَّسْبَةُ بَيْنَ تَعَلُّقِ الْعِلْمِ وَالْكَلَامِ التَّرَادُفُ ، وَكَذَا بَيْنَ الْقُدْرَةِ وَالْإِرَادَةِ ، وَأَمَّا بَيْنَ الْعِلْمِ وَالْكَلَامِ^(١) مَعَ غَيْرِهِمَا فَالْعَمُومُ وَالْخُصُوصُ الْمَطْلُوقُ .

وَبَيْنَ تَعَلُّقِ الْقُدْرَةِ وَالْإِرَادَةِ ، وَالسَّمْعِ وَالْبَصْرِ ، عَمُومٌ وَخُصُوصٌ وَجِهِي^(٢) ، يَجْتَمِعَانِ فِي الْمَوْجُودِ الْمَمْكَنِ ، وَتَنْفَرِدُ الْقُدْرَةُ وَالْإِرَادَةُ بِالْمَمْكَنِ الْمَعْدُومِ ، وَيَنْفَرِدُ السَّمْعُ وَالْبَصْرُ بِالْوَاجِبِ الْمَوْجُودِ ، وَهُوَ ذَاتُ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ^(٣) .

* * *

(١) قوله : (وأما بين العلم والكلام) يريد به أنَّ تعلُّقات (العلم والكلام) أعمُّ من تعلُّقات (السَّمْعِ وَالْبَصْرِ) و(الْقُدْرَةِ وَالْإِرَادَةِ) أي : إنَّ كُلَّ مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ (السَّمْعُ وَالْبَصْرُ) و(الْقُدْرَةُ وَالْإِرَادَةُ) يَتَعَلَّقُ بِهِ (الْعِلْمُ وَالْكَلَامُ) ، وَلَيْسَ كُلُّ مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ (الْعِلْمُ وَالْكَلَامُ) يَتَعَلَّقُ بِهِ (السَّمْعُ وَالْبَصْرُ) و(الْقُدْرَةُ وَالْإِرَادَةُ) . وَهَذَا كَقَوْلِنَا مَثَلًا : (الْإِنْسَانُ وَالْحَيَوَانَ) فِيهِ عَمُومٌ وَخُصُوصٌ ، فَالْإِنْسَانُ خَاصٌّ ، وَالْحَيَوَانَ عَامٌّ ؛ إِذْ كُلُّ إِنْسَانٍ حَيَوَانٌ ، وَلَيْسَ كُلُّ حَيَوَانٍ إِنْسَانًا .

(٢) انظر العموم والخصوص الوجهي وضابطه في ص (١٧٥) من هذا الكتاب .

(٣) انظر شرح أم البراهين للسَّنُوسِي (١١٦) .

أَسْمَاءُ اللَّهِ عَظِيمَةٌ قَدِيمَةٌ تَوْقِيفِيَّةٌ

كجفاته

قوله : (وعندنا أسماؤه العظيمة)

لَمَّا فَرَّغَ مِنْ ذِكْرِ الْوَاجِبِ لِلَّهِ - وَهُوَ الصِّفَاتُ الْعَشْرُونَ وَتَعَلَّقَاتُهَا -
شَرَعَ فِي مَبْحَثٍ يَجِبُ اعْتِقَادُهُ ، وَهُوَ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَعْتَقِدَ أَنَّ
أَسْمَاءَ اللَّهِ عَظِيمَةٌ قَدِيمَةٌ .

وَالْأَسْمَاءُ : جَمْعُ اسْمٍ ، وَالْمُرَادُ بِهِ مَا دَلَّ عَلَى ذَاتِهِ تَعَالَى كَاللَّهِ ، أَوْ
ذَاتٍ مَتَّصِفَةٍ بِصِفَةِ الْكَاقِدَارِ وَالْعَالِمِ .

وَوَصَّفُهَا بِالْعَظِيمِ كَاشِفٌ^(١) ؛ لِأَنَّ أَسْمَاءَهُ كُلَّهَا عَظِيمَةٌ ، لَا يَعْلَمُ
قَدْرَهَا غَيْرُهُ .

وَاخْتَلَفَ هَلْ بَيْنَهَا تَفَاضُلٌ أَمْ لَا . فَقِيلَ : لَا تَفَاضُلَ ، وَقِيلَ بِالتَّفَاضُلِ ،
وَلِذَلِكَ يَقُولُونَ : الْاسْمُ الْأَعْظَمُ ، أَي : الْجَامِعُ لِمَعَانِي الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ ،
وَاخْتَلَفُوا فِيهِ ، وَالْحَقُّ أَنَّهُ لَفْظُ الْجَلَالَةِ ؛ لِأَنَّ حَقَائِقَ الْمُؤْمِنِينَ مَمْرُوجَةٌ بِهِ .

وَمِنْ تَكْرِمَةِ ابْنِ آدَمَ أَنْ جَعَلَ أَصَابِعَ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ رِسْمَ الْجَلَالَةِ ،
فَالْخَنْصَرُ الْأَلْفِ ، وَالْبَنْصَرُ وَالْوَسْطَى اللَّامَانِ ، وَالدَّائِرَةُ الْمُحِيطَةُ بَيْنَ
الْإِبْهَامِ وَالسَّبَابَةِ الْهَاءِ .

كَمَا أَنَّ مُحَمَّدًا اسْمٌ نَبِيْنَا الْأَعْظَمُ ؛ لِأَنَّ تَرْكِيْبَ الْإِنْسَانِ عَلَى ذَلِكَ
الْاسْمِ ، فَالْمِيمُ الْأُولَى رَأْسُهُ ، وَجَنَاحَاهُ حَاوِيَةٌ ، وَالْمِيمُ الْوَسْطَى سَرَّتُهُ ،

(١) أي : وصف كاشف ، وليس وصفاً احترازياً .

٣٨ - وَعِنْدَنَا أَسْمَاؤُهُ الْعَظِيمَةُ كَذَا صِفَاتُ ذَاتِهِ قَدِيمَةٌ

وداله رجلاه. هكذا ذكره بعض أهل الإشارات^(١).

وأسماءه مبتدأ خبره محذوف دلّ عليه قوله فيما يأتي: (قديمة).

وقوله: (قديمة) الآتي خبر عن قوله: (صفات ذاته)، وحذف منه (عظيمة) لدلالة ما هنا عليه، ففي كلامه احتباك، حذف من كلّ نظير ما أثبتته في الآخر.

ويحتمل أنّ قوله: (قديمة) خبر عن قوله أسماءه، وقوله: (كذا صفات ذاته) مبتدأ وخبر، معترض بين المبتدأ والخبر، والأصل: صفات ذاته كذا، أي: قديمة عظيمة.

١/٢٥ وَقَدَّمَ الْأَسْمَاءَ / باعتبار مدلولاتها، أو باعتبار دلالة الكلام النفسي عليها، وأمّا الألفاظ فحادثة قطعاً، وهذا مذهب أهل السنّة.

وقالت المعتزلة: إنّ أسماءه حادثة، سمّاه بها خلقه. وهو باطل؛ لأنّه يلزم عليه عُرُوه في الأزل عن أسماء، وافتقاره لمن يكمله.

قوله: (كذا صفات ذاته)

اعلم أنّ صفات الله كلّها عظيمة قديمة إلا صفات الأفعال^(٢)؛ فإنّها وإن كانت عظيمة إلا أنّها ليست قديمة.

(١) لو استغنى المؤلّف - رحمه الله - عن ذكر ما قاله بعض أهل الإشارات لكان أولى؛ إذ للفظ الجلالة قدسيته، ولاسم النبي ﷺ مكانته، وعدم الخوض في مثل هذا أسلم.

(٢) المراد بها تعلّق القدرة التنجيزي الحادّ، وذلك عند الأشاعرة. أمّا عند الماتريدية فهي قديمة؛ لأنّها عين صفة التكوين القديمة. انظر تحفة المرید (٥٥).

٣٩- واخْتِيرَ أَنَّ اسْمَاهُ تَوْقِيفِيَّةٌ كَذَا الصِّفَاتُ فَاحْفَظِ السَّمْعِيَّةَ

قوله: (واختيار أنَّ اسماءه)

أي: اختار جمهور أهل السنة، والمراد بها ما قابل الصفات الذاتية^(١)، فيشمل الأسماء المشتقة، لا ما قابل الفعل والحرف^(٢)، ولا ما قابل الكنية واللقب^(٣).

قوله: (توقيفية)

أي: تعليمية، بمعنى أنه لا يجوز لنا أن نسميه باسم غير وارد لنا إمّا بكتاب أو سنة صحيحة أو حسنة أو ضعيفة، إن قلنا: إنها من العمليّات^(٤)، وأمّا إن قلنا: إنها من العلميات والمعتقدات فلا يجوز الاستناد للضعيفة^(٥). إذا علمت ذلك فالأسماء التي وردت لنا عن الشرع يجوز إطلاقها عليه باتّفاق، ولو أوهم ظاهرها كالصّبور والشّكور والحليم، ولكن تُؤوّل على ما يأتي. واختلفوا فيما لم يرد به إذن^(٦)، وكان موصوفاً بمعناه، ولم يكن موهماً نقصاً، فالراجع عند أهل السنة المنع، وأجازته المعتزلة والقاضي أبو بكر الباقلاني^(٧)، وفصل

(١) كالقادر والعالم والمحيط...

(٢) وهو الاسم عند النحويّين القائلين: إنّ الكلمة اسم وفعل وحرف.

(٣) كما ذكر النحويّون من أنّ العَلَمَ: إمّا أن يكون اسماً أو كنية أو لقباً.

(٤) إذ يؤخذ في العمليّات كالصلاة والصوم بالحديث الضعيف، إذا كان ذلك في فضائل الأعمال. انظر تحفة المريد (٥٦).

(٥) حتّى ولا للحسنة ولا للصحيحة؛ لأنّ المعتقدات لا تثبت إلا بالمتواتر.

(٦) كقولنا مثلاً: عارف. تريد به الله سبحانه، فالراجع عند أهل السنة المنع؛ لأنّه لم يرد عن الشرع. انظر حاشية الأمير على إتحاف المريد (٢٣).

(٧) سبقت ترجمته (١١١). وانظر كتابه التمهيد ص (٢٣٠).

٣٩- واخْتِيرَ أَنْ اسْمَاهُ تَوْقِيفِيَّةٌ كَذَا الصِّفَاتُ فَاخْفَظِ السَّمْعِيَّةَ

الغزالي^(١) فقال:

(تجوز الصفة: وهي ما دلَّ على معنى زائد على الذات ، دون الاسم). واختار ابن العربي^(٢) جواز إطلاق كلِّ اسم يقتضي التعظيم ، فإن أوهم نقصاً فلا يجوز قطعاً.

أَسْمَاءُ النَّبِيِّ ﷺ تَوْقِيفِيَّةٌ

وأما أسماء النبي ﷺ فتوقيفيةً باتِّفاق ، ولا يجوز تسميته بما لم يرد ، ولو كان متضمناً تعظيماً. والفرق أنَّ النبي بشرٌ يتطرَّق له النَّقْصُ؛ بخلافه سبحانه وتعالى ، ولئلاً يُطْرُوهُ كما أطرت النصارى عيسى ، قال البوصيري^(٣) رضي الله عنه:

دَعَّ مَا ادَّعَتْهُ النَّصَارَى فِي نَبِيِّهِمْ
وَاحْكُم بِمَا سَنَّتْ مَدْحاً فِيهِ وَاحْتِكِمِ
فَمَبْلَغُ الْعِلْمِ فِيهِ أَنَّهُ بَشَرٌ
وَأَنَّهُ خَيْرُ خَلْقِ اللَّهِ كُلِّهِمْ^(٤)

(١) سبقت ترجمته ص (١١٤) .

(٢) سبقت ترجمته ص (١١١) .

(٣) محمَّد بن سعيد بن حمَّاد الصُّنْهَاجِي البُوصِيرِي المِصْرِي ، شاعر حسن الدِّيَابِجَةِ ، مَليح المَعَانِي ، نَسَبَتْهُ إِلَى بُوصِيرٍ بِمِصْرَ ، أَصْلُهُ مِنَ المِغْرِبِ ، وَوُلِدَ سَنَةَ (٦٠٨هـ) ، وَتَوَفِّيَ بِالإِسْكَانْدَرِيَّةِ سَنَةَ (٦٩٦هـ) . لَهُ مِنَ الشُّعْرِ: البِرْدَةُ ، وَالمَهْمَزِيَّةُ . انظر فوات الوفيات (٣/٣٦٢) ، الوافي بالوفيات (٣/١٠٥-١٠٦) .

(٤) الدِّيوان (١٩٣/١٩٤) .

٣٩- واخْتَبِرَ أَنْ اسْمَاهُ تَوْقِيفِيَّةٌ كَذَا الصِّفَاتُ فَاخْفَظِ السَّمْعِيَّةَ
٤٠- وَكُلُّ نَصٍّ أَوْهَمَ التَّشْبِيهَا أَوْلُهُ أَوْ فَوْضٌ وَرُمْ تَنْزِيهَا

تنبيه :

قال ابن فارس^(١) : (أسماءه ﷺ الواردة ألفان وعشرون) ، ونقل عن شرح المنهاج للشيخ أبي الحسن أنها أربعة آلاف .

قوله : (كذا الصفات)

أي : صفاته تعالى فلا يجوز إطلاق صفة عليه تعالى لم ترد ، ولذلك قال العلماء : (إنَّ الأسماء السَّريانية^(٢) لا يجوز الدُّعاء بها إلا إذا عَرَفَ معناها ، أو أخذها عن عارف) .

قوله : (فاحفظ السمعية)

أي : ما ورد عن الشارع ، وامتنع عن إطلاق ما لم يرد .

الإقوال في النصوص الموهمة للتشبيه

قوله : (وكلُّ نصٍّ . . . إلخ)

أي : لفظ ناصٍّ ورد في كتاب أو سنَّة ، وحاصل ما في هذا المقام أنَّه لما قدَّم أنَّه سبحانه وتعالى وجبت له المخالفة للحوادث عقلاً

(١) أحمد بن فارس بن زكريَّا القزويني الرازي أبو الحسين ، من أئمَّة اللغة والأدب ، أصله من قزوين ، ولد سنة (٣٢٩هـ) ، وتوفِّي في الرِّيِّ سنة (٣٩٥هـ) من مؤلَّفاته : مقاييس اللغة ، الصاحبى في فقه اللغة ، تفسير أسماء النبي ﷺ . انظر بغية الوعاة (١/٣٥٢) ، وفيات الأعيان (١/١١٨) .

(٢) المراد بها أسماءه تعالى التي وردت في الكتب السماويَّة غير العربية .

٤٠- وَكُلُّ نَصٍّ أَوْهَمَ التَّشْبِيهَا أَوْلُهُ أَوْ فَوَّضَ وَرْمٌ تَنْزِيهَا

وسمعاً ، وورد في القرآن والسنة الصحيحة أو الحسنة ما يوهم إثبات الجهة والجسميّة ، وكان مذهبُ أهل الحقّ من السلف والخلف^(١) تأويلَ الظاهر؛ لوجوب تنزيهه تعالى عنه ، أشار إلى ذلك مقدّمًا طريق الخلف^(٢) / لأرجحيّته؛ لقول أهل الفنّ: طريقة الخلف أعلم وأحكم؛ لما فيها من مزيد الإيضاح ، والرّدّ على الخصوم. وطريقة السلف^(٣) - ومنهم الأئمّة الأربعة - أسلم؛ للسلامة من تعيين معنى يكون غير مرادٍ له تعالى. والخلاف إنّما هو في الأولويّة ، وإلا فارتكاب كلّ كافٍ.

فقوله: (أوهم التشبيها)

أي: باعتبار ظاهر دلالة ، أي: أوقع في الوهم معنى غير لائق ، فمّمًا يوهم:

- الجهة قوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾^(٤).

(١) السلف: هم من كانوا قبل الخمسمئة ، وقيل القرون الثلاثة: الصحابة ، والتابعون ، وأتباع التابعين.

والخلف: هم من كانوا بعد الخمسمئة ، وقيل من بعد القرون الثلاثة. انظر تحفة المريد (٥٦).

(٢) وذلك في قوله: (أوله). وطريق الخلف هو التأويل التفصيلي ، وذلك بصرف اللفظ عن ظاهره إلى معنى لائق ، كتأويل الفوقيّة: بالتعالي في العظمة دون المكان في قوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ كما سيوضّح المؤلف ذلك في الأسطر القادمة.

(٣) وهي التأويل الإجمالي ، وذلك بصرف اللفظ عن ظاهره ، وردّه إلى مراد الله بقولهم: (والله أعلم بمراده).

كما سيبيّن الشارح ذلك في قول الناظم: (أو فوّض).

(٤) سورة النحل (٥٠).

٤٠- وَكُلُّ نَصٍّ أَوْهَمَ التَّشْبِيهَا أَوْلُهُ أَوْ فَوْضٌ وَرُمْ تَنْزِيهَا

- والجسميّة قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْفَاجِرِ وَالْمَلَكِئِكَةِ ﴾ (١)، ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ ... ﴾ (٢)، وحديث الصحيحين: «يُنزَلُ رَبُّنَا كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا» (٣).

- والصورة ما أخرجه أحمد والشيخان: أَنَّ رجلاً ضرب عبده ، فنهاه النبي ﷺ وقال: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورِيهِ» (٤).

- والجارحة ﴿ وَيَبْقَى وَجْهٌ رَبِّكَ ﴾ (٥)، ﴿ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ (٦)، «الْقَلْبُ بَيْنَ أَصْبَعَيْنِ مِّنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ يُقَلِّبُهُ كَيْفَ يَشَاءُ» (٧).

فقوله: (أوله)

أي: وجوباً^(٨) بأن تحمله على خلاف ظاهره بصرفه إلى معنى بعينه

(١) سورة البقرة (٢١٠).

(٢) سورة الفجر (٢٢).

(٣) أخرجه البخاري (١١٤٥). ومسلم (٧٥٨) عن أبي هريرة مرفوعاً.

(٤) أخرجه البخاري (٦٢٢٧). ومسلم (٢٦١٢) عن أبي هريرة مرفوعاً.

(٥) سورة الرحمن (٢٧).

(٦) سورة الفتح (١٠).

(٧) أخرجه مسلم (٢٦٥٤) عن عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعاً بلفظ:

«إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ أَصْبَعَيْنِ مِّنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ»، ثم قال رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ مُصَرِّفِ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ».

(٨) هذا الوجوب في حمل الموهم على خلاف ظاهره اتَّفَقَ عليه السلف والخلف ، فمذهب السلف - رضي الله عنهم - التأويل الإجمالي؛ إذ قالوا: (الله أعلم بمراد النصوص الموهمة) ، ومعنى ذلك أنهم صرفوا اللفظ عن ظاهره ، ولم يعيّنوا بديلاً عنه ، فكان التأويل الإجمالي مذهبهم . ومذهب الخلف التأويل التفصيلي المعتمد على تعيين بديل عند صرف اللفظ عن ظاهره . كما بيّن =

٤٠- وَكُلُّ نَصْرٍ أَوْهَمَ التَّشْبِيهَا أَوْلُهُ أَوْ فَوْضٌ وَرُمْ تَنْزِيهَا

لائق ، فتوَّول :

- الفوقية بالتعالي في العظمة دون المكان .

- والإتيان بإتيان رسول عذابه في الغمام ؛ لأنه مظنة نزول الرحمة ، وهي نزول المطر ، فإذا جاء منه العذاب كان أشد ؛ لأن الشر إذا جاء من حيث لا يُحتسب كان أصعب .

- والمجيء بإتيان رسول رحمته يوم القيامة .

- والنزول بنزول رحمته ، أو هو ملك ينادي ، كما ورد في بعض طرق الحديث^(١) .

- والصورة الضمير فيها يرجع إلى الأخ المصرح به في الطريق الأخرى التي رواها مسلم بلفظ : «إِذَا قَاتَلَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيَجْتَنِبِ الْوَجْهَ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ»^(٢) أي : صورة الأخ المضروب ، أو يراد بالصورة الصفة ، ويكون المعنى : إذا قاتل أحدكم أخاه فليجتنب وجهه ؛

= الشارح ذلك في هذه الفقرة . ومن هذا الإجماع على صرف اللفظ عن ظاهره نخرج بنتيجة هي : أنَّ التأويل في النصوص الموهمة واجب . انظر إتحاف المرید (٩٩) . وتحفة المرید (٥٧) .

(١) أخرج النسائي في الكبرى (١٠٣١٦) عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري - رضي الله عنهما - قالوا : قال رسول الله ﷺ : «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُنْهَلُ حَتَّى يَمْضِيَ شَطْرَ اللَّيْلِ الْأَوَّلِ ، ثُمَّ يَأْمُرُ مُنَادِيًا يُنَادِي يَقُولُ : هَلْ مِنْ دَاعٍ يُسْتَجَابُ لَهُ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ يُغْفَرُ لَهُ؟ هَلْ مِنْ سَائِلٍ يُعْطَى؟» .

(٢) رواه أحمد في المسند (٣٢٧/٢-٣٤٧) . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٦/٨) . والمتقي الهندي في كنز العمال رقم (١١٤٢) و(١١٤٣) و(١١٤٤) . وانظر تخريج حديث : «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ» في ص (٢١٧) من هذا الكتاب .

٤٠- وَكُلُّ نَصٍّ أَوْهَمَ التَّشْبِيهَا أَوْلُهُ أَوْ فَوَّضَ وَرُمُ تَنْزِيهَا

فإنَّ الله خلق آدم على صفته تعالى من حيث اشتماله على سمع وبصر وعلم وحياة ، وإن كانت صفاته تعالى أزليَّة قديمة ، وصفات الإنسان حادثة ، ويؤيِّد هذا الوجه ما ورد في بعض الطرق : «فإنَّ الله خلق آدمَ على صورة الرَّحْمَنِ»^(١) .

- وبالوجه في الآية الذات .

- وباليد والأصابع القدرة .

قوله : (أو فَوَّضَ)

(أو) لتنويع الخلاف ، بيان لطريقة السلف ، والمراد أَوْلُهُ إجمالاً .

وقوله : (ورُمُ تنزيهاً)

أي : اقصد واعتقد التنزيه عمَّا لا يليق به ، فالسلف ينزّهونه سبحانه وتعالى عن المعنى المحال^(٢) ، ويفوِّضون علم حقيقته على التعيين لله تعالى مع اعتقاد أنَّ هذه النصوص من عنده سبحانه . فظهر ممَّا قررنا اتِّفاق السلف والخلف على تنزيهه تعالى عن المعنى المحال ، وعلى الإيمان بأنَّه من عند الله جاء به رسول الله ﷺ / ، لكنَّهم اختلفوا في ٢٦ / تعيين معنى صحيح ، وعدم تعيينه بناء على أنَّ الوقف على قوله تعالى :

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (١٢) برقم (١٣٥٨٠) . والبيهقي في الأسماء والصفات (٢٩١) . والآجري في الشريعة (٣١٥) . وابن خزيمة في التوحيد (٣٨) ، وردَّ هذا اللفظ . وقال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم (١٦٦/١٦) : ليس بثابت عند أهل الحديث .

(٢) أي : المعنى المستحيل ، كأنَّ نفَسَ مثلاً اليد التي أسندها الله لنفسه في قوله تعالى : ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ بالجزئية أو الجارحة .

٤١- وَنَزَّهُ الْقُرْآنَ أَيَّ كَلَامَهُ عَنِ الْحُدُوثِ وَاحْذَرِ انتِقَامَهُ

﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ ، أو على قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ (١).

القرآن كلام الله الأزلي

قوله: (ونزه القرآن . . . إلخ)

اعلم أنّ المقصود من ذكر هذه المسألة الرّدُّ على المعتزلة النافين لصفة الكلام حيث قالوا: (إنّ الكلام من لوازمه الحروف والأصوات ، وذلك مستحيل على الله) (٢) فيردُّ عليهم بما ذكره المصنّف ، فقوله: (ونزّه) أيّها السنيّ ، وقوله: (أي كلامه) تفسير للقرآن هنا ، فالمراد بالقرآن هنا كلامه الأزليّ القائم بذاته .

قوله: (عن الحدوث) أي: الخلق .

(١) وذلك في قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْقَتْلِ وَأَبِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (٧) .

فالوقف على قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ يجعل ما بعده مستأنفاً ، ويقتصر علم التأويل على الله سبحانه ، وهذا مذهب السلف .
أمّا الوقف على قوله تعالى: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ فيجعل الراسخين في العلم يعلمون تأويل المتشابه ، وهذا مذهب الخلف .

روى ابن أبي نجیح عن مجاهد عن ابن عباس أنّه قال: (أنا من الراسخين الذين يعلمون تأويله) . انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٩/٢) .

(٢) فكلام الله عندهم مخلوق؛ لأن الله خلقه في بعض الأجرام كالشجرة التي كلمت موسى عليه السلام مثلاً . فالكلام عندهم صفة غيره لا صفة تعالى . انظر تحفة المرید (٥٨) ، وحاشية الصاوي على شرح الخريدة البهية (٧٧-٧٨) .

٤١- وَنَزَّهَ الْقُرْآنَ أَيَّ كَلَامَهُ عَنِ الْحُدُوثِ وَاحْذَرِ انْتِقَامَهُ
 ٤٢- وَكُلُّ نَصٍّ لِلْحُدُوثِ دَلَالًا أَحْمِلْ عَلَى اللَّفْظِ الَّذِي قَدْ دَلَّ

قوله: (واحذر انتقامه) أي: انتقام الله منك إن تبعت من قال
 بخلقه^(١).

قوله: (وكلُّ نصٍّ للحدوث دلالاً)

أي: كلُّ لفظ دالٌّ على الحدث كقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ
 الْقَدْرِ﴾^(٢) ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾^(٣) ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ
 الْكِتَابَ﴾^(٤) (٥).

قوله: (احمل على اللفظ الذي قد دلالاً)

أي: على بعض مدلول الكلام القديم القائم بذاته ، يعني أنّ ما ورد
 من الكتاب والسنة ممّا يوهم الحدث فإنه عند أهل السنة محمول على
 اللفظ الحادث^(٦) الدالّ على بعض مدلول الكلام القديم ، وهو اللفظ
 المنزل على النبي ﷺ للإعجاز بأقصر سورة منه ، المتعبّد بتلاوته ، نزل
 بالمعنى واللفظ جميعاً من عند الله على الصواب ، خلافاً لمن قال: نزل
 بالمعنى على جبريل ، والعبارة من جبريل .

(١) أي: بخلق الكلام مع نفي الكلام النفسي ، والمراد بذلك المعتزلة .

(٢) سورة القدر (١) .

(٣) سورة الحجر (٩) .

(٤) سورة الكهف (١) .

(٥) وكقوله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ إِلَّا أَسْتَمِعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾
 لَاهِيَةَ قُلُوبِهِمْ﴾ سورة الأنبياء (٢ - ٣) .

(٦) أي: الكلام الحسي الذي ورد تعريفه في ص (١٨١ - ١٨٢) من هذا الكتاب .

٤٢- وَكُلُّ نَصْرٍ لِلْحُدُوثِ دَلَالٌ إِحْمِلَ عَلَى اللَّفْظِ الَّذِي قَدْ دَلَّ

ولمن قال: نزل بالمعنى جبريل على قلب النبي ﷺ ، والعبارة من النبي ، فإنَّ كلاً من القولين خلاف الصواب .

والحاصل أنَّ القرآن والكلام يطلقان بالاشتراك إطلاقاً حقيقياً على اللفظ المنزَّل الذي نقرؤه ، وعلى الصفة القديمة القائمة بذاته ، وقيل: إطلاق القرآن على اللفظ حقيقة ، وعلى الصفة القديمة مجازاً ، والكلام بالعكس يطلق على الصفة القديمة حقيقة ، وعلى اللفظ المنزَّل مجازاً .

* * *

٤٣- وَيَسْتَحِيلُ ضِدُّ ذِي الصِّفَاتِ فِي حَقِّهِ كَالْكَوْنِ فِي الْجِهَاتِ
.....

٢ - ما يستحيل على الله تعالى من

أضداد الصفات الواجبة

قوله: (ويستحيل ضدُّ ذي الصفات)

هذا هو ثالث أقسام الحكم العقلي المتقدِّمة في قوله:
فَكُلُّ مَنْ كُفِّ شَرْعاً وَجَباً عَلَيْهِ أَنْ يَعْرِفَ مَا قَدْ وَجَبَا
لِلَّهِ وَالْجَائِزَ وَالْمُمْتَنِعَا
فقدَّم في التقسيم الجائز^(١)، وأخَّره في التفصيل^(٢)؛ لطول الكلام
عليه^(٣).

و (أل) في الصفات للعهد الذكري، أي: الصفات المتقدم ذكرها
بأسرها نفسيةً أو سلبيةً معاني كانت أو معنويةً.

فيستحيل عليه تعالى العدم والحدوث، وطروء العدم والمماثلة

(١) أي: قدَّمه على الممتنع في قوله:

لِلَّهِ وَالْجَائِزَ وَالْمُمْتَنِعَا وَمِثْلُ ذَا لِرُسُلِهِ فَاسْتَمِعَا

(٢) في قوله:

وَجَائِزٌ فِي حَقِّهِ مَا أَمْكَنَا إِيجَاداً اِعْدَاماً كَرَزَقِهِ الْغِنَى

(٣) وعلل الأمير في حاشيته التقديم والتأخير بقوله: وقدَّم الواجبات لشرفها ثم
المستحيلات؛ لأنها أضداد الواجبات، والضدُّ أقرب خطوراً بالبال إذا خطر
ضدُّه، فلم يبق للجائز إلا التأخير. انظر الحاشية على إتحاف المرید (٥٧).

٤٣- وَيَسْتَحِيلُ ضِدُّ ذِي الصِّفَاتِ فِي حَقِّهِ كَالْكَوْنِ فِي الْجِهَاتِ

للحوادث^(١) بأنواعها ، فليس بجرم ولا عَرَض ، ولا يوصف بالصَّغَرِ ولا بالكِبَرِ ، ولا يتقَيَّدُ بمكان ولا زمان ، ولا يوصف بالدخول في شيء من العالم ، ولا بالخروج عنه ، ولا بالاتِّصال ، ولا بالانفصال ، ولا يشغله شأن عن شأن ، ولا يغيب عنه شيء^(٢) .

ويستحيل عليه تعالى الافتقار لذات يقوم بها^(٣) أو مخصَّص ، والتركيب في ذاته^(٤) أو صفاته ، أو يكون له مماثل^(٥) فيهما أو أحدهما ، أو يكون له مماثل في فعل من الأفعال ، والعجز عن ممكن ما^(٦) ، والكراهية والسهو والغفلة^(٧) والجهل^(٨) بسيطاً أو مركباً وما في

(١) العدم ضدُّ الوجود ، والحدوث ضدُّ القَدَم ، وطرؤُ العدم ضدُّ البقاء ، والمماثلة للحوادث ضدُّ المخالفة للحوادث .

(٢) في (م) لا يغيب عن شيء . وما أثبتناه من (د) .

(٣) الافتقار لذات يقوم بها ضدُّ قيامه تعالى بنفسه ؛ إذ سبحانه ذات غير مفتقرة إلى غيرها ، أي : ليس هو معنى قائماً بالذات ، بل هو ذات لا يعلمها إلا هو .

(٤) التركيب في ذاته ضدُّ الوجدانية . انظر ص (١٥٧) من هذا الكتاب .

(٥) قوله : (أو يكون له مماثل) إشارة إلى الكَمِّ المتصل والكَمِّ المنفصل .

(٦) العجز عن ممكن ما ضدُّ القدرة .

(٧) الكراهية والسهو والغفلة ضدُّ الإرادة .

(٨) الجهل ضدُّ العلم .

والجهل البسيط : هو عدم العلم بالشيء وعمّا من شأنه العلم به ، وذلك بأن لا يدرك الشيء أصلاً ، لا على ما هو به ، ولا على خلاف ما هو به .

والجهل المركب : هو إدراك الشيء على خلاف ما هو عليه في الواقع ، وإنما سمّوه مركباً لاستلزامه لجهلين ، وهما الجهل بالشيء : أي عدم إدراكه ، والجهل بأنه جاهل . انظر حاشية الدسوقي على شرح أم البراهين (١٤١) .

٤٣- وَيَسْتَحِيلُ ضِدُّ ذِي الصِّفَاتِ فِي حَقِّهِ كَالْكَوْنِ فِي الْجِهَاتِ

معناه^(١)، والموت والصَّمم والعمى والبكم^(٢)، وكونه عاجزاً، إلى آخرها^(٣).

ب/٢٦

قوله: (كالكون / في الجهات)

هذا من أمثلة المماثلة، أي: فيقاس عليه باقي أمثلة المستحيل، والمعنى أنه يستحيل على الله تعالى وصفه بإحدى الجهات الست وهي: الفوق والتحت، والأمام والخلف، واليمين والشمال.

فممّا يجب تأويله لإيهام الجهة قوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾^(٤) لأنّ الاستواء على الشيء الاستقرار عليه، وهو محال في حقّه تعالى، فيؤوّل بالملك والاستيلاء كما قال الشاعر:

(١) ومراده بما في معنى الجهل: الظنُّ والشكُّ والوهم والسيان والنوم وكون العلم

نظرياً ونحو ذلك. انظر شرح أم البراهين للسنوسي (١٤٢).

(٢) الموت ضدّ الحياة، والصمم ضدّ السمع، والعمى ضدّ البصر، والبكم ضدّ النطق.

(٣) أي: إلى آخر الصفات المعنوية.

قال السنوسي: يعني أنك إذا عرفت كون ضدّ القدرة العامّة العجز عن ممكن ما، لزم أن يكون ضدّ الصفة المعنوية اللازمة للقدرة - وهي كونه تعالى قادراً على جميع الممكنات - كونه عاجزاً عن ممكن ما، وهكذا كلّ صفة معني، فإنّ ضدّها ضدّ الصفة المعنوية اللازمة لها.

شرح أم البراهين ص (١٤٥).

(٤) سورة طه (٥).

٤٣- وَيَسْتَحِيلُ ضِدُّ ذِي الصِّفَاتِ فِي حَقِّهِ كَالْكُونِ فِي الْجِهَاتِ

قَدْ اسْتَوَى بِشْرٌ عَلَى الْعِرَاقِ مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ وَدَمٍ مُهْرَاقٍ
وفي آخر حكم ابن عطاء الله^(١): (يا مَنْ اسْتَوَى بِرَحْمَانِيَّتِهِ عَلَى عَرْشِهِ ،
فَصَارَ الْعَرْشُ غَيْباً فِي رَحْمَانِيَّتِهِ ، كَمَا صَارَتِ الْعَوَالِمُ غَيْباً فِي عَرْشِهِ)^(٢).

فهو يشير إلى أَنَّ معنى الآية: أَنَّ الْعَرْشَ - وَإِنْ كَانَ أَكْبَرُ الْمَخْلُوقَاتِ
كُلِّهَا مَغْيِبَةً فِيهِ - هُوَ صَغِيرٌ بِالنِّسْبَةِ لِرَحْمَةِ اللَّهِ ، وَمَغْيِبٌ فِيهَا ، كَمَا غُيِّبَتْ
الْعَوَالِمُ فِيهِ ، وَيُوَيِّدُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾^(٣).

وسأل الزمخشري^(٤) أبا حامد الغزالي^(٥) عن هذه الآية^(٦) ، فأجابه
بقوله:

إذا استحال أن تعرف نفسك بكيفية أو أينية ، فكيف يليق بعبوديتك

(١) أحمد بن محمد بن عبد الكريم تاج الدين ، متصوِّف شاذلي من العلماء . له
تصانيف منها: الحكم العطائية ، ولطائف المنن . توفِّي في القاهرة سنة
(٧٠٩هـ) . انظر الدرر الكامنة (١/٢٩١ - ٢٩٢) ، لواقح الأنوار (٢/٢٠٠) .

(٢) وذلك في مناجاته وتمام ما ذكر (. . . مَحَقَّتِ الْآثَارُ بِالْآثَارِ ، وَمَحَوَتِ الْأَغْيَارُ
بِمَحِيطَاتِ أَفْلَاكِ الْأَنْوَارِ) . انظر شرح الحكم العطائية للشرنوبلي (٢١٢) .

(٣) سورة الأعراف (١٥٦) .

(٤) محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي الزمخشريُّ جار الله ، من أئمة العلم
والآداب . كان معتزلي الاعتقاد متظاهراً به . ولد في زمخشر من قرى خوارزم سنة
(٤٦٧ هـ) ، جاور مكَّةَ زمناً ، أشهر كتبه : الكشاف ، أساس البلاغة ، الفائق في
غريب الحديث . توفِّي سنة (٥٣٨ هـ) . انظر بغية الوعاة (٢/٢٧٩ - ٢٨٠) ،
وفيات الأعيان (٥/١٦٨) ، الفوائد البهية (٢٠٩) .

(٥) سبق تترجمته ص (١١٤) .

(٦) الآية هي قوله تعالى: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ سورة طه (٥) .

٤٣- وَيَسْتَحِيلُ صِدْدُ ذِي الصِّفَاتِ فِي حَقِّهِ كَالْكُونِ فِي الْجِهَاتِ

أن تصف الربوبية بأين أو كيف ، وهو مقدس عن الأين والكيف؟! ثم جعل يقول:

قَلِّ لِمَنْ يَفْهَمُ عَنِّي مَا أَقُولُ	قَصِّرِ الْقَوْلَ فَذَا شَرْحٌ يَطُولُ
ثُمَّ سِرٌّ غَامِضٌ مِنْ دُونِهِ	قَصُرْتُ وَاللَّهِ أَعْنَاقُ الْفُحُولِ
أَنْتَ لَا تَعْرِفُ إِيَّاكَ وَلَا	تَدْرِي مَنْ أَنْتَ وَلَا كَيْفَ الْوُصُولِ
لَا وَلَا تَدْرِي صِفَاتِ رُكْبَتِ	فِيكَ حَارَتْ فِي خَفَايَاهَا الْعُقُولِ
أَيْنَ مِنْكَ الرُّوحُ فِي جَوْهَرِهَا	هَلْ تَرَاهَا فَتَرَى كَيْفَ تَجُولُ
وَكَذَا الْأَنْفَاسُ هَلْ تَحْضُرُهَا	لَا وَلَا تَدْرِي مَتَى عَنْكَ تَزُولُ
أَيْنَ مِنْكَ الْعَقْلُ وَالْفَهْمُ إِذَا	غَلَبَ النَّوْمُ فَقُلْ لِي يَا جَهْلُ
أَنْتَ أَكَلُ الْخُبْزِ لَا تَعْرِفُهُ	كَيْفَ يَجْرِي مِنْكَ أَمْ كَيْفَ تَبُولُ
فَإِذَا كَانَتْ طَوَايِكَ الَّتِي	بَيْنَ جَنْبَيْكَ كَذَا فِيهَا ضَلُولُ
كَيْفَ تَدْرِي مَنْ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى	لَا تَقُلْ كَيْفَ اسْتَوَى كَيْفَ التُّزُولُ
كَيْفَ يَحْكِي الرَّبُّ أَمْ كَيْفَ يَرَى	فَلْعَمْرِي لَيْسَ ذَا إِلَّا فُضُولُ
فَهُوَ لَا أَيْنَ وَلَا كَيْفَ لَهُ	وَهُوَ رَبُّ الْكَيْفِ وَالْكَيفُ يَحُولُ
وَهُوَ فَوْقَ الْفَوْقِ ^(١) لَا فَوْقَ لَهُ	وَهُوَ فِي كُلِّ النَّوَاحِي لَا يَزُولُ
جَلٌّ ذَاتاً وَصِفَاتٍ وَسَمًا	وَتَعَالَى قَدْرُهُ عَمَّا تَقُولُ

* * *

(١) المراد بقوله: (وهو فوق فوق) أي: هو سبحانه فوق أن يوصف بالفوق ، إذ هو -جلٌ وعلا- منزّه عن الجهة .

٣ - مَا يَجُوزُ فِي حَقِّ اَللّٰهِ تَعَالَى

قوله: (وجائز في حقه... إلخ)

لَمَّا فَرِغَ مِنَ اَلْوَاجِبِ وَاَلْمُسْتَحِيلِ ، شَرَعَ فِي اَلْقِسْمِ اَلْجَائِزِ مَشِيْرًا لِقَاعِدَةِ كَلِيَّةٍ بِقَوْلِهِ: (مَا أَمْكَنَّا) ، أَي: جَمِيعُ اَلْمُمْكِنَاتِ ، وَاَلْمُرَادُ بِهَا مَا كَانَ فِي تَعَلُّقِ اَلْقُدْرَةِ وَاَلْإِرَادَةِ ، خَيْرًا كَانَ أَوْ شَرًّا حَلُوءًا كَانَ أَوْ مَرًّا.

قوله: (إيجاداً إعداماً)

١/٢٧ تَمِيِيزُ لِقَوْلِهِ: (جَائِزٌ) ، أَي: مِنْ جِهَةِ اَلْإِيْجَادِ وَاَلْإِعْدَامِ ، / وَهَذَا سَوَالٌ لَطِيْفٌ حَاصِلُهُ أَنَّ قَوْلَهُ: (جَائِزٌ) مُبْتَدَأٌ خَبْرُهُ: مَا أَمْكَنَّا ، وَاَلْمُمْكِنُ هُوَ اَلْجَائِزُ ، كَأَنَّهُ قَالَ: وَجَائِزٌ فِي حَقِّهِ مَا جَازَ ، وَفِي هَذَا اَلْكَلَامِ رِكَّةٌ لَا تَخْفَى .

وَحَاصِلُ اَلْجَوَابِ: أَنَّهُ قَصِدُ بِهِذَا اَلْعُمُومِ اَلرَّدِّ عَلَى اَلْمُعْتَزِلَةِ ، كَأَنَّهُ قَالَ: وَجَائِزٌ فِي حَقِّهِ تَعَالَى كُلُّ اَلْمُمْكِنَاتِ خَيْرًا وَشَرًّا ، حَلُوءًا وَمَرًّا . فَإِنَّ اَلْمُعْتَزِلَةَ يَقُولُونَ: (لَيْسَ كُلُّ مَا أَمْكَنَ فَعَلُهُ وَصُدُورُهُ جَائِزًا ، بَلِ اَلشُّرُورُ وَاَلْقَبَائِحُ مُسْتَحِيلَةٌ عَلَى اَللّٰهِ تَعَالَى ، وَعَدَمُ اَلخُرُوجِ عَنِ اَلصَّلَاحِ وَاَلْأَصْلَحِ وَاجِبٌ)^(١) .

(١) أَي: إِنَّ اَلْمُعْتَزِلَةَ تَرَى أَنَّهُ إِذَا فَرَضَ أَنَّ هُنَاكَ فُسَادًا وَصَلَاحًا وَجِبَ عَلَى اَللّٰهِ خَلْقُ اَلصَّلَاحِ لَا اَلفُسَادَ ، وَإِذَا فَرَضَ أَنَّ هُنَاكَ صَلَاحًا وَأَصْلَحَ وَجِبَ عَلَى اَللّٰهِ خَلْقُ اَلْأَصْلَحِ لَا اَلصَّلَاحَ ، وَيُرُونَ أَنَّ اَلفُسَادَ وَاَلصَّلَاحَ مِنْ مَحْضِ فَعْلِ اَلْعَبْدِ ، وَلَا تَعَلُّقَ لِإِرَادَةِ اَللّٰهِ فِي ذَلِكَ؛ إِذْ يَنْكُرُونَ أَصْلًا صِفَاتِ اَلْمَعَانِي كُلِّهَا ، وَيُرُونَ أَنَّ اَلْإِرَادَةَ صِفَةُ سَلْبٍ ، وَهِيَ نَفْيُ اَلْإِكْرَاهِ وَاَلسَّهْوِ عَنْهُ سُبْحَانَهُ فِيمَا يَفْعَلُهُ . بَيْنَمَا =

٤٤- وَجَائِزٌ فِي حَقِّهِ مَا أَمَكْنَا إِيْجَادًا إِعْدَامًا كَرَزَقِهِ الْغِنَى

فردَّ المصنّف عليهم بهذه العبارة العامّة ، وسيأتي يفرّع على هذه القاعدة قوله :

فَخَالِقٌ لِعَبْدِهِ وَمَا عَمِلُ
وقوله :

وقولهم إِنَّ الصَّلَاحَ وَاجِبٌ عَلَيْهِ^(١) . . . إلخ
قوله : (كرزقه الغنى)

بفتح الرّاء مصدر مضاف لفاعله ، أي : كرزق الله عبده الغنى ، وهذا مثال لقوله : (إيجاداً) ، ومثال (الإعدام) عدم رزق الله العبد الغنى ، فالخير والشرُّ من الله ، لكنّ اللائق نسبة الخير لله ، والشرُّ للنفس ، قال تعالى : ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ ﴾^(٢) أي : بسبب كسبك ، يفسّره قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾^(٣) . وأمّا قوله تعالى في الآية : ﴿ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾^(٤) فرجوع للحقيقة ، وانظر إلى أدب الخضر عليه السلام حيث قال : ﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ

= يرى أهل السنّة والجماعة أنّه لا يجب على الله سبحانه وتعالى شيء ، بل يجوز في حقّه تعالى كلُّ ممكن . كما بيّن المؤلّف ذلك في قوله : (وجائز في حقّه ما أمكنا . . .) انظر تحفة المريد (٦٨) .

(١) انظر ص (٢٤٧) من هذا الكتاب .

(٢) سورة النساء (٧٩) .

(٣) سورة الشورى (٣٠) .

(٤) سورة النساء (٧٨) .

٤٥ - فَخَالِقُ لِعَبْدِهِ وَمَا عَمِلُ مَوْفِقٌ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَصِلُ

يَبْلُغَا أَشَدَّهُمَا^(١) وقال: ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾^(٢) وكذا قول إبراهيم الخليل عليه السلام: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾^(٣) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ^(٤) وَإِذَا مَرِضْتُ^(٥) الآية ، فنسب الهداية والإطعام والشفاء لله ، والإمراض لنفسه تأدباً ، وإلا فالكلُّ من الله .

الله خالق للعباد وأعمالهم

قوله: (فخالق لعبده وما عمل)

أي: فحيث كان الخير والشرُّ من الله ، فهو الخالق لعبده ، والمراد منه كلُّ مخلوق ، والمعنى أنَّ الله خالق لعبيده وما عملوه من خير أو شرّاً اختياراً أو اضطراراً^(٤) ، وليس للعبد إلا مجرد الميل حالة الاختيار ، ولذا طُلب بالتوبة والإقلاع والندم ، واستحقَّ التعزير والحدود ، والثواب والعقاب ، وهذا هو الكسب الآتي . خلافاً للمعتزلة القائلين: إنَّ العبد يخلق أفعال نفسه الاختيارية^(٥) .

ويَرِدُ عليهم: بأنَّه لا يخلو إمَّا أن يكون حصول هذا الفعل بقدرة الله

(١) سورة الكهف (٨٢) .

(٢) سورة الكهف (٧٩) .

(٣) سورة الشعراء (٧٨ - ٧٩ - ٨٠) وتمامها: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ .

(٤) والاضطرار نفسه: منه اضطرار مع اختيار كالأكل عند المخمصة ، ومنه اضطرار بدون اختيار كالعطاس والارتعاش .

(٥) بينما يوافقون أهل السنَّة بأنَّ الله يخلق أفعال العبد الاضطرارية . انظر إتحاف المرید (١٠٣) .

٤٥ - فَخَالِقُ لِعَبْدِهِ وَمَا عَمِلَ مَوْفِقٌ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَصِلَ

وقدرة العبد معاً .

فإن قالوا : نعم . قلنا لزم اجتماع مؤثرين على أثر واحد .
 وإن قالوا بقدرة العبد فقط . قلنا : لزم وقوع شيء في الكون قهراً عن
 الله ، ولزم أن لا يكون سبحانه وتعالى واحداً في الأفعال ، وهو كفر .
 ويردُّ عليهم أيضاً بأنه لو كان الفعل له ^(١) لكان عالماً بحركات نفسه
 وسكناتها مدى الأيَّام ، فجهله بها دليل لعجزه ^(٢) .
 وأمَّا قولهم : إنَّه يلزم على كلام أهل السنَّة أنَّ تعذيب الله العصاة ظلم
 فباطل ؛ لأنَّ الظلم هو التصرُّف في ملك الغير .
 وحكي أنَّ القاضي عبد الجبَّار بن أحمد المعتزلي ^(٣) ، قاضي
 قزوين ، دخل عند ابن عبَّاد ^(٤) وزير المغرب ، فرأى عنده الأستاذ

(١) أي : للعبد .

(٢) نعم إنَّ العبد يجهل أفعال نفسه الماضية والحاضرة والمستقبلية ، أمَّا المستقبلية
 فأمرها واضح ، وأمَّا الماضية والحاضرة فبيان ذلك : أنَّ العبد لا يدرك عند حركة
 يده مثلاً مقدار الطاقة التي صرفت ، ولا عدد العروق التي تحرَّكت ، وما كنه
 الأوامر التي صدرت من المخِّ ، ولا كيفية صدورها . . . وهكذا .

أمَّا ربُّنا ، سبحانه وتعالى ، فيعلم ذلك كلُّه ، ودليل ذلك من الكتاب قوله
 سبحانه : ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ سورة تبارك (١٤) .

(٣) قاضي أصوليٌّ كان شيخ المعتزلة في عصره . له تصانيف منها : تنزيه القرآن عن
 المطاعن ، المغني في أبواب التوحيد والعدل . توفي في الرِّيِّ سنة (٤١٥هـ) .
 انظر طبقات الشافعية للسبكي (٣/٩٧) .

(٤) إسماعيل بن عباد أبو القاسم الطالقاني ، ولد سنة (٣٢٦هـ) وتوفي سنة (٣٨٥هـ) ،
 وزير غلب عليه الأدب . لُقِّب بالصاحب لصحبته مؤيِّد الدولة في صباه ، فكان
 يدعو بذلك . له تصانيف جليلة منها (المحيط) و(الكشف عن مساوي شعير
 المتنبي) . انظر الأعلام (١/٣١٦) .

٤٥ - فَخَالِقُ لِعَبْدِهِ وَمَا عَمِلُ مُوَفَّقٌ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَصِلَ

أبا إسحاق الأُسُقْرَائِينِي إِمَامَ أَهْلِ السُّنَّةِ ، فَقَالَ عَبْدُ الْجَبَّارِ : سُبْحَانَ مَنْ تَنَزَّهَ / عَنِ الْفَحْشَاءِ^(١) ، فَفَهَمَ السُّنِّيُّ مَرَادَهُ ، فَقَالَ : سُبْحَانَ مَنْ لَا يَقَعُ فِي مَلِكِهِ إِلَّا مَا يَرِيدُهُ ، فَقَالَ الْمَعْتَزَلِيُّ : أَيْرِيدُ رَبُّكَ أَنْ يَعْصِيَ؟ فَقَالَ لَهُ السُّنِّيُّ : أَيْعْصَى رَبُّنَا قَهْرًا عَلَيْهِ؟ فَقَالَ لَهُ الْمَعْتَزَلِيُّ : أَرَأَيْتَ إِنْ مَنَعَنِي الْهَدْيَ وَقَضَى عَلَيَّ بِالرَّدِيِّ ، أَحْسَنَ إِلَيَّ أَمْ أَسْأءُ؟ فَقَالَ السُّنِّيُّ : إِنْ مَنَعَكَ مَا هُوَ لَكَ فَقَدْ أَسْأءَ ، وَإِنْ مَنَعَكَ مَا هُوَ لَهُ ، فَالْمَالِكُ يَفْعَلُ فِي مَلِكِهِ مَا يَشَاءُ^(٢) . فَانصَرَفَ الْحَاضِرُونَ وَقَالُوا : لَيْسَ بَعْدَ هَذَا جَوَابٌ ، وَاللَّهِ كَأَنَّهُ أُلْقِمَ حَجْرًا^(٣) .

تَنْبِيْهِ :

هَذَا يَسْمَى عِنْدَ الْعَارِفِينَ بِوَحْدَةِ الْأَفْعَالِ ، بِمَعْنَى أَنَّ الْعَارِفَ لَا يَشْهَدُ فِعْلًا لِسِوَى اللَّهِ تَعَالَى . وَقَدْ قَالَ الْعَارِفُ^(٤) فِي ذَلِكَ :

وَلِي فِي خَيَالِ الظَّلِّ أَكْبَرُ عِبْرَةٍ لِمَنْ كَانَ فِي بَحْرِ الْحَقِيقَةِ رَاقِي
شُخُوصٌ وَأَشْكَالٌ تَمُرُّ وَتَنْقُضِي فَتَفْنِي جَمِيعاً وَالْمُحْرَكُ بَاقِي

وَقَالَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ فِي هَذَا الْمَعْنَى أَيْضاً :

وَمَا الخَلْقُ فِي التَّمْثَالِ إِلَّا كَثَلَجَةٍ لَهَا صُورَةٌ لَكِنْ تَبَدَّتْ عَنِ المَاءِ
فَذُو الكَشْفِ لَمْ يَشْهَدْ سِوَى المَاءِ وَحَدَهُ تَبَدَّى بِوَصْفِ الثَّلْجِ مِنْ غَيْرِ إِخْفَاءِ

(١) مريداً بذلك رأي المعتزلة القائلين: إن إرادة الله لا تتعلق بالشور والقبائح. انظر تحفة المريد (٤٢).

(٢) في (م) كيف يشاء. وأثبتناها من (د).

(٣) ذكرت هذه المناظرة في طبقات الشافعية للسبكي (٤/٢٦١ - ٢٦٢)، وفي شرح المقاصد للفتازاني (٢/١٠٧)، وفي غيرهما.

(٤) القائل هو ابن الجوزي. انظر النجوم الزاهرة (٦/١٥٨).

٤٥ - فَالْتَقَ لِعَبْدِهِ وَمَا عَمِلَ مُوَفَّقٌ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَصِلَ

وَمَنْ حَجَبَتْهُ صُورَةُ الثَّلْجِ جَاهِلٌ تَغَطَّى عَلَيْهِ الْأَمْرُ مِنْ لَمَعِ أَضْوَاءِ

التوفيق والخذلان من الله تعالى

قوله: (موفق)

من التوفيق: وهو خلق قدرة الطاعة والداعية إليها^(١) في العبد عند إمام الحرمين^(٢)، فالمراد بالقدرة عنده: سلامة الأسباب والآلات^(٣)،

(١) أي: الميل النفساني المصاحب للطاعة. انظر حاشية الأمير على إتحاف المرید (١٠٣).

(٢) عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمّد الجويني، أبو المعالي ركن الدين، أعلم المتأخرين من أصحاب الشافعي، ذكر السحيمي في كتابه المقتدي ص (٤٤) أنه لُقّب بإمام الحرمين لانحصار الإفتاء في مكة والمدينة فيه. ولد في جوين من نواحي نيسابور سنة (٤١٩هـ)، ورحل إلى بغداد، فمكّة حيث جاور أربع سنوات، وذهب إلى المدينة، توفّي بنيسابور سنة (٤٧٨هـ). له مصنّفات منها: العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية، ومغيث الخلق، والإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد الذي أورد فيه تعريف التوفيق في ص (٢٥٤).

انظر وفيات الأعيان (٣/١٦٧ - ١٦٨)، طبقات الشافعية للسبكي (٣/١٨٤) وما بعدها.

(٣) المراد من الأسباب الأشياء التي تكون حاملة على الفعل، والمراد من الآلات: الأشياء التي يحصل بها الإعانة على الفعل؛ فالماء الذي يتوضأ به من الأسباب العرفية للصلاة، والأعضاء التي تحاول بها الطاعة آلات لها. اهـ تحفة المرید (٦٢).

٤٥- فَخَالِقُ لِعَبْدِهِ وَمَا عَمِلُ مُوَفَّقٌ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَصِلَ

بناءً على أنَّ العَرَضَ يبقى زمانين^(١)، فالكافر غير موفَّق لعدم الداعية، ويشهد لذلك قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾^(٢) أي: يجعل داعيته ورغبته ومحَبَّته إليه.

وعند الأشعري^(٣): هو خلق قدرة الطاعة في العبد، والمراد بالقدرة: العَرَضُ^(٤) المقارن للطاعة، بناءً على أنَّ العَرَضَ لا يبقى زمانين. أورد عليه أنه قبل الطاعة مكَلَّفٌ، فيلزم عليه تكليف العاجز.

أجيب: بأنَّ التكليف متوقَّفٌ على سلامة الأسباب والآلات، فتحصَّلَ أنَّ الخُلْفَ من جهة التكليف لفظيٌّ؛ لانتفاقهما على أنَّ التكليف متوقَّفٌ على سلامة الأسباب والآلات، وأمَّا من جهة تسمية السلامة قدرة أو لا فحقيقيٌّ؛ فعند إمام الحرمين يسمَّى قدرة، وعند الأشعري لا يسمَّى قدرة، بل القدرة عنده هي العَرَضُ المقارن للطاعة. والحقُّ في هذه المسألة مع إمام الحرمين دون الأشعري.

قوله: (لمن أراد أن يصل)

أي لمن أراد وصوله لمحَبَّته ورضاه.

= توضِّح السلامة في الأسباب والآلات بسلامة أعضاء الوضوء مثلاً مع توقُّر الماء.

(١) أي: إنَّ القدرة الموجودة الآن ستبقى إلى وقت الوضوء مثلاً؛ لذلك بقي العَرَضُ زمانين.

(٢) سورة الأنعام (١٢٥).

(٣) سبقت ترجمته ص (٧٨).

(٤) أي: الحركة المقارنة لإيجاد الفعل؛ لذلك لم يبق العَرَضُ زمانين كما قال إمام الحرمين.

٤٦- وَخَاذِلْ لِمَنْ أَرَادَ بُعْدَهُ وَمُنْجِزٌ لِمَنْ أَرَادَ وَعْدَهُ

قوله: (وخاذل)

من الخِذْلان: وهو ضدُّ التوفيق، ويأتي فيه الخلاف المتقدم بين الأشعري وإمام الحرمين^(١).

الوعد والوعيد والخلاف فيهما

قوله: (ومنجز لمن أراد وعده)^(٢)

أشار بذلك إلى أنّ وعد الله بالجنة للمؤمنين الطائعين لا يتخلف قطعاً؛ لقوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾^(٣) ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْوَعْدَ﴾^(٤). فوعده سبحانه على حسب ما سبق في علمه أولاً، فلو جاز تخلف الوعد لانقلب علم الله جهلاً، ولزم عليه الكذب في خبره تعالى، وكلاهما مستحيل.

وأما وعيده بالنار للكافرين فلا يتخلف أيضاً؛ لقوله تعالى: ﴿مَا يَدَّبُّ الْقَوْلَ لَدَى...﴾^(٥) ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا﴾^(٦) إلى غير ذلك.

(١) أي: خلق قدرة المعصية والداعية إليها عند إمام الحرمين. انظر الإرشاد ص (٢٥٤-٢٥٥).

وخلق قدرة المعصية فحسب عند الأشعري.

(٢) مفعول أراد محذوف (ووعده): مفعول به لاسم الفاعل (منجز)، أي: منجز وعده لمن أراد.

(٣) سور الروم (٦).

(٤) سورة الرعد (٣١).

(٥) سورة ق (٢٩).

(٦) سورة فاطر (٣٦).

٤٦- وَخَاذِلْ لِمَنْ أَرَادَ بُعْدَهُ وَمُنْجِزٌ لِمَنْ أَرَادَ وَعْدَهُ

وأما وعيده بالنار لعصاة المسلمين ، فاختُلف فيه بين الأشاعرة والماتريدية .

فقلت الأشاعرة: (هم تحت المشيئة ، إن شاء غفر لهم ، وإن شاء عذبهم) قال المصنّف فيما يأتي:

وَمَنْ يَمُتْ وَلَمْ يَتُبْ مِنْ ذَنْبِهِ فَأَمْرُهُ مُفَوَّضٌ لِرَبِّهِ^(١)

وقالت الماتريدية: (وعيده لا يتخلف كالوعد) ، وجعلوا الآيات الواردة بعمومه مخصوصة بالمؤمن المغفور له ، فيكون من باب العامّ الذي أريد به الخصوص ، فالتخلف لفظي .

فقول الأشاعرة يمكن تخلّفه ، أي: فيمن يريد الله عدم عذابه ، وقول الماتريدية لا يمكن تخلّفه أي: فيمن تحقّق فيه الوعيد^(٢) .

لكن قال شيخنا الأمير^(٣) : وقد يقال : على أنّه معلق بالمشيئة يجوز العفو عن جميع العصاة ، وعلى أنّه مخصوص لا بدّ للعامّ من شيء

(١) انظر ص (٤٠٤) من هذا الكتاب .

(٢) يلخص رأي الأشاعرة والماتريدية في وعيد العصاة من المؤمنين بالنار على النحو التالي:

هو أنّ الأشاعرة ترى أنّ المغفرة جائزة لجميع المؤمنين من جميع ذنوبهم ، والماتريدية ترى أنّه لا بدّ من تنفيذ الوعيد بالعصاة ولو في كلّ نوع من أنواع المعاصي بواحد على الأقلّ .

أي: أنّ طلب المغفرة لجميع المؤمنين من جميع الذنوب جائز عند الأشاعرة ، وغير جائز عند الماتريدية .
انظر تحفة المريد (٦٣) .

(٣) سبقت ترجمته ص (١٣٣ - ١٣٤) .

٤٦- وَخَاذِلْ لِمَنْ أَرَادَ بُعْدَهُ وَمُنْجِزٌ لِمَنْ أَرَادَ وَعْدَهُ

يتحقق فيه؛ لأنَّ التخصيص لا يستغرق ، ألا ترى قولهم: (إنَّ الاستثناء المستغرق باطل) ولو استغرق التخصيصُ لكان نسخاً وإزالة لا تخصيصاً.

فظهر أنَّ الخلاف حقيقي ، وأنَّ قولهم: (لابدَّ من إنفاذ الوعيد ولو في واحد) الآتي^(١) في قوله:

وَوَاجِبٌ تَعْدِيْبٌ بَعْضٍ ارْتِكَبُ كِبِيْرَةً

إنَّما يظهر على كلام الماتريديَّة ، ويصحُّ على مقتضى الأشاعرة طلب الغفران لجميع المسلمين من غير ملاحظة التخصيص^(٢).

فتحصَّل أنَّ وعد الله للطائعين لا يتخلف جزماً؛ لتعلُّق علم الله به؛ وللدليل السمعي ، فلو جاز تخلفه لانقلب علم الله جهلاً ، وللزم الكذب في خبره تعالى ، وكذا وعيده للكفار. وأمَّا وعيده للعصاة فتحت المشيئة كما علمت .

إن قلت: إنَّ قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً﴾^(٣) يقتضي أنَّه يتخلف جزماً.

أجيب: بأنَّه قيده في الآية الأخرى ، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَعْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَعْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾^(٤) فدلَّ ذلك على أنَّه تحت المشيئة كما هو الحقُّ .

(١) انظر ص (٤٠٥) من هذا الكتاب .

(٢) وتتمَّة مقولة الأمير: (. . . من غير ملاحظة التخصيص بما عدا من يتحقَّق فيه الوعيد) حاشية الأمير على إتحاف المرید (١٠٤).

(٣) سورة الزمر (٥٣).

(٤) سورة النساء (٤٨-١١٦).

السعادة والشقاوة عند الأشاعرة والماتريدية

قوله: (فوز السعيد عنده)

أي: ممّا يجب اعتقاده عند الأشاعرة أنّ السعادة والشقاوة أزليّتان ، فالطّاعة والإسلام علامة السعادة ، والعصيان والكفر علامة الشقاوة ، فالخاتمة تدلّ على السابقة؛ فإنّ حُتْمَ له بالكفر دلّ على أنّه كان في الأزَل من الأشقياء ، وإنّ حُتْمَ له بالإيمان دلّ على أنّه في الأزَل كان من السعداء ، وهذه العلامة يمكن تخلفها؛ لما في الحديث. «إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ / أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا. وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا»^(١).

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٢٠٨) و(٣٣٣٢) و(٦٥٩٤) و(٧٤٥٤). ومسلم (٢٦٤٣) عن عبد الله بن مسعود مرفوعاً. ورواه أيضاً أبو داود رقم (٤٧٠٨). والترمذي رقم (٢١٣٧). وابن ماجه رقم (٧٦). وأحمد في المسند (٣٨٢/١) و(٤٣٠ و٤١٤).

وفي الصحيحين من حديث سهل بن سعد الساعدي - رضي الله عنه -: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ - فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ - وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ - فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ - وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ .»
وبالنظر إلى هذه الرواية ، وإلى قوله عليه الصلاة والسلام فيها: (فيما يبدو للناس) يذهب الإشكال الذي وقع فيه بعضهم في فهم الحديث؛ فقد يبدو =

٤٧- فَوْزُ السَّعِيدِ عِنْدَهُ فِي الْأَزَلِّ كَذَا الشَّقِيُّ ثُمَّ لَمْ يَنْتَقِلِ

.....

وعند الماتريديّة السعادة هي نفس الإسلام ، والشقاوة نفس الكفر ، فعليه إذا مات على الكفر فقد انقلبت سعادته بشقاوة ، وإذا أسلم الكافر عند الموت فقد انقلبت شقاوته بسعادة .

فقد رجع الخلف لفظياً ؛ لأنّ العبرة بالخاتمة على كلا القولين ، وإنّما الخلاف في التسمية فقط :

فالأشاعرة يقولون: الإسلام علامة على السعادة لانفسها ، والكفر علامة على الشقاوة لانفسها ، والسعادة والشقاوة لا يتغيّران ؛ لأنّهما أزلّتان .

والماتريديّة يقولون: الإسلام والكفر هو السعادة والشقاوة ، وعليه فالسعادة والشقاوة يتغيّران . ويترتّب على قول الأشاعرة صحّة قولك : أنا سعيد إن شاء الله ، وعدم صحّته عند الماتريديّة^(١) .

قوله : (ثمّ لم ينتقل)

أي : لم يتحوّل كلّ عمّا تحتمّ له ؛ لتعلّق العلم بذلك ، فلو جاز تحوُّله لانقلب العلم جهلاً .

= الإنسان عاملاً بعمل أهل الجنّة ، وقد أسرّ سريرة سوء تؤدّي إلى سوء الخاتمة ، ودخول النار . وقد يبدو عاملاً بعمل أهل النار ، وفي باطنه سريرة خير تؤدّي إلى حسن الخاتمة ، ودخول الجنة . والله أعلم .

(١) انظر تفصيل هذا في إتحاف المرید وحاشية الأمير عليه ص (١٠٤ - ١٠٥) .
وتحفة المرید (٦٤) .

أفعال العبد والأقوال فيها

قوله: (وعندنا للعبد كسب... إلخ)

المقصود من هذه المسألة بيان مذهب أهل السنة في أفعال العبيد، والرد على المعتزلة والجبرية^(١) (بسكون الباء وفتحها).

- فإن الجبرية يقولون: العبد مجبور ظاهراً وباطناً، فهو كالخيض المعلق في الهواء، وينكرون التكليف، وإرسال الرسل، ويقولون: تعذيب الله العبد على المعاصي ظلم.

- والمعتزلة يقولون: العبد مختار ظاهراً وباطناً، يخلق أفعال نفسه الاختيارية، وإلا لو كان الفعل لله لكان تعذيبه على المعاصي ظلماً. وكلاهما باطل.

وأهل السنة يقولون: العبد له فعل اضطراري: كسقوط من جبل، وكحركة المرتعش، وهذا الفعل لا تكليف فيه قطعاً؛ لأنه فعل الله اتفاقاً، ومن ذلك الإكراه^(٢).

(١) الجبر: هو نفي الفعل حقيقة عن العبد، وإضافته إلى الرب تعالى. والجبرية أصناف، فالجبرية الخالصة: هي التي لا تثبت للعبد فعلاً ولا قدرة على الفعل أصلاً، والجبرية المتوسطة: هي التي تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة أصلاً اهـ. الملل والنحل (١/٨٥).

(٢) لا بد من وقوف عند كلمة الإكراه، نعم يرتفع الإثم بالإكراه، ولكننا لا نستطيع أن نقول: إن المكروه لم يفعل باختياره، بل إنه فعل ذلك بمحض اختياره حين اختار تنفيذ أوامر المكروه؛ ليرفع عن نفسه القتل مثلاً.

٤٨- وَعِنْدَنَا لِلْعَبْدِ كَسْبٌ كُلُّفًا وَلَمْ يَكُنْ مُؤْتَرًّا فَلْتَعْرِفَا

وفعل اختياري: وهو فعل الله أيضاً لكن باعتبار الإيجاد ، وينسب للعبد باعتبار الكسب^(١) ، وهو^(٢) تعلق قدرة العبد وإرادته بالفعل^(٣) ، فمن عظيم قدرته تعالى إيجاد الفعل عند قدرة العبد لا بقدرته وإرادته ، وذلك كقطع السكين مثلاً فإنَّ القطع عند مرور السكين لا بالسكين ؛ فإنه يمكن تخلُّفه ، فمقارنة قدرة العبد وإرادته لإيجاد الله هو المسمَّى بالكسب .

قوله : (ولم يكن مؤتراً)

أي : لم يكن للعبد تأثير في ذلك الفعل الاختياري^(٤) .

(١) حجَّتنا في ذلك قوله تعالى : ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ﴾ سورة الأنفال (١٧) . وقد ظهر فعل الله باعتبار الإيجاد والنسبة للعبد باعتبار الكسب جلياً واضحاً في قوله تعالى : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾ سورة الأنفال (١٧) . أي : ما رميت إيجاباً حين رميت كسباً ، ولكنَّ الله رمى إيجاباً . ولو أردنا أن نفسّر هذه الآية على ضوء ما قاله الجبرية أو المعتزلة لما استقام المعنى . انظر مدارك التنزيل للنسفي (٩٨/٢) .

(٢) قوله : (وهو) أي الكسب . انظر ص (٢٤٤) من هذا الكتاب ؛ إذ وُضِحَ الكسب هناك بأنَّه ميل العبد ، وتوجُّهه للفعل فحسب .

(٣) في (د) زيادة هي : فإذا تعلقت قدرة العبد وإرادته بالفعل .

(٤) يشبّه عدم تأثير العبد في الفعل الاختياري بوصول إنسان شريطين من الكهرباء ، وحدوث شرارة عند التماس فإنَّ أحداً لا يستطيع أن يسند صنع الشرارة إلى واصل الشريطين .

٤٨- وَعِنْدَنَا لِلْعَبْدِ كَسْبٌ كُلُّفًا وَلَمْ يَكُنْ مُؤَثَّرًا فَلَتَعْرِفَا

٤٩- فَلَيْسَ مَجْبُورًا وَلَا اخْتِيَارًا وَلَيْسَ كَلًّا يَفْعَلُ اخْتِيَارًا

وقوله : (فلتعرفا)

١/٢٩ / الألف مبدلة من نون التوكيد الخفيفة؛ لوقوعها بعد فتح في حالة الوقف ، قال ابن مالك^(١) :

وَأَبْدَلْنَهَا بَعْدَ فَتْحِ أَلِفَا وَقَفًّا كَمَا تَقُولُ فِي قَفْنِ قِفَا^(٢)

وهذه النسخة هي التي أصلحها المصنّف في المبيضة ، وهو قد شرح على النسخة المتداولة وهي :

وَعِنْدَنَا لِلْعَبْدِ كَسْبٌ كُلُّفًا بِهِ وَلَكِنْ لَا^(٣) يُؤَثَّرُ فَاَعْرِفَا

قال : وما منعني أن أشرح عليها إلا غيبة الأصل عني ، وإنما أصلحها ؛ لأنّ التصريح بالنفي فيه ردٌّ على المخالف من أوّل الأمر ، بخلاف الاستدراك ؛ فإنّه يساق لرفع ما يتوهّم ثبوته أو نفيه ، ولا يتوهّم التأثير من التعبير بالكسب ؛ لأنّ اصطلاحهم أنّ الكسب ليس فيه تأثير .

قوله : (فليس مجبوراً . . . إلخ)

هذا شروع في الردّ صراحة على الجبرية والمعتزلة ، وإلا فقد تقدّم الردّ التزاماً في العبارة الأولى ، فإنّ قوله : (وَعِنْدَنَا لِلْعَبْدِ كَسْبٌ كُلُّفًا) ردٌّ

(١) سبقت ترجمته في ص (١٠٧) .

(٢) انظر الخلاصة (الألفية) لابن مالك ، باب نوني التوكيد .

(٣) وفي نسخة :

... .. بِهِ وَلَكِنْ لَمْ يُؤَثَّرُ فَاَعْرِفَا
وعلّها هي المفضّلة ؛ لجزم (يؤثّر) بلم حتّى يستقيم الوزن .

٤٩- فَلَيْسَ مَجْبُورًا وَلَا اخْتِيَارًا وَلَيْسَ كُلًّا يَفْعَلُ اخْتِيَارًا

على الجبرية ، وقوله : (وَلَمْ يَكُنْ مُؤْتَرًّا) ردُّ على المعتزلة ، لكنَّ علماء هذا الفنَّ يُجِيبُونَ زيادة الإيضاح .

قوله : (ولا اختيارا)

النفى مسلط عليه ، وهو منفيُّ بلا ، فنفي النفي إثبات ، أي : فهو غير مجبور بل له اختيار .

قوله : (وليس كلاً يفعل اختياراً)

أي : والواجب اعتقاده أيضاً أنَّ العبد لا إيجاد له في الفعل الاختياري أصلاً ، وإنما [له] ^(١) الكسب كما علمت ، وفي هذا ردُّ على المعتزلة القائلين : إنَّ العبد يخلق أفعال نفسه الاختيارية ، وبنوا على ذلك أموراً فاسدة باطلة ، منها أنهم قالوا : لو كانت هذه الأفعال مخلوقة لله - كما تقولون - لكان تعذيب الله له ظلماً .

قلنا : التعذيب بالنظر للجزء الاختياري وهو الكسب .

قالوا : ومن خلق الكسب؟ نقول لهم : هو الله ، ولا يُسألُ عمَّا يفعل .

قالوا : لو كان الفعل لله لكان متَّصفاً بذلك الفعل ، وهو غير لائق ، مثلاً خَلَقَ الكفر في الإنسان فعليه يسمَّى الله كافراً ، ولم يقل به أحد .

(١) ساقطة من (م) وأثبتناها من (د) .

٤٩- فَلَيْسَ مَجْبُورًا وَلَا اخْتِيَارًا وَلَيْسَ كَلًّا يَفْعَلُ اخْتِيَارًا

قلنا لهم: إنَّ ذلك قائم بالمفعول لا بالفاعل ، ألا ترى الأشخاص والألوان ، فإنها فَعُلُهُ وليست قائمة به .

ويُرَدُّ عليهم بالعقل والنقل :

أمَّا النقل : قال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾^(١) ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَفَقَدَرَهُ نَفْدِيرًا ﴾^(٢) إلى غير ذلك .

وأمَّا العقل : فلأنَّ العبد لو كان خالقاً لأفعال نفسه لكان عالماً بها تفصيلاً ، واللَّزَم باطل ، فكذا الملزوم^(٣) ، وأيضاً لو كان فاعلاً لكان شريكاً لله في أفعاله .

فَتَحَصَّلَ أَنَّ أفعالنا الاضطرارية مخلوقة لله اتِّفَاقاً ، وكذا أفعالنا الاختيارية ، غير أنَّ العبيد لهم في الاختيارية ميل وتوجُّه ، ويسمَّى كسباً ، وعليه مدار التكليف .



(١) سورة البقرة (٢٨٤) .

(٢) سورة الفرقان (٢) .

(٣) أي: إنَّه ليس بخالق أفعال نفسه . ونستطيع أن نفهم هذا التلازم من قوله تعالى : ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ ﴾ سورة تبارك (١٤) ، إذ الخالق سبحانه عالم بجزئيات خلقه ، بينما لا يعلم أحدنا أفعال نفسه ومدارها وأبعادها .

٥٠- فَإِنْ يُثِنَّا فَبِمَحْضِ الْفَضْلِ وَإِنْ يُعَذِّبُ فَبِمَحْضِ الْعَدْلِ

إثابة المطيع فذل وتعذيب العاصي عدل

قوله: (فإن يثبنا فبمحض الفضل)

أي: حيث علمت ممّا تقدّم أنّ الأفعال كلّها مخلوقة لله تعلم أنّ الثواب بمحض فضل الله، أي: بخالص فضله وجوده وكرمه؛ لما في الحديث / : «لَنْ يَدْخُلَ أَحَدُكُمْ الْجَنَّةَ بِعَمَلِهِ، قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ»^(١). فالثواب بمحض فضل الله تعالى، لا في نظير عمل؛ لأنّه هو الخالق للعمل ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾^(٢). وعلى فرض أنّ العبد يخلق أفعال نفسه، فأين النفع، أو دفع الضرر الذي حصل له حتّى يستحقّ عليه الثواب؟!

قوله: (وإن يعذب فبمحض العدل)

أي: فتعذيبه بخالص عدله، وهو وضع الشيء في محله، وليس ظالماً؛ لأنّه متصرّف في ملكه، والظلم هو التصرف في ملك الغير.

تنبيه:

علم من وجوب انفراده تعالى بالخلق بطلان دعوى أنّ شيئاً يؤثّر بطبعه أو بقوة^(٣) فيه.

(١) أخرجه البخاري (٥٦٧٣) و(٦٤٦٣). ومسلم (٢٨١٦) عن أبي هريرة مرفوعاً.

(٢) سورة الصافات (٩٦).

(٣) قال الدردير:

وَمَنْ يَقُلْ بِالطَّبَعِ أَوْ بِالْعَلَّةِ فَذَلِكَ كُفْرٌ عِنْدَ أَهْلِ الْمِلَّةِ
وَمَنْ يَقُلْ بِالْقُوَّةِ الْمُوَدَّعَةِ فَذَلِكَ بِدْعِيٌّ فَلَا تَلْتَقِ =

٥٠- فَإِنْ يُثَبِّتْنَا فَبِمَحْضِ الْفَضْلِ وَإِنْ يُعَذِّبُ فَبِمَحْضِ الْعَدْلِ

فمن قال: الأسباب العادية تؤثر بذاتها^(١) من غير جعلٍ من الله كَفَرَ بالإجماع، ومن قال: بقوة خلقها الله فيها، ولو نزعها منها لم تؤثر، ففي كفره قولان، والأصحُّ أنه مسلم مبتدع فاسق. ومن هذا عقيدة المعتزلة في فعل العبد.

ومن اعتقد أنَّ الأسباب تؤثر بإذن الله، لكن بينها وبين ما قارنها ملازمة عقلية، فلا يصحُّ فيها التخلف، فهذا الاعتقاد يؤول بصاحبه إلى الكفر؛ لأنَّه يستلزم إنكار المعجزات^(٢)، وما أخبر به الأنبياء من المغيِّبات كأحوال القبر والآخرة؛ إذ هو من باب خرق العوائد التي

= انظر حاشية الصاوي على شرح الدردير لخريدته ص(٦٠ - ٦١).

(١) كالنار بالإحراق، والسكِّين بالقطع.

(٢) وذلك بقول أصحاب هذا الرأي:

كيف لم تحرق النار إبراهيم عليه الصلاة والسلام، والتلازم العقلي يجتَم ذلك؛ لأنَّ النار محرقة، ولا يمكن أن يتخلف هذا مطلقاً.

والحقُّ - والله أعلم - : أنَّ بين الأسباب والمسبِّبات تلازماً عادياً والتلازم العادي يتخلف، فالنار عادة تحرق، وتلك المرَّة لم تحرق سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام فتخلفت عاداتها، وبذلك الاعتقاد السليم يبقى الله سبحانه وتعالى هو المؤثِّر وحده، وإنَّما كان التلازم عادة فقط.

وعلى هذا التلازم هو الذي يريده المؤلِّف فيما سيذكره بعدُ من جعل الله سبحانه الأسباب أماراتٍ ودلائل على ما شاء من الحوادث، كإحراق النار وقطع السكِّين، وغير ذلك.

قال الزمخشري: كيف بردت النار وهي نار؟ قلت: نزع الله عنها طبعها الذي طبعها عليه من الحر والإحراق، وأبقاها على الإضاءة والإشراق والاشتعال كما كانت. والله على كل شيء قدير. انظر الكشاف (٣/١٢٦).

٥١- وَقَوْلُهُمْ إِنَّ الصَّلَاحَ وَاجِبٌ عَلَيْهِ زُورٌ مَا عَلَيْهِ وَاجِبٌ

تتخلّف فيها الأسباب العاديّة عمّا يقارنها.

ومن اعتقد عدم تأثيرها فيما قارنها ، لا بطبع ولا بقوة جعلت فيها ، وإنما جعلها مولانا أماراتٍ ، ودلائلَ على ما شاء من الحوادث من غير ملازمة عقلية بينها وبين ما جعلت دليلاً عليه ، فهو المؤمن حقاً ، والسني صدقاً ، كما تفيد هذا عبارة السنوسي في كتبه^(١).

القول بوجوب الصّلاح والأصلح

على الله تعالى زور

قوله: (وقولهم إنّ الصّلاح واجب... إلخ)

الضمير عائد على المعتزلة ، وإن لم يتقدّم لهم ذكر؛ لشهرة هذا المذهب عنهم ، فقصد الردّ عليهم.

والمراد بالصّلاح: ما يقابل الفساد ، كالإيمان في مقابلة الكفر ، والصحة في مقابلة المرض.

والمراد بالأصلح: ما يقابل الصلاح ، كالثواب بلا تكليف في مقابلة الثواب مع التكليف ، وكونه في أعلى الجنان في مقابلة كونه في الجنّة.

فيقولون: إنّ هذا واجب على الله لعباده ، وتركه بخل وسفّه ، وهو

(١) انظر شرح أم البراهين للسنوسي مع حاشية الدسوقي عليه ص(١٦٦) وما بعدها.

٥١- وَقَوْلُهُمْ إِنَّ الصَّلَاحَ وَاجِبٌ عَلَيْهِ زُورٌ مَا عَلَيْهِ وَاجِبٌ

٥٢- أَلَمْ يَرَوْا إِيْلَامَهُ الْأَطْفَالَا وَشِبْهَهَا فَحَازِرِ الْمِحَالَا

مُحَال عَلَيْهِ تَعَالَى . فَرَدَّ عَلَيْهِمُ الْمُصَنَّفُ بِقَوْلِهِ :

وَقَوْلُهُمْ إِنَّ الصَّلَاحَ وَاجِبٌ عَلَيْهِ زُورٌ

أي : باطل ؛ لأنَّه لو وجب عليه تعالى الصلاح لما خلق الكافر الفقير المعذب في الدنيا بالفقر ، وفي الآخرة بالعذاب الأليم^(١) .

فقوله : (ما عليه واجب)

٣٠/أ تأكيد لقوله : (زور) ؛ لأنَّه لو وجب / عليه شيء لم يكن فاعلاً مختاراً ، وهو باطل ؛ لقوله تعالى : ﴿ وَرَبِّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ﴾^(٢) ﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾^(٣) .

قوله : (أَلَمْ يَرَوْا إِيْلَامَهُ الْأَطْفَالَا)

تنبیه یتربَّب علی فساد ما ذكروه ، والمعنى : أَلَمْ يَعتبروا برؤيتهم البَصْرِيَّةَ فيما يشاهدونه في الأطفال ونحوهم بما يحصل لهم من الأمراض والبلايا ، فأئِي مصلحة في ذلك؟! لأنَّه لا ذنوب عليهم حتى يقال : إنها كفارات .

(١) حكي أَنَّ الحافظ ابن حجر مرَّ يوماً بالسوق في موكب عظيم وهيئة جميلة ، فهجم عليه يهوديٌّ يبيع الزيت الحارَّ ، وأثوابه ملطَّخة بالزيت ، وهو في غاية الرثاثة والبشاعة ، فقبض على لجام بغلته وقال له : يا شيخ الإسلام تزعم أَنَّ نبيَّكم قال : «الدنيا سجنُ المؤمن وجنَّةُ الكافر» ، فأئِي سجن أنت فيه ، وأئِي جنَّة أنا فيها؟ فقال : أنا بالنسبة لما أعدَّه الله لي في الآخرة من النعيم كأنِّي الآن في سجن ، وأنت بالنسبة لما أعدَّه الله لك في الآخرة من العذاب الأليم كأنك في جنَّة . فأسلم اليهوديُّ . تحفة المريد ص(٦٨) .

(٢) سورة القصص (٦٨) .

(٣) سورة آل عمران (٧٤) .

٥٢- ألم يَرَوْا إِيْلَامَهُ الْأَطْفَالَا وَشِبْهَهَا فَحَاذِرِ الْمِحَالَا

قوله: (وشبهها) أي: كالدوابِّ والمجانين؛ فَإِنَّ الْجَمِيعَ لَا نَفْعَ لَهُمْ فِي نَزُولِ الْأَسْقَامِ بِهِمْ.

قوله: (فحاذر المِحَالَا) بكسر الميم قال تعالى: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾^(١) أي: العقاب، أي: احذر عقاب الله النازل بالقائلين بوجوب الصلاح أو الأصلاح؛ لَأَنَّهَا ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ، أَي: أصحابها.

أصول الكفر والبدعة سبعة

فائدة:

قال السنوسي^(٢) في المقدمات: وأصول الكفر والبدعة سبعة:

١ - الإيجاب الذاتي: وهو إسناد الكائنات إلى الله على سبيل التعليل^(٣) أو الطبع من غير اختيار.

٢ - والتحسين العقلي: وهو كون أفعال الله تعالى وأحكامه موقوفة عقلاً على الأغراض، وهي جلب المصالح، ودرء المفسد^(٤).

(١) سورة الرعد (١٣).

(٢) سبقت ترجمته ص (١٠٥ - ١٠٦). انظر العقيدة المباركة المسماة بـ (المقدمة) للسنوسي (ق ١٩/أ-ب) مجموع.

(٣) أي: جَعَلَ اللهُ عِلَّةً لِهَذِهِ الْكَائِنَاتِ، وَلَا اخْتِيَارَ لَهُ فِي ذَلِكَ، وَهَذَا مُحَضَّرٌ كُفْرًا، وَتَوْضُحُ الْعِلَّةِ بِالْمِثَالِ التَّالِي، يُقَالُ:

الشمس علة للضياء، وليس لها إرادة في إعطاء هذا الضياء أو منعه؛ لأنها علة، والعلة لا تتخلف، لذلك يوجد الضياء بمجرد وجودها. أمَّا اللهُ سبحانه فليس بعلة للكائنات؛ إذ خلقها بعد أن شاء خلقها، ولم تكن قبل ذلك، وهو سبحانه وتعالى موجود من الأزل قبل خلقها. وعلى هذا فهو سبحانه ليس بعلة للكائنات؛ إذ كان ولم يكن شيء.

(٤) ذكر الدسوقي رأي المعتزلة هذا بقوله:

٣ - والتقليد الرديء : وهو متابعة الغير لأجل الحَمِيَّة والتعصُّب ^(١) من غير طلب للحقّ .

٤ - والربط العاديّ ^(٢) : وهو ثبوت التلازم بين أمر وأمر وجوداً وعدمًا بواسطة التكرُّر .

٥ - والجهل المركّب : وهو أن يجهل الحقّ ، ويجهل جهله به .

٦ - والتمشك في عقائد الإيمان بمجرد ظواهر الكتاب والسنة من غير عرضها على البراهين العقلية ، والقواطع الشرعية ^(٣) .

= فقالوا: إنه تعالى لا يفعل فعلاً ولا يحكم بحكم إلا لغرض باعث له على ذلك ؛ لأنّ الفعل الخالي عن الغرض يعده العقل عبثاً . انظر حاشية الدسوقي على أم البراهين ص (٢١٨) .

أقول: هذا قول مرفوض ؛ لأنّ الله ، سبحانه وتعالى ، غنيّ عن العالمين ، وليست أفعاله موقوفة عقلاً كما ادعوا . ورحم الله الإمام السنوسي الذي بيّن هذه المسألة فقال :

إذا عرفت استواء الأفعال بالنسبة إليه تعالى ، وأنه مختار في جميعها لا يجب عليه منها شيء ، لزم أن لا يكون له تعالى غرض في شيء منها ، أي : لا علة لشيء من الأفعال مشتملة على حكمة تبعته على إيجاد ذلك الفعل أو إعدامه ، بل هو جلّ وعلا مختار في كلا الأمرين . انظر عمدة أهل التوفيق والتسديد ص (٤٢٣) .

(١) انظر تعريف الحَمِيَّة والعصبية في صفحة (٦٥) من هذا الكتاب .

(٢) كإحراق عود الثقاب ورقة مثلاً ؛ إذ كلّما أشعل عود وقُدِّم من ورقة أحرقتها ، فهذا هو الرِّبْط العاديّ ، والحقُّ أنّ المحرِّق الحقيقيّ هو الله وحده سبحانه وتعالى .

(٣) أي : الأخذ بالآيات المتشابهة على ظاهرها ، ورفض تأويلها ، وإنكار المجاز ، وحمل الكلام على ظاهره . وأصحاب هذا الرأي يُسمُّون القائلين بالتأويل معطلين ، ويجعلون المجاز من جملة الطواغيت .

٥٢- ألم يَرَوْا إِيْلَامَةَ الْأَطْفَالَا وَسِبْهَهَا فَحَاذِرِ الْمِحَالَا

٧ - والجهل بالقواعد العقلية: التي هي العلم بوجود الواجبات ، وجواز الجائزات ، واستحالة المستحيلات . وباللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ: الذي هو علم اللغة والإعراب والبيان .

فكلُّ واحد من هذه قد ينشأ عنه كفر مُجْمَعٌ عليه ، وقد ينشأ عنه بدعة .

- فالإيجاب الذاتيُّ: هو أصل كفر الفلاسفة الذين جعلوا ذات الله علةً للممكن .

- والتحسين العقليُّ: أصل كفر البراهمة^(١) من الفلاسفة؛ حتى نفوا النبوات^(٢) . وأصل ضلالة المعتزلة؛ حتى أوجبوا على الله مراعاة الصلاح .

- والتقليد الرديء: أصل كفر عبدة الأوثان وغيرهم ؛ حتى قالوا : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ ﴾ - أي : ملَّة - ﴿ وَإِنَّا عَلَىٰ أَثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ ﴾ ، أي : متَّبِعُونَ ، ولهذا قال البعض : لا يكفي التقليد في عقائد الإيمان^(٣) ، وقال بعض المشايخ : (لا فرق بين مقلِّدٍ ينقاد وبهيمة تنقاد) .

(١) طائفة من الفلاسفة لا يجوزون على الله تعالى بعثة الرسل ، ويحرّمون لحوم الحيوان ، وهم طائفة من الهنود ، مأخوذة من (برها) وهو الإله الموجود . انظر دائرة المعارف (١٥٤/٢) ، ولسان العرب مادة (برهم) .

(٢) لأنَّ البراهمة يقولون: لا فائدة من النبوات؛ إذ ما يراه العقل حسناً فهو حسن . انظر الملل والنحل (٢٥١/٢) .

(٣) والمعتمد أنَّ إيمان المقلِّد صحيح - إلا أنَّه يكون عاصياً بترك النظر إن كان فيه أهليَّة له - والحال أنَّ اعتقاده جازم بحيث لا يرجع برجوع مقلِّده . انظر ص(١١٤) من هذا الكتاب .

٥٢- أَلَمْ يَرَوْا إِيْلَامَهُ الْأَطْفَالَا وَشِبْهَهَا فَحَاذِرِ الْمِحَالَا

- والربط العاديُّ: أصل كفر الطبائعيِّين ، وضلال من تبعهم من جهلة المؤمنين ، فرأوا ارتباط الشيع بالأكل بحيث لا يتخلَّف .

- والجهل المركَّب: أصل ضلال كثير ، كاعتقاد الفلاسفة تأثير الأفلاك^(١) .

- والتمسُّك بظاهر الكتاب والسنة: أصل ضلال الحشويَّة^(٢) ، فقالوا ب/٣٠ بالتشبيه والتجسيم والجهة عملاً بظاهر ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ / أَسْتَوَى﴾^(٣) ﴿ءَأْمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ﴾^(٤) ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدِي﴾^(٥) .

وقول السنوسيِّ في شرح الصغرى^(٦): (أصول الكفر ستَّة) أي: باعتبار جعل التمسُّك بظاهر القرآن والسنة ، والجهل بالقواعد العقلية

(١) إذ أُطبقوا على أنَّ الكواكب السيارات السبعة مؤثرات في هذا العالم ، أوَّلها في السماء السابعة وآخرها في السماء الدنيا. . . فالشمس تصبغ الألوان والقمر ينضج الطعوم وهكذا. انظر المقتدي بشرح الهددي ص(٢٧٤).

(٢) الحشويَّة بسكون الشين: نسبة للحشو؛ لأنهم يقولون: في القرآن كلام حشو لا معنى له.

ويفتح الشين: نسبة إلى الحشا وهو الجانب؛ لقول الحسن البصري حين تكلموا معه ، ووجد كلامهم ساقطاً مخالفاً لما عليه الجماعة: ردُّوا هؤلاء إلى حشا الحلقة ، أي: جانبها. انظر حاشية الدسوقي على أم البراهين ص(١١٥).

(٣) سورة طه (٥).

(٤) سورة الملك (١٦).

(٥) سورة ص (٧٥).

(٦) انظر شرح أم البراهين مع حاشية الدسوقي عليه ص(٢١٧).

٥٢- ألم يَرَوْا إِيْلَامَهُ الْأَطْفَالَا وَشِبْهَهَا فَحَاذِرِ الْمِحَالَا

واللسان العربي شيئاً واحداً؛ لأنَّ الأوَّل ناشئ عن الثاني. اهـ من السحيمي^(١).

وهذه المسألة - أعني وجوب الصلاح والأصلح - كانت سبباً لافتراق أبي الحسن الأشعري^(٢) من شيخه أبي هاشم الجُبَّائي^(٣)؛ فإنَّ أبا الحسن سأله في مجلس درسه، وقال له: ما تقول في ثلاثة إخوة مات أحدهم كافراً كبيراً، والآخر مسلماً كبيراً، والآخر صغيراً، فما مقرُّهم؟ فقال: الكافر الكبير في النَّار، والمسلم الكبير في الجَنَّة، والصغير في منزلة بين المنزلتين. فقال أبو الحسن: يقول الصَّغير: ياربِّ كان الأصلح في حقِّي أن لو متُّ مسلماً كبيراً، وكنتُ مع أخي في الجَنَّة. فقال له: يقول الله له: علمتُ أنَّك لو كبرت لكنت كافراً، وكنت مع أخيك الكافر في النار. فقال له: حينئذٍ يقول الكافر- بل وجميع أهل النار-: ياربنا كان الأصلح في حقِّنا أن لو أمتَّنا صغاراً ونُكفَى شرَّ النار، فسكت، ثمَّ قال له: أبلُك جنون^(٤)؟ فقال: لا ولكن وقف حمار الشيخ في العقبة^(٥). ثمَّ جلس يقرِّر عقائد أهل السنَّة رضي الله عنه.

(١) انظر المقتدي بشرح الهددي ص(١٤٠).

(٢) سبقت ترجمته في ص(٨٧).

(٣) سبقت ترجمته في ص(٨١).

(٤) في (د): إنك حيوان.

(٥) وفي عمدة أهل التوفيق للسنوسي زيادة (ثم قال: تعالى أن توزن أحكام الجلال بميزان الاعتزال) ص(٤٢٠).

- ٥٣- وَجَائِزٌ عَلَيْهِ خَلْقُ الشَّرِّ وَالْخَيْرِ كَالْإِسْلَامِ وَجَهْلِ الْكُفْرِ
 ٥٤- وَوَجِبَ إِيمَانُنَا بِالْقَدْرِ وَبِالْقَضَا كَمَا أَتَى فِي الْخَبْرِ

خَلْقُ الشَّرِّ وَالْخَيْرِ وَالْخِلَافِ فِيهِمَا

قوله: (وجائز عليه خلق الشر)

أشار بذلك للردِّ على المعتزلة القائلين بأنَّ الشرور والقبايح واقعة بغير إرادة الله تعالى. فردَّ عليهم بقوله: (وجائزٌ عليه خلقُ الشرِّ... إلخ)، فهو من ثمرات قوله: فَخَالَقَ لِعِبَادِهِ وَمَا عَمِلَ^(١)

قوله: (كالإسلام) مثال للخير.

وقوله: (وجهل الكفر) مثال للشرِّ على سبيل اللفِّ والنشر المشوِّش، وأدخلت الكاف في الأوَّل^(٢) جميع أنواع الطاعات، وفي الثاني^(٣) جميع أنواع المعاصي.

وَجُوبُ الْإِيمَانِ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ

قوله: (وواجب إيماننا بالقدر)

أي ممَّا يجب علينا الإيمان به الإيمان بالقضاء والقدر؛ لما في حديث الأربعين: «الإيمانُ أنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وَتُؤْمِنَ

(١) انظر ص (٢٣٠) من هذا الكتاب .

(٢) أي: كالإسلام.

(٣) والكاف في الثاني مقدرة، أي: كجهل الكفر.

٥٤- وَوَجِبَ إِيمَانُنَا بِالْقَدْرِ وَبِالْقَضَا كَمَا أَتَى فِي الْخَبَرِ

بِالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»^(١) حُلُوهُ وَمُرَّه^(٢).

واختلفوا في تعريف القدر ، فقالت الأشاعرة: هو إيجاد الله الأشياء على طبق ما سبق به علمه وإرادته. فعليه هو صفة فعلٍ ، وهي حادثة^(٣).

وقالت الماتريدية: هو تحديده تعالى أولاً كلَّ مخلوق بحده الذي يوجد به من حُسنٍ وقبحٍ وغير ذلك. فهو تعلق العلم والإرادة. وعليه فهو قديم.

وقد يقال: الخلاف لفظيٌّ؛ فمن نظر لمظهر الإيجاد قال: هو حادث. ومن نظر / لمتعلق العلم والإرادة التنجيزيَّ الأزليَّ قال: هو ١/٣١ قديم.

فنقول في تعريفه الجامع لهما: هو إيجاد الله للأشياء على طبق العلم والإرادة.

قوله: (وبالقضا)

هو لغة: الحكم ، واصطلاحاً: عرفه الماتريدية: بأنه الفعل مع زيادة إحكام. فعليه هو حادث. وعرفه الأشاعرة: بأنه إرادة الله المتعلقة بالأشياء أولاً. وعليه فهو قديم.

(١) أخرجه البخاري (٥٠) عن أبي هريرة مرفوعاً. ومسلم (٨) عن عمر مرفوعاً في سياق حديث طويل.

(٢) قوله: (حلوه ومره) لم نجده فيما أخرجه البخاري ومسلم.

(٣) وإذا كانت الصفة حادثة ، فالقدر حادث أيضاً؛ لأنهم عرفوه كما رأينا بأنه إيجاد الله تعالى الأشياء ، والإيجاد حادث. انظر تحفة المرید (٧٠).

٥٤- وَوَأَجِبْ إِيْمَانُنَا بِالْقَدْرِ وَبِالْقَضَا كَمَا أَتَى فِي الْحَبْرِ

وقال بعضهم: القضاء والقدر شيء واحد، وهو: إيجاد الله الأشياء على طبق تعلُّق العلم والقدرة. وفي الحقيقة الأشاعرة والماتريدية تعاكسا، فما قالت الأشاعرة إنَّه قضاء، قالت الماتريدية إنَّه قدر، وبالعكس.

وقد نظم الأجهوري^(١) مذهب الأشاعرة بقوله:

إِرَادَةُ اللَّهِ مَعَ التَّعَلُّقِ فِي أَرْكَانِ قَضَاؤُهُ فَحَقَّقِ
وَالْقَدْرُ الْإِيجَادُ لِلْأَشْيَاءِ عَلَى وَجْهِ مُعَيَّنِ أَرَادَهُ عَالَا
وَبَعْضُهُمْ قَدْ قَالَ مَعْنَى الْأَوَّلِ^(٢) الْعِلْمُ مَعَ تَعَلُّقِ فِي الْأَرْكَانِ
وَالْقَدْرُ الْإِيجَادُ لِلْأُمُورِ عَلَى وَفَاقِ عِلْمِهِ الْمَذْكُورِ

ومن كمال الإيمان بهما الرضا عن الله في كلِّ حال؛ فإنَّ مَنْ رضي له الرضا^(٣).

إن قلت: إنَّ من جملة القضاء والقدر الكفر والمعاصي، فكيف يرضى^(٤) بذلك مع أنَّ الرضا بالكفر كفر؟!

أجيب: بأنَّ الرضا بالقضاء الذي هو الإيجاد على طبق العلم

(١) سبقت ترجمته في ص (١١٧).

(٢) وهو القضاء.

(٣) ضمَّن المؤلف عبارته هنا جزءاً من حديث نبويٍّ أخرجه الترمذي في باب الزهد برقم (٢٣٩٨) نصُّه: «إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مِنْ عِظَمِ الْبَلَاءِ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْماً ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ».

(٤) أي: العبد.

٥٤- وَوَجِبَ إِيمَانُنَا بِالْقَدْرِ وبالْقَضَا كَمَا أَتَى فِي الْخَبْرِ

والإرادة ، لا بالمقضي الذي هو نفس الكفر والمعاصي^(١)؛ لأنَّ المقضيَّ إن كان خيراً وجبت ملازمته ومحبتّه ، وإن كان شراً وجب الإقلاع عنه وبغضه ، والمقصود من ذلك بيان الردّ على المعتزلة؛ لأنَّهم القدرية ، وهم قدرتيان :

الأولى: تُنَكِّرُ تَعَلُّقَ عِلْمِ اللَّهِ بِالأَشْيَاءِ قَبْلَ وَجُودِهَا ، وتقول: (إنَّما يعلمها حال وقوعها). وهذه الفرقة انقرضت قبل ظهور الإمام الشافعي .

وقدريةٌ ثانيةٌ تقول: (الله يعلم الأشياء قبل وجودها غير أنَّ أفعال العباد مقدورة لهم ، وواقعة منهم استقلالاً بسبب إقدار الله لهم بعد). وكلا العقيدتين باطل ، لكنَّ الأولى كفر ، والثانية فسق^(٢) .

قوله: (كما أتى في الخبر) أي: الحديث المتقدم^(٣) .

(١) وأجيب أيضاً بما قاله السعد: من أنَّ الكفر والمعاصي مقضيٌّ ومقدَّر ، لا قضاء وقدر . والواجب الرضا به إنَّما هو القضاء والقدر ، لا المقضيُّ والمقدَّر ، وفيه أنَّه لا معنى للرضا بالقضاء والقدر إلا الرضا بالمقضيِّ والمقدَّر ، والذي حقَّقه الخيالي في حاشيته أنَّ الكفر والمعاصي لهما جهتان: جهة كونهما مقضيين ومقدَّرين لله ، وجهة كونهما مكتسبين للعبد ، فيجب الرضا بهما من الجهة الأولى لا من الثانية .

انظر حاشية الأمير على إتحاف المريد ص(١٠٧) ، وتحفة المريد ص(٧٠) ، وشرح العقائد النسفية ص(١٣٨) ، وحاشية الخيالي على شرح العقائد النسفية (١٤٥/١) .

(٢) انظر ص(١٤٦) من هذا الكتاب .

(٣) وهو حديث الأربعين المتقدم في ص(٢٥٤ - ٢٥٥) .

رؤية المؤمن ربهم يوم القيامة

قوله: (ومنه) أي: ومن جملة الجائز في حقه.

قوله: (أن ينظر بالأبصار)

أي: رؤيته سبحانه وتعالى في الآخرة، فهي جائزة عقلاً واجبة شرعاً؛ لورود الآيات والأحاديث، وللإجماع على حصولها من قوله تعالى: ﴿وَجِوهٌ يُؤْمَدُونَ نَاصِرَةً ﴿٢٣﴾ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةً ﴿١﴾﴾، وقوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴿٢﴾﴾ فالحسنى هي الجنة، والزيادة هي رؤية الله، وعليه جمهور المفسرين، وقوله تعالى: ﴿عَلَى الْأَرْبَابِ يُنْظَرُونَ ﴿٣﴾﴾ وفي الحديث: «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ»^(٤) هكذا مذهب أهل السنة، وخالفت جميع الفرق معتزلة وغيرهم، وقالوا^(٥): (إن رؤية الله مستحيلة). / مستنديين: ٣١/ب

أ - لشبه عقلية: أقواها أن الرؤية تستلزم المقابلة، والمقابلة تستلزم الجهة، والجهة تستلزم التحيز، أي: الحلول في مكان، وهو يستلزم: أن يكون إما جزماً أو عرضاً تابعاً لجرم، ولا يخلو أيضاً إما أن

(١) سورة القيامة (٢٣).

(٢) سورة يونس (٢٦).

(٣) سورة المطففين (٢٣-٣٥).

(٤) أخرجه البخاري (٥٥٤) عن جرير مرفوعاً. ومسلم (١٨٣) بنحوه عن أبي سعيد مرفوعاً.

(٥) أي: قال المعتزلة الذين أنكروا رؤية الله سبحانه وتعالى.

٥٥- وَمِنْهُ أَنْ يُنْظَرَ بِالْأَبْصَارِ لَكِنْ بِلَا كَيْفٍ وَلَا انْحِصَارٍ

يُرى كُلهُ ، فيكون محصوراً ، أو بعضه فيكون متحيّزاً ، وذلك كُلهُ محال .

وحاصل الردِّ عليهم أنّ هذا التلازم عادي^(١) لا عقلي ، والقيامة محلُّ خرق العادات . على أنه نقل أبو يزيد البسطامي^(٢) أنّ رؤية الله بجميع أجزاء الجسم ، كما أنّ سماع كلامه ليس بخصوص الآذان بل بجميع أجزاء البدن ، وأشار العارف إلى ذلك بقوله :

فَإِنْ حَدَّثُوا عَنْهَا فَكُلِّي مَسَامِعُ وَكُلِّي إِنْ حَدَّثْتُهُمْ أَلْسُنُ تَتَلَوُ

وأيضاً لا فرق بين إدراك عقولنا ورؤية أبصارنا ، فكما أننا لا ندرك حقيقته في الدنيا بعقولنا ، فكذلك لا تدركه أبصارنا في الآخرة .

قال ابن العربي^(٣) : (إِنَّ رُؤْيَةَ اللَّهِ جَعَلَتْ تَقْوِيَةَ لِلْمَعْرِفَةِ الْحَاصِلَةِ فِي الدُّنْيَا ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ رَأْيٌ كَمَنْ سَمِعَا) .

ب- ولشبهه سمعية : أقواها قوله تعالى : ﴿ لَا تَدْرِكُهُ الْآبْصَارُ ﴾^(٤) ، وهو وارد مورد المدح ، فيكون إدراكه بالبصر نقصاً ، وهو عليه محال .

وحاصل الجواب أنّ معنى (لا تدركه الأبصار) لا تحيط به ، على أنه

(١) قولهم : (إِنَّ الرُّؤْيَةَ تَسْتَلْزِمُ الْمَقَابِلَةَ) التلازم فيها عاديٌّ ، والتلازم العاديُّ يتخلّف ؛ بدليل إمكان الرؤية بالمنام بدون مقابلة ، ودليل رؤية عمر - رضي الله عنه - سارية عندما ناداه : (يا سارية الجبل الجبل) ، وبينهما المسافات الشاسعة ، فتلك أيضاً رؤية بدون مقابلة .

(٢) سبقت ترجمته في ص (١٢٣) .

(٣) سبقت ترجمته في ص (١١١) .

(٤) سورة الأنعام (١٠٣) .

٥٥ - وَمِنْهُ أَنْ يُنْظَرَ بِالْأَبْصَارِ لَكِنْ بِلا كَيْفٍ وَلَا انْحِصَارِ

٥٦ - لِلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بِجَائِزٍ عُلِّقَتْ هَذَا وَلِلْمُخْتَارِ دُنْيَا ثَبَّتَتْ

قال: (لا تدرکه) ، ولم يقل: (لا تراه) ، فالأبصار لا تحيط به ، كما أن العقول لا تحيط به (١).

قوله: (لكن بلا كيف) هذا جواب عن الشبهة العقلية .

قوله: (ولا انحصار) جواب عن الشبهة السمعية .

قوله: (للمؤمنين)

متعلق (بِیُنْظَرُ) ضمته معنى ينكشف ، فعدها باللام ، أي: لا الكفار والمنافقين ، ولا الحيوانات التي تدخل الجنة (٢) ، ففي الحديث ما معناه: يُنَادِي مُنَادٍ مِنْ قَبْلِ اللَّهِ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ: كُلُّ أُمَّةٍ تَشْبَعُ مَعْبُودَهَا ، فَعِبَادُ الشَّمْسِ يُلْقَوْنَ مَعَهَا فِي النَّارِ وهكذا كُلُّ مَعْبُودٍ مَعَ عِبَادِهِ ، إِلَّا مَنْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كَعِيسَى وَمَرْيَمَ وَعُزَيْرٍ؛ فَإِنَّ مَنْ عَبَدَهُمْ يُلْقَى مَعَ شَيْطَانِهِ فِي

(١) ومن جملة الردود عليهم قوله تعالى على لسان موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ لِآيَاتِكَ ﴾ وسيدنا موسى عليه الصلاة والسلام عالم بجلال الله ، وبما يجب ، وبما يستحيل ، وبما يجوز؛ إذ هو نبي مرسل ، ولو لم تكن الرؤية جائزة لما طلبها عليه الصلاة والسلام . ولو قال قائل: ما تقول بجواب الله تعالى: ﴿ كُنْ تَرِنِي ﴾؟ فالجواب أن هذا نفي للرؤية في الدنيا لا في الآخرة . انظر شرح الدردير على خريدته ص (٨٤) . وانظر شرح الصاوي على قول الماتن: (إذ بجائز عُلِّقَتْ) ص (٢٦٢) من هذا الكتاب .

(٢) ورد في بعض كتب الحديث ما يفيد أن بعض الحيوانات تدخل الجنة ، فقد أخرج ابن ماجه في سننه عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «الشاة من دواب الجنة» (٧٧٣/٢) برقم (٢٣٠٧) وقال: وهو متفق على ضعفه . وفي مجمع الزوائد: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «أحسنوا إلى الماعز ، وأميطوا عنها الأذى؛ فإنها من دواب الجنة» (١١٤/٤) برقم (٦٢٥٤) قال رواه البزار وأعله بسعيد بن محمد .

النَّارِ. إلى أن قال في الحديث: فتبقى هذه الأئمة، وفيها منافعها، فيقولون: لا نبرح حتى نرى معبودنا، فيتجلى لهم ملكٌ لو وضعت بحار الأرض في نُقْرَةَ^(١) إبهامه لوسعها، فيقول لهم: أنا ربُّكم، امتحاناً لهم، فيقولون: نعوذُ بالله لست ربنا، فإن ربنا لا يتخيَّر، وأنت مُتخيَّر، ثمَّ يتجلى لهم ملكٌ آخرٌ لو وضعت بحار الأرض، / ومثلها معها في نُقْرَةَ إبهامه لوسعها، فيقولون له مثل ما قالوا للأول، ثمَّ يتجلى الله سبحانه وتعالى لهم، فيخزُّ المؤمنون سُجداً، فيريد المنافقون السُّجودَ كالمؤمنين فلا يقدرُون؛ لأنَّه يصيرُ ظُهُورهم طبَّعاً، فينادي المُنادي: ﴿وَأَمْتَرُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾^(٢)، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَكْشَفُ عَنْ سَاقٍ...﴾^(٣) الآية، فكشفتُ السَّاقِ عند الخلف مؤوَّل بكشف الحجاب. أو كما قال^(٤).

ولكنَّ هذا يقتضي أنَّ المنافقين رأوا ربَّهم مع المؤمنين، ولكن حجبوا بعد ذلك، فتكون تلك الحجة حسرة عليهم، وهذا أحد القولين، والحقُّ أنَّهم لم يروا؛ لقوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمِذٍ لَمَّحُجُونَ﴾^(٥) ولا يلزم

(١) النقيير: النكتة في ظهر النَّوَّة، ونقرتُ الخشبة نقرأ حفرتها، والنُقْرَةُ حفرة في الأرض غير كبيرة، ونقرة القفا: حفرة في آخر الدِّماغ اهـ. المصباح المنير (نقر). والمعنى هنا: في جزء يسير جداً من إبهامه. والله أعلم.

(٢) سورة يس (٥٩).

(٣) سورة القلم (٤٢). وتمامها ﴿... وَيَدْعُونَ إِلَى الشُّجُودِ فَلَا يَسْتَبِطُونَ﴾ وللتوسع انظر ما قاله الخازن في تفسير هذه الآية في (٢٩٨/٤) وما بعدها، فقد أورد هذا الحديث وما يتعلَّق برؤية الله سبحانه بإسهاب.

(٤) أخرج الحديث البخاري (٤٥٨١). ومسلم (١٨٣) عن أبي سعيد مرفوعاً. وليس فيه: (أنَّ الملك لو وضعت بحار الأرض في نقرة إبهامه لوسعها). فلتعتمد رواية الصحيحين؛ لأنَّ هذه الزيادة منكرة.

(٥) سورة المطففين (١٥).

من مزاحمتهم لهم رؤياه ، وإنما قولهم وفعلهم تقليد كما كانوا يفعلونه في الدنيا .

قوله : (إذ بجائز عقلت)

أي : إنما قلنا بجواز الرؤية ؛ لأنَّ الله علَّقها على أمر جائز عقلاً ، وهو استقرار الجبل حال هويه ^(١) ، والمعلَّق على الجائز جائز ، قال تعالى : ﴿ فَإِنْ أَسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنُّنَا ﴾ ^(٢) فعَلَّقها سبحانه وتعالى على استقرار الجبل حال هويه ^(٣) ، وهو جائز ، وأيضاً سألها موسى الكليم ، عليه السلام ، فلولا جوازها ما طلبها الكليم ، وإلا كان طلبها منه جهلاً ، وهو على الأنبياء محال .

وقد أجمع أهل السنَّة على أنَّ الرؤية تحصل في الآخرة ، وأنَّ الآيات والأحاديث الواردة في ذلك محمولة على ظاهرها من غير تأويل ^(٤) .

والدليل العقلي على جوازها باختصار أن تقول : الله موجود ، وكل

(١) لو قال : (استقرار الجبل حال تجلِّي الله سبحانه له أي : للجبل) لكان أفضل ؛ إذ تلك العبارة من عبارات المعتزلة ، ويُسْتغرب من وجودها في كلام الصاوي ، وعلَّها وردت بطريقة النقل أو غيره ؛ إذ رأي المعتزلة في هذا المقام أنَّ الرؤية مستحيلة ؛ لأنَّ الله علَّقها على المستحيل وهو استقرار الجبل حال هويه . وهذا باطل .

والحقُّ أنَّها علِّقت على جائز ، وهو استقرار الجبل حال التجلِّي ، وما علَّق على جائز فهو جائز . كما صرَّح بذلك عبد السلام في إتحاف المرید ص (١١٠) .

(٢) سورة الأعراف (١٤٣) .

(٣) بل حال التجلِّي . انظر التعليق (١) من هذه الصفحة .

(٤) كقوله تعالى : ﴿ وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ .

موجود يصحُّ أن يُرى^(١). نعم إنَّ رؤية الله في الجنَّة على حسب أحوال العباد ، فالرؤية العامَّة تكون كلَّ يوم الجمعة ، والنساء في ذلك كالرجال على المعتمد^(٢) ، وقيل : لا يرونه ، وقيل : يرونه في الأعياد لا فرق بين نساء هذه الأُمَّة وغيرها .

وبعض الخواصِّ يراه كلَّ يوم ، وبعضهم لا يزال مستمرّاً في الشهود ، حتَّى قال أبو يزيد^(٣) : (إنَّ لله رجالاً لو حُجِّبوا عن الرؤية طرفة عين لاستغاثوا من الجنَّة ونعيمها كما يستغيث أهل النار من النار). ومن ذلك المقام قول بعض العارفين :

لَيْسَ قَصْدِي مِنَ الْجَنَانِ نَعِيمًا غَيْرَ أَنِّي أُرِيدُهَا لِأَرَاكَ

رؤية النبي ﷺ ربّه ليلة الإسراء والمهراج

والأقوال في ذلك

قوله : (هذا) متعلِّقٌ بمحذوف ، أي : افهم هذا^(٤).

(١) في (د) زيادة : فينتج الله يصحُّ أن يُرى .

(٢) انظر تحفة الجلساء برؤية الله للنساء ص (٥٨ - ٥٩) .

(٣) سبقت ترجمته ص (١٢٣) .

(٤) في (د) : مفعول لفعل محذوف ، تقديره افهم هذا .

٥٦- لِلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بِجَائِزٍ عُلِقَتْ هَذَا وَلِلْمُخْتَارِ دُنْيَا ثُبِتَتْ

قوله: (وللمختار دنيا ثبتت)^(١)

أي: لم تثبت في الدنيا إلا لنبينا ﷺ كما رواه ابن عباس وغيره^(٢) ، وقد نفتها السيدة عائشة^(٣) ، ولكن ابن عباس مقدم عليها؛ لأنه

(١) والحاصل أن رؤية الله سبحانه تكون:

١ - في الجنة ، وهي رؤية نعيم ، ولا خلاف بين العلماء في ثبوتها .

٢ - وفي عرصات القيامة ، وهي رؤية امتحان .

٣ - وفي الدنيا ، ولم تثبت إلا لنبينا ﷺ على خلاف في ذلك .

(٢) عن ابن عباس أن النبي ﷺ رأى ربه بعينه ، هذا هو المشهور عنه . وعنه أنه قال: (أَتَعْجَبُونَ أَنَّ الْخَلَّةَ تَكُونُ لِإِبْرَاهِيمَ ، وَالْكَلامَ لِمُوسَى ، وَالرؤية لمحمد ﷺ وَعَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ؟)!

وحكى عبد الرزاق أن الحسن كان يحلف بالله لقد رأى محمد ربه . وحكى ابن إسحاق أن مروان سأل أبا هريرة: هل رأى محمد ربه؟ فقال: نعم . وحكى النقاش عن أحمد بن حنبل أنه قال: أنا أقول بحديث ابن عباس بعينه رآه . . . حتى انقطع نفسه (يعني نفس أحمد) ، وإلى هذا ذهب الشيخ أبو الحسن الأشعري ، وجماعة من أصحابه أن محمداً ﷺ رأى الله بصره وعيني رأسه ، وقاله أنس وابن عباس وعكرمة والربيع والحسن . وكان الحسن يحلف بالله الذي لا إله إلا هو لقد رأى محمد ربه . انظر تفسير القرطبي (٥٦/٧) و(٩٢/١٧) وما بعدها .

وأخرج مسلم في صحيحه (١٧٦) وغيره عن عبد الله بن عباس في قوله تعالى: ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾ ﴿ وَقَدَرَاهُ نَزَلَهُ أُخْرَى ﴾ قال: رآه بفؤاده مرتين .

(٣) أخرج مسلم في صحيحه (١٧٧) عن عائشة قالت: ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية . قال مسروق: ما هن؟ قالت: من زعم أن محمداً ﷺ رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية . قال: وكنث متكثراً فجلست ، فقلت: يا أم المؤمنين أنظريني ولا تعجليني ، ألم يقل الله عز وجل: ﴿ وَقَدَرَاهُ بِالْأَفْقِ الثَّانِيَةِ ﴾ ﴿ وَقَدَرَاهُ نَزَلَهُ أُخْرَى ﴾؟ فقالت: أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك =

٥٦- لِلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بِجَائِزٍ عُلِّقَتْ هَذَا وَلِلْمُخْتَارِ دُنْيَا ثُبَّتْ

مثبت ، وهو مقدم على النافي ، على أنها لم تدرك زمنها^(١) .
وأما الكلم فلم يرَ ، وإنما حصل له الكلام ، وهو أعظم عطاياه ،
فسمي كليماً .

والنبي ﷺ لم يحجب عن الرؤية والكلام ، ولم يُسمَّ كليماً ؛ لأنه
أُعطي أشرف من الكلام .

فمن ادّعى رؤية الله يقظة بعيني بصره فهو ضالٌّ مضلٌّ ، قيل :
فاسق ، وقيل : مرتدٌّ .

إن قلت : إنَّ العارف ابن الفارض^(٢) قال في بعض قصائده :

وَأَبَاحَ طَرْفِي نَظْرَةَ أَمَلْتُهَا فَعَدَوْتُ مَعْرُوفاً وَكُنْتُ / مُنْكَرًا^(٣) ٣٢/ب
وقال أيضاً :

وَمُنِّي عَلَى سَمْعِي بَلَنْ إِنْ مَنَعْتَ أَنْ أَرَكَ فَمِنْ قَبْلِي لِغَيْرِي لَذَّتِ^(٤)
وقال أيضاً :

وَإِذَا سَأَلْتُكَ أَنْ أَرَكَ حَقِيقَةً فَاسْمَحْ وَلَا تَجْعَلْ جَوَابِي لَنْ تَرَى^(٥)

= رسول الله ﷺ فقال : « إِنَّمَا هُوَ جَبْرِيلُ لَمْ أَرَهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ
هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ . . . » . الحديث .

(١) لأنَّ الرؤية كانت في الإسراء والمعراج ، والسيدة عائشة وقتئذ لم تكن عند
رسول الله ﷺ ؛ إذ بنى بها في المدينة بعد الهجرة ، والإسراء قبل الهجرة
بثلاث سنين .

(٢) سبقت ترجمته (١٨٥) .

(٣) ديوان ابن الفارض (١٤٣)

(٤) ديوان ابن الفارض (٣٢) .

(٥) ديوان ابن الفارض (١٤٢) .

فذلك يوهم أَنَّ مقصوده رؤية الله ، وأنه رأى بالفعل ، فكيف ذلك مع القول بكفر من ادعى ذلك؟!

قلت: أحسن ما يجاب به: أَنَّ ذلك خطاب للحضرة النبوية .

فقوله: (وَمُنِّي عَلَى سَمْعِي... إلخ) أي: يا رسول الله إن لم تُرني ذاتك ، فأسمعني خطابك .

وقوله: (وَإِذَا سَأَلْتُكَ... إلخ) أي: يا رسول الله لا تعاملني في رؤيتك كما عومل به موسى ، بل عاملني في رؤيتك ، وأرني ذاتك كما أراك الله ذاته . ولذلك قال أيضاً:

أَبْقِ لِي مُقَلَّةً لِعَلِّي يَوْمًا قَبْلَ مَوْتِي أَرَى بِهَا مَنْ رَأَا^(١) ويجاب أيضاً بأنَّ الكلام في الحضرة الإلهية ، والرؤية محمولة على الرؤية القلبية التي قال فيها:

أَنْلِنَا مَعَ الْأَحْبَابِ رُؤَيْتِكَ الَّتِي إِلَيْهَا قُلُوبُ الْأَوْلِيَاءِ تُسَارِعُ^(٢) فقوله: (وأباح طرفي) أي: قلبي ، وسماه طرفاً تجوُّزاً؛ لأنَّ الكلام خارج مخرج الكناية؛ لأنه ليس صريحاً في الذات العلية .

وأما رؤيته تعالى في المنام ، فلا نزاع في وقوعها ، فقد رأى الإمام أحمد بن حنبل^(٣) ربه في المنام تسعاً وتسعين مرة ، وقال: (لئن رأيته تمام المئة لأسألته بأي شيء يتقرب إليه المتقربون ، فرآه تمام المئة

(١) ديوان ابن الفارض (١٦٣) .

(٢) ديوان ابن الفارض (١٥٥) .

(٣) انظر ترجمة الشارح للإمام أحمد ص (٣٣٧) من هذا الكتاب .

٥٦- لِلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بِجَائِزٍ عَلَّقْتَ هَذَا وَلِلْمُخْتَارِ دُنْيَا ثَبَّتْ

وسأله ، فقال له : بتلاوة كلامي يا أحمد ، فقال : بفهم وبغير فهم؟
فقال : بفهم وبغير فهم).

وإذا رُمي في المنام ، فقد يُرى بالصفة التي ذكرت في التوحيد^(١) ، وهي حقٌّ ، وقد يرى بصفة الحوادث ، فإن رُئي بصفة الحوادث ، وأمر الرائي بما يخالف الشرع كأن قال له : أسقطت عنك التكليف ، فهو الشيطان لا غير ، فإن أطاعه ، وفعل بمقتضاه ، فهو ضالٌّ مضلٌّ ، قد خسر الدنيا والآخرة ، وإن لم يحصل له ذلك ، فهو رسول من عند الله ، إذا علمت ذلك تعلم أنّ الشيطان قد يتمثل بالمولى جلّ جلاله . وأمّا النبي ﷺ ، فلا يتمثل به الشيطان ، فمن رأى النبي فقد رآه حقّاً؛ لما في الحديث : «مَنْ رَأَى فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَأَى حَقّاً؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَمَثَّلُ بِي»^(٢) .

فإذا رأى شخص النبي ، وقال له مثلاً : أسقطت عنك التكليف ، فالرؤيا حقٌّ ، والغلط من الرائي . والفرق أنّ الله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾^(٣) ، فتمثل الشيطان به لا يضرُّ في العقيدة . وأمّا النبي ﷺ فهو بشر ، فلو تمثّل به الشيطان لأفسد الدين .

قال العارفون : ومثل النبي ﷺ الصديقون من الأولياء^(٤) ؛ لعموم قوله

(١) وهي : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ أي : بلا كيف ولا إدراك؛ إذ الرؤية في الجنة بالذات ستكون بلا كيف ولا إدراك .

(٢) أخرجه البخاري (٦١٩٧) . ومسلم (٢٢٦٦) عن أبي هريرة مرفوعاً بألفاظ متقاربة .

(٣) سورة الشورى (١١) .

(٤) أي : لا يتمثل الشيطان بهم .

٥٦- لِلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بِجَائِزٍ عَلَّقَتْ هَذَا وَلِلْمُخْتَارِ دُنْيَا ثَبَّتْ

تعالى : ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾^(١) .

أ / ٣٣ / تَمَّة :

في حديث المعراج^(٢) لَمَّا رَأَى النَّبِيُّ رَبَّهُ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ ، وَفَرَضَ عَلَيْهِ خَمْسِينَ صَلَاةً ، وَأَتَى عَلَى مُوسَى فَقَالَ لَهُ : ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ ، فَارْجَعَهُ تِسْعَ مَرَّاتٍ ، وَكُلَّ مَرَّةً يَرَى اللَّهَ ، فَالْحِكْمَةُ الظَّاهِرِيَّةُ التَّخْفِيفَ ، وَالباطنية اقتباس^(٣) نور الرؤية من وجهه ﷺ ، ففي كلِّ مَرَّةٍ يُزَادُ نُورًا مِنَ النُّورِ الَّذِي حَصَلَ لَهُ مِنَ الرُّؤْيَةِ ، وَفِي ذَلِكَ الْمَعْنَى قَالَ ابْنُ وَفَا^(٤) :

وَالسِّرُّ فِي قَوْلِ مُوسَى إِذْ يُرَاجِعُهُ لِيَجْتَلِيَ الثُّورَ فِيهِ حَيْثُ يَشْهَدُهُ وَيَبْدُو سَنَاهُ عَلَى وَجْهِ الرَّسُولِ فَيَا اللَّهُ حُسْنُ جَمَالٍ كَانَ يَشْهَدُهُ^(٥)

تَمَّةٌ أُخْرَى :

من جملة من أنكر رؤية الله تعالى الزمخشري^(٦) في الكشاف ، وأنشد يهجو أهل السنة بقوله :

(١) سورة الحجر (٤٢) .

(٢) أخرجه البخاري (٣٨٨٧) . ومسلم (١٦٢) وليس في رواية البخاري «تسع مرات» ، ولكن فيه : «... حُطَّ عَنْهُ فِي كُلِّ مَرَّةٍ عَشْرًا» ، وَأَمَّا رِوَايَةُ مُسْلِمَ : «ففي كلِّ مَرَّةٍ خَمْسًا» .

(٣) أي : اقتباس موسى عليه الصلاة والسلام النور من وجه نبيِّنا ﷺ .

(٤) سبقت ترجمته ص (١٤٦-١٤٧) .

(٥) ورواية الشطر الثاني في (د) : اللَّهُ حُسْنُ رَسُولٍ إِذْ يَرُدُّهُ . وهي الرواية التي اعتمدت في حاشية الأمير على إتحاف المريد ص (١١١) ، وتحفة المريد ص (٧٤) .

(٦) سبقت ترجمته ص (٢٢٦) . وانظر تفسير الكشاف (٤/٦٦٢) .

٥٦- لِلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بِجَائِزٍ عَلَّقَتْ هَذَا وَلِلْمُخْتَارِ دُنْيَا ثَبَّتْ

قَوْمٌ لَقَدْ جَعَلُوا هَوَاهُمْ سُنَّةً وَجَمَاعَةً حُمْرٌ لَعْمَرِي مُوَكَّفَةٌ^(١)
 قَدْ شَبَّهَوْهُ بِخَلْقِهِ وَتَخَوَّفُوهُ شَنَّعَ الْوَرَى فَتَسْتَرَوْا بِالْبَلْكَفَةِ^(٢)

قال ابن المنير^(٣): حيث انتقل للهجو، فقد أذن^(٤) النبي ﷺ
 لحسان^(٥) فيه، ونقتدي به، ونقول:

وَجَمَاعَةٌ كَفَرُوا بِرُؤْيَا رَبِّهِمْ هَذَا لَوَعَدُ اللَّهِ مَا لَنْ يُخْلِفَهُ
 وَتَلَقَّبُوا التَّاجِينَ^(٦) كَلَّا إِنَّهُمْ إِنْ لَمْ يَكُونُوا فِي لَطَى فَعَلَى شَفَه^(٧)
 وقال أبو حيان^(٨):

- (١) الوِكَاف والإِكاف يكون للبعير والحمار والبغل، والجمع وُكُف، ووَكَّفَ الدَابَّةَ وضيع عليها الوكاف. اهـ لسان العرب (وكف).
- (٢) البَلْكَفَةُ: منحوتة من قول أهل السنة: (بلاكيف). انظر تحفة المريد (٧٢).
- (٣) أحمد بن محمد بن منصور من علماء الإسكندرية، وأدبائها، وُلِّي قضاءها وخطاباتها، له تصانيف منها: تفسير حديث الإسراء على طريقة المتكلمين، والانتصاف من الكشَّاف. ولد سنة (٦٢٠هـ)، وتوفي سنة (٦٨٣هـ). انظر شجرة النور الزكية (١٨٨)، فوات الوفيات (٧٢/١).
- (٤) أخرجه مسلم (٢٤٨٩)، وأخرج نحوه البخاري (٣٢١٣)، ومسلم (٢٤٨٦).
- (٥) هو حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام الأنصاري الخزرجي، شاعر رسول الله ﷺ، روى عن النبي ﷺ أحاديث. مات سنة أربعين للهجرة، وقيل: خمسين وهو ابن عشرين ومئة سنة أو نحوها. انظر الإصابة (٩٤/٢).
- (٦) يشير إلى المعتزلة الذين قالوا عن أنفسهم بأنهم ناجون.
- (٧) انظر الأبيات في الانتصاف من الكشَّاف للإمام أحمد بن المنير (١٢٦/٢).
- (٨) محمَّد بن يوسف بن علي الغرناطي الأندلسي التَّفْزِي أثير الدين، من كبار العلماء بالعربية والتفسير والحديث والتراجم واللغات. ولد سنة (٦٥٤هـ) أقام بالقاهرة، وتوفي فيها سنة (٧٤٥هـ). من كتبه البحر المحيط، ارتشاف الضَّرَب من لسان العرب، وله شعر في ديوان. اهـ بغية الوعاة =

٥٦- لِلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَجَائِزُ عُلِّقَتْ هَذَا وَلِلْمُخْتَارِ دُنْيَا ثَبَّتْ

شَبَّهَتْ جَهْلًا صَدْرَ أُمَّةٍ أَحْمَدَ
وَجَبَّ الْخَسَارُ عَلَيْكَ فَانظُرْ مُنْصَفًا
أَتَرَى الْكَلِيمَ أَتَى بِجَهْلٍ مَا أَتَى (٢)
إِنَّ الْوَجُوهَ إِلَيْهِ نَاطِرَةٌ بَذَا
نَطَقَ الْكِتَابُ وَأَنْتَ تَنْطِقُ بِالْهَوَى
وقال الجاربردي (٥):

عَجَبًا لِقَوْمٍ ظَالِمِينَ تَسْتَرُوا
بِالْعَدْلِ (٦) مَا فِيهِمْ لَعْمَرِي مَعْرِفَةٌ

= (١/٢٨٠) ، وانظر الدرر الكامنة (٥/٧٠ - ٧١) ، نكح الهيمان (٢٨٠) ،
غاية النهاية (٢/٢٨٥) ، نوح الطيب (٣/٢٨٢) .

ذكر أبو حيان هذه الأبيات في تفسيره البحر المحيط (٥/١٦٨) ونسبها إلى
القاضي أبي بكر بن أحمد بن خليل السكوني .

(١) وهي قوله تعالى: ﴿ وَكَلَّمَآءَ مُوسَىٰ لِيَمِيزَنآ وَكَلَّمَآءَ رَبِّهِمْ قَالَ رَبِّ آرِنِي آيَاتِكَ قَالَ لَن
تَرِنِي وَلَٰكِن آنظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَآئِهِ فَسَوْفَ نَرِنِي فَلَمَّا كَمَلَتْ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ
دَكَّآ وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَآءَ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَاتِكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ سورة
الأعراف (١٤٣) .

(٢) وذلك عندما قال مخاطباً رب العزة سبحانه: ﴿ رَبِّ آرِنِي آيَاتِكَ ﴾ .

(٣) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَآضِرَةٌ ۖ إِلَىٰ رَبِّهَا نَآظِرَةٌ ﴾ .

(٤) انظر الأبيات في تفسير البحر المحيط لأبي حيان (٥/١٦٨) .

(٥) أحمد بن الحسن بن يوسف فخر الدين ، فقيه شافعيّ اشتهر ، وتوفي في تبريز
سنة (٧٤٦هـ) ، له شرح منهاج البيضاوي ، وحاشية على الكشاف . انظر
طبقات الشافعية (٢/١٦٢ - ١٦٣) .

(٦) إذ تقول المعتزلة عن نفسها: إنهم أهل العدل والتوحيد ، أمّا العدل فلأنهم
يقولون: يجب إثابة الطائع وتعذيب العاصي . وأمّا التوحيد فلأنهم ينكرون
صفات الله سبحانه حتّى لا تتعدّد الشركاء ، وهذا زعم باطل بيّن أمره في عدّة
مواضع من هذا الكتاب .

٥٦- لِلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَجَائِزٌ عُلِّقَتْ هَذَا وَلِلْمُخْتَارِ دُنْيَا ثَبَّتَتْ

قد جاءهم من حيث لا يدرونه
وقال التاج السبكي^(٢):
لَجَمَاعَةٌ جَارُوا وَقَالُوا إِنَّهُمْ
لم يَعْرِفُوا الرَّحْمَنَ بَلْ جَهِلُوا وَمِنْ
وقال أبو الحسن البكري^(٣):
يا جامعاً بين الضلالة والسفة
ومذمماً في عدله جوراً بلا
فبزعمة لم ينصرف عن غييه
قد قلت: قول الله حق ثم لم
ومنعت من قدم الصفات ضلالة
فلك الذي قد قلت في رؤية
اهـ. من حاشية شيخنا الأمير^(٥).

* * *

- (١) وذلك بنفي الصفات ، وهناك تلازم بين نفي الصفات ، وتعطيل الذات الإلهية .
(٢) سبقت ترجمته ص(١١٣) .
(٣) محمّد بن محمّد بن عبد الرحمن البكريّ الصديقي أبو الحسن ، مفسّر متصوّف ، مصريّ من علماء الشافعية ، مولده سنة (٨٩٩ هـ) في القاهرة ، كان يقيم عاماً في مصر وعاماً في مكّة ، من كتبه : شرح العباب ، إرشاد الزائرين لحبيب ربّ العالمين ، توقّي سنة (٩٥٢ هـ) . انظر جامع كرامات الأولياء (١٨١/١) ، شذرات الذهب (٢٩٢/٨) واسمه فيه (عليّ) ، الأعلام (٥٧/٧) .
(٤) وروي هذا الشطر في حاشية الأمير بلفظ : فلظى لذاتك في الورى مستشرفه .
(٥) سبقت ترجمته ص(١٣٣-١٣٤) . وانظر حاشية الأمير على إتحاف المرید (١٠٩-١١٠) .

الْقِسْمُ الثَّانِي
النُّبُوتِ

إرسال الرُّسلِ محضٌ ففضلٌ من الله

قوله: (ومنه إرسال جميع الرسل)

لما فرغ ممَّا يتعلَّق بحضرة الإله من الواجب والعائز والمستحيل في حقِّه تعالى، والرَّد على المخالفين في ذلك، وختم ذلك المبحث بالرؤية؛ لأنها المقصد الأعظم للعارفين، فمقصدهم بخدمتهم وطاعتهم ومحبتهم رؤية الله سبحانه وتعالى. قال بعض العارفين:

لَيْسَ قُضِي مِنْ الْجِنَانِ نَعِيمًا غَيْرَ أَنِّي أُرِيدُهَا لِأَرَاكَ
شَرَعَ يَتَكَلَّمُ عَلَيَّ مَا يَتَعَلَّقُ بِالْأَنْبِيَاءِ، وَهُوَ تَفْصِيلٌ لِمَا أَجْمَلَهُ أَوْلًا
بقوله:

... .. وَمِثْلُ ذَا لِرُسُلِهِ^(١) إلخ

فقال: (ومنه) أي / : من العائز في حقِّه تعالى عقلاً، خلافاً ٣٣/ب للفلاسفة القائلين بوجوب ذلك بالعلَّة والطبيعة؛ لأنَّه يلزم من وجود الله وجود العالم، ومن وجود العالم وجود من يصلحه^(٢)، وهذا بناء منهم على أنَّ العالم قديم، ولا ينشأ عن الله إلا المصالح، وهؤلاء كفَّار بتلك العقيدة^(٣).

(١) أي البيت الذي قاله فيه:

لِللَّهِ وَالْجَبَّائِرِ وَالْمُتَمَتِّعِ
وَمِثْلُ ذَا لِرُسُلِهِ فَاسْتَمِعَا

انظر ص(١٠٥) من هذا الكتاب.

(٢) وهم الأنبياء، وبهذا توصل الفلاسفة إلى أنَّ إرسال الرسل واجب بالعلَّة والطبع، لا بالإرادة والقدرة. نعوذ بالله من ذلك الكفر وأهله.

(٣) قال الدردير في خريدته:

٥٧- وَمِنْهُ إِرْسَالُ جَمِيعِ الرُّسُلِ فَلَا وَجُوبَ بَلْ بِمَحْضِ الْفَضْلِ

وخلافاً للمعتزلة القائلين بوجوب ذلك؛ لأنه يجب على الله فعل
الصلاح والأصلح لعبيده؛ لأنه لا مصلحة في ترك العالم كالبهائم،
وهؤلاء فساق^(١).

قوله: (فلا وجوب)

تفريع على قوله: (ومنه... إلخ) أي: إذا علمت أنه جائز عقلاً تعلم
أنه غير واجب عليه تعالى، يعني عقلاً، وأما شرعاً فهو واجب؛^(٢)
لتعلق علم الله به.

قوله: (بمحض الفضل) أي: بالفضل الخالص الذي لا يُشعر
به^(٣) وجوباً ولا علة.

= وَمَنْ يَقُلْ بِالطَّبَعِ أَوْ بِالْعَلَّةِ فَذَلِكَ كُفْرٌ عِنْدَ أَهْلِ الْمِلَّةِ
انظر شرح الخريدة البهية ص(٦٠-٦١).

(١) قال الدردير في خريدته:

وَمَنْ يَقُلْ فِعْلُ الصَّلَاحِ وَجَبَا عَلَى الْإِلَهِ قَدْ أَسَاءَ الْأَدْبَا
انظر شرح الخريدة البهية ص(٨٣).

(٢) ليس المراد بالوجوب هنا أنه واجب على الله تعالى، بل هو واجب وقوعاً؛
لأنَّ الله أراد ذلك، وتعلَّق علمه به، وما أَرَادَهُ اللهُ وتعلَّق به علمه لا بدَّ من
وقوعه.

(٣) في (د): لا يشوبه.

٥٨- لَكِنْ بَذَا إِيمَانُنَا قَدْ وَجَبَا فَدَعَّ هَوَى قَوْمٍ بِهِمْ قَدْ لَعِبَا

وجوب الإيمان بجميع الرُّسل عليهم الصلاة والسلام

قوله: (لكن بذا إيماننا قد وجبا)

استدراك على ما تقدّم؛ لأنّه ربما يتوهم من كونه من جملة الجائزات أنّ الإيمان بوقوعه ليس واجباً، فأفاد وجوبه بقوله: (قد وجبا) أي: وجب الإيمان بسائر الرسل إجمالاً في الإجمالي، وهم من آدم إلى محمّد ﷺ، وتفصيلاً في التفصيلي^(١)، وهم خمسة وعشرون، منهم ثمانية عشر في قوله تعالى في الأنعام: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا﴾^(٢)، والباقي محمّد وآدم وشعيب وصالح وهود وإدريس وذو الكفل. واختلفوا في لقمان والعزير وذو القرنين.

(١) المراد بالتفصيلي: الإيمان والاعتراف بنبوّة كلّ من ذكر من هؤلاء - عليهم الصلاة والسلام - في كتاب الله عزّ وجلّ، وأمّا الباقي فالإيمان بهم إجمالي، بمعنى أنّنا نؤمن بنبوّة كلّ من جاء من عند الله، وإن كنّا لا نعلم عددهم ولا أسماءهم.

(٢) قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾^(٨٢) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن دُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَرَكَبْنَا يُحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾ سورة الأنعام (٨٣ - ٨٤ - ٨٥ - ٨٦).

فمن أنكر واحداً من الخمسة والعشرين بعد معرفته فقد كفر. والمدار في معرفته على التصديق برسالته ، ولا يلزم حفظ عددهم ، وإنما هو بحيث لو سُئِلَ عن واحد منهم هل هو رسول أو لا لقال: آمنت وصدقت برسالته .

وحيث وجب الإيمان برسل الله وجب الإيمان بما جاؤوا به . ومن جملة ما جاؤوا به الكتب والملائكة ، فيجب الإيمان بالملائكة ، أي: بأنهم عباد مكرمون ، يسبحون الليل والنهار لا يفترون ، لا يعصون الله ما أمرهم ، ويفعلون ما يؤمرون ، لا يوصفون بذكورة ولا أنوثة ، فمن نَقَصَ واحداً منهم كفر ، ومن التنقيص قول العامة في حق أعوان الظلمة: إنهم كزبانية جهنم ، وقولهم في حق رجل عابس: إنه كعزرائيل أو منكر ونكير .

ويجب الإيمان تفصيلاً بجبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل ، ورضوان ومالك ، وورقيب وعتيد ، ومنكر ونكير^(١) ، وخزنة النار ، وحملة العرش ، ويجب الإيمان بياقيهم إجمالاً ، وسيأتي ذلك .

أ/٣٤ قوله: (فدع هوى قوم بهم قد لعبا) /

أي: اترك هوى قوم قد لعب الهوى بهم ، فمن ذلك: السَّمِينِيَّةُ^(٢) ،

(١) انظر ص(١٣٢) من هذا الكتاب؛ إذ تحدت المؤلف عن الخلاف في سؤال القبر ، ولم يكفر مَنْ أنكر الإيمان بمنكر ونكير .

(٢) بضم السين وفتح الميم . قوم من الهنود دهرثيون من عبدة الأوثان ، يقولون بالتناسخ ، وينكرون وقوع العلم بالأخبار . وقيل: هي نسبة إلى سُومَنَاتِ بلدة بالهند . اهـ لسان العرب (سمن) ، المعجم الوسيط (١/٤٥٢) .

٥٩- وَوَجِبُ فِي حَقِّهِمُ الْإِمَانَةُ وَصِدْقُهُمْ وَضِفْ لَهُ الْفَطَانَةُ
.....

فقد أحالوا إرسال الرسل ، وقالوا: (إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِمَحْتَاJ ، وَلَوْ أَرْسَلَ رَسُولًا لَكَانَ مَحْتَاJًا إِلَيْهِمْ ، وَهُوَ مَحَالٌ ، فإِرسَالُ الرسل مَحَالٌ ؛ لِأَنَّ مَعْرِفَةَ اللَّهِ تَكُونُ بِالْعَقْلِ ، وَإِرسَالُ الرسل عِبْثٌ تَنْزَهُ اللَّهُ عَنْهُ).

ومن ذلك: الفلاسفة ، فقد قالوا: (إِنَّ الرسل موجودون بالعلّة والطبيعة). وهذان الفريقان كافران.

ومن ذلك: المعتزلة ، فقد قالوا: (إِنَّ مِنْ كَمَالَاتِ اللَّهِ وَمَصَالِحِ عِبَادِهِ إِرسَالُ الرسل ، فَهُوَ وَاجِبٌ عَلَيْهِ ؛ لِوَجُوبِ الصَّلَاحِ وَالْأَصْلَاحِ عَلَيْهِ) ، وَهَذِهِ الْفِرْقَةُ فَاسِقَةٌ .

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾^(١).

فالهوى بالقصر معناه ميل النفس إلى محبوبها خيراً كان أو شراً ، وأمّا بالمدّ فهو ما بين السماء والأرض ، والمراد هنا الأوّل.

ما يجب في حقّ الرُّسل

قوله: (وواجب في حقّهم)

الضمير عائد على الرسل بالنسبة للجميع ، ومثلهم الأنبياء فيما عدا التبليغ ، وهذه الصفات واجبة عقلاً ونقلًا ، لكنّ الأقوى هو الدليل

(١) سورة ص (٢٦).

٥٩- وَوَجِبَ فِي حَقِّهِمُ الْأَمَانَةُ وَصَدَقُهُمْ وَضِيفَ لَهُ الْفَطَانَةُ

النقلي ، ولذلك قال فيما يأتي: (كما رووا)^(١).

قوله: (الأمانة)

هي حفظ ظواهرهم وبواطنهم ، في حالة الصَّغَرِ والكِبَرِ ، قبل النبوة وبعدها ، عن التلبُّسِ بمنهَيِّ عنه ، ولو خلافَ الأولى ، لكن قد يقع منهم المكروهُ وخلافُ الأولى ، لا على وجههما بل على وجه التشريع^(٢) ، كالبول من قيام ، والشرب كذلك ، وترك بعض الرغائب . وأمَّا المحرَّمات فلا تقع منهم إجماعاً . إن قلت: إنَّ إخوة يوسف قد فعلوا معه ما ظاهره الحرام ؛ فعلى أنَّهم ليسوا بأنبياء فليس بمشكل ، وأمَّا على أنَّهم أنبياء ، فهو مشكل .

أجيب بأنَّهم وإن كانوا أنبياء إلا أنَّهم ليسوا برسُلٍ مشرَّعين ، فللنبيِّ أن يفعل بمقتضى الحقيقة وباطن الأمر ، كما في خرق السفينة ، وقتل الغلام الواقع من الخضر^(٣) عليه السلام ، فهو بحسب الظاهر حرام ، وبحسب الباطن مصلحة .

فإخوة يوسف أعلمهم الله بالإلهام أو الوحي أنَّ يوسف يملك مصر ، وتحصل له السيادة العظمى بها ، فتعيَّن عليهم أن يفعلوا أموراً وإن كان

(١) وذلك في قوله:

وَمِثْلُ ذَا تَبْلِيغُهُمْ لِمَا أَتَوْا وَيَسْتَجِيلُ ضِدُّهَا كَمَا رَوَّوَا
انظر ص (٢٨٢) من هذا الكتاب .

(٢) أي: ليدلَّ على أنَّ هذا مباح ، وإن كان خلاف الأولى أو مكروهاً ، ويكون في فعل ذلك مشرَّعاً لا مريداً فعل المكروه أو خلاف الأولى .

(٣) في الخضر عليه السلام ثلاثة أقوال: قيل: وليُّ ، وقيل: نبيُّ ، وقيل: رسول . وخير الأمور أوساطها . انظر تحفة المريد (١٤) .

٥٩- وَوَجِبُ فِي حَقِّهِمُ الْإِمَانَةَ وَصِدْقَهُمْ وَضِفَ لَهُ الْفِطَانَةَ

ظاهرها الحرام ، إلا أنها في الباطن والواقع واجبة عليهم؛ ليتوصلوا بذلك إلى وصوله لمصر ، ففعلهم هذا حرام ظاهراً مأمورون به باطناً ، ويقال فيهم كما قال الخضر: ﴿ وَمَا فَعَلْتُمْ عَنْ أَمْرِي ﴾^(١).

ويؤوّل أيضاً ما يوهم خلاف الأمانة في حقهم كقوله تعالى: ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾^(٢) ﴿ وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ ﴾^(٣) بأنّ المراد ذنوب أمته ووزرهم. أو أنّ المراد بالوزر أثقال الوحي؛ فإنّه كان يثقل عليه نزول الوحي ، فكان لا ينام ، فأخبره الله بأنّه وسّع صدره، / ووضع ٣٤/ب عنه أثقال الوحي ، فكان بعد ذلك لا يثقل عليه الوحي. أو المراد الوزر على فرض وقوعه ، أي: إن وقع منك ذنب أو وزر فقد غفرناه ، ووضعناه عنك.

قوله: (وصدقهم)

أي: مطابقة خبرهم للواقع ، ولو في حال المزح؛ لما في الحديث: «أَمْزَحُ وَلَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا»^(٤).

- (١) سورة الكهف (٨٢).
- (٢) سورة الفتح (٢).
- (٣) سورة الانشراح (٢).
- (٤) أخرجه الطبراني في (الأوسط) (مجمع البحرين رقم ٣٥٧٨) و(الكبير) (١٢) برقم (١٣٤٤٣) من حديث عبد الله بن عمر مرفوعاً. وأخرجه الطبراني في (الصغير) ص(٣٢٩) وإسناده ضعيف من أجل المبارك بن فضالة؛ فإنّه صدوق فيه ضعف ، ومدلس ، وقد عنعن. وأخرجه ابن أبي الدنيا في (الصمت) (٣٩٧). وله طرق أخرى.

٥٩- وَوَجِبُ فِي حَقِّهِمُ الْإِمَانَةُ وَصِدْقُهُمْ وَصِفَ لَهُ الْفِطَانَةُ
٦٠- وَمِثْلُ ذَا تَبْلِيغُهُمْ لِمَا أَتَوْا وَيَسْتَحِيلُ ضِدُّهَا كَمَا رَوَّاهُ

ويؤوّل ما ظاهره الكذب في حقّ الأنبياء ، كما في واقعة إبراهيم الخليل مع الأصنام في قوله تعالى : ﴿ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا ﴾^(١) ؛ فإنّه كلام خارج مخرج التفرّيع والتهديد والتبكيّة ؛ لأنّه لم يكن عند الأصنام غيره ، فما فائدة قولهم : ﴿ مَنْ فَعَلَ هَذَا بِإِثْمِنَا ﴾^(٢) ؟

قوله : (وصف له الفطانة)

أي : ضمّ لما يجب لهم الفطانة ، وهي : ذكاوة العقل ، ومعرفة طرق الدعاوي الباطلة من الصحيحة .

قوله : (ومثل ذا) أي : الواجب المتقدّم .

قوله : (تبليغهم لما أتوا) أي : جاؤوا به من الله .

والحاصل أنّ ما جاؤوا به أقسام ثلاثة :

- ١ - قسم أمروا بتبليغه ، فلم يكتموا منه حرفاً .
- ٢ - وقسم أمروا بكتمانه ، فلم يبلغوا منه حرفاً .
- ٣ - وقسم خيروا بين كتمانه وتبليغه ، فبلغوا البعض وكتموا البعض .

ولو جاز على الأنبياء الكتمان لكتّم نبينا ﷺ قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ تَقُولُ

(١) سورة الأنبياء (٦٣) .

(٢) سورة الأنبياء (٥٩) .

٦٠- ومِثْلُ ذَا تَبْلِيغُهُمْ لِمَا أَتَوْا وَيَسْتَحِيلُ ضِدَّهَا كَمَا رَوَّاهُ

لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ ﴿١﴾ الْآيَاتِ ، وَقَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى ﴾ ﴿٢﴾ الْآيَاتِ .

فلو كان خائناً بفعل منهي عنه لكان ذلك المنهي عنه طاعة ، وهو محال ؛ لأنَّ الله لا يأمر بالفحشاء . والحال أنَّه أمرنا بالاعتداء بهم . ولو كان كاذباً للزم الكذب في خبره تعالى ؛ لتصديقه لهم بالمعجزات ، وتصديق الكاذب كذب ، والكذب على الله محال .

ويجب أيضاً أن يكون الرسول بشرياً ، لا من الجنِّ ولا من الملائكة ، ذكراً لا أنثى - وأمّا مريم فصديقة على المعتمد ، وقوله تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَمْرًا مَوْسَى ﴾ ﴿٣﴾ فالمراد الإلهام لا وحي نبوة ، وكذا آسية فولية على المعتمد - حرّاً لا عبداً ، وأمّا على القول بنبوة لقمان^(٤) ، والحال أنَّه عبد ، فالمراد أنَّه كان أسمر اللّون يشبه العبيد .

واختلف في البلوغ ، فقيل بعدم اشتراطه ، ودليل ذلك آية عيسى

(١) سورة الأحزاب (٣٧) والآية بتمامها : ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي إِزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ .

(٢) سورة عبس (١) .

(٣) سورة القصص (٧) .

(٤) الأصحُّ أنَّه كان تلميذ الأنبياء لا نبياً . فقد قال أبو حيان الأندلسي في تفسير سورة لقمان : أدرك داود عليه السلام ، وأخذ منه العلم ، وكان يفتي قبل مبعث داود ، فلما بعث داود قطع الفتوى . البحر المحيط (٤١٢/٨) .

٦٠- وَمِثْلُ ذَا تَبْلِيغُهُمْ لِمَا أَتَوْا وَيَسْتَحِيلُ ضِدُّهَا كَمَا رَوَوْا
 ٦١- وَجَائِزٌ فِي حَقِّهِمْ كَالْأَكْلِ وَكَالْجَمَاعِ لِلنِّسَاءِ فِي الْحِلِّ

ويحيى^(١) ، وقيل باشرطه^(٢) ، ويؤوّل ما ورد في حقّ عيسى ويحيى بأنّه إخبار بما سيحصل؛ لتحقق الوقوع ك ﴿أَنَّهُ أَمْرُ اللَّهِ﴾^(٣) .

ما يستحيل في حقّ الرسل

قوله: (ضدّها) أي: ضدّ هذه الصفات المتقدّمة ، كالخيانة والكذب والبلادة والكتمان .

ما يجوز في حقّ الرّسل

قوله: (كالأكل)

أي: من الأعراض البشرية التي لا تؤدّي إلى نقص في مراتبهم العليّة كالنوم ونحوه ، ولكن أكلهم ونومهم لا عن / شهوة بل للتقوي . ١/٣٥

(١) قال تعالى في حقّ يحيى عليه الصلاة والسلام: ﴿يَبْعَثُ خِزْيَ الْكِتَابِ بِقُوَّةٍ وَمَا يُنْتَهَى الْحُكْمَ صَبِيحًا﴾ سورة مريم (١٢) .

وقال تعالى في حقّ عيسى عليه الصلاة والسلام: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ سورة مريم (٣٠) .

(٢) المعتمد أنّه لا تكون النبوة إلا عند بلوغ الأربعين . انظر هداية المرید للقاني (ق ٤/ب) ، وتحفة المرید ص(٧-٨) .

(٣) سورة النحل (١) والآية بتمامها: ﴿أَنَّهُ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ والمراد به مجيء يوم القيامة . انظر تفسير الخازن (١٠٧/٣) .

٦١- وَجَائِزٌ فِي حَقِّهِمْ كَالْأَكْلِ وَكَالْجَمَاعِ لِلنِّسَاءِ فِي الْحِلِّ

قوله: (وَالْجَمَاعِ لِلنِّسَاءِ)

أي: بالملك مطلقاً مسلمات أو كتابيات لا مجوسيات، أو بالنكاح في المسلمات الحرائر.

وقولنا: (التي لا تؤدِّي إلى نقص... إلخ) خرجت الأعراض المنفردة كالجنون والجذام والبرص والعمى والفقر وسوء الخلق وخساسة الأصل؛ فإنَّها محالة في حقِّهم، ولم يثبت أنَّ شعيباً كان ضريباً. وما كان يعقوب فهو حجاب على العين من تواصل الدُموع؛ فلذلك لمَّا جاءه البشير ارتدَّ بصيراً لانقطاع دموع العين. وما كان بأيُّوب من البلاء - وإن كان عظيماً - فالحقُّ أنَّه كان بين الجلد والعظم، فلم يكن منفراً، وما اشتهر في القصَّة من الحكايات المنفردة فهي باطلة.

وأما السهو^(١) فممتنع عليهم في الأخبار البلاغيَّة مثل عذاب القبر ونعيمه، وغيرها^(٢) كقيام زيد مثلاً. فإن قلت: قد اعترف ﷺ بصوابيَّة فعل من يلقح النخل، وقد كان قال لهم: «إِنَّكُمْ لَوْ تَرَكَتُمُوهُ بَلَا تَلْقِيحٍ لَصَلَحَ»^(٣) ففعلوا فشاخص^(٤).

(١) فَرَّقَ الْعُلَمَاءُ بَيْنَ السَّهْوِ وَالنِّسْيَانِ ، فَمَا قِيلَ فِي ذَلِكَ :

أَنَّ السَّهْوَ غَفْلَةُ الْقَلْبِ عَنِ الشَّيْءِ بَحَيْثُ يَتَنَبَّهُ بِأَدْنَى تَنْبِيهِ .

وَأَنَّ النِّسْيَانَ غِيْبَةُ الشَّيْءِ عَنِ الْقَلْبِ بَحَيْثُ يَحْتَاجُ إِلَى تَحْصِيلِ جَدِيدٍ ، أَوْ هُوَ زَوَالُ

الصُّورَةِ عَنِ الْقُوَّةِ الْمَدْرِكَةِ مَعَ بَقَائِهَا فِي الْحَافِظَةِ أَهـ . الْكَلِيَّاتُ لِلْكَفْوِيِّ (٣/٢٥) .

(٢) أَي : وَغَيْرِ الْأَخْبَارِ الْبَلَاغِيَّةِ كَقِيَامِ زَيْدٍ ، وَقَعْدِ عَمْرٍ ، فَيَمْتَنَعُ السَّهْوُ عَلَيْهِمْ فِيهَا

أَيْضاً . انْظُرْ تَحْفَةَ الْمُرِيدِ (٧٧) .

(٣) أَخْرَجَ مُسْلِمٌ (٢٣٦٣) عَنْ عَائِشَةَ وَأَنْسَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ بِقَوْمٍ يَلْقَحُونَ فَقَالَ :

«لَوْ لَمْ تَفْعَلُوا لَصَلَحَ» . قَالَ : فَخَرَجَ شَيْصاً ، فَمَرَّ بِهِمْ فَقَالَ : «مَا لِنَخْلِكُمْ؟»

قَالُوا : قُلْتَ كَذَا وَكَذَا ، قَالَ : «أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ» . وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ أَيْضاً

(٢٣٦١) عَنْ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ .

(٤) أَشَاصَتْ النَّخْلَةَ : لَمْ تَتَلَقَّحْ ، وَالشَّيْصُ بِالْكَسْرِ : تَمْرٌ لَا يَشْتَدُّ نَوَاهُ . أَهـ

الْقَامُوسُ الْمَحِيطُ (شَيْصٌ) .

٦١- وَجَائِزٌ فِي حَقِّهِمْ كَالْأَكْلِ وَكَالْجَمَاعِ لِلنِّسَاءِ فِي الْحِلِّ

أجيب: بأنَّ هذه القصة ليست من باب الخبر المعروف للصدق والكذب، وإنما هو من باب الرأي والاستشارة في أمر دينوي لا أمر ديني. فلذلك أمرهم بالرجوع لعاداتهم^(١).

وأما في الأفعال البلاغية وغيرها فيجوز، كالتسهُو في الصلاة للتشريع.

وأما النسيان فممتنع في البلاغيات قبل تبليغها، قولية كانت أو فعلية، وأما بعد التبليغ فيجوز نسيان ما ذكر عليهم^(٢)؛ لحفظه بعد التبليغ، ووجوب ضبطه على المبلِّغ ليعمل به، ولا يمتنع عليهم^(٣) نسيان منسوخ اللفظ والمعنى مطلقاً لا قبل التبليغ ولا بعده.

تنبيه:

قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾^(٣)

الذي كان يخفيه هو تزويج الله زينب له^(٤)؛ فإنَّ الله أخبره بذلك،

(١) أجيب بأنَّ هذا من قبيل الإنشاء؛ لأنَّ المعنى كان في رجاء ذلك، والإنشاء لا يتَّصف بصدق ولا كذب، وعدم وقوع المترجى لا يُعدُّ نقصاً. تحفة المرید (٧٦). وانظر حاشية الأمير على إتحاف المرید ص(١١٥).

(٢) في (م): عليه.

(٣) سورة الأحزاب (٣٧) والآية بتمامها: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتُخْفِي النَّاسُ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي زَوْجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾.

(٤) نقل الباجوري عن علي بن الحسين - رضي الله عنه - قال: إنَّ الله تعالى كان أعلم نبيِّه أنَّ زينب ستكون من أزواجك، فلمَّا شكَّها إليه زيد قال له: أمسك =

٦٢- وَجَامِعٌ مَعْنَى الَّذِي تَقَرَّرًا شَهَادَاتَا الْإِسْلَامِ فَاطْرَحَ الْمِرَا

فصار يكتمه رافة يزيد^(١) ، وبضعفاء المسلمين ، خوف افتتانهم بقولهم :
إنَّه يتزوَّج حليَّة ابنه .

وليس المراد بما يخفيه حبَّها^(٢) ، خلافاً لمن زعم ذلك^(٣) ؛ فإنَّه
إساءة أدب لا تخفى ، كما تلقَّيناه عن أشياخنا المحقِّقين . وقد بسطنا
الكلام على ذلك في شرحنا على الهَمْزِيَّة في مبحث التوسُّل بالأزواج .

كَلِمَةٌ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ) جَامِعَةٌ عَقَائِدِ التَّوْحِيدِ

قوله : (وجامع معنى الذي تقرَّرًا . . . إلخ)

لَمَّا فَصَّلَ مَا يَجِبُ لِلَّهِ وَمَا يَسْتَحِيلُ وَمَا يَجُوزُ . وَمَا يَجِبُ لِلرَّسُلِ وَمَا

= عليك زوجك ، واتَّيَّ اللهُ ، وأخفى في نفسه ما أعلمه اللهُ به من أنَّه سيترَوَّجها ،
والله مبدي ذلك بطلاق زيد لها وتزويجها له ﷺ ، ومعنى الخشية استحياءه ﷺ
من الناس أن يقولوا : تزوَّج زوجة ابنه ، أي : مَنْ تَبَّأه ، فعاتبه اللهُ على هذا
الاستحياء ؛ لعلَّ مقامه . اهـ تحفة المريد (٧٦ - ٧٧) .

(١) هو زيد بن حارثة بن شراحيل (أو شرحبيل) صحابيٌّ . اختُطف في الجاهلية

صغيراً ، واشترته خديجة بنت خويلد ، فوهبته إلى النبي ﷺ حين تزوَّجها ،
فتبَّأه النبي قبل الإسلام وأعتقه . وهو من أقدم الصحابة إسلاماً . استشهد في
غزوة مؤتة . انظر صفة الصفوة (١/٣٧٨) ، الإصابة (٢/٥٩٨) و(١/٤٩) .

(٢) ما قيل من أنَّه ﷺ تعلق قلبه بها ، وأخفاه ، فلا يلتفت إليه - وإن جُلَّ ناقلوه -

فإنَّ أدنى الأولياء لا يصدر عنه مثل هذا الأمر ، فما بالك به ﷺ ! وهذا هو
الذي نعتقه ، وندين اللهُ به . كما نقله السنوسي في كتبه . تحفة المريد (٧٧) .

(٣) ممَّن زعم ذلك الزمخشريُّ ، وصرَّح به في تفسيره . انظر الكشَّاف (٣/٥٤٠ - ٥٤١) .

٦٢- وَجَامِعٌ مَعْنَى الَّذِي تَقَرَّرًا شَهَادَاتَا الْإِسْلَامِ فَاطْرَحَ الْمِرَا

يستحيل وما يجوز. شرع فيما يتضمَّن ذلك ، وهما كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان ، وهما: (لا إله إلا الله محمد رسول الله).

وقوله: (الذي تقرَّرا)

أي: الذي تقدَّم تفصيله: من الواجب والجائز والمستحيل في حقِّ الله ، وفي حقِّ رُسُلِهِ.

قوله: (شهادتا الإسلام)

هو مثني حذف ألفه لالتقاء الساكنين ، وهو فاعل بجامع سدَّ مسدَّ الخير؛ لأنَّ (جامع) مبتدأ معتمد على موصوف محذوف ، تقديره: لفظ جامع ، أي: شهادتان / دالتان عليه ، أو من أعظم أجزائه ، أو سبب فيه ، فالإضافة إمَّا من إضافة الدالِّ للمدلول ، أو الجزء للكل ، أو السبب للمسبَّب^(١). ووجه كونهما جامعين لمعنى ما تقدَّم:

أنَّ الجملة الأولى التي هي: (لا إله إلا الله) تفيد ثبوت الألوهية لله ، أي: المعبودية بحقِّ. ووصف الألوهية يستلزم وجوب الوجود والقدم الذاتي والبقاء والمخالفة للحوادث والقيام بالنفس ، فاستلزم ذلك استغناؤه عن كلِّ ما سواه ، وافتقار كلِّ ما سواه إليه ؛ فمن حيث استغناؤه عن كلِّ ما سواه استلزم وجوب هذه الصفات الخمسة له ، ومن حيث افتقار كلِّ ما سواه إليه استلزم وجوب الوحدانية له والقدرة

(١) من إضافة الدالِّ للمدلول ، إن قلنا: النطق شرط لإجراء الأحكام الدنيوية .

ومن إضافة الجزء للكلِّ ، إن قلنا: النطق شرط من الإيمان .

ومن إضافة السبب للمسبَّب ، إن قلنا: النطق شرط لصحة الإيمان .

انظر المزيد على إتحاق المرید للسحيمي ج ١ (ق ٥٢١/ب).

٦٢- وَجَامِعٌ مَعْنَى الَّذِي تَقَرَّرًا شَهَادَاتَا الْإِسْلَامِ فَاطْرَحَ الْمِرَا

والإرادة والعلم والحياة ، وكونه قادراً مريداً عالماً حياً ، واستلزم ذلك استحالة أصداد ما ذكر عليه ، واستحالة الأغراض في الأفعال والأحكام ، والتأثير لشيء في الكائنات سواء ، وجواز فعل الممكنات أو تركها .

وأما السمع والبصر والكلام فمأخوذة من الجملة الثانية ^(١) ؛ لأنّ دليها سمعيٌّ لا مدخل للعقل فيه . فمعنى (لا إله إلا الله) المطابقي : لا معبود بحقٍ إلا الله ، ومعناها الالتزامي ^(٢) : لا مستغنياً عن كلّ ما سواه ومفتقراً إليه كلّ ما عداه إلا الله ؛ فأولها تخلية ، وآخرها تحلية ^(٣) ، وأولها سمٌّ ، وآخرها ترياق ^(٤) . والمنفيُّ هو المعبود بحقٍ غيرُ الله في ذهن المؤمن وفي نفس الأمر ، لا في ذهن الكافر .

والجملة الثانية : أعني (محمّد رسول الله) تفيد ثبوت الرسالة لسيدنا محمّد ﷺ ، فاستلزم ذلك وجوب الصدق له فيما جاء به والأمانة والتبليغ والفظانة ، واستحالة أصدادها ، وجواز الأغراض البشرية عليه ﷺ ، ومن جملة ما جاء به الأنبياء ، فلهم ماله في الواجب والمستحيل والجائز ، ومن

(١) لأنّ قولنا : (محمّد رسول الله) إثبات لرسالته ﷺ ، وإيمان بما أنزل عليه . وقد أخبرنا القرآن بأنّ الله سميع بصير متكلم .

(٢) دلالة الالتزام قسم من أقسام الدلالة اللفظية الوضعية ، وهي : دلالة اللفظ على أمر خارج عنه لازم لمعناه ذهنياً ، كدلالة الأربعة على الزوجية ، والجسم على أخذ قدر من الفراغ ، وهو التحيُّز ، والنار على الحرارة .

ومعنى الالتزامية : أن المعنى قد استلزم ذلك الأمر الخارج عنه . انظر المنطق المفيد القسم الثاني (١٥) .

(٣) التخلية : هي استغناؤه عن كل ما سواه ؛ إذ خلّيناه من الاحتياج .

والتحلية : احتياج الخلق إليه ؛ لافتقار كلّ ما سواه إليه .

(٤) أي : أولها نفي الألوهية بقولنا : (لا إله) ، وآخرها ترياق ؛ لإثبات الألوهية له سبحانه بقولنا : (إلا الله) .

٦٢ - وَجَامِعٌ مَعْنَى الَّذِي تَقَرَّرًا شَهَادَاتَا الْإِسْلَامِ فَاطْرَحَ الْمِرَا

جملة ما جاء به الكتب السماوية والملائكة ، وجميع السمعيّات التي ليس للعقل فيها مدخل .

فقد جمعت هذه الجملة الشريفة عقائد التوحيد ؛ ولذلك جعلها الشارع ترجمةً على ما في القلب من الإيمان ، ولم يقبل من أحد الإيمان إلا بها ، ويكفي في حصول الذّكر بها والإسلام المعنى الإجمالي ، وهو : لا معبود بحق إلا الله .

فقول السنوسي^(١) : (فعلى العاقل أن يُكثر من ذكرها مستحضراً لما احتوت عليه من المعاني)^(٢) أي : على سبيل الإجمال ؛ لأنّه الذي يحصل لكل شخص .

أ/٣٦ و يترتب عليه ما قاله / السنوسي^(٣) كما جرت عادة الله في المخلصين في ذكره . وللذّكر شروط وآداب تطلب من كتب القوم .

ثم إنَّ لفظ الجلالة في قولنا : (إلا الله) يصحُّ نصبه ورفعهُ ، لكن المختار رفعه ؛ لقول ابن مالك :

وَبَعْدَ نَفِيٍّ أَوْ كَنَفِيٍّ انْتُخِبَ
إِتْبَاعٌ مَا اتَّصَلَ^(٤)

(١) سبقت ترجمته ص (١٠٥ - ١٠٦) .

(٢) وردت عبارة السنوسي في أمّ البراهين على النحو التالي : (فعلى العاقل أن يكثّر من ذكرها مستحضراً لما احتوت عليه من عقائد الإيمان) اهـ (٣٢) .

(٣) . . . حتّى تمتزج مع معناه بلحمه ودمه ؛ فإنّه يرى لها من الأسرار والعجائب - إن شاء الله تعالى - ما لا يدخل تحت حصر) اهـ . أمّ البراهين (السنوسية الصغرى) (٣٢) .

(٤) قال ابن مالك في الخلاصة (الألفية) :

وَبَعْدَ نَفِيٍّ أَوْ كَنَفِيٍّ انْتُخِبَ مَا اسْتَنْتَبَ الْإِمَامُ تَمَامًا يَنْتَصِبُ
وَعَنْ تَمِيمٍ فِيهِ إِبْدَالٌ وَقَعُ إِتْبَاعٌ مَا اتَّصَلَ وَأَنْصَبَ مَا انْقَطَعَ

٦٢- وَجَامِعٌ مَعْنَى الَّذِي تَقَرَّرَا شَهَادَاتَا الْإِسْلَامَ فَاطْرَحَ الْمِرَا
 ٦٣- وَلَمْ تَكُنْ نُبُوَّةٌ مُكْتَسَبَةٌ وَلَوْ رَقِيَ فِي الْخَيْرِ أَعْلَى عَقْبَهُ

و(لا إله إلا الله) من قبيل العامّ المخصوص ، وهو ما كان عمومه مراداً في اللفظ لا في المعنى ، فالاستثناء على ذلك متّصل من حيث دخول لفظ الجلالة في عموم اللفظ ، وهو مُخْرَجٌ معنى ^(١)؛ فقوله: (إلا الله) كشف لما حاشاه ^(٢) في القلب عند النفي ، وهي من باب عموم السلب لا سلب العموم ^(٣) ، وإلا كان الاستثناء منقطعاً ، وهو خلاف التحقيق .

قوله: (فاطرح المرا)

أي: اترك الجدال في ذلك ، وهو مقابلة الحجّة بالحجّة ، أي: اترك من ينازع في كونها تجمع معاني عقائد التوحيد .

النُبُوَّةُ اصْطِفَاءً لِإِكْتِسَابِ

قوله: (ولم تكن نبوة مكتسبة)

هذا شروع في الردّ على الفلاسفة القائلين بقدم العالم ، حيث

- (١) أي: إن المؤمن لا ينفي الألوهية عن الله سبحانه عند قوله: (لا إله) .
- (٢) أي: كشف لما استثناه في القلب عند قوله: (لا إله) .
- (٣) عموم السلب يكون بتقديم أداة العموم ك(كل وجميع) على أداة النفي ، ويكون النفي فيه لكل فرد . نحو: كلُّ ظالم لا يفلح أي: لا يفلح أحد من الظلمة . وسلب العلموم يكون بتقديم أداة النفي على أداة العموم نحو: لم يكن كلُّ ذلك . فيحتمل ثبوت البعض ، ويحتمل نفي كل فرد . انظر جواهر البلاغة (١٤٠) . وقد جعل الصاوي كلمة (لا إله إلا الله) من عموم السلب على خلاف القاعدة؛ لتفيد التوحيد الخالص؛ إذ قاعدة سلب العموم أغلبية لا مطردة . انظر تحفة المرید . (٧٩) .

٦٣- وَلَمْ تَكُنْ نُبُوَّةً مُكْتَسَبَةً وَلَوْ رَقَى فِي الْخَيْرِ أَعْلَى عَقَبَهُ

قالوا: إنَّ النبوةَ مكتسبة بالريضة والعبادة وأكل الحلال .

فیردُّ عليهم بطرد إبليس ، مع كونه كان أكثر الخلق عبادة . ﴿ اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾^(١) .

قال العلماء: ومثلها الولاية ، بمعنى العطايا الربانيَّة من العلم اللدنيِّ والخطوة ورؤية اللوح المحفوظ وغير ذلك .

وأما قول السنوسي^(٢): (فيرى لها^(٣) من الأسرار والعجائب) فمحمول على مَنْ أخلص في الذكر ، فلم يقصد شيئاً سوى الله ، كما قال الجيلي^(٤):

حَبِيبُكَ لَا لِي بَلْ لِأَنَّكَ أَهْلُهُ وَمَالِي فِي شَيْءٍ سِوَاكَ مَطَامِعُ^(٥)

لأنَّ مَنْ قصد شيئاً كان عبداً له ، فهو منتهاه في السير . فافهم .

(١) سورة الأنعام (١٢٤) .

(٢) سبقت ترجمته (١٠٥-١٠٦) .

(٣) أي: لكلمة (لا إله إلا الله) . انظر أمِّ البراهين (السنوسية الصغرى) (٣٢) .

(٤) عبد الكريم بن إبراهيم بن عبد الكريم الجيلي ابن سبط الشيخ عبد القادر الجيلاني من علماء المتصوفين ، ولد سنة (٧٦٧هـ) له كتب كثيرة منها: الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل ، شرح مشكلات الفتوحات المكيَّة ، الكمالات الإلهيَّة في الصفات المحمَّديَّة . توفي سنة (٨٣٢هـ) . انظر الأعلام (٤/٥٠) وكشف الظنون (١٨١) .

(٥) هذا البيت من قصيدة طويلة سمَّاها الجيلي النادرَات العينيَّة . مطلعها:

فؤادُ به شمسُ المحبَّة طالعُ وليس لنجم العَدْلِ فيه مواقعُ

شرحها الشيخ عبد الغني النابلسي بعنوان المعارف الغيبيَّة . انظر ص(٥١) من الشرح المذكور .

٦٣- وَلَمْ تَكُنْ نُبُوَّةً مُكْتَسَبَةً وَلَوْ رَقِيَ فِي الْخَيْرِ أَعْلَى عَقَبَةً
 ٦٤- بَلْ ذَاكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ لِمَنْ يَشَاءُ جَلَّ اللَّهُ وَاهِبُ الْمِنَنِ

وأماً^(١) بمعنى امثال المأمورات ، واجتناب المنهيات ، فهي مكتسبة مكلف بها كل إنسان وتسمى الولاية العامة^(٢) .

قوله : (ولو رقى في الخير أعلى عقبة) .

أي : ولو فعل الطاعات الشاقة التي تشبه رقيّ العقبات .

قوله : (بل ذاك) أي : اصطفاء الله للأنبياء .

قوله : (فضل الله يؤتيه لمن يشاء)

أي : وبابها مفتوح إلى أن بُعث سيّدنا محمد ﷺ ، فبعثته ختمت النبوة .

وبموت عيسى تختم الولاية لرفع القرآن حينئذٍ ؛ لأنه ما دام المتذكرون للقرآن المعتبرون به ، هو^(٣) باق . فعلامة انعدام الأولياء رفع القرآن . ونزول البلايا ليس دليلاً على عدم وجود الأولياء ؛ فإنّ البلايا كانت تنزل

(١) الكلام معطوف على قوله : (ومثلها الولاية بمعنى العطايا الربانية من العلم اللدني والخطوة...) فتلك غير مكتسبة . أمّا امثال المأمورات واجتناب المنهيات فهي مكتسبة .

(٢) لقوله تعالى : ﴿ إِن أَوْلِيَآؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ ﴾ سورة الأنفال (٣٤) .

ولقوله : ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَآءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ ﴿١٢﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿١٣﴾ لَهُمُ النَّسْرُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا يَبْدِلُ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْقَوْلُ الْعَظِيمُ ﴾ سورة يونس : (٦٢) وما بعدها .

(٣) أي : القرآن ، وفي (م) هي . وما أثبتناه من (د) .

٦٤- بَلْ ذَاكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ لِمَن يُشَاءُ جَلَّ اللَّهُ وَاهِبُ الْمَنِّ

في زمن الأنبياء ، وفي الحديث: أَتَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟! قال: «نعم»
إِذَا كَثُرَ الْحَبْتُ»^(١).

قوله: (جَلَّ اللَّهُ) أي: تنزَّه ، وارتفع شأنه.

قوله: (واهب المنن) أي: العطايا المعهودة وهي النبوة.

* * *

(١) أخرجه البخاري (٣٣٤٦). ومسلم (٢٨٨٠) عن زينب بنت جحش مرفوعاً.

مراتب الخلق

وأفضلهم نبينا محمد ﷺ

قوله: (وأفضل الخلق على الإطلاق)

أي: جنّاً وإنساً ومَلَكاً، دنيا وأخرى، في جميع الخصال، وهذا التفضيل بإجماع المسلمين، سنّيين ومعتزلة إلا الزمخشري^(١)؛ فإنه / ٣٦/ ب خرق الإجماع، وقال بتفضيل جبريل على محمد^(٢) ﷺ مستدلاً بما في سورة التكويد من قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾^(٣) الآية، حيث وصف جبريل بأنه رسول كريم إلى قوله: ﴿... ثُمَّ آمِنٌ﴾، واقتصر في وصف محمد على قوله: ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾. فردّ عليه بأن القرآن في أعلى طباق البلاغة وهي مطابقة الكلام لمقتضى الحال؛ فإنّ كلام الكفّار كان في الوساطة الذي كان يأخذ عنه النبي ﷺ حيث قالوا: إنّما يعلمه بشر، وقالوا: إن به جنّة، أي: أخذ عن الجنّ، فردّ عليهم المولى بمدح الوساطة، وبراءة المصطفى ممّا يقولون؛ فإنه كان معروفاً

(١) سبقت ترجمته (٢٢٦).

(٢) وصرّح بذلك في تفسيره الكشاف فانظره هناك (٧١٢/٤) في تفسير سورة التكويد.

(٣) سورة التكويد (١٩). وتمامها: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾﴾.

٦٥- وَأَفْضَلُ الْخَلْقِ عَلَى الْإِطْلَاقِ نَبِيُّنَا فَمِلَ عَنِ الشَّقَاقِ
٦٦- وَالْأَنْبِيَا يَلُونَهُ فِي الْفَضْلِ وَبَعْدَهُمْ مَلَائِكُهُ ذِي الْفَضْلِ

بينهم بالصادق الأمين ، قال تعالى : ﴿ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُمُ الْمُنْكَرَاتُ ﴾ (١) .

وتفضيله ﷺ دلّ عليه أساطير الأولين والآخرين ، وأمّا قوله ﷺ :
« لَا تُخَيِّرُونِي عَلَى مُوسَى » (٢) و« لَا تَفْضَلُوا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ » (٣) فمعناه
لا تخيّروني تخييراً يقتضي نقص موسى عن مرتبته ، كأن تقولوا مثلاً :
محمد نبيّ ورسول وحبیب وخليل دون موسى .

وأما قوله ﷺ : « لَا تَفْضَلُونِي عَلَى يُونُسَ بْنِ مَتَّى » (٤) فقليل : معناه
لا تعتقدوا أنّي أقرب إلى الله في الحسّ منه حيث ناجيت ربّي فوق السموات
السبع ، وهو قد ناجى ربّه في بطن الحوت في قعر البحر ، بل نحن سواء
لتنزّه مولانا عن المكان والجهة . أو إنّ ذلك تعليم للأدب في حقّ الأنبياء .
قوله : (فمِلَ عَنِ الشَّقَاقِ) أي : اترك المنازعة والجدال .

قوله : (والأنبيا يلونه في الفضل)

أي : يتبعونه فيه ، فمرتبتهم فيه بعد مرتبته ، أي : فأفضل الخلق

(١) سورة المؤمنون (٦٩) .

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٠٨) . ومسلم (٢٣٧٣) عن أبي هريرة مرفوعاً .

(٣) أخرجه مسلم (٢٣٧٣) عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً بلفظ : « لَا تَفْضَلُوا بَيْنَ
أَنْبِيَاءِ اللَّهِ » . وأخرج البخاري نحوه (٢٤١٢) .

(٤) أخرجه البخاري (٣٤١٣) . ومسلم (٢٣٧٧) عن ابن عباس مرفوعاً : « لَا يَنْبَغِي
لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ : أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى » .

وأما اللفظ الذي أورده الصاوي فقد قال الإمام السيوطي في مناهل الصفا
ص(٧٥) : لم أقف عليه بهذا اللفظ .

٦٦- وَالْأَوْلَىٰ لِيَلُوتَٰهُ سِي الْفَضْلِ وَبَعْدَهُمْ مَلَائِكَةُ ذِي الْفَضْلِ
 ٦٧- هَذَا وَقَوْمٌ فَصَّلُوا إِذْ فَصَّلُوا وَبَعْضٌ كُلُّ بَعْضٍ قَدْ يَفْضَلُ

نبيُّنا، ثمَّ بَقِيَّةُ أُولَى الْعِزْمِ^(١)، ثمَّ بَقِيَّةُ الرُّسُلِ، ثمَّ باقِي الْأَنْبِيَاءِ غَيْرِ الرُّسُلِ.

قوله: (وبعدهم ملائكة ذي الفضل)

أي: فمرتبهم تلي مرتبة الأنبياء، أي: فالملائكة أفضل من البشر غير الأنبياء من غير تفصيل.

قوله: (هذا)

متعلِّقٌ بِمَحذُوفٍ^(٢)، أي: أفهم هذا الذي هو طريق الأشاعرة، وهي مرجوحة.

قوله: (وقوم فصلوا إذ فصلوا) هذه طريقة الماتريديَّة وهي الراجحة.

قوله: (وبعض كل) أي: من الملائكة والأنبياء.

قوله: (بعضه . . .)

أي: بعض الأنبياء أفضل من بعض، قال تعالى: ﴿تِلْكَ أَرْسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾^(٣) وتحقيق هذه الطريقة أن تقول: نبيُّنا أفضل

(١) وقد نظم بعضهم أولي العزم على ترتيب مقاماتهم فقال:

محمَّد إبراهيم موسى كليمة
 فعيسى فنوح هم أولو العزم فاعلم

وقيل: جميع الرسل أولو العزم على الخلاف في (من) في قوله تعالى:

﴿... أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ آيانية أم تبعيضية. والظاهر أنَّ الخلاف لفظي من حيث أصل العزم وكماله. انظر تحفة المريد ص(٨١) وحاشية الأمير على

إتحاف المريد ص(١٢٠).

(٢) في (د) مفعول لمحذوف.

(٣) سورة البقرة (٢٥٣).

أ/٣٧ الخلق على الإطلاق ، ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى ثم نوح ، ثم /
بقية الرسل ، ثم الأنبياء غير الرسل ، وهم متفاضلون فيما بينهم ، لكن
لا يعلم تفضيلهم إلا الله ، ثم جبريل ثم إسرافيل ثم ميكائيل ثم عزرائيل ،
ثم عامة البشر^(١) ، ثم عامة الملائكة .

تأييد الله الأنبياء بالمعجزات

قوله : (بالمعجزات)

جمع معجزة ، وهي أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي مع عدم
المعارضة^(٢) ، وقد اشتمل هذا التعريف على سبعة أمور :

الأول : أن تكون فعلاً لله أو تركاً ، فالأول كنبع الماء من بين الأصابع ،
والآخر كعدم الإحراق لإبراهيم .

الثاني : أن يكون خارقاً للعادة ، لا أن كان معتاداً .

الثالث : أن تكون على يد مدعي النبوة ، لا أن كانت على يد
غيره ، فلا تسمى معجزة ، بل إما أن تسمى :

(١) عامة البشر هم أولياؤهم غير الأنبياء كأبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - وليس
المراد بعامة البشر ما يشمل الفُسَّاق؛ فإن الملائكة أفضل منهم على الصحيح .
انظر إتحاف المرید وحاشية الأمير عليه ص(١٢١) .

(٢) عارضه بمثل ما صنع أي : أتى إليه بمثل ما أتى . مختار الصحاح (عرض) .
وعارضته : فعلتُ مثل فعله . المصباح المنير (عرض) .

فالمراد بعدم المعارضة نفي المشابهة والمماثلة ، أي : لا يستطيع أحد أن يأتي
بمشابه ما أتى به النبي ﷺ من المعجزات .

- إرهاباً: وهو الخارق للعادة على يد النبي ^(١) قبل ادّعائها.
- أو كرامة: وهو الخارق للعاد على يد ظاهر الصلاح.
- أو معونة: هو ما كان على يد مستور الحال.
- أو استدراجاً: وهو ما كان على يد فاسق على طبق مراده ^(٢).
- أو إهانة: وهو ما كان على غير مراده ^(٣).
- الرابع: أن تكون مقارنة للدّعوى حقيقة أو حكماً ^(٤).

- (١) المراد بقوله: (على يد النبي) أي علاقة بالنبي كاهتزاز إيوان كسرى عند ولادة سيدنا محمد ﷺ. انظر النهاية في غريب الحديث (٢/٢٠١). وتظليل الغمام له قبل نبوته. انظر سيرة ابن هشام (١/١٨١).
- (٢) كما سيكون على يد المسيح الدّجال في آخر الزمان؛ إذ يقول للسماء: أمطرني فتمطر، وللأرض: أنبتي فتنبت، وللमित: قم يا عبدي فيقوم. انظر تحفة المريد (٨٣).
- (٣) كما حدث مع مسيلمة الكذاب حينما نفل بعين رجل؛ ليشفيها (محاكياً النبي ﷺ)، فعميت عين الرجل الصحيحة. انظر تحفة المريد (٨٣).

وقد نظم بعضهم أقسام الأمر الخارق للعادة فقال:

إِذَا مَا رَأَيْتَ الْأَمْرَ يَخْرِقُ عَادَةً	فَمُعْجِزَةٌ إِنْ مِنْ نَبِيٍّ لَنَا صَدَرُ
وَإِنْ بَانَ مِنْهُ قَبْلَ وَصْفِ نَبْوَةٍ	فَالْإِرْهَابُ سَمَةٌ تَتَّبِعُ الْقَوْمَ فِي الْأَثَرِ
وَإِنْ جَاءَ يَوْمًا مِنْ وَلِيِّ فَإِنَّهُ أَلْ	كِرَامَةٌ فِي التَّحْقِيقِ عِنْدَ ذَوِي النَّظَرِ
وَإِنْ كَانَ مِنْ بَعْضِ الْعَوَامِ صُدُورُهُ	فَكُنُوهُ حَقًّا بِالْمَعُونَةِ وَاشْتَهَرُ
وَمَنْ فَاسَقَ إِنْ كَانَ وَفَّقَ مُرَادِهِ	يَسْمَى بِالِاسْتِدْرَاجِ فِيمَا قَدْ اسْتَقَرُّ
وَإِلَّا فَيُدْعَى بِالْإِهَانَةِ عِنْدَهُمْ	وَقَدْ تَمَّتِ الْأَقْسَامُ عِنْدَ الَّذِي اخْتَبَرُ

انظر حاشية الصاوي على شرح الخريدة البهية (٩٠)، وتحفة المريد (٨٣).

- (٤) عبارة الباجوري: الرابع أن تكون مقرونة بدعوى النبوة أو الرسالة حقيقة أو حكماً بأن تأخرت بزمن يسير. تحفة المريد (٨٣).

٦٨ - بِالْمُعْجَزَاتِ أُيِّدُوا تَكْرِمًا وَعِصْمَةَ الْبَارِي لِكُلِّ حَتْمًا

الخامس: أن تكون موافقة للدعوى ، فالمخالفة كفلق الجبل عند قول مدّعي النبوة: آيتي فلق البحر ، لا تعدُّ معجزة .

السادس: أن لا تكون مكذّبة ، إن كان ممّا يعتبر تكذيبه ، كقوله: آيتي نطق الجماد . فنطق بأنه كذّاب ، فلا تعدُّ معجزة . وأمّا إن كان ممّا لا يُعتبر تكذيبه كما إذا قال: آيتي إحياء هذا الميت مثلاً ، فأحيي ، ونطق بأنه كذّاب ، فأحياؤه كافٍ في المعجزة ، ولا يلتفت لتكذيبه؛ لانتهاه بعد ذلك بالأغراض الفاسدة .

السابع: أن تتعدّر معارضته إلا من نبيٍّ مثله ، فالسحر ونحوه لا يعدُّ معجزة؛ لأنّ من تعلّم صنعته قدر على المعارضة .

وزاد بعضهم ثامناً: وهو أن لا يكون الخارق في زمن خرق العادات كقرب قيام الساعة ، ورُدّ بأنه في ذلك الزمان لا يظهر نبي ، ولا تُقبل دعواه؛ لختمها بسيدّ العالمين .

قوله: (أَيِّدُوا تَكْرِمًا)

ردّ بذلك على المعتزلة القائلين بوجوب تأييدهم بها؛ لأنّه من الصلاح أو الأصلح ، وهو واجب على الله .

وجوب العصمة للأنبياء والملائكة

قوله: (وعصمة الباري لكلّ حَتْمًا)

أي: اعتقد وجوب العصمة لكلّ واحد من الأنبياء والملائكة ، وهي الحفظ من كلّ ما ينقص مقامهم من حركة أو سكون أو قول أو فعل .

والملائكة: أجسام نورانية قادرة على التشكّلات بالصُّور غير^(١)

(١) أثبتت في (م) و(د) الغير الخسيسة ، وأثبتناها بدون (أل) لإغراقها في الإبهام وإضافتها .

الخشيسة ، ولا تحكم عليهم الصورة ، بخلاف الجن^(١) .
 وقيل : إنَّ الملائكة مخلوقون من العناصر الأربع^(٢) ، لكن غلب عليهم
 النور ، والجنُّ مخلوقون من العناصر الأربع^(٣) ، لكن غلبت عليهم النار
 وظلمتها ، فهم حارُّون مظلومون ، وبنو آدم كذلك^(٤) إلا أنَّه غلب عليهم الطين .

ختم سيِّدنا محمد ﷺ والأنبياء والرُّسل

وعمهم رسالته

قوله : (وُخِصَّ خَيْرُ الْخَلْقِ)

يعني أَنَّ نَبِيَّنَا ﷺ خَصَّه اللهُ بِخِصَائِصٍ لَا تُحْصَى / وَلَا تَعْدُ؛ لِأَنَّهُ لآئِهٖ ٣٧/ب

(١) أي : إذا تشكَّل أماننا ملك فوجَّهنا إليه ضربة أو إصابة ، فإنَّنا لا نستطيع إيذاءه أو قتله . على عكس الجنِّ ؛ فإنَّ إيذاءهم أو قتلهم ممكن عند تجسُّدهم .
 قال السحيمي : والجنُّ قادرة على التشكُّل ، والملائكة تتشكَّل ، لكن إذا قتلت الصورة التي ظهر بها الجني مات معها . . . اهـ . المزيد على إتحاف المرید (ج ١ ق ٥٤٦/ب) . وانظر تفصيل مسألة التشكُّل عامَّة في كتاب : الحباثك في أخبار الملائك (٢٦٣) وما بعدها .

(٢) وهي : التراب والماء والهواء والنور .

(٣) وهي : التراب والماء والهواء والنار .

(٤) قال الحلبي : والأصل الذي خلق منه الإنسان هو التراب والماء والنار والهواء . انظر كتابه منهاج الدين (٣٠٨/١) .

وتحدَّث السحيمي عن خلق الحيوانات من العناصر الأربعة فقال : قال شيخنا الزيات : القول بخلق الحيوانات من العناصر الأربعة إنَّما هو قول الفلاسفة ، وأمَّا أهل الإسلام فقالوا : ليست مخلوقة منها .

وأورد خبر مسلم عن عائشة مرفوعاً : «خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ نَارٍ ، أَي : أَبُو الْجِنِّ . . . وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ» . فبيَّن مادة خلق الثلاثة ، والأصل حمل الأدلة على ظاهرها حتى يقوم دليل على خلافه . وأجيب بأنَّ هذا بيان للغالب عليهم ؛ لثلاثي أدلة أخرى . انظر المقتدي بشرح الهددي ص (٢٨٠) .

٦٩- وَخُصَّ خَيْرُ الْخَلْقِ أَنْ قَد تَمَّما بِهِ الْجَمِيعَ رَبُّنا وَعَمَّما
٧٠- بَعثته فَشَرَعُهُ لا يُنسخُ بِغَيرِهِ حَتَّى الزَّمانُ يُنسخُ

كالشمس ، والأنبياء كالنجوم . قال البوصيري^(١) :

فإنَّهُ شَمْسُ فَضْلِ هُمْ كَوَاكِبُها يُظهِرُنْ أنوارها لِلنَّاسِ فِي الظُّلَمِ^(٢)

قوله : (أَنْ قَد تَمَّما بِهِ الْجَمِيعَ رَبُّنا)

يعني أَنَّ الله سبحانه وتعالى ختم به جميع الأنبياء ، قال تعالى :
﴿وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾^(٣) أي : والمرسلين . ومن جملة ما خُصَّ به فتحه
الوجود^(٤) ، والشفاعة ؛ فهو الفاتح الخاتم .

قوله : (وعمَّما بعثته)

أي : خصَّه بعموم رسالته لجميع الخلق حتَّى الملائكة والجمادات ،

(١) سبقت ترجمته (٢١٤) .

(٢) انظر الديوان (١٩٤) .

(٣) سورة الأحزاب (٤٠) .

(٤) المراد بفتحه الوجود أَنَّهُ الأوَّل . وقد ذكر الإمام السيوطي في كتابه الخصائص الكبرى ، باب (خصوصية النبي ﷺ بكونه أوَّل النبيين في الخلق ، وتقدُّم نبوته ، وأخذ الميثاق عليه) أحاديث عدَّة في ذلك ، منها :

- عن سهل بن صالح الهمداني قال : سألت أبا جعفر محمَّد بن علي : كيف صار محمَّد ﷺ يتقدَّم الأنبياء ، وهو آخر مَنْ بُعث؟ قال : إنَّ الله تعالى لَمَّا أخذ من بني آدم من ظهورهم ذرِّيَّاتهم ، وأشهدهم على أنفسهم ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ ، كان محمَّد ﷺ أوَّل من قال بلى ، ولذلك صار يتقدَّم الأنبياء ، وهو آخر مَنْ بُعث .

- أخرج أحمد والبخاري في تاريخه ، والطبراني والحاكم والبيهقي وأبو نعيم عن مسيرة الفجر قال : قلت : يا رسول الله متى كنت نبيًّا؟ قال : وآدم بين الروح والجسد .

ثم قال السيوطي ناقلاً : . . . قد جاء أَنَّ الله تعالى خلق الأرواح قبل الأجساد ، فقد تكون الإشارة بقوله : (كنت نبيًّا) إلى روحه الشريفة ، أو إلى حقيقته ، والحقائق تقصر عقولنا عن معرفتها ، وإنَّما يعلمها خالقها . انظر الخصائص الكبرى (١/٣ - ٤ - ٥) .

٧٠- بَعَثْتَهُ فَشَرَعَهُ لَا يُنْسَخُ بِغَيْرِهِ حَتَّى الزَّمَانِ يُنْسَخُ

لكن إرساله للجمادات والحيوانات التي لا تعقل إرسال تشریف .
وأما للملائكة فقليل كذلك ، وقيل إرساله تكليف بما يليق بهم .
وأما للثقلين^(١) فأرسال تكليف بإجماع ، فمن نفى عموم بعثته فهو
كافر ، كمن نفى البعثة .
ولم يُرسل للجنّ نبيّ غيره ، وأما سليمان فحكمه فيهم حكم سلطنة .
وأما قوله تعالى حكاية عن الجنّ : ﴿ قَالُوا يَنْقُومَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ
بَعْدِ مُوسَى ﴾^(٢) الآية ، فلا يلزم من ذكرهم لموسى كونه مرسلًا لهم ؛ فإنّ
موسى لم يرسل لعموم الإنس فضلاً عن الجنّ .

أحكام في النسخ

قوله : (فشرعه لا ينسخ بغيره)

هذا مفرّع على قوله :

... أن قد تمّم ما به الجميع ربّنا وعمّم ما
بعثته

أي : إذا علمت أنّه خاتم النبيين ، وبعثته عامّة ، تعلم أنّ شرعه
لا ينسخ بغيره .

والنسخ لغة : الإزالة والنقل ، يقال : نسخت الشمس الظلّ : أزالته ،
ونسخت الكتاب : نقلت ما فيه .

(١) في (م) : وأما الثقلين . والصواب ما أثبتناه . والله أعلم .

(٢) سورة الأحقاف (٣٠) .

٧٠- بَعَثَتْهُ فَشَرَعُهُ لَا يُنْسَخُ بِغَيْرِهِ حَتَّى الزَّمَانُ يُنْسَخَ
٧١- وَنَسَخَهُ لِشَرَعٍ غَيْرِهِ وَقَعَ حَتْمًا أَذَلَّ اللَّهُ مَنْ لَهُ مَنَعٌ

واصطلاحاً: رفع حكم شرعي بدليل شرعي .

قوله: (حتى الزمان ينسخ)

أي: إلى انقضاء الزمان؛ لما في الحديث: «لَنْ تَزَالَ هَذِهِ الْأُمَّةُ قَائِمَةً عَلَى أَمْرِ اللَّهِ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ»^(١).

إن قلت: إنَّ عيسى حين نزوله يحكم برفع الجزية عن الكفار مع أنَّ النبيَّ ضربها عليهم ، فمقتضى ذلك أنَّ عيسى نسخ بعض الأحكام .

والجواب: أنَّ نبيَّنا أخبرنا أنَّ الجزية مغيَّاة بنزول عيسى ، فمتى نزل عيسى رُفعت بحكم نبيَّنا قبل ذلك ، وإخباره لنا .

قوله: (ونسخه لشرع غيره وقع حتماً)

أي: لا يقبل التأويل . قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾^(٢).

قوله: (أذلَّ الله من له منع).

أي: جعل الله الذلَّ والصغار لمن منع نسخ شرع نبيِّنا ﷺ لشرع غيره ، وهم اليهود ، محتجِّين بأنَّه يلزم على القول بالنسخ ظهور مصلحة

(١) هذا قطعة من حديث أخرجه البخاري رقم (٧١) بلفظ: «من يُردِّ اللهُ به خيراً يُفَقِّهُهُ فِي الدِّينِ ، وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ ، وَاللَّهُ يُعْطِي ، وَلَنْ تَزَالَ هَذِهِ الْأُمَّةُ قَائِمَةً عَلَى أَمْرِ اللَّهِ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ» .

وأخرجه مسلم بألفاظ متقاربة برقم (١٠٣٧) و(١٩٢٠) و(١٩٢٤) .

(٢) سورة آل عمران: (٨٥) .

٧٢- وَنَسَخَ بَعْضُ شَرْعِهِ بِالْبَعْضِ أَجْزُ وَمَا فِي ذَا لَهُ مِنْ غَضٍّ

كانت خافية عليه ، تعالى الله عن ذلك . رُدَّ عليهم بأنه تعالى مسخهم قردة وخنازير ، فكما جاز عليه / المسخ جاز عليه النسخ ؛ إذ لا فرق ٣٨ بين تبديل صور وتبديل أحكام^(١) .

قال البوصيري في الردّ:

جَوَّزُوا النَّسْخَ مِثْلَ مَا جَوَّزُوا الْمَسَّ سَخَ عَلَيْهِمْ لَوْ أَنَّهُمْ فُقَهَاءُ^(٢)

قوله : (ونسخ بعض شرعه بالبعض أجز . . . إلخ)

يعني أنّ نسخ بعض شرع نبينا [ببعض]^(٣) جائز ، وشمل ذلك أربع

صور :

١ - نسخ الكتاب بالكتاب :

كحكم قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتْلَعًا إِلَى الْحَوْلِ ﴾^(٤) بحكم ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا

(١) هذه الإجابة إجابة تهكم وتحقير لهم ، ولكن هناك إجابة علمية في الردّ على اليهود القائلين بعدم النسخ هي : أنّ سيّدنا آدم عليه الصلاة والسلام كان يزوّج أحد أبنائه من بطن لإحدى بناته من بطن آخر ، وقد نُسخ ذلك في شريعة اليهود ، فكما صحّ نسخ شرع آدم بشرع موسى عليه الصلاة والسلام ، فكذلك نُسخ شرعهم بشرع نبينا محمّد ﷺ ، وليس ذلك لمصلحة كانت خافية عليه سبحانه ، إنّما لمصلحة حدثت مع تطوّر البشر ، وهذا واقع تشريع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، فسيّدنا عيسى عليه الصلاة والسلام يقول : ﴿ وَلَا أُحِلُّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ﴾ سورة آل عمران (٥٠) .

(٢) الديوان (١٦) . انظر ترجمة البوصيري ص(٢١٤) من هذا الكتاب .

(٣) ساقطة من (م) . وأثبتناها من (د) .

(٤) سورة البقرة (٢٤٠) .

٧٢- وَنَسَخَ بَعْضُ شَرْعِهِ بِالْبَعْضِ أَجْزُ وَمَا فِي ذَا لَهُ مِنْ غَضٍّ

يَتَرَيَّضَنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴿١﴾ (٢).

٢ - ونسخ السنة بالسنة:

كقوله ﷺ: «كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا» (٣).

٣ - والسنة بالكتاب:

كحكم استقبال بيت المقدس الثابت بالسنة (٤) باستقبال الكعبة الثابت بقوله تعالى: ﴿قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ (٥).

٤ - والكتاب بالسنة:

كقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ...﴾ (٦) بحديث: «لَا وَصِيَّةَ لِوَارِثٍ» (٧).

(١) سورة البقرة (٢٣٤).

(٢) كانت عدة المتوفى عنها زوجها سنة ، ثم انتقل إلى أربعة أشهر وعشرة أيام بنزول الآية الثانية ، وهكذا نسخت الثانية الأولى في الحكم لا التلاوة. انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣/١٧٤).

(٣) أخرجه مسلم (٩٧٧) ، و(١٩٧٧) ، والنسائي (٣١١/٨) ، وغيرهما عن بريدة مرفوعاً.

(٤) أخرج البخاري (٣٩٩) . ومسلم (٥٢٥) عن البراء بن عازب - رضي الله عنه - قال: «كان رسول الله ﷺ صلى نحو بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهراً ، وكان رسول الله ﷺ يُحِبُّ أَنْ يُوَجَّهَ إِلَى الْكَعْبَةِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿قَدْ رَأَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾ فتوجَّه نحو الكعبة...».

(٥) سورة البقرة (١٤٤).

(٦) سورة البقرة (١٨٠).

(٧) أخرجه النسائي (٦/٢٤٧) ، وأبو داود (٢٨٧٠) ، والترمذي (٢١) ، وابن ماجه =

٧٢- وَنَسَخَ بَعْضُ شَرْعِهِ بِالْبَعْضِ أَجْزُ وَمَا فِي ذَا لَهُ مِنْ غَضٍّ

وشمل أيضاً:

ما نسخت تلاوته وحكمه جميعاً: (كعشر رضعات محرّمات) فنسخت: بـ (خمس معلومات)^(١).

وما نسخت تلاوته دون حكمه: (الشيخ والشيخة)^(٢) إذا زنيا فارجموها البتة نكلاً من الله).

وما نسخ حكمه وبقيت تلاوته: كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ...﴾^(٣) الآية.

وكل هذا النسخ ما دام رسول الله حيّاً، وأمّا بعد وفاته فلا نسخ؛ لأنّ الله أنزل على رسوله قبل وفاته بسبعين يوماً قوله تعالى: ﴿أَلْيَوْمَ أَكُنْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمْتُمْ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(٤). وقد قيّض

= (٢٧١٣) و(٢٧١٤)، وغيرهم. وهو حديث صحيح ثبت عن عدّة من الصحابة. ولفظه: «إنّ الله قد أعطى كلّ ذي حقّ حقه فلا وصيّة لوارث».

(١) الأولى نسخت حكماً وتلاوة بالإجماع، أمّا الثانية فنسخت تلاوتها عند الجميع، وبقي حكمها عند الشافعي وغيره. انظر التفسير الكبير للفخر (٣/٢٣٠)، وتفسير آيات الأحكام للصابوني (١/١٠٣).

أمّا عند الأحناف فنقطة واحدة إذا وصلت إلى جوف الرضيع في سنّ الرضاع تحرّم عملاً بإطلاق قوله تعالى: ﴿وَأَخْوَاتُكُمْ مِنَ الرِّضَاعَةِ﴾ من غير تفصيل بمقدار الرضاعة. انظر الاختيار لتعليل المختار (٣/١١٧)، واللباب في شرح الكتاب (٣/٣١).

(٢) قال المباركفوري: قال القاري: والأظهر تفسيرهما بالمحصن والمحصنة اهـ. تحفة الأحوذني بشرح جامع الترمذي (٤/٥٨٢).

(٣) سورة البقرة (٢٤٠).

(٤) سورة المائدة (٣).

٧٢- وَنَسَخُ بَعْضُ شَرْعِهِ بِالْبَعْضِ أَجْزُ وَمَا فِي ذَا لَهُ مِنْ غَضٍّ
٧٣- وَمُعْجَزَاتُهُ كَثِيرَةٌ غَرَزَ مِنْهَا كَلَامُ اللَّهِ مُعْجِزُ الْبَشَرِ

الله لحفظه العلماء الراسخين ، فلا يُخشى الضلالُ وهم بين أظهرنا. قال
البوصيري:

لا تَخَفْ بَعْدَكَ الضَّلَالَةَ وَفِينَا وَارِثُو نُورَ هَدْيِكَ الْعُلَمَاءُ^(١)
قوله: (وما في ذا) أي: جواز نسخ بعض أحكام شرع نبيِّنا ببعضه.
قوله: (من غَضٍّ) أي: نقص.

من معجزات سيِّدنا محمدٍ ﷺ ١ - القرآن الكريم

قوله: (ومعجزاته كثيرة)

أي: ممَّا يجب علينا اعتقاده أنَّ الله أعطى نبيِّه ﷺ معجزات ، أي:
خوارق للعادات كثيرة لا نهاية لها ، قيل: أعطاه الله مئة ألف وسبعين
ألف معجزة ، منها مئة ألف في القرآن ، والسبعون^(٢) في غيره ، والمراد
الخوارق للعادات مطلقاً ، كانت قبل النبوة أو بعدها.

(١) هذا البيت من قصيدته الهمزية التي مطلعها:

كَيْفَ تَرَقَى رُقَيْكَ الْأَنْبِيَاءُ يَا سَمَاءَ مَا طَاوَلَتْهَا سَمَاءُ
الدِّيوان (٢٨) وهو برواية:

لَمْ نَخَفْ بَعْدَكَ الضَّلَالَةَ وَفِينَا وَارِثُو نُورَ هَدْيِكَ الْعُلَمَاءُ
(٢) أي: والسبعون ألفاً.

قوله: (غرر)

أي: واضحات ظاهرات كالغزوة في الفرس ، أو كالصبح لا تضاهى ولا تماثل . قال البرعي^(١):

وَإِنْ ذَكَرُوا نَجِيَّ الطُّورِ فَأَذْكَرُ نَجِيَّ العَرَشِ مُفْتَقِرًا لِتَغْنَى
فَإِنَّ اللَّهَ كَلَّمَ ذَاكَ وَحِيًّا وَكَلَّمَ ذَا مُشَافَهَةً وَأَدْنَى^(٢)

إلى آخر ما قال .

قوله: (منها كلام الله)

أي: وهو أعظمها؛ لبقائه بعد موته ﷺ ، ولجمعه غالب معجزاته ، وهو القرآن ، والمراد به اللفظ المنزل على قلب النبي ﷺ ، المتعبد بتلاوته ، / المقرون بدعوى التحدي^(٣) .

ب/٣٨

قوله: (معجز البشر)

أي: والجنّ والملائكة ، وإنما اقتصر على البشر؛ لأنهم هم الذين

(١) عبد الرحيم بن أحمد بن علي البرعي اليماني ، شاعر متصوِّف ، له ديوان شعر أكثره في المدائح النبوية ، نسبته إلى بُرُع (كعمر) جبل في تهامة . توفي سنة (٨٠٣هـ) . الأعلام (٣/٣٤٣) ، هدية العارفين (١/٥٥٩) .

(٢) انظر ديوان البرعي في المدائح الربانية والنبوية والصوفية (٢٠٣) .

(٣) قال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ سورة البقرة (٢٣ - ٢٤) .

٧٣- وَمُعْجَزَاتُهُ كَثِيرَةٌ غَرَزَ مِنْهَا كَلَامُ اللَّهِ مُعْجِزُ الْبَشَرِ

تصدّوا للمعارضة ، ووجه إعجازه أنّ كلماته مئة ألف كلمة وأربعة وعشرون ألف كلمة ، وكلُّ كلمة لها مطلع وغاية ، وظهر وبطن ، فتكون علومه أربعمئة ألف وستة وتسعين ألف علم ، وكلُّ علم يخالف الآخر ، وأنّ ألفاظه في أعلى طبقات الفصاحة والبلاغة التي لا يصل إليها أحد .

واختلفوا في أقلّ ما يحصل به الإعجاز ، فقيل : أقلّه سورة : ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ ، أو آية أو آيات ، وهو للقاضي عياض^(١) ، وتبعه البوصيري في الهمزيّة حيث قال :

أعجزَ الإنسَ آيةٌ منهُ والجنُّ منَ فهلاً يأتي بها البلغاء^(٢)
وقيل أقله أقصر سورة منه ، أو ثلاث آيات^(٣) ، ولكن اعتمد أשיاخنا أن الآية الطويلة معجزة كالثلاثة .

(١) عياض بن موسى بن عياض اليحصبي ، أبو الفضل . عالم المغرب ، وإمام أهل الحديث في وقته ، كان من أعلم الناس بكلام العرب وأنسابهم وأيامهم . ولد سنة (٤٧٦هـ) ، وتوفّي بمراكش مسموماً سنة (٥٤٤هـ) . من تصانيفه : الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ . انظر طبقات الأولياء (٥٧٥) ، ووفيات الأعيان (٤٨٣/٣) .

وانظر قوله في أقلّ ما يقع فيه الإعجاز : الشفا (١/٥٢٤) .

(٢) ورد البيت في (م) :

أعجزَ الجنُّ والإنسَ آيةٌ منهُ فهلاً لا تأتي بها البلغاء
وأثبتنا رواية الديوان لأنها الصحيحة . انظر الديوان (١٣) .

(٣) قال عبد السلام في شرح الجوهرة :

وظاهر كلام الأستاذ أبي إسحاق أنّ أقلّه أقصر سورة منه ، أو ثلاث آيات منه ، واختاره جمهور أهل التحقيق . إتحاف المرید (١٢٤) .

٢ - الإسراء والمعراج

قوله: (واجزم بمعراج النبي)

أي: واجزم اعتقادك بأن من جملة معجزاته ﷺ أنه أُسْرِيَ به ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى على ظهر البُرَاق ، وجبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره ، وصلى بالأنبياء والملائكة وأرواح المؤمنين ، ثم عُرِجَ به إلى السماء السابعة إلى سدرة المنتهى إلى العرش ، ورأى ربّه وخاطبه ، ورجع فوجد مكانه لم يبرد .

وغاية ما قيل في المدة أنها أربع ساعات ، ولا غرابة في ذلك؛ فإنّ الشمس في السماء الرابعة وبمجرّد بروزها تراها في الأرض ، وكذلك الهواء ، والملائكة الصاعدون بالأعمال الصالحة ، والشهبُ النازلة على الشياطين؛ فإنّها ثوابت في العرش ولا تُخَطِئُ الشيطان فتصيبه في لمح البصر^(١) .

(١) وقد أشار الله سبحانه إلى ذلك بقوله: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ سورة النجم (١ - ٢) . فهذه النجوم تهوي من السماء إلى الأرض وتستغرق الزمن اليسير ، وتُشاهد بالأعين ، فكيف يُستبعد عروج النبي ﷺ إلى السماء وعودته في ساعات قليلة؟!

بل ها هي الطائرات الحديثة تنقل الإنسان عبر القارات من أقصى الأرض إلى أقصاها في ساعات معدودة ، وها هي الأقمار الصناعية تعرج بمن فيها إلى الطباق العليا ، وتدور حول الأرض مرات ومرات ، كل ذلك مما توصل إليه المخلوق . فكيف فعلُ الله خالق كل شيء؟!

٧٤- واجزِم بِمِعْرَاجِ النَّبِيِّ كَمَا رَوَا وَبَرَّئْنَا لِعَائِشَةَ مِمَّا رَمَوَا

فمن أنكر الإسراء كفر؛ لتكذيبه القرآن ، ومن أنكر المعراج فسق
وَبُدِّع^(١).

وإنما نصَّ على المعراج فقط؛ لأنَّه صار حقيقة عرفية فيما يشمل
الإسراء ، ولأنَّه لو ذكر الإسراء فقط لتوهَّم أنه يجب الإيمان به دون
المعراج.

وقوله: (كما رووا) أي: في الأحاديث والسير المشهورة^(٢).

براءة أمِّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها

قوله: (وبرئنا لعائشة ممَّا رموا)

أي: ممَّا يجب اعتقاده براءة عائشة أمِّ المؤمنين الصديقة بنت أبي
بكر الصديق - رضي الله عنهما - ممَّا رماها به المنافقون من الإفك .

وحاصل ذلك^(٣) أنَّ النبي ﷺ كان إذا أراد سفراً أفرغ بين نسائه ،
فلمَّا أراد التوجُّه لغزوة بني المصطلق خرجت على عائشة ، فتوجَّهت
معه ، وجعل لها هودج ، فلمَّا كان آخر ليلة من رجوعهم إلى المدينة

(١) كُفِّرَ منكر الإسراء ؛ لأن الإسراء ثابت بالكتاب والسنة والإجماع . وفسق منكر
المعراج ، لأنه ثابت بالأحاديث المشهورة . انظر إتحاف المريد ص (١٢٤) .

(٢) حديث الإسراء والمعراج أخرجه البخاري (٣٨٨٧) . ومسلم (١٦٢) .

(٣) حديث الإفك أخرجه البخاري (٢٦٦١) في باب: تعديل النساء بعضهن بعضاً .
وهو حديث طويل ذكر الصاوي خلاصته . وأخرجه مسلم (٢٧٧٠) في باب
حديث الإفك .

تخلّفت في طلب عقد كان لأختها أسماء ، فحمل اليهودج ظناً أنها فيه ؛ لأنّها كانت خفيفة كما أخبرت ، فسار القوم ، ورجعت ، فلم تجدهم/ ، ١/٣٩ فمكثت مكانها فأخذها النوم ، فمرّ بها صفوان بن المعطل^(١) ، وكان يعرفها قبل آية الحجاب ، فبرّك ناقته وولّأها ظهره ، وصار يذكر الله جَهراً حتّى استيقظت ، وحملها على الناقة ، ولحق بها النبي ﷺ ضحوة ، فأشاع عبد الله بن أبيّ ابن سلول^(٢) - لعنه الله - الإفك ، وفشا ذلك بين المنافقين وضعفاء المسلمين ، فلمّا أخبرت عائشة بذلك تمرّضت ، واستأذنت رسول الله أن تتمرّض ببيت أمّها ، فأذن لها ، فلمّا فشا ذلك الكلام شقّ على النبي ﷺ ، فجمع الصحابة وقال : «يا معشرَ المسلمين ، مَنْ يَعْذُرُنِي مِنْ رَجُلٍ قَدْ بَلَغَنِي أَذَاهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي؟ فوالله ما علمتُ على أهلي إلا خيراً ، ولقد ذكروا رجلاً ما علمتُ عليه إلا خيراً» ، فقال سعد ابن معاذ سيّد الأوس : أنا أعذرُك منه ، إن كان من الأوس ضربت عنقه ، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرُك ، فقال سعد بن عبادة سيّد الخزرج : كذبت لا تقدر على قتله ، فهَمَّ الأوس والخزرج بالافتتال ، فأمرهم النبيُّ بالترك والإعراض عن هذا الأمر ، فأنزل الله العشر آيات من أوّل سورة النور ، أوّلها قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ﴾^(٣) ،

(١) صفوان بن المعطل السلمي الذكواني ، صحابي شهد الخندق والمشاهد كلّها ، وحضر فتح دمشق ، استشهد بأرمينية سنة (١٩هـ) . روى عن النبي ﷺ حديثين . الإصابة (٣/٤٤٠) .

(٢) وسلول جدّته لأبيه ، كان رأس المنافقين في الإسلام ، من أهل المدينة ، أظهر الإسلام بعد وقعة بدر تقيّة توفّي سنة (٩هـ) . انظر جمهرة أنساب العرب (٣٥٥) .

(٣) سورة النور (١١) وتماهما : ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا نَحْسَبُهُمْ شَرًّا لَّكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ أُمَّرِيٍّ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ .

٧٥- وَصَحْبُهُ خَيْرُ الْقُرُونِ فَاسْتَمِعْ فَتَابِعِي فَتَابِعُ لِمَنْ تَبِعْ

وآخرها قوله تعالى : ﴿أُولَئِكَ مَبْرُؤُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾^(١) ،
فقرأها النبي ﷺ عليها وعلى الصحابة ، ففرحوا ، وقال لها أبوها : يا بُنَيَّتِي
قومي اشكري لرسول الله ، فقالت : والله لا أشكر إلا الله الذي برّاني .
لاستغراقها في وحدة الوجود^(٢) ، لا لشيء في نفسها من رسول الله ؛ فإن
مقامها يَجِلُّ عن ذلك .

فصار كلُّ من رماها بالزنى كافراً ؛ لتكذيبه القرآن . ومن جملة من تكلم
في الإفك ، وتاب منه مسطح^(٣) ، وكان ينفق عليه أبو بكر احتساباً ، فلما
بلغه عنه الكلام في الإفك حلف لا ينفق عليه ، فأنزل الله حين تاب : ﴿وَلَا
يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ﴾^(٤) الآية ، فأعاد النفقة عليه ثانياً .

خير القرون

قوله : (وصحبه خير القرون فاستمع)

أي : ممّا يجب اعتقاده أنّ أصحاب رسول الله ﷺ خير الخلق بعد
الأنبياء ورؤساء الملائكة^(٥) .

(١) سورة النور (٢٦) .

(٢) علّ الإمام الصاوي يريد بقوله : (لاستغراقها في وحدة الوجود) استغراقها في
وحدة الشهود ؛ إذ لم تشهد في تلك اللحظة التي نزلت فيها براءتها من السماء
فاعلاً إلا الله تعالى .

(٣) مسطح بن أثانة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف ، من قريش ، صحابي من
الشجعان الأشراف ، كان اسمه عوفاً ، وأمّا مسطح فلقبه ، وهو ممّن شهد بدرأ
وأحداً والمشاهد كلها . ولد سنة (٢٢ق. هـ) وتوفي سنة (٣٤ هـ) . أسد الغابة
(٤/ ٣٥٤-٣٥٥) ، الإصابة (٦/ ٩٣) .

(٤) سورة النور (٢٢) وتمامها ﴿... وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمُوا لِيَضْفَعُوا الْأَجْبُونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ .

(٥) انظر ص (٢٩٧) من هذا الكتاب .

والصحابي: كلُّ من اجتمع به بعد البعثة مؤمناً ، ولو لم تطل صحبته ، ولو كان غير مميّز ، فَشَمِلَ الصبيان الذين حَكَّمهم النبي ﷺ .

والدليل على فضلهم قوله ﷺ: «الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غَرَضاً مِنْ بَعْدِي»^(١) ، «... فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أُحُدٍ ذَهَباً ما بَلَغَ مُدّاً أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ»^(٢) ، وقوله أيضاً: «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم»^(٣) ، وقوله أيضاً: «إن الله اختار أصحابي على العالمين سِوَى النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ»^(٤) . ولا يخفى ترجيح رتبة مَنْ لازمه وقاتلَ تحت رايته على مَنْ لم يكن كذلك .

وقرن الصحابة: / مئة وعشرون سنة مبدؤها البعثة^(٥) .

قوله: (فتابعي)

يعني أنّ رتبة التابعين تلي رتبة الصحابة .

-
- (١) انظر تخريج الحديث في الصفحة (٧٧) من هذا الكتاب .
 (٢) انظر تخريج الحديث في الصفحة (٧٧) من هذا الكتاب .
 (٣) هذا الحديث وإه جداً لا يصح . أخرجه عبد بن حميد في المنتخب (٢٥٠ - ٢٥١) . وابن عدي في الكامل (٣٧٦/٢ - ٣٧٧) . وغيرهما بنحوه .
 وحكّم عليه بالوضع الحافظ الذهبي في الميزان (٦٠٦/١ - ٦٠٧) . وابن عبد البر في الجامع (٩٠/٢) ، من أجل حمزة بن أبي حمزة النصيبي ، وهو كذاب وضاع .
 (٤) أخرجه ابن حبان في المجروحين (٤١/٢) قال الحافظ أبو زرعة الرازي: باطل كذب . وقال النسائي: موضوع . وقال الذهبي: ليس له أصل . انظر لسان الميزان لابن حجر (٤٤٢/٢ - ٤٤٣) .
 (٥) أي: إنّ آخر من مات من الصحابة كان بعد البعثة بمئة وعشرين سنة .

٧٥- وَصَحْبُهُ خَيْرُ الْقُرُونِ فَاسْتَمِعْ فَتَابِعِي فَتَابِعٌ لِمَنْ تَبِعَ

والتابعيُّ: مَنْ اجتمع بالصحابي لُقياً متعارفاً، ويشترط فيه الطول^(١) والتمييز، بخلاف الصحابي فيهما؛ لعظم الأنوار المحمدية.

وقرن التابعين: سبعون سنة الذي انفردوا فيه عن الصحابة.

قوله: (فتابع لمن تبع)^(٢): أي: رتبهم تلي رتبة التابعين في الفضل.

وقرنهم: ثلاثون سنة.

والأصل في ذلك التفضيل قوله ﷺ: «خَيْرُكُمْ قَرْنِي^(٣) ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»^(٤).

ومَنْ بعد هذه القرون سواء في الفضل، والحقُّ أَنَّ كلَّ قرنٍ أفضل من الذي بعده لحديث: «مَا مِنْ يَوْمٍ إِلَّا وَالَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ»^(٥).

(١) أي: طول اللقاء.

وعدم اشتراط طول اللقاء عليه عمل الأكثرين من أهل الحديث. انظر تدريب الراوي (٢/٢٠٦)، وفتح المغيث (٣/١٥٢).

(٢) تابع التابعي هو مَنْ رأى تابعياً.

(٣) القرن: الأُمَّة تأتي بعد الأُمَّة. وسُمِّيَ قرناً؛ لأنه يقرن أُمَّة بأُمَّة وعالماً بعالم، جعل اسماً للوقت أو لأهله. قيل: مدَّته عشر سنين، وقيل عشرون سنة...، وقيل: القرن مئة سنة. انظر لسان العرب (قرن). وإتحاف المريد ص (١٢٥). قال الإمام النووي في شرح هذا الحديث: واختلفوا في المراد بالقرن هنا، فقال المغيرة: قرنه أصحابه، والذين يلونهم أبناؤهم، والثالث أبناء أبنائهم. وقال شهر: قرنه ما بقيت عين رأته، والثاني ما بقيت عين رأت من رآه، ثم كذلك. والصحيح أَنَّ قرنه ﷺ الصحابة، والثاني التابعون، والثالث تابعوهم. انظر شرح صحيح مسلم (٣١٨/١٥).

(٤) أخرجه البخاري (٢٦٥١)، ومسلم (٢٥٣٥)، وغيرهما عن عمران بن الحصين مرفوعاً.

(٥) أخرج البخاري (٧٠٦٨) عن الزبير بن عديّ قال: أتينا أنس بن مالك فشكونا =

مراتب الصحابة رضي الله عنهم

١ - الخلفاء الراشدين

قوله: (وخيرهم من وُلِّيَ الخلافة)

أي: أفضل الصحابة من تولَّى الخلافة عنه ﷺ.

وقوله: (وأمرهم في الفضل كالخلافة)

أي: شأنهم بل والتوسُّل بهم كالخلافة ، فأفضلهم أبو بكر ثمَّ عمر ثمَّ عثمان ثمَّ عليّ ، وفي ذلك ردُّ على الخطَّابيّ^(١) القائلين بتقديم عمر على أبي بكر ، وعلى الشيعة القائلين بتقديم عليّ على عثمان .

وينبغي حبُّهم والتوسُّل بهم على هذا الترتيب ، ولا يفرِّق بين أحد منهم إلا محرومٌ . كمن يفرِّق بين الأئمَّة المجتهدين والأولياء .

= إليه ما يلقون من الحجَّاج ، فقال: «اصْبِرُوا ، فَإِنَّهُ لَا يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ إِلَّا وَالَّذِي بَعْدَهُ أَشْرُّ مِنْهُ حَتَّى تَلْقُوا رَبَّكُمْ» . سمعته من نبيكم ﷺ .

(١) فرقة من الرافضة ينسبون إلى أبي الخطَّاب بن أبي زينب ، وكان يأمر أصحابه أن يشهدوا على مَنْ خالفهم بالرُّور ، وهم خمس فرق كلُّهم يزعمون أنَّ الأئمَّة أنبياء محدثون ، ورسَل الله وحجَّجُه على خلقه . انظر مقالات الإسلاميين واختلاف المصلِّين للأشعري ص(١٠) ، والملل والنحل (١/١٧٩) ، ولسان العرب (خطب) .

٢ - تمام العشرة المبشرين بالجنة

قوله: (يليهم قوم كرام ببررة) أي: شرفاء النفوس محسنون.

قوله: (عدتْهم ستُّ تمام العشرة)

أي: فالستة تمام العشرة الذين بُشِّروا بالجنة، يلون عليًا في الفضل، وهم: طلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام ابن عمّة رسول الله ﷺ، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد، وأبو عبيدة عامر بن الجراح، ولا يعلم تفاوتهم في الفضل إلا الله.

وقولنا: (الذين بُشِّروا بالجنة) أي: الذين جُمعوا في حديث واحد، واشتهروا به، وإلا فأكثر الأصحاب مبشرون من رسول الله ﷺ بالجنة^(١).

وفي الترمذي وابن ماجه من حديث عبد الرحمن بن عوف: «أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة،

(١) أي: بآيات وأحاديث. كقوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ سورة الفتح (١٨). فقد بلغوا ما يقارب ألفاً وخمسمئة صحابي، رضي الله عنهم. انظر ص (٣٢٦ - ٣٢٧) من هذا الكتاب.

وسعد بن أبي وقاص في الجنة ، وسعيد بن زيد في الجنة ، وأبو عبيدة ابن الجراح في الجنة»^(١).

٣ - أهل بدر

قوله: (فأهل بدر)

أي: إن أهل غزوة بدر رتبهم تلي رتبة الستة من العشرة؛ لأنهم أول من جاهد في سبيل الله ، وقد قال تعالى: ﴿وَالسَّيِّقُونَ السَّيِّقُونَ﴾^(١) أولئك المقربون^(٢) ، ولا فرق بين / من استشهد فيها - وهم أربعة عشر ١/٤٠ رجلاً ، ستة من المهاجرين^(٣) ، وثمانية من الأنصار^(٤) - أو لا .

(١) أخرجه أحمد (١٩٣/١) . والترمذي (٣٧٤٧) و(٣٧٤٨) . وابن حبان (٧٠٠٢) عن عبد الرحمن بن عوف مرفوعاً بإسناد صحيح .

(٢) سورة الواقعة (١٠-١١) .

(٣) وهم: عبيدة بن الحارث بن المطلب ، وعمير بن أبي وقاص أخو سعد بن أبي وقاص ، وذو الشمالين بن عبد عمرو بن نضلة الخزاعي ، وعافل بن البكير الليثي ، ومهجع مولى عمر بن الخطاب ، وصفوان بن بيضاء . انظر سيرة ابن هشام (٢/٣٦٤) .

(٤) وهم: من الخزرج: يزيد بن الحارث الذي يقال له: ابن فُسْحَم ، وعمير بن الحُمام ، ورافع بن المعلّى ، وحارثة بن سراقة ، وعوف بن عفراء ، ومعوذ بن عفراء .

ومن الأوس: سعد بن خيشمة بن عمرو ، ومبشر بن عبد المنذر بن زئبر . انظر سيرة ابن هشام (٢/٣٦٤ - ٣٦٥) .

٧٨ - فَأَهْلُ بَدْرِ الْعَظِيمِ الشَّانِ فَأَهْلُ أَحَدِ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ

وبدراً: اسم للوادي ، وهو الآن قرية بين مكّة والمدينة على نحو أربع مراحل من المدينة .

وكانوا ثلاثمئة وسبعة عشر ، وفي رواية: وتسعة عشر ، وفي رواية: وخمسة عشر ، وفي رواية: وثلاثة عشر ، ويؤيد هذه الرواية أنه ﷺ أمر بعدهم ، فأخبر بأنهم ثلاثمئة وثلاثة عشر ، وفرح بذلك ، وقال: «عِدَّةُ أَصْحَابِ طَالُوتَ»^(١) .

وكان معهم ثلاثة أفراس وسبعون بعيراً ، يعتقبونها ، فكان المصطفى وعليّ وزيد بن حارثة يعتقبون بعيراً^(٢) .

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٣٧/٣) ، والطبراني في الكبير (١٧٤/٤) - (١٧٦) عن أبي أيوب الأنصاري قال: قال لنا رسول الله ﷺ ونحن بالمدينة: «هل لكم أن نخرج ، فنلقى هذه العير ، لعل الله يُعْزِمَنَا؟ قلنا: نعم . فخرجنا ، فلما سرنا يوماً أو يومين أمرنا رسول الله ﷺ أن نتعاد ، فإذا نحن ثلاثمئة وثلاثة عشر رجلاً ، فأخبرنا النبي ﷺ بعدتنا ، فسُرَّ بذلك ، وحمد الله ، وقال: «عِدَّةُ أَصْحَابِ طَالُوتَ» .

وفي إسناده ابن لهيعة ، والراوي عنه ليس من العبادة ، فهو ضعيف . وأخرج البخاري (٣٩٥٥ إلى ٣٩٥٩) عن البراء بن عازب قال: كُنَّا نَتَحَدَّثُ أَنَّ أَصْحَابَ بَدْرِ ثَلَاثِمِئَةٍ وَبِضْعَةِ عَشْرٍ ، بَعْدَهُ أَصْحَابُ طَالُوتَ الَّذِينَ جَاوَزُوا مَعَهُ النَّهْرَ ، وَمَا جَاوَزَ مَعَهُ إِلَّا مُؤْمِنٌ . انظر فتح الباري لابن حجر (٢٩١/٧) .

(٢) وقع عند ابن إسحاق بلا سند كما في البداية والنهاية (٣١٨/٣ - ٣١٩): «... كان رسول الله ﷺ وعليّ ومرثد بن أبي مرثد يعتقبون بعيراً ، وكان حمزة وزيد بن حارثة وأبو كبشة وأنسة يعتقبون بعيراً» .

وهاتان الروايتان مردودتان بما أخرجه ابن حبان في صحيحه (٤٧٣٣) . وأحمد في المسند (٤١١/١) . والتسائي في الكبرى (٨٨٠٧) . والحاكم (٢٠/٣) عن =

٧٨ - فَأَهْلُ بَدْرِ الْعَظِيمِ الشَّانِ فَأَهْلُ أَحَدِ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ

وكان المشركون ألفاً ، ومعهم مئة فرس وسبعمئة بعير ، وسبق المشركون إلى ماء بدر ، فأحرزوه ، فلم يصل إليه المسلمون ، فعطشوا وأصبح غالبهم جنباً ، ووسوس الشيطان لبعضهم وقال: (تزعمون أنكم على الحق ، وفيكم نبيُّ الله ، وأنكم أولياء الله ، وقد غلبكم المشركون على الماء ، وأنتم عطاش ، وتصلُّون محدثين مجنبيين ، وما ينتظر أعداؤكم إلا أن يقطع العطش رقابكم ، ويذهب قواكم ، فيتحكَّمون فيكم كيف شاؤوا).

فأرسل الله عليهم مطراً ، وسال منه الوادي ، فشربوا واغتسلوا ، وتوضَّؤوا ، وشربت دوابُّهم ، وملئوا الأسقية ، ولبَّد المطر الأرض حتَّى ثبتت عليها الأقدام ، ثمَّ برزوا إلى بعضهم ، ورسول الله يدعو بالنصر ، وأخذ كفاً من الحصى فرمى به في وجوه الأعداء ، وقال: «شَاهَتِ الْوُجُوهُ»^(١) أي: قبحت. فلم يبق مشرك إلا دخل في عينه ومنخره وفمه ، فانهزموا ، وأسر منهم سبعون ، وقتل من أشرافهم سبعون ، كأمية بن خلف وأبي جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ، وكان مع المسلمين تسعون^(٢) من الجنِّ ، وثلاثة آلاف من الملائكة ، ثمَّ

= عبد الله بن مسعود قال: كُنَّا يَوْمَ بَدْرِ كُلِّ ثَلَاثَةِ عَلَى بَعِيرٍ. قَالَ: وَكَانَ عَلِيٌّ وَأَبُو لِبَابَةَ زَمِيلِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ. قَالَ: وَكَانَ إِذَا كَانَتْ عَقْبَتُهُ قَلْنَا: ارْكَبْ حَتَّى نَمْشِي ، فَيَقُولُ ﷺ: «مَا أَنْتُمَا بِأَقْوَى مِنِّي ، وَمَا أَنَا بِأَعْنَى عَنِ الْأَجْرِ مِنْكُمَا».

(١) أخرجه البيهقي في الدلائل (٨٠/٣ - ٨١) عن جماعة من ثقات التابعين مرسلًا ، ضمن حديث عن غزوة بدر. وأخرجه مسلم (١٧٧٧) في حديث طويل عن غزوة حنين جاء فيه: «... ثُمَّ قَبِضَ ﷺ قَبْضَةً مِنْ تَرَابٍ مِنَ الْأَرْضِ ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَ بِهِ وُجُوهُهُمْ ، فَقَالَ: شَاهَتِ الْوُجُوهُ...».

(٢) في (د) سبعون.

٧٨- فَأَهْلُ بَدْرِ الْعَظِيمِ الشَّانِ فَأَهْلُ أَحَدِ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ

لَمَّا صَبَرُوا وَاتَّقُوا صَارُوا خَمْسَةَ آلَافٍ ، وَرُؤْسًاؤُهُمْ جَبْرِيْلٌ وَمِيكَائِيلُ ، وَكَانُوا عَلَى خَيْلٍ بُلُقُ ، وَعَلَيْهِمْ ثِيَابٌ بَيْضٌ ، وَعَلَى رُؤُسِهِمْ عِمَائِمٌ بَيْضٌ وَسُودٌ وَصَفْرٌ ، قَدْ أَرْخَوْا أَطْرَافَهَا بَيْنَ أَكْتَافِهِمْ ، وَقَالَ لَهُمُ اللهُ : ﴿ فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ ﴾ أَي : الرُّؤُوسِ ﴿ وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ ^(١) أَي : كُلَّ مَفْصَلٍ ، فَلَمْ تَقْعْ ضَرْبَةٌ فِي يَوْمِ بَدْرِ إِلَّا فِي رَأْسٍ أَوْ مَفْصَلٍ ، وَصَارَ قَتْلُهُمْ يَعْرِفُ بِأَثَارِ السُّوَادِ فِي الْأَعْنَاقِ وَالْبَنَانِ مِثْلَ حَرْقِ النَّارِ ^(٢) ، وَكَانَ إِبْلِيسُ مَعَ الْمُشْرِكِينَ فِي جَنْدٍ مِنَ الشَّيَاطِينِ فِي صُورَةِ سَرَاقَةَ بْنِ مَالِكٍ ^(٣) ، وَمَعَهُ رَايَةٌ ﴿ وَقَالَ لِأَغَالِبَ لَكُمْ أَيُّومَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌّ لَكُمْ ﴾ ^(٤) أَي : مَنْقُذٌ وَمَعِينٌ لَكُمْ ، فَلَمَّا أَقْبَلَ جَبْرِيْلٌ وَالْمَلَائِكَةُ ، وَكَانَتْ يَدُهُ فِي يَدِ رَجُلٍ كَافِرٍ ، فَكَصَّ عَلَى عَقِيْبِهِ ﴿ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ . . . ﴾ .

٤٠/ب / وسئل الشُّبَكِيُّ ^(٥) عَنِ الْحِكْمَةِ / فِي قِتَالِ الْمَلَائِكَةِ مَعَ الْمُصْطَفَى ،

(١) سورة الأنفال (١٢) .

(٢) انظر الروض الأُنْفُ (٨١/٣) ، وَتَارِيخُ الْخَمِيْسِ فِي أَحْوَالِ أَنْفُسِ نَفِيْسِ (٣٨٣/١) .

(٣) سَرَاقَةُ بْنُ مَالِكِ بْنِ جُعْشُمِ الْمَدَلْجِيِّ أَبُو سَفِيَّانٍ ، صَحَابِيُّ لَهُ شَعْرٌ ، لَهُ فِي كِتَابِ الْحَدِيثِ تِسْعَةٌ عَشْرَ حَدِيثًا ، كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ قَائِمًا ، أَخْرَجَهُ أَبُو سَفِيَّانٍ لِيَقْتَفِ أَثَرَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حِينَ خَرَجَ إِلَى الْغَارِ مَعَ أَبِي بَكْرٍ ، وَقَصَّتْهُ فِي إِدْرَاكِ النَّبِيِّ ﷺ لَمَّا هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ مَعْرُوفَةً . أَسْلَمَ بَعْدَ غَزْوَةِ الطَّائِفِ سَنَةَ (٨هـ) ، تُوِّفِيَ سَنَةَ (٢٤هـ) . انظر الأعلام (١٢٦/٣) والإصابة (٤١/٣ - ٤٢) .

(٤) سورة الأنفال (٤٨) . وَالآيَةُ بِتَمَامِهَا : ﴿ وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ وَقَالَ لِأَغَالِبَ لَكُمْ أَيُّومَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌّ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِئْتَانِ تَكْصَعْنَ عَلَى عَقِيْبِهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللهُ وَاللهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾

(٥) سبقت ترجمته في ص (١١٣) .

٧٨- فَأَهْلُ بَدْرِ الْعَظِيمِ الشَّانِ فَأَهْلُ أَحَدٍ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ

مع أنَّ جبريل قادر على دفع كلِّ الكفار بريشة من جناحه ، فأجاب : بأنَّ ذلك لِيُنْسَبَ الفعلُ للمصطفى وأصحابه ، وتكون الملائكة عدداً على عادة مدد الجيوش ، رعاية لصورة الأسباب التي أجزاها الله بين عباده .

قال ابن عَبَّاسٍ : (ولم تقاتل الملائكة إلاَّ يوم بدر) أي : ولكن يحضرون في كلِّ قتال كَقَارِإٍ إلى يوم القيامة؛ لتكثير سواد المسلمين وإجابة الدُّعاء وبلوغ الآمال .

وما أشعَرَ به ظاهر المتن : من أنَّ العشرة المبشَّرين بالجنَّة أفضل من الملائكة الذين حضروا بدرًا محمول على غير رؤسائهم؛ لأنَّ الرؤساء باتِّفاق الطرق أفضل من عوامِّ البشر ، نعم الملائكة الذين شهدوا بدرًا أفضل ممَّن لم يشهدوا منهم ، وقياسه يقال في مؤمني الجنِّ .
قوله : (العظيم الشأن) وصف لبدر من حيث الغزوة .

٤ - أَهْلُ أَحَدٍ

قوله : (فأهل أحد)

جبل معروف بالمدينة^(١) على أقلِّ من فرسخ منها . رتبهم تلي رتبة بَقِيَّةِ أَهْلِ بَدْرِ الَّذِينَ لَمْ يَحْضُرُوا أَحَدًا ، أمَّا مَنْ حَضَرَ بَدْرًا ثُمَّ أَحَدًا فَلَا

(١) كان رسول الله ﷺ يحبه ، فقد أخرج البخاري ومسلم أن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : نظر رسول الله ﷺ إلى أحد فقال : «إِنَّ أَحَدًا جَبَلٌ يَحْبُبُنَا وَنُحِبُّهُ» .
جامع الأصول (٩/٣٣٧) .

يقال: إِنَّ مرتبته تلي أهل بدر، بل زاد شرفاً. والمراد مَنْ شهدها من المسلمين سواء استشهدوا بها كالسبعين - أربعة وستون من الأنصار وستة من المهاجرين - أم لا.

وكان أهلها ألفاً، منهم ثلاثمئة من المنافقين^(١) رئيسهم عبد الله بن أبي ابن سلول^(٢).

وجاء أبو سفيان بالمشركين حَتَّى نزل قِبَلَ أَحَدِ مَقَابِلِ الْمَدِينَةِ ، وكانوا ثلاثة آلاف رجل ، فيهم سبعمئة لابسون الدروع ، ومئتا فرس ، وثلاثة آلاف بعير ، وَخَمْسَ عَشْرَةَ امْرَأَةً . واصطفَّ المسلمون بأصل أحد ، والمشركون بالسبخة ، وجعل المصطفى على الرِّمَاءِ بالنبل - وهم خمسون - عبد الله بن جبير أميراً ، وقال : « اَحْمُوا ظَهْرَنَا وَانْبُتُّوا مَكَانَكُمْ »^(٣).

فلَمَّا التحم الحرب شرع المسلمون في أخذ الغنائم ، فقال الرِّمَاءُ : غَلَبَ أَصْحَابِكُمْ فَمَا تَنْتَظِرُونَ ؟ فقال أميرهم : نسيتم قول رسول الله ؟ فقالوا : والله لنا تَيْنَ النَّاسِ ، ونصيب من الغنيمة ، وحملوا قول المصطفى على أَنَّ المراد ما دام الحرب قائماً ، فلَمَّا أتوهم رجوع الكفَّار عليهم ، والتبس العسكران ، فلم يتميَّزوا ، فوقع قتل المسلمين بعضهم من بعض ، وأتاهم إبليس في صورة صحابيٍّ ، وقال : (احترزوا من

(١) وهؤلاء رجعوا مع رئيسهم ، ولم يشهد أَحَدٌ منهم هذه الغزوة . انظر السير والمغازي لابن إسحاق (٣٢٤) .

(٢) سبقت ترجمته في ص (٣١٣) .

(٣) أخرجه البخاري بنحوه (٤٠٤٣) عن البراء مرفوعاً .

إخوانكم ، وَإِنَّ مُحَمَّدًا قُتِلَ) ، فَقُتِلَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ ، وَمِنَ الْكُفَّارِ نَيْفٌ^(١) وَعَشْرُونَ ، وَعَلَيْهِ مَشَى كَثِيرٌ مِنَ الْمَفْسَّرِينَ ، وَقِيلَ : سَبْعُونَ أَيْضًا ، مِنْهُمْ أَبِي بَن حَلْفٍ قَتَلَهُ / الْمَصْطَفَى بِيَدِهِ^(٢) ، وَلَمْ يَقْتُلْ بِيَدِهِ غَيْرَهُ . وَثَبَتَ ٤١/أ الْمَصْطَفَى بِالْإِجْمَاعِ .

وَفِي كَلَامِ بَعْضِ أَهْلِ السِّيَرِ أَنَّهُ كَانَ لَطْلِحَةَ^(٣) الْيَدُ الْبَيْضَاءُ يَوْمَهَا ، وَقَى النَّبِيَّ ﷺ - لَمَّا ضُرِبَ بِالسَّيْفِ وَشُجَّ وَجْهُهُ الشَّرِيفَ - بِيَدِهِ ، فَشَلَّتْ وَاسْتَمَرَّتْ شَلَاءً ، وَكَانَ الصَّدِيقُ إِذَا حَدَّثَ عَنْ يَوْمِ أَحَدٍ بَكَى ، وَقَالَ : ذَلِكَ كُلُّهُ لَطْلِحَةَ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ ﷺ كَانَ لِأَبْسَأَ دَرَعَيْنِ ، فَأَرَادَ أَنْ يَنْهَضَ وَهُمَا عَلَيْهِ لِيَصْعَدَ صَخْرَةً هُنَاكَ ، فَبَرَكَ لَهُ طَلْحَةَ ، فَصَعَدَ عَلَى ظَهْرِهِ ، وَاسْتَوَى عَلَيْهَا ، وَقَدْ أَصِيبَ حِينَئِذٍ بِبُضْعٍ وَسَبْعِينَ مَا بَيْنَ طَعْنَةِ بِالرُّمْحِ وَضَرْبَةِ بِالسَّيْفِ وَرَمِيَةِ بِالسَّهْمِ ، وَانْقَطَعَتْ أَصَابِعُهُ ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ

(١) كُلُّ مَا زَادَ عَلَى الْعَقْدِ فَهُوَ نَيْفٌ ، وَإِنَّمَا قِيلَ لَهُ نَيْفٌ ؛ لِأَنَّهُ زَائِدٌ عَلَى الْعَدَدِ الَّذِي حَوَاهُ الْعَقْدُ . النَّيْفُ مِنْ وَاحِدٍ إِلَى ثَلَاثٍ ، وَالْبُضْعُ مِنْ أَرْبَعٍ إِلَى تِسْعٍ أَهـ . لِسَانَ الْعَرَبِ (نُوف) .

(٢) أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ (٢/٣٢٧) . وَالْبَيْهَقِيُّ فِي دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ (٣/٢٠٦) فَمَا بَعْدَ . وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ وَوَافَقَهُ الذَّهَبِيُّ . وَأَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ مِنْ وَجْهِ آخَرَ فِي دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ (٣/٢٥٨ - ٢٥٩) .

(٣) طَلْحَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَثْمَانَ التَّمِيمِيُّ الْقُرَشِيُّ أَبُو مُحَمَّدٍ ، صَحَابِيُّ شَجَاعٌ مِنَ الْأَجْوَادِ ، وَهُوَ أَحَدُ الْعَشْرَةِ الْمُبَشَّرِينَ ، وَأَحَدُ السَّنَةِ أَصْحَابِ الشُّورَى ، قُتِلَ يَوْمَ الْجَمَلِ ، وَدُفِنَ بِالْبَصْرَةِ سَنَةَ (٣٦هـ) . غَايَةُ النِّهَايَةِ (١/٣٤٢) ، الْإِصَابَةُ (٣/٥٢٩) .

يقول: «أوجب طلحة»^(١) الجَنَّةَ . وَقَتِلَ عُمُه الحمزة يومها - قتله وحشي^(٢) - بعد أن قتل ثلاثين من أبطال الكفَّار ، وحزن عليه رسول الله ﷺ حزناً عظيماً.

٥ - أهل بيعة الرضوان

قوله: (فبيعة^(٣) الرضوان)

أي: فأهل بيعة الرضوان تلي ربتهم رتبة أهل أحد. سُمِّيَتْ بذلك؛ لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٤) الآية ، وكانوا ألفاً

- (١) أخرجه أحمد (١/١٦٥) ، والترمذي (٣٧٣٨) وقال: حديث حسن صحيح غريب . ولم يرد لفظ الجَنَّةَ فيما أطلعنا عليه من روايات الحديث ، فلعلَّه أراد توضيح المراد فحسب . فقد قال شراح الحديث: «أوجب طلحة» أي: أثبت لنفسه الجَنَّةَ بما صنع في يوم أحد من البلاء الحسن والدفاع المجيد عن رسول الله ﷺ . انظر مختصر شرح بلوغ الأمان من أسرار الفتح الربَّاني للساعاتي . (٢٢/٢٧٢).
- (٢) وحشي بن حرب الحبشي يكنى أباسلمة ، كان من أبطال الموالى في الجاهلية ، وهو قاتل حمزة عم النبي ﷺ ، قتله يوم أحد ، ثم وفد على النبي ﷺ مع وفد أهل الطائف بعد أخذها ، وأسلم ، فقال له النبي ﷺ: «غَيَّبَ عَنِّي وَجْهَكَ يَا وَحْشِيُّ ، لَا أَرَاكَ» . وشهد اليرموك ، وشارك في قتل مسيلمة ، وزعم أنه رماه بحرْبته التي قتل بها حمزة ، وكان يقول: قتلت بحرْبتي هذه خير الناس وشر الناس . وسكن حمص ، فمات بها في خلافة عثمان . انظر الإصابة (٣/٥٩٤).
- (٣) كذا وردت في (م) و(د) ، وفي بعض أصول متن الجوهرة وردت بحذف الفاء ، والوزن يقتضي ذلك ، فلم نثبتها في المتن .
- (٤) سورة الفتح (١٨) والآية بتمامها: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَنْبَهُمْ فَتَمَّ قَرِيبًا﴾ .

٧٨- فَأَهْلُ بَدْرِ الْعَظِيمِ الشَّانِ فَأَهْلُ أَحَدِ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ

وأربعمئة ، وقيل : خمسمئة ، وخرج بهم النبي ﷺ عام ستٍّ من الهجرة ؛ لزيارة البيت الحرام والاعتماد به ، فصدّه المشركون ، فأرسل إليهم عثمان يخبرهم أنّما قدِمَ معتمراً لا مقاتلاً ، فقالوا : لا يدخل مكة هذا العام . وشاع أنّهم قتلوا عثمان ، فقال عليه الصلاة والسلام عند ذلك : «لَا نَبْرُحُ حَتَّى نُنَاجِزَ الْحَرْبَ»^(١) ، ودعا الناس عند الشجرة للبيعة على الموت ، فبايعوه على ذلك ، ولم يتخلّف عنها إلا الجدُّ بن قيس^(٢) ، وكان منافقاً اختفى تحت بطن ناقته ، ويقال : إنّه تاب ، وحسّن إسلامه . ثمّ ثبتت حياة عثمان ، فصالحوا النبي ﷺ عشر سنين بشروط :

- أن يرجع عنهم في هذا العام ، ويأتي للعمرة في العام القابل .

- وأن يردّ مَنْ جاء منهم مسلماً .

- وأنّ من جاءهم ممّن تبعه لم يردّ .

وكتب لهم بذلك كتاباً ، فكره المؤمنون هذه الشروط ، وقالوا : يا رسول الله ، أكتتب أنّا نردّ ولا يردّون؟! قال : «نعم ، إنّ مَنْ ذَهَبَ مِنَّا إِلَيْهِمْ فَأَبْعَدَهُ اللهُ ، وَمَنْ جَاءَ مِنْهُمْ إِلَيْنَا فَسَيَجْعَلُ اللهُ لَهُ فَرْجاً وَمَخْرَجاً»^(٣) ، فتحلّلوا بنحر هداياهم ، ورجعوا إلى المدينة .

(١) أخرج البيهقي عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم أنّ رسول الله ﷺ بلغ أنّ عثمان قد قتل ، فقال رسول الله ﷺ : «لَيْنَ كَانُوا قَتَلُوهُ لَأُنَاجِرَنَّهُمْ . . .» . دلائل النبوة (١٣٥/٤) .

وعبد الله بن أبي بكر بن حزم تابعي ثقة ، فالحديث مرسل ، وهو حجة فيما ينقل ، كما قال ابن عبد البرّ . انظر تهذيب التهذيب (١٦٥/٥) .

(٢) الجدُّ بن قيس بن صخر بن خنساء الأنصاري أبو عبد الله ، مات في خلافة عثمان . انظر الإصابة (٤٦٨/١) .

(٣) أخرجه مسلم (١٧٨٤) عن أنس مرفوعاً .

مَنْ هُمُ السَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ؟

قوله: (والسابقون)

مبتدأ أوَّل ، و(فَضْلُهُمْ) مبتدأ ثانٍ ، و(عُرِفَ) خبر الثاني ، وهو وخبره خبر عن الأوَّل ، و(نَصًّا) منصوب على التمييز (لَعُرِفَ) قَدِّمَ عَلَيْهِ لِتَصْرُفِهِ^(١) ، أَي: عَرَفَ مِنْ نَصِّ الْقُرْآنِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾^(٢) الْآيَةَ . ب/٤١

قوله: (هذا) أَي: أَفْهَمَ هَذَا الْمَقْتَضِي لِلْفَضْلِ .

قوله: (وفي تعيينهم قد اختلف)

أَي: اِخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِيهِ ، فَقَالَ الشَّعْبِيُّ^(٣) : هُمْ أَهْلُ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ ،

(١) أَي: لِأَنَّ الْفِعْلَ مُتَصَرِّفًا ، وَالْقَاعِدَةُ فِي النِّحْوِ تَقُولُ: يَتَقَدَّمُ التَّمْيِيزُ عَلَى عَامِلِهِ الْمُتَصَرِّفِ نَزْرًا . كَمَا قَالَ ابْنُ مَالِكٍ فِي الْخُلَاصَةِ:

وَعَامِلَ التَّمْيِيزِ قَدِّمُ مُطْلَقًا وَالْفِعْلُ ذُو التَّصْرِيفِ نَزْرًا سُبْقًا

انظر شرح الأشموني على ألفية ابن مالك (٢/٦٥٣) .

(٢) سورة التوبة (١٠٠) .

(٣) أَبُو عَمْرٍو عَامِرُ بْنُ شِرَاهِبِيلَ بْنِ عَبْدِ بْنِ ذِي كَبَارِ الشَّعْبِيِّ ، كُوفِيٌّ تَابِعِيٌّ جَلِيلٌ الْقَدْرِ وَافِرُ الْعِلْمِ . قَالَ الزَّهْرِيُّ: الْعُلَمَاءُ أَرْبَعَةٌ: ابْنُ الْمَسِيْبِ بِالْمَدِينَةِ ، وَالشَّعْبِيُّ بِالْكُوفَةِ ، وَالْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ بِالْبَصْرَةِ ، وَمَكْحُولٌ بِالشَّامِ .

يَقَالُ: إِنَّهُ أَدْرَكَ خَمْسَمِئَةَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . كَانَتْ وَلادته لست سنين خلت من خلافة عثمان رضي الله عنه . وقيل: سنة عشرين للهجرة ، وتوفي بالكوفة سنة أربعمئة . انظر وفيات الأعيان (٣/١٢) وما بعدها ، حلية الأولياء (٤/٣١٠) .

٨٠- وَأَوَّلُ الشَّجَرِ بِيَدِي وَرَدُّ إِنَّ حُضَّتْ فِيهِ وَاجْتَنِبْ دَاءَ الْحَسَدِ

وقال جماعة: هم أهل بدر. والراجح أنهم الذين صلّوا إلى القبليتين ،
وقيل: هم كلُّ من آمن به ، وجاهد معه قبل فتح مكّة لقوله تعالى: ﴿لَا
يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلًا﴾^(١) الآية. وهذا هو الأقرب.

تأويل خلاف الصحابة واجبٌ لحدّ التهم

قوله: (وأوّل الشاجر الذي ورد)

أي: [اصرف]^(٢) التخاصم عن ظاهره وجوباً الذي ورد عنهم
بالسند المتّصل ، متواتراً كان أو لا ، مشهوراً كان أو لا؛ حيث كان
سنده صحيحاً. وإلا فهو مردود لذاته لا يحتاج إلى تأويل .

والمراد: أنّه يصرّفه إلى محمل حسن حيث كان ممكناً ، فإن لم
يمكن تأويله وقفنا؛ لاعتقادنا حفظهم ممّا يوجب الفسق؛ لأنّهم
مجتهدون .

وقد قال العلماء: (المصيب بأجرين ، والمخطيء بأجر) ، وقد
شهد الله ورسوله لهم بالعدالة^(٣) .

(١) سورة الحديد (١٠) .

(٢) ساقطة من (م) وأثبتناها من (د) .

(٣) كقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ سورة الأنفال
(٦٤) .

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ سورة
الفتح (١٨) .

قوله: (إن حُضَّتْ فِيهِ)

أي: إن قُدِّرَ ذلك؛ لأنَّ التفتيشَ عمَّا جرى بينهم ليس من العقائد الدينية، ولا ممَّا يُتَّفَعُ به في الدين، بل ربَّما ضَرَّ في اليقين، فلا يباح الخوض فيه إلا للتعليم، أو للردِّ على المتعصِّبين، وأمَّا العوامُّ فلا يجوز لهم الخوض فيه؛ لفرط جهلهم، وعدم معرفتهم للتأويل.

قوله: (واجتنب داء الحسد)

أي: وجب عليك حال خوضك فيما شجر بينهم لأمرٍ ممَّا تقدَّم أن تجتنب الحسد حال خوضك؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: «اللَّهُ اللهُ فِي أَصْحَابِي، لَا تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضاً بَعْدِي، مَنْ آذَاهُمْ فَقَدْ آذَانِي، وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللهُ، وَمَنْ آذَى اللهُ يُوشِكُ أَنْ يَأْخُذَهُ»^(١)، وفي رواية: «لَا تَسْبُوا أَصْحَابِي، وَمَنْ سَبَّ أَصْحَابِي، فَعَلِيهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ

= وقوله تعالى: ﴿وَالسَّيِّئُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ سورة التوبة (١٠٠).

وكقول رسول الله ﷺ: «اللَّهُ اللهُ فِي أَصْحَابِي...» المذكور لاحقاً.

وقوله ﷺ: «لَا تَسْبُوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَباً مَا بَلَغَ مُدًّا أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيْفَهُ» المتقدم ذكره في ص (٧٧) من هذا الكتاب، وهو حديث صحيح أخرجه البخاري.

(١) تقدَّم تخريج هذا الحديث في ص (٧٧) من هذا الكتاب.

أجمعين ، لا يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُ صَرْفًا^(١) ولا عَدْلًا^(٢) ، وفي رواية: «الله الله في أصحابي ، فَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَيُبْغِضِي أَبْغَضَهُمْ ، وَمَنْ أَحَبَّهُمْ فَيُحِبُّنِي أَحَبَّهُمْ ، اللَّهُمَّ أَحِبَّ مَنْ أَحَبَّهُمْ ، وَأَبْغِضْ مَنْ أَبْغَضَهُمْ»^(٣) ، وفي رواية: «إِنَّ اللهَ اخْتَارَنِي ، وَاخْتَارَ لِي أَصْحَابِي وَأَصْهَارِي ، وَسَيَّئَتِي قَوْمٌ يَسُبُّونَهُمْ ، وَيَنْقُصُونَهُمْ ، فَلَا تُجَالِسُوهُمْ ، وَلَا تُشَارِبُوهُمْ ، وَلَا تُؤَاكِلُوهُمْ ، وَلَا تُنَاكِحُوهُمْ»^(٤).

(١) الصرف والعدل فيهما أقوال كثيرة منها: الصرف التطوع ، والعدل الفرض . وقيل: الصرف التوبة ، والعدل الفدية . انظر النهاية في غريب الحديث (٢٤/٣) ، ولسان العرب (صرف) .

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک (٦٣٢/٣) عن عويم بن ساعدة مرفوعاً بلفظ: «إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى اخْتَارَنِي ، وَاخْتَارَ لِي أَصْحَابًا ، فَجَعَلَ لِي مِنْهُمْ وَرَاءَ وَأَنْصَارًا وَأَصْهَارًا ، فَمَنْ سَبَّهُمْ فَعَلِيهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ، لَا يَقْبَلُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَرْفٌ وَلَا عَدْلٌ» .

صَحَّحَهُ الْحَاكِمُ ، وَوَافَقَهُ الذَّهَبِيُّ . وَهِيَ طَرِيقٌ أُخْرَى لَا يُحْتَجُّ بِهَا . وَقَدْ تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ الَّذِي أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي قَوْلِهِ ﷺ: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي ، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدًّا أَحَدَهُمْ وَلَا نَصِيفَهُ» . انظر ص (٧٧) من هذا الكتاب .

(٣) تقدّم تخريجه في ص (٧٧) من هذا الكتاب ، وليس في الحديث: (اللهمَّ أَحِبَّ مَنْ أَحَبَّهُمْ ، وَأَبْغِضْ مَنْ أَبْغَضَهُمْ) . والذي ثبت: ما أخرجه مسلم (٧٥) عن البراء مرفوعاً: «مَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ اللهُ ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللهُ» . وهو في الأنصار .

(٤) أخرجه ابن حبان في المجروحين (١٨٧/١) وقال: هذا خبر لا أصل له اهـ . وأقر ابن حبان العلامة ابنُ عراق في تنزيه الشريعة (٢٤/٢) .

فصل هداية أمة سيدنا محمد ﷺ

أ - أئمة الفقه الأربعة

قوله: (ومالك)

هو ابن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمر^(١) بن الحارث بن غيمان (بمعجمة فمثناة تحتية) ابن خثيل (بهاء معجمة مضمومة ، فمثناة ٤٢/أ مفتوحة ، فمثناة تحتية) الأصبحي (بفتح / الباء) نسبة إلى ذي أصبح بطن من حمير ، وهو من العرب ، عهده في قريش في بني تيم الله ، فهو مولى عهد ، لا مولى عتاقة^(٢) عند الجمهور ، فهو من بيوت الملوك ؛ لأنَّ القاعدة عند العرب إذا جاؤوا في النسب بـ (ذي) يكون من ذلك .

حملت به أمُّه ثلاث سنين ، وقيل أكثر ، وطول الحمل علامة على وفور عقل المولود ، ولد سنة ثلاث وتسعين من الهجرة على الأشهر بذي المروة ، موضع من مساجد تبوك على ثمانية بُرْد من المدينة ، ولا ينافيه قول عياض^(٣) : (إنَّه مدنيُّ الدار والمولد والمنشأ) ؛ لأنَّ ذي المروة من أعمال المدينة ، وقيل : ولد سنة تسعين ، ومات سنة تسع

(١) في طبقات ابن سعد: (... ابن عمرو بن الحارث بن غيمان... (٦٣/٥).

(٢) الولاء نوعان: ولاء موالاة (عهد) وسببه العقد ، وولاء عتاقة وسببه العتق . ويتمُّ ولاء الموالاة عند السادة الأحناف بأن يقول أحدهم للآخر: أنت مولاي ، ترثني إذا متُّ ، وتعقل عني إذا جنيت . فيقول الآخر: قبلت . ولهذا الولاء شروط ذكرها الفقهاء . انظر الباب في شرح الكتاب (٣/١٣٦ وما بعدها).

(٣) سبقت ترجمته في ص (٣١٠).

وسبعين ومئة ، ودُفِنَ بالبقيع ، وقبره به مشهور . وكان أنس أبوه فقيهاً .
 وجدّه مالك كان من كبار التابعين ، أحد الأربعة الذين حملوا عثمان إلى
 قبره ليلاً ، وغسّلوه ، ودفنوه . وجدّه أبو عامر صحابي حضر مع
 المصطفى مغازيه كلّها إلا بدرأ . ومالك من أتباع التابعين على الصحيح ،
 وقيل : من التابعين ؛ لإدراكه عائشة^(١) بنت سعد بن أبي وقاص ، وهي
 صحابيّة ، والصحيح أنّها تابعيّة .

وأخذ العلم عن تسعمئة شيخ ، منهم ثلاثمئة من التابعين ، وعليه
 حُمل قوله ﷺ : « لا تنقضي الساعة حتى تُضربَ أكبادُ الإبلِ من كلّ ناحيةٍ
 إلى عالمِ المدينةِ يطلبون علمه » ، وفي رواية : « يوشك أن تُضربَ أكبادُ
 الإبلِ يطلبون العلمَ ، فلا يجدون أحداً أعلمَ من عالمِ المدينةِ »^(٢) .

فكانوا يزدحمون على بابهِ لطلب العلم ، وأفتى الناسَ وعلمهم نحو
 سبعين سنة بالمدينة ، ومكث خمساً وعشرين سنة لا يشهد الجماعة ،
 فقيل له : ما يمنعك من الخروج ؟ فقال : (إنّ من الأعدار أعداراً لا تذكر) ،
 وجلس للتدريس ، وهو ابن سبع عشرة سنة ، وكان يقول : (لا ينبغي

(١) بعد الرجوع إلى الإصابة في تمييز الصحابة تبين في ترجمة عائشة بنت سعد بن
 أبي وقاص أن سعداً كان له بنت اسمها عائشة في عهد النبي ﷺ ، وولدت له
 أخرى بعد النبي ﷺ بدهر ، وسماها عائشة أيضاً ، وميّزوا بين الاثنتين بعائشة
 الكبرى وعائشة الصغرى . والتي أدركها الإمام مالك هي الصغرى ، فبذلك
 كان تابع التابعي . انظر الإصابة (٢١/٨) .

(٢) أخرجه أحمد (٢٩٩/٢) ، والترمذي (٣٢٤/٧) ، والنسائي في الكبرى
 (٤٢٩١) ، وابن جبان في صحيحه (٣٧٣٦) ، والحاكم (٩٠/١ - ٩١) .
 وغيرهم عن أبي هريرة مرفوعاً . وصحّحه الحاكم . ووافقه الذهبي .

٨١- وَمَالِكٌ وَسَائِرُ الْأَئِمَّةِ كَذَا أَبُو الْقَاسِمِ هُدَاةُ الْأُمَّةِ

للعالم أن يتكلم بالعلم عند من لا يطيقه^(١)؛ فَإِنَّهُ ذَلٌّ وَإِهَانَةٌ للعلم، وكان إذا أراد أن يجلس للعلم تَوْضُّعاً، وَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ، وَسَرَّحَ لِحِيَّتَهُ، وَتَطَيَّبَ، وَجَلَسَ عَلَى وَقَارٍ وَهَيْبَةٍ، وَمَنَعَ النَّاسَ مِنْ رَفْعِ أَصْوَاتِهِمْ، وَبَخَّرَ الْمَجْلِسَ بَعُودًا.

وقال عبد الله بن المبارك^(٢): (كنت عند الإمام مالك بن أنس، وهو يحدث بحديث رسول الله ﷺ، فلدغته عقرب ستَّ عشرة مرَّةً، وهو يصفرُّ ويتلوَّى، ولا يقطع حديث رسول الله ﷺ، فسألته عن ذلك، فقال: إِنَّمَا صَبَرْتُ إِجْلَالاً لِحَدِيثِهِ ﷺ).

وكان مهاباً جداً، إذا أجاب في مسألة لا يمكن أن يقال له: من أين؟ وكان يرى المصطفى كلَّ ليلة في النوم، وكان يرخي الطيلسان على رأسه حتَّى لا يَرَى، ولا يُرَى، وكان لا يدخل الخلاء إلا كلَّ ثلاثة أيام مرة، ويقول: (والله لقد استحيت من الله في كثرة تردُّدي للخلاء).

ب/٤٢ وقال أشهب بن عبد العزيز^(٣): (رأيت أبا حنيفة بين يدي / مالك

(١) في (م): لا يطيعه. وما أثبتناه من (د).

(٢) أبو عبد الرحمن التيمي الحافظ، شيخ الإسلام، المجاهد التاجر، صاحب التصانيف والرحلات، جمع الحديث والفقه والعربية وأيام الناس، ولد سنة (١١٨هـ)، وتوفِّي في (هيت): على الفرات سنة (١٨١هـ) منصرفاً من غزو الروم. له كتاب في الجهاد، وهو أوَّل من صنَّف فيه. انظر لواقح الأنوار (٥٩/١)، شذرات الذهب (٢٩٥/١).

(٣) أشهب بن عبد العزيز بن داود القيسي العامري الجعدي أبو عمرو، فقيه الديار المصرية في عصره، كان صاحب الإمام مالك، قيل: اسمه مسكين، وأشهب لقب له، ولد سنة (١٤٥هـ)، وتوفِّي بمصر سنة (٢٠٤هـ). وفيات الأعيان (٢٣٨/١).

كالصبي بين يدي أمه).

وسئل أبو حنيفة عن مالك ، فقال : (ما رأيت أعلم بسنة رسول الله منه).

وقال الليث بن سعد ^(١) : (لقيت مالكا بالمدينة ، فقلت له : ما لك تمسح العرق عن جبينك ؟ فقال : عرفت مع أبي حنيفة ، إنه لفقيه يا مصري . ثم لقيت أبا حنيفة ، فقلت له : ما أحسن قول مالك فيك ! فقال له : والله ما رأيت أسرع بجواب صادق وزهد تام من مالك بن أنس).
قوله : (وسائر الأئمة) أي : باقيهم ، جمع إمام ^(٢) .

وهو لغة : المقتدى به ، ذكراً كان أو أنثى ، أو غيرهما كالقرآن واللوح المحفوظ ، قال تعالى : ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ ^(٣) فالمراد به اللوح المحفوظ ، ثم أطلق على من بلغ رتبة أهل الفضل ، والمراد منهم هنا أكابر المجتهدين كالأئمة الثلاثة وأضرابهم .

فأحد الثلاثة : أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد الله بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف جد النبي ﷺ ، وهو ابن عم المصطفى ، نسبه لشافع ؛ لأنه أكرم أجداده ، ولأنه صحابي ابن صحابي .

(١) الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي أبو الحارث ، إمام أهل مصر في عصره حديثاً وفقهاً ، أصله من خراسان ، ومولده في قلقشندة سنة (٩٤هـ) ، ووفاته في القاهرة سنة (١٧٥هـ) . كان من الكرماء الأجواد . انظر وفيات الأعيان (٤/١٢٧) .

(٢) قال تعالى : ﴿ يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِسْمِهِمْ فَمَنْ أَوْفَىٰ كِتَابُهُ بِسْمِينِهِ . فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ سورة الإسراء (٧١) .

(٣) سورة يس (١٢) .

ولد الشافعي بغزّة يوم وفاة أبي حنيفة^(١) ، ونشأ يتيماً في حجر أمّه مع قلّة عيش وضيق ، ثمّ حُمِلَ إلى مكّة وهو ابن سنتين ، ونشأ بها ، وحفظ القرآن وهو ابن سبع سنين ، والموطأ وهو ابن عشر ، وأذن له شيخه مسلم بن خالد^(٢) بالافتاء وهو ابن خمس عشرة سنة ، وعليه حُمِلَ حديث : «عَالِمٌ قُرَيْشٍ يَمَلَأُ طَبَاقَ الْأَرْضِ عِلْمًا»^(٣) ؛ لأنّ الكثرة والانتشار في جميع الأقطار لم تحصلا في عالم^(٤) قرشي مثله . قال الأئمة منهم أحمد : (هذا العالم هو الشافعي) .

(١) قال ابن حجر ناقلاً عن الحاكم : لا أعلم خلافاً أن الشافعي ولد سنة خمسين ومئة وهو العام الذي مات فيه أبو حنيفة ، ففيه إشارة إلى أنه يخلفه في فنّه . وقد قيل : إنه ولد في اليوم الذي مات فيه ، وزَيَّفوه ، وليس بواه ؛ فقد أخرجه أبو الحسن محمد بن الحسين بن إبراهيم الآبري في مناقب الشافعي بسند جيّد إلى الربيع بن سليمان ، قال : «ولد الشافعي يوم مات أبو حنيفة» لكن هذا اللفظ يقبل التأويل ؛ فإنّهم يطلقون اليوم ، ويريدون مطلق الزمان . انظر توالي التأسيس (٥٢ - ٥٣) .

(٢) مسلم بن خالد بن مسلم بن سعيد القرشي المخزومي المعروف بالزنجي ، تابعي من كبار الفقهاء . كان إمام أهل مكّة ، أصله من الشام ، وبه تفقه الإمام الشافعي قبل أن يلقى مالكا ، توفّي سنة (١٧٩هـ) . انظر طبقات الفقهاء (٧١) ، واللباب في تهذيب الأنساب (٧٧/٢) .

(٣) أخرجه الطيالسي (١٩٩/٢) ، والشاشي (٧٢٨) في مسنديهما ، وغيرهما . وفيه النضر بن محمد متروك ، وأبو الجارود الأعمى كذاب . وانظر الفوائد المجموعة (٤٢٠) ، وكشف الخفا (٦٨/٢) . وأخرج الترمذي (٣٩٠٤) عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : «اللَّهُمَّ أَدْفَتِ أَوَّلَ قُرَيْشٍ نِكَالًا ، فَأَذِقْ آخِرَهُمْ نَوَالًا» . وأخرج الإمام أحمد نحوه (٢٤٢/١) .

(٤) في (م) : لم تحصل عالم قرشي مثله . وما أثبتناه من (د) .

والثاني: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد المروزي الشيباني، يجتمع مع النبي ﷺ في نزار بن معد بن عدنان البغدادي، قدمت به أمه من مروز، وهي حاملة به، فولدته ببغداد. وهو تلميذ الشافعي.

قال الشافعي: (خرجت من بغداد وما خلفت فيها أفقه ولا أروع ولا أزهى ولا أعلم من الإمام أحمد بن حنبل). وكان يحيي الليل كله من وقت كونه غلاماً، وله في كل يوم ليلة ختم.

والثالث: أبو حنيفة^(١) - كني بنته، وقيل: بدواته - الثعمان بن ثابت بن طاووس بن هرمز ملك بني شيبان، فهو من العرب، وقيل: من الفرس. ذكر جماعة أنه أدرك نحو عشرين صحابياً، وسمع الحديث من تسعة منهم، وهم: أنس بن مالك، وعمرو بن عريس، وعبد الله بن أنس، وعبد الله بن الحارث، / وجابر بن عبد الله بن أبي أوفى، ووائلة ١/٤٣ ابن الأسقع، ومعقل بن يسار، وأبو الطفيل عامر، وعائشة بنت عجرة.

(١) مِمَّا حُمِلَ عَلَى الْإِمَامِ أَبِي حَنِيفَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - مَا أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَأَبُو نَعِيمٍ عَنْهُ، وَالشَّيْرَازِيُّ وَالطَّبْرَانِيُّ عَنْ قَيْسِ بْنِ سَعْدِ بْنِ عَبَادَةَ، وَالطَّبْرَانِيُّ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَوْ كَانَ الْعِلْمُ عِنْدَ الثُّرَيَّا لَتَنَاوَلَهُ رِجَالٌ مِنْ أَبْنَاءِ فَارِسٍ». وَلَفْظُ الشَّيْرَازِيِّ وَأَبِي نَعِيمٍ: «لَوْ كَانَ الْعِلْمُ مُعَلَّقًا عِنْدَ الثُّرَيَّا...». وَلَفْظُ الطَّبْرَانِيِّ عَنْ قَيْسٍ: «... لَا تَنَالُهُ الْعَرَبُ لِنَالِهِ رِجَالٌ مِنْ أَبْنَاءِ فَارِسٍ». وَلَفْظُ مُسْلِمٍ: «لَوْ كَانَ الْإِيمَانُ عِنْدَ الثُّرَيَّا لَتَنَاوَلَهُ رِجَالٌ مِنْ أَبْنَاءِ فَارِسٍ». قَالَ الْحَافِظُ الْمُحَقِّقُ جَلَالُ الدِّينِ السِّيُوطِيُّ: (هَذَا أَصْلٌ صَحِيحٌ يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ فِي الْبَشَارَةِ بِأَبِي حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ) اهـ. انظر مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة لابن حجر الهيتمي (١٦).

٨١- وَمَالِكٌ وَسَائِرُ الْأَيْمَةِ كَذَا أَبُو الْقَاسِمِ هُدَاةُ الْأُمَّةِ

وفضل هؤلاء الأئمة أشهر من الشمس في رابعة النهار.

ونظم بعضهم تاريخ ولادة الأربعة ووفاتهم ومدة عمرهم بقوله:

٨٠ ١٥٠ ٧٠ ٩٠ ١٧٩ ٨٩

تاريخ نعمان يَكُنْ سَيْفٌ سَطَا وَمَالِكٌ فِي قَطْعِ جَوْفِ ضَبِطَا

١٥٠ ٢٠٤ ٥٤ ١٦٤ ٢٤١ ٧٧

والشافعي صين بَيْرٌ نَدٌ وَأَحْمَدٌ بِسَبْقِ أَمْرِ جَعْدِ
فأحسب على الترتيبِ نَظْمَ الشُّعْرِ مِيلَادَهُمْ فَمَوْتَهُمْ كَالْعُمْرِ

فولادة أبي حنيفة سنة ثمانين ، وجمّله^(١) (يَكُنْ). ووفاته سنة مئة وخمسين ، وجمّله (سَيْفٌ). وعمره سبعون ، وجمّله (سَطَا).

وولادة مالك سنة تسعين ، وجمّله (في). ووفاته سنة مئة وتسع وسبعين ، وجمّله (قَطْع). وعمره تسع وثمانون ، وجمّله (جَوْف).

وولادة الشافعي سنة مئة وخمسين ، يوم وفاة أبي حنيفة ، وجمّله (صين). ووفاته سنة مئتين وأربع ، وجمّله (بِبر). وعمره أربع وخمسون ، وجمّله (نَد).

(١) أي حسابه بالجمّل. ونظام هذه الطريقة ووفق الأحرف الأبجدية التي يجمعها قولهم: (أَبَجَدُ هَوَزٌ حَظِي كَلْمُنُ سَعْفَصُ قُرِشْتُ نَحْدُ ضَطَغُ) ، فالعشرة الأوائل تحمل رقماً تسلسلياً من الواحد إلى العشرة ، ثم الذي يلي العاشر - وهو الكاف - يحمل رقم عشرين ، وهكذا إلى تسعين ، فيحمل القاف رقم مئة ، والذي يليه رقم مئتين ، وهكذا إلى آخر حرف ، وهو الغين ، فيحمل رقم الألف.

وقد ذكر الرافعي أصل اصطلاح الدلالة بهذه الأحرف على الأعداد ، ومراحل تطورها. انظر تاريخ آداب العرب (٣/٣٧٧).

٨١- وَمَالِكٌ وَسَائِرُ الْأَئِمَّةِ كَذَا أَبُو الْقَاسِمِ هُدَاةُ الْأُمَّةِ

وولادة أحمد سنة أربع وستين ومئة ، وجمّله (بسبق) . ووفاته سنة إحدى وأربعين ومئتين ، وجمّله (أمر) . وعمره سبع وسبعون ، وجمّله (جعل) .

ب - إماما التوحيد

ومنهم أبو الحسن الأشعري^(١) ، وأبو منصور الماتريدي^(٢) .

ج - إمام الطائفة الصوفية

قوله : (كذا أبو القاسم)

هذه كنيته ، واسمه الجُزَيْد بن مُحَمَّد سَيِّد الطائفة الصوفية وإمامهم ، نشأ وولد بالعراق ، وكان فقيهاً على مذهب أبي ثور^(٣) ، صحب خاله

(١) سبقت ترجمته في ص (٨٧) .

(٢) سبقت ترجمته في ص (٨٧) .

(٣) أبو ثور إبراهيم بن خالد بن أبي اليمان الكلبي البغدادي ، الفقيه ، صاحب الإمام الشافعي ، كان أحد أئمة الدنيا فقهاً وعلماً وورعاً وفضلاً ، صنّف الكتب وفرّع على السنن ، مات ببغداد شيخاً سنة (٢٤٠هـ) . انظر تاريخ بغداد (٦/٦٥) .

٨١- وَمَالِكٌ وَسَائِرُ الْأَئِمَّةِ كَذَا أَبُو الْقَاسِمِ هُدَاةُ الْأُمَّةِ

السَّرِيِّ السَّقَطِي^(١)، والحارث المحاسبي^(٢)، ومحمد بن علي القصاب^(٣). مات سنة سبع وتسعين ومئتين^(٤)، فهو من أهل القرن الثالث.

من كلامه: ما أخذنا التصوف عن القيل والقال، لكن عن الجوع، وترك الدنيا، وقطع المألوفات والمستحسنتات.

ومن كلامه أيضاً: الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا من اقتفى أثر الرسول عليه الصلاة والسلام.

ومن كلامه أيضاً: لو أقبل صادق على الله ألف ألف سنة، ثم أعرض عنه لحظة، كان ما فاتة أكثر مما ناله.

(١) سَرِيُّ بن المغلس السقطي أبو الحسن، من كبار المتصوفة، بغدادى المولد والوفاة، وهو أول من تكلم في بغداد بلسان التوحيد وأحوال الصوفية، وهو خال الجنيد وأستاذه، توفي سنة (٢٥٣هـ). انظر حلية الأولياء (١٠/١١٦ - ١٢٧)، وصفة الصفة (٢/٣٧١).

(٢) الحارث بن أسد المحاسبي أبو عبد الله، من أكابر الصوفية، كان عالماً بالأصول والمعاملات، واعظاً مبكياً. له تصانيف في الزهد والرد على المعتزلة وغيرهم. ولد بالبصرة ومات ببغداد سنة (٢٤٣هـ). من كتبه: آداب النفوس، شرح المعرفة، البعث والنشور. انظر حلية الأولياء (١٠/٧٣)، طبقات الشافعية (٢/٣٧).

(٣) محمد بن علي القصاب أبو جعفر الصوفي البغدادي كان أستاذاً الجنيد، وهو من أصحاب سمنون، مات سنة (٢٧٥هـ). انظر طبقات الأولياء (١٣٦)، تاريخ بغداد (٣/٦٢).

(٤) كذا في (د)، وفي طبقات الأولياء لابن الملقن ص (١٢٦). وفي (م) تسع وتسعين ومئتين.

ومن كلامه أيضاً: إن بدت ذرَّةً من عين الكرم والجود ألحقت المسيء بالمحسن ، وبقيت أعمالهم فضلاً لهم .

ومن كلامه أيضاً: من الأعمال ما لا تطلع عليه الحفظة ، وهو ذكر الله بالقلب ، وما انطوت عليه الضمائر من الهيبة والتعظيم لله ، واعتماد الخوف ، وإجلال أوامره ونواهيهِ^(١) .

ومن كلامه أيضاً: احفظوا ساعاتكم ؛ فإنَّها زائلة غير راجعة ، وصلُّوا أورادكم تجدوا نفعها في دار الإقامة ، ولا يشغلكم عن الله قليل الدنيا ؛ فإنَّ قليلها يشغل عن كثير الآخرة .

وكان من أوراده أربعمئة ركعة / كلَّ يوم ، وكان صائم الدهر ب/٤٣ لا يفطر إلا إذا دخل عليه إخوان ، فيأكل معهم وهو ساكت ، ويقول : (ليست المساعدة مع الإخوان بأقلَّ من فضل الصوم) .

ودخل عليه إبليس في صورة نقيب فقال : أريد أن أخدمك بلا أجر ، فقال له : افعل ، فأقام يخدمه عشر سنين ، فلم يجد قلبه غافلاً عن ربِّه لحظة واحدة ، فطلب الانصراف ، وقال له : أنا إبليس . فقال له : عرفتك من أوَّل ما دخلت ، وإنَّما استخدمتك عقوبة لك ؛ فإنَّه لا ثواب لأعمالك في الآخرة ، فقال : ما رأيت [مثل]^(٢) قوتك يا جُنيد ، فقال : اذهب يا ملعون أتريد أن تُدخِل عليَّ الإعجاب بنفسي ؟ ثمَّ خرج خاسئاً .
وفضله كالشمس في رابعة النهار . ألحَقْنَا الله بنسبه وحسبه .

(١) حتَّى الاعتقاد (الإيمان والكفر) لا تطلع عليه الملائكة ، ولكن يجعل الله لهم علامة على ذلك . انظر تحفة المرید (٩٧) .

(٢) ساقطة من (م) . وأثبتناها من (د) .

٨١- وَمَالِكٌ وَسَائِرُ الْأَئِمَّةِ كَذَا أَبُو الْقَاسِمِ هُدَاةُ الْأُمَّةِ
 ٨٢- فَوَاجِبٌ تَقْلِيدُ حَبْرٍ مِنْهُمْ كَذَا حَكَى الْقَوْمُ بِلَفْظٍ يُفْهَمُ

قوله: (هداة الأئمة)

أي: فيجب علينا أن نعتقد أنَّ مالكا، ومن ذكّر معه أهل الهداية للأئمة المحمديّة التي هي خير الأمم، فهم خيارهم بعد الصحابة.

وجوب تقليد أحد الأئمة الفقهاء الأربعة

قوله: (فواجب تقليد حبر منهم)

أي: فيجب عند الجمهور على كل من لم يكن فيه أهليّة الاجتهاد المطلق الأخذ بمذهب عالم من هؤلاء الأربعة، ولا يجوز تقليد غيرهم بعد عقد الإجماع عليهم^(١)؛ لأنّ مذاهب الغير لم تدوّن، ولم تضبط، بخلاف هؤلاء؛ فإنّهم أحاطوا علماً بأقوال جميع الصحابة أو غالبها، وعُرفت قواعد مذاهبهم، ودوّنت مذاهبهم، وخدمها تابعوهم وحرّروها، وصارت متواترة؛ ليخرج في الأحكام الفرعية من عهدة التكليف بهذا التقليد؛ لأنّ المذاهب لا تموت بموت أصحابها، والأصل في هذا قوله تعالى: ﴿فَسْتَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٢) وقوله ﷺ: «مَنْ قَلَدَ عَالِمًا لَقِيَ اللَّهَ سَالِمًا»^(٣)، ولا بدّ لكل من يقلّد مذهباً أن يعتقد أنّه أرجح

(١) لكن جوّز بعضهم تقليد غيرهم في غير الإفتاء، كما قال:

وجائز تقليد غير الأربعة في غير إفتاء وفي هذا سعة

انظر تحفة المرید (٩٥).

(٢) سورة النحل (٤٣).

(٣) لا أصل له. وإنّما هو من كلام بعض أهل العلم، كما تجده في الأسرار =

٨٢- فَوَاجِبٌ تَقْلِيدٌ حَبْرٍ مِنْهُمْ كَذَا حَكَى الْقَوْمُ بِلَفْظٍ يُفْهَمُ

من غيره أو مساوٍ له؛^(١) فإن اعتقد مرجوحيته لا يصح له تقليده .

قوله : (كذا حكى القوم بلفظ يفهم)

مراده بالقوم أهل أصول الفقه ، ومعنى قوله : (يفهم) أي : واضح الدلالة . وأمّا التقليد في العقائد فقد علمته في صدر المنظومة^(٢) ، وأخذنا بمذهب الأشعريّ والماتريديّ ليس تقليداً لهم ؛ لوقوفنا على أدلتهم^(٣) ، والواقف على الدليل ليس مقلداً ، وإنما المقصود موافقتهم في الاصطلاحات وفي وجه الاستدلال . وكذلك الأخذ بطريق الجنيّد ليس فيه تقليد لا في الفروع ولا في الأصول ، وإنما هو اتّباع في كيفة العمل على طبق السنّة أصلاً وفرعاً . فافهم .

= المرفوعة للملأ علي القاري ص(٣٨٨) .

(١) هذا شرط من شروط التقليد التي جمعها أحدهم بقوله :

عَدَمُ التَّبَعِ رُخْصَةً وَتَرْكُوبٌ لِحَقِيقَةٍ مَا إِنْ يَقُولُ بِهَا أَحَدٌ
وَكَذَاكَ رَجْحَانُ الْمُقَلِّدِ يَعْتَقِدُ وَلِحَاجَةِ تَقْلِيدِهِ تَمَّ الْعَدَدُ

انظر تحفة المرید (٩٥) .

وبيان هذه الشروط : ١- عدم تتبع الرخص ، ٢- عدم التلفيق ، ٣- اعتقاد رجحان المذهب الذي يقلّده ، ٤- الحاجة للتقليد ؛ وذلك لمن فقد شروط الاجتهاد .

(٢) انظر ص(١٠٨) وما بعدها من هذا الكتاب .

(٣) أي : أصبحنا عارفين بأدلتهم . والمعرفة هي : الجزم المطابق للواقع عن دليل .

انظر ص(١٠٣) من هذا الكتاب .

ثبوت الكرامات لأولياء الله تعالى

قوله: (وأثبتن للأوليا الكرامه)

٤٤/أ قصد المصنّف بهذه المسألة الردّ على المعتزلة القائلين / بعدم ثبوتها لهم ، فردّ عليهم بذلك . أي : ممّا يجب اعتقاده ثبوت الكرامات للأولياء ، أي : فهي واقعة شرعاً جائزة عقلاً .

والأولياء : جمع وليّ ، وهو المواظب على الطاعات ، التارك للمنهيات ، المعرض عن اللذات والشهوات ، فلا يفعل شهوة من حيث هي شهوة ، بل أفعاله دائرة بين واجب ومندوب ، مثلاً يأكل بقصد التقويّ على الطاعات ، وينكح بقصد عقّة الزوجة والنسل ، وبالجملة فأفعاله ليست بشهوات .

وسمّي وليّاً؛ لأنّه تولّى خدمة الله ، أو لأنّ الله تولّى أمره ، فلم يكله لغيره طرفة عين ، فمن شرطه أن يكون عنده حسنُ توكلٍ على خالقه . قال بعض العارفين :

يا قلبُ إن كُنْتَ قلبي لا تملُ للغير

وفي الحديث: «لو توكلتُم على الله حقّ توكله لرزقكم كما يرزق الطير ، تغدو خِماصاً وتروح بطاناً»^(١) .

قوله: (الكرامه)

هي أمر خارق للعادة ، غير مقرون بدعوى النبوة ، ولا هو مقدّمة

(١) أخرجه ابن جِبّان (٧٣٠) . وأحمد (٣٠/١) . والترمذي (٢٣٤٤) . والحاكم (٣١٨/٤) . وصحّحه الترمذي .

لها ، يظهر على يد شخص ظاهر الصلاح ، ملتزم لمتابعة نبيّه .
 فخرج بـ (الخارق للعادة) السّحر ونحوه ، وبقوله: (غير مقرون
 بدعوى النبوة) المعجزة ، وبقوله: (ولا هو مقدّم لها) الإرهاص ،
 وبقوله: (ظاهر الصلاح) المعونة والاستدراج والإهانة .

وقولنا فيما تقدّم: (أي: فهي واقعة شرعاً جائزة عقلاً) دليل ذلك:
 ما ورد في القرآن من قصّة مريم ، وولادتها عيسى من غير زوج ،
 مع كفالة زكريّا لها وحفظها^(١) . وقصّة آصف - بالمدّ وفتح الصاد -
 ومجيئه بالعرش قبل أن يرتدّ طرف سليمان عليه الصلاة والسلام إليه ،
 حيث كان يعرف الاسم الأعظم ، ودعا الله به .

وما وقع من كرامات الصحابة^(٢) والتابعين إلى وقتنا هذا .

قوله: (ومن نفاها)

أي: كأبي عبد الله الحلي^(٣) من أهل السنّة ، والمعتزلة حيث

(١) وفي ذلك إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَنَقَلْنَاهَا رَيْثُهَا يَقُولُ حَسَنٌ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَلْنَاهَا زَكْرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَنْزِمُ أَنَّ لِي هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ سورة آل عمران (٣٧) وما بعدها .

(٢) كقصّة عمر - رضي الله عنه - مع سارية . انظر جامع كرامات الأولياء (١/١٥٧) .
 وكقصّة العلاء بن الحضرمي - رضي الله عنه - في المشي على الماء ، والاستسقاء
 لصحبه . انظر صفة الصفوة (١/٦٩٤ - ٦٩٥) ، وكقصّة سفينة مولى رسول الله
 ﷺ مع السبع . انظر صفة الصفوة (١/٦٧١) . وغير هذا من الكرامات .

(٣) الحسين بن الحسن بن محمّد بن حليم - فالحلي نسبة إلى جدّه هذا - البخاري
 الجرجاني أبو عبد الله ، فقيه شافعي ، قاضي ، كان رئيس أهل الحديث فيما
 وراء النهر . ولد بجرجان سنة (٣٣٨هـ) ، وتوفّي في بخارى (٤٠٣هـ) . له =

٨٣- وَأُثِّبَتْ لِلأُولِيَا الكِرَامَةِ وَمَنْ نَفَاهَا فأنبِذْنُ كَلَامَهُ

قالوا: (لو وجدت الكرامات لالتبست بمعجزات الأنبياء ، فيلبس النبي غيره ، ولو وجدت واستمرت لكثرت وخرجت عن كونها خارقة للعادة).

والجواب عن ذلك: لا نسلم التباس الوليِّ بالنبيِّ للفرق بينهما ، وهو دعوى النبوة وعدمها .

ولا نسلم أن كثرتها تصيرها غير خارقة ، بل تفيد استمرار الخارق ، وهو أمر واقع لاشك فيه .

وسئل بعضهم: لأيِّ شيء كثرة الكرامات في الزمان المتأخر دون الزمن المتقدم؟ فأجاب: بأن ذلك لضعف إيمان المتأخرين ، فاحتيج لتوليفهم بالكرامات؛ ليعتقدوا في الصالحين ، وأمّا في الزمن المتقدم فاعتقادهم تابع لميزان الشرع .

قوله: (فانبذن كلامه) أي: اطرحه ، ولا تلتفت له .

* * *

= منهاج الدين في نحو ثلاث مجلدات . انظر الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة لمحمد الكتّاني (٤٤) .

الْقِسْمُ الثَّالِثُ
وَجَلُّهُ فِي السَّمْعِيَّاتِ

الدُّعَاءُ نَافِعٌ (شُرُوطُهُ وَأَدْبَابُهُ)

قوله: (وعندنا أنَّ الدُّعَاءَ يَنْفَعُ)

أي: ممَّا يجب اعتقاده أنَّ / الدُّعَاءَ عند أهل السنَّة نافع ممَّا نزل ٤٤/ب
وممَّا لم ينزل ، قال تعالى: ﴿ قُلْ مَا يَعْجَبُوكُمْ بِكُرِّيهِ لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ ﴾^(١) ،
وينفع ولو من الكافر^(٢) ، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾^(٣)
أي: دعاؤه بالجنَّة والمغفرة ورضا الله .

قوله: (كما من القرآن وعدًّا يسمع)

أي: فإنَّ الله وعد به في القرآن ، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ
ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾^(٤) ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ

(١) سورة الفرقان (٧٧).

(٢) فقد دعا كفَّار مكَّة حين أرادوا أن ينفروا في غزوة بدر ، وهم متعلِّقون بأستار الكعبة ، فقالوا: (اللهمَّ إنَّ كان محمدٌ على حقِّ فانصره ، وإن كُنَّا على الحقِّ فانصرنا). انظر مدارك التنزيل (٢/٩٩) في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِن تَسْتَفِيحُوا فَفَدِّجَاكُمْ فَفَتَحَ ﴾ سورة الأنفال (١٩).

وانظر تفسير روح المعاني (٩/١٨٧).

(٣) سورة الرعد (١٤).

(٤) سورة غافر (٦٠).

٨٥- بِكُلِّ عَبْدٍ حَافِظُونَ وَكُلُّوا وَكَاتِبُونَ خَيْرَةٌ لَنْ يُهْمَلُوا

أَلَدَاعِ إِذَا دَعَانِ ﴿١﴾ ، وفي الحديث: «دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ مُسْتَجَابَةٌ، وَإِنْ كَانَ كَافِرًا» ﴿٢﴾ .

ولسرعة الإجابة بعين المطلوب شروط منها: أكل الحلال ، والثقة بالله .

وله آداب منها: الوضوء ، واستقبال القبلة ، ورفع الأيدي ، وتخليله بالصلاة على النبي ﷺ ، وختمه بها .

مَهْمَةُ الْحَفِظَةِ وَالرَّكْبَةِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ

قوله: (بكلِّ عبد)

أي: من بني آدم ذكراً كان أو أنثى ، حرّاً أو رقيقاً ، مؤمناً أو كافراً ، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾ ﴿٣﴾ وهذا من جملة التكريم .

(١) سورة البقرة (١٨٦) .

(٢) أخرجه أحمد (٣٦٧/٢) عن أبي هريرة مرفوعاً بلفظ: «دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ مُسْتَجَابَةٌ، وَإِنْ كَانَ فَاجِرًا فَفُجِّرُوهُ عَلَى نَفْسِهِ»، وإسناده ضعيف من أجل نجیح بن عبد الرحمن أبي معشر .

وروي بلفظ: «إِيَّاكُمْ وَدَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، وَإِنْ كَانَ كَافِرًا؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ لَهَا حِجَابٌ دُونَ اللَّهِ» .

أخرجه ابن معين في التاريخ (٤٥٨/٤) . والقضاعي في مسند الشهاب (٩٦٠) . وإسناده ضعيف . وله شاهد عند أحمد (٣/١٥٣) ، فالحديث صحيح بالشواهد .

(٣) سورة الإسراء (٧٠) .

٨٥- بِكُلِّ عَبْدٍ حَافِظُونَ وَكُلُّوا وَكَاتِبُونَ خَيْرَةٌ لَنْ يُهْمِلُوا

قوله: (حافظون وكتلوا)

أي: وكلهم الله بحفظ ذواتهم من العاهات والآفات؛ لقوله تعالى: ﴿لَمْ مَعَقِبْتُمْ مِّن بَيْن يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِّنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾^(١) أي: من ضرر خلقه الجن والإنس والحيات، وقيل: (من) بمعنى الباء، أي: بأمر الله^(٢) من المكروهات، فإذا جاء القدر تخلوا عنه. قال كعب الأخبار^(٣): (لولا أن الله تعالى وكل بكم حفظة يذُبُّونَ عنكم في مطعمكم ومشربكم لتخطفتكم الجن).

قوله: (وكتابون)

جمع كاتب، واختلَف في العطف، فقيل للتفسير، وعليه فالحفظة هم الكتبة، وجمع باعتبار الأفراد. وقيل: للتغاير، وعليه فالحفظة غير الكتبة وهو المعتمد؛ لأنه ورد «أنَّ الحفظة عشرة بالليل وعشرة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الصبح والعصر، فيسألهم الله - وهو أعلم بهم -

(١) سورة الرعد (١١) وتامها ﴿... إِنَّ اللَّهَ لَا يُعِيرُ مَا يَقْوِرُ حَتَّى يُعِيرُوا مَا يَنْفُسُهُمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ يَقْوِرُ سَوْءًا فَلَا مَرَدَ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ﴾.

(٢) قال ابن عباس: (هم الملائكة يحفظونه بأمر الله، فإذا جاء القدر تخلوا عنه).
انظر جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي (١/٣٦٤).

(٣) كعب بن ماتع بن ذي هجن الحميري أبو إسحق، تابعي كان في الجاهلية من كبار علماء اليهود في اليمن، وأسلم في زمن أبي بكر، أخذ عنه الصحابة وغيرهم كثيراً من أخبار الأمم الغابرة، توفي في حمص سنة (٣٢٢هـ) عن مئة وأربع سنين. انظر حلية الأولياء (٥/٣٦٤) وما بعدها.

٨٥- بِكُلِّ عَبْدٍ حَافِظُونَ وَكُلُّوا وَكَاتِبُونَ خَيْرَةٌ لَنْ يُهْمِلُوا

فيقول لهم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: يا ربنا تركناهم وهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون^(١).

ولا يفارقون الشخص أبداً إلى الممات ، فإذا مات فقد فرغ حفظهم له . وهم: واحد على يمينه ، وآخر على شماله ، وآخر أمامه ، وآخر خلفه ، واثنان على عينيه ، وواحد على شفته ، واثنان على فمه يحفظان الصلاة على النبي ﷺ ، وواحد أخذ بناصيته ، فإن تواضع رفعه ، وإن تكبر خفضه^(٢).

إن قلت: إننا نجد تخلف حفظهم له بأن تُفقا عيئه مثلاً.

يُجاب بأن هذا أمر مبرم ، فلا بد من إنفاذه ، وهكذا كل مبرم.

والكتابة: ملكان رقيب وعتيد ، ومحلهما كما في الحديث ناجذاه^(٣)

(١) أخرجه البخاري (٥٥٥) ، ومسلم (٦٣٢) عن أبي هريرة مرفوعاً. وليس عندهما تعيين عدد الملائكة.

(٢) قال ابن حجر في فتح الباري: وأخرج الطبري من طريق كنانة العدوي أن عثمان سأل النبي ﷺ عن عدد الملائكة الموكلة بالأدمي ، فقال: «لكل أدمي عشرة بالليل وعشرة بالنهار ، واحد عن يمينه وآخر عن شماله ، واثنان من بين يديه ومن خلفه ، واثنان على جنبه ، وآخر قابض على ناصيته ، فإن تواضع رفعه وإن تكبر وضعه ، واثنان على شفته ليس يحفظان عليه إلا الصلاة على محمد ﷺ ، والعاشر يحرسه من الحيّة أن تدخل فاه». فتح الباري (٤٧٤/٨). وانظر تفسير الطبري (١١٥/٨).

(٣) قوله: (ومحلها ناجذاه... ، وقلمها لسانه ، ومدادهما ريقه) ليس من كلام النبي ﷺ ، قال الألوسي في التفسير (١٧٩/٢٦): لا يصح. وقد أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت (٨١ - ٨٢) عن سيّدنا عليّ قال: (لسان الإنسان قلم الملك ، وريقه مداده). وأخرجه أيضاً عن الحسن برقم (٥٧٩).

وباقى الحديث الذي ذكره الصاوي أخرجه الطبراني في الكبير (٧٧٨٧) عن =

٨٥- بِكُلِّ عَبْدٍ حَافِظُونَ وَكُلُّوا وَكَاتِبُونَ خَيْرَةٌ لَنْ يُهْمِلُوا

- وهما مؤخرًا / أضراسه اليمين واليسار - وقلمهما لسانه ، ومدادهما /٤٥ ريقه^(١) ، وجعل الله كاتب الحسنات أميراً على كاتب السيئات ، فإن فعل حسنة كتبت حالاً ، وإن فعل سيئة يقول كاتب السيئات : أأكتب؟ فيقول له كاتب الحسنات : اصبر لعلّه يستغفر أو يتوب ، فإن تاب كتبت حسنة ، فإن لم يتب بعد ستّ ساعات فلكيّة قال له كاتب الحسنات : أكتب أراحنا الله منه .

وتُعَرِّض صحائف الأعمال صباحاً ومساءً على رسول الله ، فإن رأى خيراً حمّد الله وشكر لصاحبه ، وإن رأى غير ذلك استغفر لفاعله^(٢) .

= أبي أمامة قال : قال رسول الله ﷺ : «صاحبُ اليمين أميرٌ على صاحبِ الشمالِ ، فإذا عمِلَ العبدُ حسنةً أثبتّها . وإذا عمِلَ سيئةً قالَ لهُ صاحبُ اليمينِ : أمكثُ ستّ ساعاتٍ ، فإذا استغفَرَ لم يُثبِتْ وإلا أثبتَ عليه السيئةُ» . وإسناده ضعيف . وسياق الصاوي : «وجعلَ اللهُ كاتب . . .» أخرجه بنحوه ابن جرير في التفسير (١٣/٨-١١٥) . قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٥٢٢/٢) غريب جداً اهـ . وقول الصاوي (فلكيّة) إدراج .

- (١) وقد أورد الباجوري في هذا البحث أقوالاً كثيرة ، لكنّه أخيراً أرجع الأمر إلى الله سبحانه ، فقال : والأسلم في أمثال ذلك الوقف . انظر تحفة المرید (٩٨) .
- (٢) أخرج البزار في مسنده (٣٠٨/٥) رقم (١٩٢٥) عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : «حياتي خيرٌ لكم تُحدِثُونَ وتُحدِثُ لكم ، ووفاتي خيرٌ لكم ، تُعرض عليّ أعمالكم فما رأيتُ من خيرٍ حَدِثْتُ اللهُ عليه ، وما رأيتُ من شرٍّ استغفرتُ اللهُ لكم» .

٨٥- بِكُلِّ عَبْدٍ حَافِظُونَ وَكُلُّوا وَكَاتِبُونَ خَيْرَةٌ لَنْ يُهْمَلُوا
٨٦- مِنْ أَمْرِهِ شَيْئاً فَعَلْ وَلَوْ ذَهَلْ حَتَّى الْأَيْنِ فِي الْمَرَضِ كَمَا نُقِلْ

قوله: (لن يهملوا من أمره شيئاً فعل)

أي: لا يتركون من شأنه شيئاً إلا كتبوه قولاً أو فعلاً أو عزمًا ، فالمراد بالفعل ما يعلمُ القول وغيره ، ولا يفارقون العبد إلا في أحد مواضع ثلاث: عند الخلاء والجماع والغسل؛ لوجود كشف العورة عند ذلك. ويعرفون السيئة بنتن رائحتها ، والحسنة بطيب رائحتها.

قوله: (ولو ذهل)

أي: حال صدور ذلك الأمر منه . وحكمة الكتابة أنّ العبد إذا علم بها استحي^(١) وترك المعصية.

قوله: (كما نُقل)

أي: عن الأئمة الذين نقلوه ، وقالوا به ، ومن أعظمهم الإمام مالك . قال تعالى: ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾^(٢) فإذا مات الإنسان جلس كاتباه على قبره ، فإن كان محسنًا استغفرا له ، وإلا لعناه حتى تقوم القيامة .

(١) الحياء: التوبة والحشمة ، وقد حيي منه حياء ، واستحيا ، واستحي ، حذفوا الياء الأخيرة كراهية التقاء الياءين . لسان العرب (حيا).

(٢) سورة ق (١٨).

قوله: (فحاسب النفس)

أي: على ما وقع منها؛ لتريح الملائكة من التعب، فلا تتكلم إلا بخير، ولا تفعل إلا خيراً؛ فَإِنَّ من حاسب نفسه بنفسه وُقِيَ حساب الآخرة، وفي الحديث: «حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا»^(٢).

قوله: (وقلّل الاملا)

أي: قصر أملك. والأمل: ما تحبّه النفس، فلا تتعلّق بالفاني فتُحرم من الباقي، وتأمل قوله عليه الصلاة والسلام: «فَهَجَرْتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»^(٣)، وقوله عليه الصلاة والسلام: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ، وَعُدَّ نَفْسَكَ مِنْ أَهْلِ الْقُبُورِ»^(٤).

(١) وفي رواية: وَقَلِّ الْأَمَلَا.

(٢) لا أصل له من كلام النبي ﷺ، وإنما هو من كلام سيّدنا عمر - رضي الله عنه - في خطبة له: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا للعرض الأكبر، يوم تعرضون لا تخفى منكم خافية.

أخرجه ابن المبارك في الزهد (٣٠٦). وابن أبي شيبه في المصنّف (١٦٣٠٦). وأحمد في الزهد (٦٣١). وغيرهم من كلام عمر. ورجاله ثقات.

(٣) أخرجه البخاري (١). ومسلم (١٩٠٧) عن عمر بن الخطّاب مرفوعاً ضمن سياق حديث: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ».

(٤) روى البخاري الشطر الأول منه: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ» برقم (٤٦١٦). وزاد البخاري: (وكان ابن عمر - رضي الله عنهما - يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك).

ورواه بالسياق الذي ذكره الصاوي: أحمد في المسند (٢٤/٢ - ٤١).

والترمذي رقم (٢٣٣٣). وابن ماجه رقم (٤١١٤).

٨٧- فَحَاسِبِ النَّفْسَ وَقَلِّلَ الْأَمَلَا فَرُبَّ مَنْ جَدَّ لِأَمْرٍ وَصَلَا
٨٨- وَوَاجِبُ إِيْمَانُنَا بِالْمَوْتِ وَيَقْبِضُ الرُّوحَ رَسُولُ الْمَوْتِ

وقال بعضهم:

تَسَلَّ عَنِ الدُّنْيَا وَكُنْ مُتَجَنِّبَا
وَلَا تَلْتَمِسْ مِنْهَا سِوَى سِتْرِ عَوْرَةٍ
وَإِيَّاكَ يَوْمَا يَسْتَمِيلُكَ مَالُهَا
وَمَا هِيَ إِلَّا دَارٌ يُسْرٍ وَعُسْرَةٍ
إِذَا جَمَعَتْ شَمَلًا سَعَتْ فِي فِرَاقِهِ
زَخَارِيْفَهَا وَاعْتَدَّ لِلسَّيْرِ وَالسَّفَرِ
وَقُوْتِ كَفَافٍ وَارِضَ مِنْهَا بِمَا حَضَرَ
فَكَمْ مِنْ غِنِيٍّ بَعْدَ مَالٍ قَدِ افْتَقَرَ
وَفَرِحَ وَأَحْزَانَ فِي صَفْوِهَا الكَدْرُ
فَكَمْ حَزَبَتْ قَصْرًا وَكَمْ عَمَّرَتْ حُفْرُ

قوله: (فَرُبَّ مَنْ جَدَّ لِأَمْرٍ وَصَلَا)

أي: فمن اجتهد في شيء فقد وصل إليه ، فاجعل اجتهادك في
ب/٤٥ طاعة ربك؛ لتصل بذلك إلى أعلى / عليين ، ولا تجعل الدنيا أكبر
همك ولا مبلغ علمك .

وجوب الإيمان بالموت

قوله: (بالموت)

أي: إن التصديق بالموت واجب ، قال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ
مَيِّتُونَ﴾^(١) ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾^(٢) وهو عَرَضٌ^(٣) يَضَادُ الْحَيَاةَ ، وليس

(١) سورة الزمر (٣٠).

(٢) سورة آل عمران (١٨٥).

(٣) العَرَضُ مقابل الجوهر ، وهو الصفة . والمقصود بالعَرَضُ هنا شيء وجودي من =

بعدم محض^(١) ، وإنما هو انتقال من دار إلى دار ، فكلُّ من مات فقد انتقل من عالم الدُّنيا إلى البرزخ ، فإنَّ من مات على الإيمان تمَّتْ عدم العود إلى الدنيا؛ لأنَّ عالم البرزخ في اتِّساعه بالنسبة للدنيا كالدنيا بالنسبة لبطن الأم ، وأما إن مات على الكفر - والعياذ بالله - تمَّتْ العود إلى الدنيا؛ لما يرى من ضيق برزخه وعذابه ، فالدنيا سفينة موصلة للبرزخ ، والبرزخ موصل لدار القرار .

قوله: (ويقبض الرُّوح) أي: يخرجها ، ويأخذها بإذن الله .

قوله: (رسول الموت)

هو عزرائيل عليه السلام ، ومعناه عبد الجبَّار ، ملكٌ عظيم هائل المنظر مفرع جداً ، رأسه في السماء العليا ، ورجلاه في تخوم الأرض السفلى ، ووجهه مقابل للوح المحفوظ ، والخلق بين عينيه ، وله أعوان^(٢) بعدد من

= باب: عَرَضَ الموت للإنسان فمات ، وليس بشيءٍ عديميٍّ ، وهو عدم الحياة فقط .
أي: ليس صفة سلبية ، وإنما هو صفة ثبوتية ، كقولنا مثلاً: ذهب لون البياض ، فأتى لون السواد .

(١) يُقَرَّرُ بقوله: (وليس بعدم محض) أنَّ الموت شيءٌ وجودي ، وفي ذلك نفي قول المعتزلة الذين يرون أنَّ الموت عَدَمٌ مَحْضٌ . وقد تعرَّض المفسِّرون إلى ذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَوَةَ . . . ﴾ سورة تبارك (٢) . انظر مثلاً تفسير مفاتيح الغيب للرازي (٤٨/٣٠) ، وتفسير الجامع لأحكام القرآن (١٩٧/١٨) .

(٢) أورد السحيمي أخباراً عن أعوان ملك الموت ، فقال في تفسير قوله تعالى: ﴿ تَوَفَّاتُهُ رُسُلَنَا ﴾ [الأنعام ٦١] قال ابن عباس: أي أعوانه ، رواه ابن أبي حاتم وابن أبي شيبة . وأخرج ابن أبي الدنيا عن عكرمة في قوله تعالى: ﴿ وَيُقِيلُ مَنْ رَاقٍ ﴾ [القيامة: ٢٧] قال: أعوان ملك الموت ، يقول بعضهم لبعض: مَنْ يرتقي بروحه من أسفل قدمه إلى موضع خروج نفسه؟

وأخرج ابن أبي الدنيا عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ فَأَلْمَدِرَاتِ أَمْراً ﴾ =

٨٨ - وَوَجِبُ إِيمَانُنَا بِالْمَوْتِ وَيُقْبِضُ الرُّوحَ رَسُولُ الْمَوْتِ

يموت ، يجذبون الرُّوحَ حَتَّى تصل إلى الحلقوم ، فيأخذها هو بيده .

واعلم أَنَّ الله قال : ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا ﴾ (١)

وقال تعالى : ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا . . . ﴾ (٢)

وقال تعالى : ﴿ قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ . . . ﴾ (٣)

فكيفية الجمع بينها أن تقول :

- آية الرسل محمولة على المعالجة .

- وآية ملك الموت محمولة على المباشرة بالفعل .

- وآية قبض الله محمولة على الفعل الحقيقي .

وملك الموت يقبض جميع الأرواح حَتَّى روحه هو (٤) ، فيتمنى أَنَّهُ لم

يقبض روح بعوضة ؛ لما يلقي من الحرارة .

إن قلت : إِنَّ شهداء المحبَّة والغريق وبعض أفراد ورد أَنَّ الله يقبض

أرواحهم بيده .

[النازعات : ٥] قال : ملائكة تكون مع ملك الموت يحضرون الموتى عند قبض

أرواحهم ، فمنهم من يعرج بالروح ، ومنهم من يؤمِّن على الدعاء ، ومنهم من

يستغفر للميت حتى يصلَّى عليه ، ويدفن في حفرة اهـ .

المزيد على إتحاق المرید (ج ٢ ق ١٦١/أ) .

(١) سورة الأنعام (٦١) .

(٢) سورة الزمر (٤٢) .

(٣) سورة السجدة (١١) .

(٤) قال السحيمي : وآخر من يموت عزرائيل . وهل يقبض روح نفسه ، أم يقبضها

الله؟ احتمالان . أظهرهما أن الله تعالى هو الذي يقبضها ، فيقول : وعزَّتْكَ لو

علمت من سكرات الموت ما أعلم ما قبضت نفس مؤمن . المزيد على إتحاق

المرید (ج ٢ ق ١٦١/ب) .

٨٩ - وَمَيِّتٌ بِعُمُرِهِ مَنْ يُقْتَلُ وَغَيْرُ هَذَا بَاطِلٌ لَا يُقْبَلُ

قلت: لا ينافي حضورَ ملك الموت وأعوانه؛ لأنَّه يُحَجَّبُ عنهم بشهود الله عند خروج روحه، فلا يشهد ملكاً يقبضها، فلذا يسهل عليه خروجها.

المقتول ميِّت بأجله

قوله: (ومَيِّتٌ بعمره مَنْ يُقْتَلُ)

أي: إنَّه ممَّا يجب اعتقاده أنَّ الأجل واحد لا يتعدَّد، حتَّى إذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون^(١)، وإنَّ كلَّ إنسان يموت عند حضور أجله من غير مدخليَّة للقاتل فيه؛ فإنَّه لو لم يُقْتَل لجاز أن يموت في ذلك الوقت، وإنَّما القتل سبب لموته. قال بعضهم:

وَمَنْ لَمْ يَمُتْ بِالسَّيْفِ مَاتَ بِغَيْرِهِ تَنَوَّعَتِ الْأَسْبَابُ وَالْمَوْتُ وَاحِدٌ

وفي هذا ردُّ على المعتزلة القائلين: إنَّ القاتل قطع على المقتول أجله،

فلو تحفَّظ منه / لعاش إلى تمام أجله.

أ/٤٦

ويرد عليهم بأنَّه يلزم عليه أن الله مُكْرَه، وأنَّه يقع في ملكه ما لا يريد - تعالى الله عن ذلك - وهذا منهم بناء على أنَّ العبد يخلق أفعال نفسه، وتقدِّم بطلانه^(٢).

قوله: (وغير هذا باطل لا يقبل)

أي: غير ما تقدِّم غير مطابق للواقع، فلا يقبل عند العقلاء المتمسِّكين بالحق.

(١) يريد آية الأعراف (٣٤)، والنحل (٦١): ﴿... فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾.

(٢) انظر ص (٢٣٠ - ٢٣١) من هذا الكتاب.

٩٠- وفي فَنَا النَّفْسِ لَدَى النَّفْخِ اخْتَلَفَ واستظهر السُّبْكِيُّ بقَآهَا الذُّعْرُفُ

الْخِلَافُ فِي فَنَاءِ الرُّوحِ

قوله: (وفي فنا النفس لدى النفخ اختلف)

حاصله أَنَّ العلماء اختلفوا في موت الروح عند النفخة الأولى ، فقبل بموتها؛ لقوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾^(١) . وقيل: بعدمه . فقبل النفخة الثانية لا يبقى أحد^(٢) حياً إلا الملائكة الأربعة الرؤساء ، وموسى ؛ لأنه صَعِقَ في الدنيا فْجُوزِي^(٣) بها .

قوله: (واستظهر السُّبْكِيُّ)

هو الإمام أبو الحسن تقيُّ الدين عليُّ بن عبد الكافي^(٤) .

-
- (١) سورة الرحمن (٢٦) .
- (٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ فِيهَا يُنظَرُونَ﴾^(١٨) وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجَاءَتْ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ سورة الزمر (٦٨ - ٦٩) .
- (٣) وذلك إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرِيكَ وَلَكِنِ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَوْعًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ سورة الأعراف (١٤٣) .
- (٤) تقيُّ الدين علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام السُّبْكِيُّ الأنصاري الخزرجي أبو الحسن ، شيخ الإسلام في عصره ، وأحد الحُفَاطِ المفسِّرين ، وهو والد التاج السبكي ، ولد في سُبْك بمصر سنة (٦٨٣هـ) ، وتوفي فيها سنة (٧٥٦هـ) . من كتبه: الابتهاج في شرح المنهاج . انظر الدرر الكامنة (١٧٧/٣) ، هدية العارفين (١/٧٢٠) .

٩٠- وفي فَنَا النَّفْسِ لَدَى التَّفْخِ اخْتَلَفَ وَاسْتَظْهَرَ السُّبُكِي بِقَاهَا الَّذِي عُرِفَ
٩١- عَجِبُ الذَّنْبِ كَالرُّوحِ لَكِنْ صَحَّحَا الْمُزْنِيُّ لِلْبَلَى وَوَضَّحَا

قوله: (بقاها الذ^(١) عُرِف)

أي: الذي عُهد سابقاً؛ فَإِنَّ العلماء اتَّفَقُوا على أَنَّ الأرواح باقية بعد الموت؛ لسؤالها في القبر والجواب، والنعيم والعذاب، والأصل الاستمرار حتَّى يصرف عنه^(٢)، وهذا هو المعتمد.

الْخِلَافُ فِي فَنَاءِ عَجْبِ الذَّنْبِ

قوله: (عَجِبُ الذَّنْبِ كَالرُّوحِ)

أي: فقد اختلف فيه، فقيل: يبلى، وقيل: لا، وهو الصحيح؛ لحديث الصحيحين: «لَيْسَ مِنَ الْإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَبْلَى إِلَّا عَظْماً وَاحِداً، وهو عَجْبُ الذَّنْبِ، مِنْهُ خَلِقَ الْخَلْقَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٣). وعند مسلم

(١) في (الذي) أربع لغات: (الذي) بياء ساكنة، و(الذي) بياء مشددة، و(الذي) بكسر الذال من غير ياء، و(الذي) بسكون الذال من غير ياء. أسرار العربية لابن الأنباري (٣٧٩).

(٢) جاء في إتحاف المرید: والأصل في كل باقٍ استمراره حتى يظهر ما يصرف عنه. اهـ (١٣٨).

وعلى هذا: فالروح في الأصل باقية، ولا نقول بفنائها إلا بدليل على ذلك، ولما لم يوجد فهي على أصلها من البقاء.

(٣) أخرجه البخاري (٤٨١٤)، ومسلم (٢٩٥٥) عن أبي هريرة مرفوعاً.

٩١- عَجَبُ الذَّنْبِ كَالرُّوحِ لَكِنْ صَحَّحَا الْمُزْنِيَّ لِلْبَلِيِّ وَوَضَّحَا

بلفظ: «كُلُّ ابْنِ آدَمَ يَأْكُلُهُ التُّرَابُ إِلَّا عَجَبَ الذَّنْبِ ، مِنْهُ خُلِقَ ، وَمِنْهُ يُرَكَّبُ» ، وَهُوَ عَظْمٌ كَالخَزْدَلَةِ فِي الْعَصْعَصِ آخِرَ سِلْسَلَةِ الظَّهْرِ ، مَخْتَصُّمٌ بِالْإِنْسَانِ كَغَرَزِ الذَّنْبِ لِلدَّابَّةِ .

قوله: (لكن صححا المزني)

هو الإمام إسماعيل بن يحيى^(١) ، صاحب الإمام الشافعي .

قوله: (للبي ووضحا)

أي: بين ما تمسك به^(٢) ، ولكن علمت أن الصحيح هو الأول .

(١) إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل أبو إبراهيم المزني من أهل مصر ، كان زاهداً عالماً مجتهداً قويَّ الحجَّة ، وهو إمام الشافعيَّة . من كتبه: الجامع الكبير ، الجامع الصغير ، الترغيب في العلم . نسبه إلى (مُزِينة) من مُضَر ، وُلِدَ سنة (١٧٥هـ) ، وتوفي سنة (٢٦٤هـ) .

انظر وفيات الأعيان (١/٢١٧) .

(٢) أي: من فناء عجب الذنب؛ تمسكاً بظاهر قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾؛ لأنَّ فناء الكل يستلزم فناء الجزء . ووضح صحة ما ذهب إليه بما حاصله: أنه يجوز أن يُفني الله الإنسان بالتراب ، فإذا لم يبق إلا عجبُ الذنب أفناه الله تعالى بلا تراب ، كما يُميت ملك الموت بلا ملك موت . انظر إتحاف المرید (١٣٩) .

٩٢- وَكُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ قَدْ خَصَّصُوا عُمُومَهُ فَاطْلُبْ لِمَا قَدْ لَخَّصُوا

قوله: (وكلُّ شيء هالك قد خصَّصوا عمومه)

لَمَّا تَقَدَّمَ أَنَّ الرُّوحَ بَاقِيَةٌ ، وَعَجَبَ الذَّنْبُ كَذَلِكَ ، وَأَجْسَادُ الْأَنْبِيَاءِ وَالشَّهَدَاءِ وَالْعَرْشِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَالْحُورِ كَذَلِكَ^(١) ، وَرَدَّ عَلَيْنَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾^(٢) ، فَأَجَابَ الْمَصْنُفُ^(٣) عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ بِأَنَّهَا مِنَ الْعَامِّ الَّذِي أُرِيدُ بِهِ الْخُصُوصُ ، أَي: فَهُوَ مُخْصَّصٌ بِمَا قَدْ وَرَدَ الشَّرْعُ بِبِقَائِهِ^(٤) ، فَصَارَتْ الْكَلِمَةُ غَيْرَ عَامَّةٍ لِدَلَالَتِهَا . وَأَجِيبُ أَيْضًا بِأَنَّ الْمُرَادَ قَابِلَ لِلْهَلَاكِ ، وَأَمَّا هَلَاكُهُ بِالْفِعْلِ أَوْ لَافْشِيءٍ آخَرَ ، كَمَا قَالَ الْعَارِفُونَ:

مِنْ لَا وُجُودَ لِذَاتِهِ مِنْ ذَاتِهِ فَوْجُودُهُ لَوْلَاهُ عَيْنٌ مُحَالٍ

قوله: (فاطلب لما قد لخصوا) أي: من هذا الجواب.



(١) وقد نظم الجلال السيوطي ثمانية منها بقوله:

ثَمَانِيَةٌ حُكْمُ الْبَقَاءِ يَعْتُمِدُهَا
مِنَ الْخَلْقِ وَالْبَاقُونَ فِي حَيِّزِ الْعَدَمِ
هِيَ الْعَرْشُ وَالْكَرْسِيُّ نَازٌ وَجَنَّةٌ
وَعَجَبٌ وَأُرُوْحٌ كَذَا اللَّوْحُ وَالْقَلَمُ

انظر تحفة المرید (١٠٢).

(٢) سورة القصص (٨٨).

(٣) وقد وضح ذلك في كتابه عمدة المرید ج ٣ (ق ١٤٩/أ-ب).

(٤) في (م) ببقائهما. وما أثبتناه من (د).

الروح وحكم الخوض فيها

قوله: (ولا تخض في الروح... إلخ)

اعلم أنه اختلف في الروح ، فقال قوم: إنها سرٌّ من أسرار الله تعالى لم يُطلع الله عليها / أحداً ، قال تعالى: ﴿وَسَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾^(١) ، ولكن لم يخرج النبي من الدنيا حتى أطلعه الله عليها^(٢) وعلى غيرها من سائر المغيبات التي يليق علمها بالحوادث ، وأمره الله ببث البعض ، وكنم البعض ، وخيره في البعض . وهذا أكبر دليل على عجز الإنسان ، حيث لم يعرف أقرب الأشياء إليه ، وهي روحه التي بين جنبيه ، وهذا القول هو الحق ، أي: فيكره الخوض في الروح .

قوله: (إذ ما ورد نصٌّ عن الشارع)

علة للنهي المتقدم ، أي: فيكره الخوض ؛ لعدم ورود نصٍّ من الشارع ببيان حقيقتها . قال الجنيد^(٣): الروح شيء استأثره الله بعلمه ، ولم يطلع عليه أحداً من خلقه ، فلا يجوز لعباده البحث عنه بأكثر من أنه موجود اهـ . فلا علم لنا بحقيقتها ولا بمقرّها من الجسد .

(١) سورة الإسراء (٨٥) .

(٢) وروي خلاف ذلك عن عبد الله بن بريدة قال: (لقد قبض النبي ﷺ وما يعلم

الروح) أخرجه ابن أبي حاتم ، وأبو الشيخ كما في الدر المشور (٥/٣٣٢) .
والنصوص صريحة في عدم العلم بالروح . والله أعلم .

(٣) انظر ترجمة الشارح للجنيد ص (٣٣٩) .

٩٣- وَلَا تَخْضُ فِي الرُّوحِ إِذْ مَا وَرَدَا نَصٌّ عَنِ الشَّارِعِ لَكِنْ وَجِدًا

٩٤- لِمَالِكٍ هِيَ صُورَةٌ كَالجَسَدِ فَحَسْبُكَ النَّصُّ بِهَذَا السَّنَدِ

قوله: (لكن وجدا لمالك هي صورة كالجسد)

المراد لأصحاب مالك ، ونقله النووي^(١) عن إمام الحرمين^(٢) من السادة الشافعية حيث قال: (إنها جسم لطيف شفاف حيٌّ لذاته^(٣) مشتبك بالأجساد الكثيفة اشتباك الماء بالعود الأخضر على هيئة جسد صاحبها).

واحتجُّوا لهذا بوصفها بالهبوط والعروج والتردُّد في البرزخ.

وأورد على هذا القول: أنه إذا قُطع عضو حيوان لزم قطع نظيره من الروح ، فيلزم عليه عدم بقائها ، مع أنَّ القول ببقائها هو المعتمد.

أجيب بأنَّ لطافتها مقتضية لسرعة انجذابها من ذلك العضو المقطوع قبل انفصاله ، أو سرعة الالتحام بعد القطع كالأجساد الهوائية وسائر المائعات.

(١) سبقت ترجمته في ص (١٣٤ - ١٣٥).

(٢) سبقت ترجمته في ص (٢٣٣). وانظر تعريفه للروح في كتابه الإرشاد ص (٣٧٧) فإنه لم يذكر فيه (حيٌّ لذاته).

(٣) قوله: (حيٌّ لذاته) مشكلة؛ لأنه ليس شيء حيٌّ لذاته إلا الله سبحانه ، وقد قال الأمير في حاشيته على إتحاف المرید: (حي لذاته) أي: لا لروح أخرى ، وإلزام التسلسل اهـ. ص (١٣٩).

وقد أورد الباجوري هذا التعريف على النحو التالي: (إنها جسم لطيف شفاف مشتبك بالجسم كاشتباك الماء بالعود الأخضر ، فتكون سارية في جميع البدن) ولم يذكر أنها جسم حي لذاته. انظر تحفة المرید (٤٥) و (١٠٣).

وقال العزُّ بن عبد السلام ^(١):

(إِنَّ فِي كُلِّ جَسَدٍ رُوحَيْنِ إِحْدَاهُمَا: رُوحُ الْيَقِظَةِ الَّتِي أَجْرَى اللَّهُ الْعَادَةَ بِأَنَّهَا إِذَا كَانَتْ فِي الْجَسَدِ كَانَ الْإِنْسَانُ مَتِيقَظًا ، فَإِذَا خَرَجَتْ مِنْهُ نَامَ الْإِنْسَانُ ، وَرَأَتْ تِلْكَ الرُّوحَ الْمَنَامَاتِ . وَالْأُخْرَى: رُوحُ الْحَيَاةِ الَّتِي أَجْرَى اللَّهُ الْعَادَةَ بِأَنَّهَا إِذَا كَانَتْ فِي الْجَسَدِ كَانَ حَيًّا ، فَإِذَا فَارَقَتْهُ مَاتَ ، فَإِذَا رَجَعَتْ إِلَيْهِ حَيًّا ، وَلَا يَعْلَمُ مَقَرَّهُمَا إِلَّا مَنْ أَطْلَعَهُ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ ، فَهَمَا كَجَنِينَيْنِ ^(٢) فِي بَطْنِ امْرَأَةٍ).

وَالْحَقُّ أَنَّهَا رُوحٌ وَاحِدَةٌ مَقْرُؤًا - عَلَى طَرِيقَةٍ مِنْ خَاضَ فِيهَا ^(٣) - الْقَلْبُ أَوْ الْبَطْنُ أَوْ قَرَبَ ذَلِكَ ، وَشَعَاعَهَا مَقْوَّمٌ لِلْجَسَدِ كَالشَّمْعَةِ الْكَائِنَةِ وَسَطَ آيَةِ مِنْ زَجَاجٍ ، فَأَصْلُهَا فِي وَسْطِهِ ، وَنُورُهَا / سَارٍ فِي جَمِيعِ أَجْزَائِهِ . هَذَا فِي الْحَيَاةِ ، وَأَمَّا بَعْدَ الْمَوْتِ ، فَأَرْوَاحُ الْأَنْبِيَاءِ فِي الْجَنَّةِ ، وَأَرْوَاحُ الشَّهَدَاءِ فِي حَوَاصِلِ طَيُورِ خُضْرٍ فِي الْجَنَّةِ ^(٤) ، وَأَرْوَاحُ الْمُطِيعِينَ غَيْرِ الشَّهَدَاءِ بِأَفْنِيَةِ

أ/٤٧

(١) عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي ، الملقَّب بسُلْطَانِ الْعُلَمَاءِ ، فَقِيهٌ شَافِعِيٌّ بَلَغَ رَتْبَةَ الْاجْتِهَادِ ، وَوُلِدَ فِي دِمَشْقَ سَنَةِ (٥٧٧ هـ) ، وَزَارَ بَغْدَادَ ، وَتَوَفِّيَ بِالْقَاهِرَةِ سَنَةِ (٦٦٠ هـ) . مِنْ كُتُبِهِ: تَرْغِيبُ أَهْلِ الْإِسْلَامِ فِي سَكَنِ الشَّامِ ، الْفَوَائِدُ . انظُرْ طَبَقَاتِ الشَّافِعِيَّةِ لِلْسَّبْكِ (٢٠٩/٨) وَمَا بَعْدَهَا .

(٢) فِي (م) كَجَنِينَيْنِ فِي بَطْنِ أُمِّكَ . وَمَا أُثْبِتْنَاهُ مِنْ (د) .

(٣) قَوْلُهُ: (عَلَى طَرِيقِ مَنْ خَاضَ . . .) إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الْأَصْلَ أَنَّ لَا نَخُوضَ بِالْحَدِيثِ عَنِ الرُّوحِ؛ إِذْ قَالَ النَّازِمُ فِي الْبَيْتِ السَّابِقِ:

وَلَا تَخْصُصْ فِي الرُّوحِ إِذْ مَا وَرَدَا نَصًّا عَنِ الشَّارِعِ

(٤) قَوْلُهُ: (وَأَرْوَاحُ الشَّهَدَاءِ فِي حَوَاصِلِ طَيُورِ خُضْرٍ فِي الْجَنَّةِ) جُزْءٌ مِنْ حَدِيثِ طَوِيلٍ أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ بِالْفَظِّ مُتَقَابِرَةٌ . قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ فِي شَرْحِهِ لِصَحِيحِ مُسْلِمٍ: قَوْلُهُ ﷺ: «فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ» وَفِي غَيْرِ مُسْلِمٍ «بَطِيرٍ خُضْرٍ» وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ «بِحَوَاصِلِ طَيْرٍ» وَفِي الْمَوْطَأِ «إِنَّمَا نَسَمَةُ الْمُؤْمِنِ طَيْرٌ» وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ عَنْ قَتَادَةَ =

٩٤- لِمَالِكٍ هِيَ صُورَةٌ كَالجَسَدِ فَحَسْبُكَ النَّصُّ بِهَذَا السَّنَدِ

القبور في البرزخ^(١) ، وَحَدُّهُ مِنْ أَفْنِيَةِ الْقُبُورِ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ ، وَأَرْوَاحُ الْكُفَّارِ بِيئْرَ بَرَّهَوْتِ^(٢) بِحَضْرَمَوْتِ^(٣) .

قوله : (فحسبك النصُّ بهذا السند)

أي : يكفيك في هذه المسألة ماورد عن أصحاب مالك ، فمراده بالسند : المسند إليهم ، وليس المراد بالسند معناه الأصلي ، وهو طريق الحديث .

* * *

«في صورة طير أبيض» . قال القاضي : قال بعض المتكلمين على هذا : الأشبه صحة قول من قال : (طير أو صورة طير) وهو أكثر ما جاءت به الرواية ، ولا سيما مع قوله : «تأوي إلى قناديل تحت العرش» .

قال القاضي : واستبعد بعضهم هذا ، ولم ينكره آخرون ، وليس فيه ما ينكر ، ولا فرق بين الأمرين ، بل رواية طير ، أو في جوف طير أصحُّ معنى وليس للأقيسة والعقول في هذا حكم ، وكلُّهُ من المجوِّزات . فإذا أراد الله أن يجعل هذه الروح إذا خرجت من المؤمن أو الشهيد في قناديل أو أجواف طير أو حيث يشاء كان ذلك ووقع ، ولم يبعد ، ولا سيما مع القول بأن الأرواح أجسام . انظر شرح النووي على صحيح مسلم (٣٢/١٣) . وانظر الحديث وتخرجه في (٤٠٨) من هذا الكتاب .

(١) البرزخ هو الحاجز بين الدنيا والآخرة ، وزمانه من الموت إلى القيامة ، ومكانه من القبر إلى عليين . انظر حاشية الأمير على إتحاف المريد (١٤٠) .

(٢) بَرَّهَوْتِ : بضمِّ الهاء ، وسكون الواو : وإد باليمن يوضع فيه أرواح الكفَّار ، وقيل : برهوت بئر بحضرموت ، وقيل : هو اسم للبلد الذي فيه هذه البئر . انظر معجم البلدان (٤٠٥/١) .

(٣) حَضْرَمَوْتِ بالفتح ، ثم السكون ، وفتح الراء والميم ، اسمان مرَّجَبَان ، ناحية واسعة في شرقي عَدَنَ بقرب البحر ، وحولها رمال كثيرة تعرف بالأحقاف ، وبها قبر هود ، عليه الصلاة والسلام ، وبقربها بئر بَرَّهَوْتِ . انظر معجم البلدان (٢٧٠/٢) .

العقل والخلاف في تحريفه

قوله: (والعقل^(١) كالروح)

هو لغة: المنع؛ لأنه يمنع صاحبه من العدول عن سواء السبيل.
واصطلاحاً: اختلف فيه كالروح؛ فلذا شبهه بها، فقول المصنّف:
(كالروح) أي: من حيث الخوض فيها والوقف عن ذلك.

قوله: (لكن قرّروا فيه خلافاً)

استدراك على ما يُتوهم من تمام التشبيه، وأنّ الخلاف الذي في
الروح هو عين الخلاف الذي في العقل. قال شيخ الإسلام^(٢): هو
غريزة يُتَهَيَّأُ بها لدرك العلوم النظرية، وكأنّه نور يُقَدَفُ في القلب^(٣).

(١) العقل على خمسة أنواع:

الأول غريزيٌّ: وهو غريزة يُتَهَيَّأُ بها لدرك العلوم النظرية.

الثاني كسبيٌّ: وهو ما يكتسبه الإنسان من معايشة العقلاء.

الثالث عطائيٌّ: وهو ما يعطيه الله للمؤمنين، ليهتدوا به إلى الإيمان.

الرابع عقل الزُّهاد: وهو الذي يكون به الزهد.

الخامس شرفيٌّ: وهو عقل نبينا ﷺ؛ لأنه أشرف العقول.

انظر تحفة المرید (١٠٣).

(٢) زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري المصري الشافعي، أبو يحيى

شيخ الإسلام، قاضٍ مفسّرٍ من حفّاظ الحديث، ولد في مصر سنة (٨٢٣هـ)،

وتعلّم في القاهرة، نشأ فقيراً معدماً. من مصنفاته: فتح الرحمن، شرح ألفية

العراقي، توفي سنة (٩٢٦هـ). الأعلام (٤٦/٣)، لوائح الأنوار (١٢٢/٢).

(٣) انظر الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري ص (٦٧).

٩٦- سُؤَالِنَا نَّمَّ عَذَابُ الْقَبْرِ نَعِيمُهُ وَاجِبٌ كَبَعَثِ الْحَشْرِ

أي: فمحلُّه القلب ، ونوره في الدِّماغ كما ذهب إليه الإمامان مالك والشافعي - رضي الله عنهما - وجمهور المتكلِّمين . وقال بعضهم: هو بعض العلوم الضرورية^(١) . وقال بعضهم: هو العلم بوجوب الواجبات واستحالة المستحيلات وجواز الجائزات . وقال بعضهم: لا يعلم حقيقته إلا الله . وقال بعضهم: الروح والنفس والعقل متَّحدة بالذات مختلفة بالاعتبار، فمن حيث قوام البدن بها تسمَّى روحاً ، ومن حيث ميلها للشهوات والحظوظ تسمَّى نفساً ، ومن حيث إدراكها العلوم والمعارف والنظر في عواقب الأمور تسمَّى عقلاً؛ ولذلك اشتملت الملائكة على الروح والعقل فقط ، والبهائم على الروح والنفس ، والآدمي على الثلاثة ، فمن غلب عقله على نفسه التحق بالملائكة ، ومن غلبت نفسه على عقله التحق بالبهائم .

وجوب اعتقاده سؤال القبر ونعيمه وعذابه

قوله: (سؤالنا)^(٢)

أي: ممَّا يجب اعتقاده سؤال مُنكر ونكير لنا ، فهو مختصٌّ بهذه

-
- (١) كإدراك عقولنا بالضرورة أنَّ الجزء مثلاً أقلُّ من الكلِّ .
(٢) سؤال القبر وعذابه مختلف فيه؛ لذلك لم يكن من العقيدة التي يكفَّر جاحدها؛ إذ لا يكفَّر إلا مَنْ أنكر ما علَّم من الدِّين بالضرورة ، وعَلِمه العامَّة والخاصَّة على حدِّ سواء كالصلاة والصوم وتحريم الخمر مثلاً . انظر ص (١٣٢) من هذا الكتاب .

٩٦- سُؤَالُنَا تُمَّ عَذَابُ الْقَبْرِ نَعِيمُهُ وَاجِبٌ كَبَعْتُ الْحَشْرِ

الأُمَّة ، أي : أُمَّة الدعوة^(١) المؤمنين والمنافقين والكافرين ، ومحله بعد تمام الدفن وانصراف الناس ، فيعيد الله الروح إلى الميتِ والحواس ، فيترققان بالمؤمن ، وينهران الكافر والمنافق ، ويُسأل كلُّ إنسان بلغته^(٢) . ويُجمع مَنْ تفرقت أجزاءه ، أو أكلته السباع .

٤٧/ب وأحوال المسؤولين مختلفة ، فمنهم من يسأله / الملكان جميعاً ، ومنهم من يسأله أحدهما ، وإذا مات جماعة في وقت واحد بأقاليم مختلفة سُئلوا جميعاً في ذلك الوقت ، ولا مانع من ذلك .

وقال السيوطي^(٣) : يحتمل تعدد الملائكة المعدة لذلك

(١) نقل ابن حجر العسقلاني عن [الكلاباذي في معاني الأخبار]: أن أُمَّة سيّدنا محمد ﷺ على ثلاثة أقسام أحدها أخصُّ من الآخر: أُمَّة الاتباع ، ثم أُمَّة الإجابة ، ثم أُمَّة الدعوة ؛ فالأولى أهل العمل الصالح ، والثانية مطلق المسلمين ، والثالثة من عداهم ممن بُعث إليهم . انظر فتح الباري (١١/٤١٩) .

وسؤال منكر ونكير إيانا معاشر أمة الدعوة المؤمنين والمنافقين والكافرين . خلافاً لابن عبد البر حيث قال في تمهيده: الكافر لا يُسأل ، وإنما يُسأل المؤمن والمنافق ؛ لانتسابه للإسلام في الظاهر اهـ . والجمهور على خلافه . انظر إتحاف المريد وحاشية الأمير عليها ص(١٤١) .

(٢) يقول الباجوري: ويسألان كلُّ أحد بلسانه على الصحيح خلافاً لمن قال بالسرياني ، ولذلك قال بعضهم:

وَمِنْ عَجِيبِ مَا تَرَى الْعَيْنَانِ
أَنَّ سُؤَالَ الْقَبْرِ بِالسَّرْيَانِي
أَفْتَى بِهَذَا شَيْخُنَا الْبُلْقِينِي
وَلَمْ أَرَهُ لِغَيْرِهِ بَعِينِي

تحفة المريد (١٠٤) .

(٣) عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمّد السيوطي جلال الدين ، إمام حافظ مؤرخ أديب ، له نحو ستمئة مصنف ، نشأ في القاهرة يتيماً ، ولمّا بلغ أربعين سنة اعتزل الناس ، فألّف أكثر كتبه ، منها: الإتقان في علوم القرآن ، الأشباه =

٩٦- سَوَّلْنَا ثُمَّ عَذَابُ الْقَبْرِ نَعِيمُهُ وَاجِبٌ كَبَعَثِ الْحَشْرَ

كالحفظة ونحوهم .

والسؤال مخصوص بمن كان مكلفاً ولو جنّاً لا ملكاً ، ويستثنى من المكلفين الأنبياء والصدّيقون والمرابطون والشهداء ، وملازمُ قراءة تبارك الملك كلَّ ليلة أو سورة السجدة ، ومريض البطن ، ومَن مات ليلة الجمعة أو يومها ، والمطعون ، ومَن قرأ الإخلاص في مرضه الذي مات فيه ، ونحو ذلك ممّا ورد في السنّة استثناءؤه .

قوله : (ثم عذاب القبر)

أي : ممّا يجب الإيمان به التصديق بعذاب القبر ، والمراد بالقبر البرزخ ، وإنّما أضيف إلى القبر؛ لأنّه الغالب ، وإلا فكلُّ ميت أراد الله تعذيبه عُدْبٌ ، قُبِرَ أو لم يُقبر ، ولو أكلته الدوابُّ ، أو حُرِّقَ ، ودُزِّيَ في الهواء .

ومحلُّه : الروح والبدن على المعتمد^(١) ، ويكون للكفّار والمنافقين والعصاة من هذه الأُمَّة أو غيرها ، ويدوم على الكفّار والمنافقين وبعض العصاة ، وينقطع عمّن خفّت ذنوبهم ، ومَن لم يُسأل فيه لا يُعذّب فيه . ومن جملة عذابه ضغطته ، وهي التقاء حافتيه ، ومن جملته أيضاً ما في الحديث : «يُسَلِّطُ اللهُ عَلَى الْكَافِرِ فِي قَبْرِهِ تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ تَيْبَاناً تَنْهَشُهُ

= والنظائر ، الحاوي للفتاوي توفي سنة (٩١١ هـ) . انظر شذرات الذهب (٥١/٨) ، الضوء اللامع (٦٥/٤) .

(١) أي : ومحلُّ العذاب الروح والجسد ، ولو انفصلت الروح عن الجسد؛ لأنّه يبقى بينهما علاقة كعودة الروح إلى الجسد عند السؤال عوداً متوسّطاً بين الموت والحياة كتوسّط النوم بينهما ، كما تُرَدُّ إلى الميت من الحواسِّ والعقل والعلم ما يتوقّف عليه فهمُّ الخطاب . انظر حاشية الأمير على إتحاف المرید ص (١٤٢) وتحفة المرید ص (١٠٤) .

٩٦- سُؤَالُنَا ثُمَّ عَذَابُ الْقَبْرِ نَعِيمُهُ وَاجِبُ كِبْعَتِ الْحَشْرِ

وَتَلَدَّعُهُ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ ، وَلَوْ أَنَّ تَتَيْنَا مِنْهَا نَفَخَ عَلَى الْأَرْضِ مَا أَنْبَتَ خَضْرَاءً^(١) ، وَمِنْهَا تَشَكَّلُ عَمَلُهُ بِصُورَةٍ قَرْدٍ أَوْ خَتَزِيرٍ يَضَاجَعُهُ فِي قَبْرِهِ ، وَفَتْحَ طَاقَةَ فِيهِ مِنْ جَهَنَّمَ . وَيَسْمَعُ صِيَاحَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَا عَدَا الثَّقَلَيْنِ .

قوله : (نعيمه)

أي : وصول النعيم للمؤمنين في القبور ، ولا يختصُّ بهذه الأمة ولا بالمكلفين ، ومن جملة نعيمه : توسيعه ، وفتح طاقة فيه من الجنة ، وجعله روضة من رياضها ، وتصوير عمله بصورة حسنة تؤانسه .

وقوله : (واجب) خبر قوله : (سؤالنا) ، وما عطف عليه .

وجوب اعتقاد النشْر والحشر

قوله : (كبعث الحشر)

تشبيهه في الوجوب ، أي : مما يجب اعتقاده أن الله يبعث العباد ، ويحييهم بجميع أجزائهم ، ويسوقهم إلى المحشر لفصل القضاء ، ومن نُفِخَتْ فِيهِ الرُّوحُ بُعِثَ وَلَوْ نَزَلَ مَيْتًا .

والبعث والنشْر بمعنى واحد : عبارة عن الإخراج من القبور بعد جمع الأجزاء ، وإعادة الأرواح إليها . وأوّل من تنشقُّ الأرضُ عنه

(١) أخرجه أحمد (٣/٣٨) . وابن أبي شيبة (١٦٠٣٤) . والدارمي (٢٨١٥) عن أبي سعيد مرفوعاً . وصحّحه ابن حبان (٣١٢١) . وحسنه الترمذي (٢٤٦٠) .

٩٦ - سُؤْلُنَا ثُمَّ عَذَابُ الْقَبْرِ نَعِيمُهُ وَاجِبٌ كَبَعْتُ الْحَشْرِ

المصطفى ﷺ^(١)، ثم أصحابه، ثم أهل البقيع، ثم أهل مكة، ثم أهل الشام، ثم من بقي.

وأنواع / الحشر أربعة:

اثنان في الدنيا:

أحدهما: إجلاؤه عليه الصلاة والسلام اليهود من المدينة إلى الشام^(٢).

ثانيهما: سوق النار التي تخرج من قعر عدن الناس قرب قيام الساعة إلى المحشر.

واثنان في الآخرة:

أحدهما: جمعهم إلى الموقف بعد إحيائهم.

والثاني: صرْفهم من الموقف إلى الجنة أو النار.

(١) أخرج الترمذي عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا سيّد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وببيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذ، آدم فمن سواه، إلا تحت لوائي، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر». سنن الترمذي (٢٩٧/٨) برقم (٣١٤٧).

(٢) قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ...﴾ سورة الحشر (٢). وهم بنو النضير وقينقاع. أجلاهم فخرجوا إلى أذرعات. وحديث الإجماع إلى الشام أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٩٧٣٢) عن عروة مرسلًا، وهو المحفوظ. وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة (١٧٦/٣) عن ابن شهاب مرسلًا.

وقد صحَّ أنه ﷺ أجلى اليهود من المدينة. أخرجه البخاري (٤٠٢٨).

٩٧- وَقُلْ يُعَادُ الْجِسْمُ بِالْتَّحْقِيقِ عَنْ عَدَمٍ وَقِيلَ عَنْ تَفْرِيقِ
٩٨- مَحْضِينَ لَكِنْ ذَا الْخِلَافِ خُصًّا بِالْأَنْبِيَاءِ وَمَنْ عَلَيْهِمْ نَصًّا

وجوب اعتقاد إعادة الأجسام بأعيانها عند النشور

قوله: (وقل يعاد الجسم بالتحقيق)

أي: مما يجب اعتقاده أن الجسم يعاد بعينه.

قوله: (عن عدم)

أي: محض، فيصير الجسم معدوماً بالكلية كما كان قبل وجوده.
قال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾^(١).

قوله: (وقيل عن تفریق محضين)

أي: فلا يبقى جوهر مع جوهر أصلاً، والأول هو الحق.

قوله: (لكن ذا الخلاف خُصًّا) أي: أبطل عمومته.

قوله: (بالأنبياء) أي: فإنَّ الأرض لا تأكل أجسامهم.

وقوله: (ومن عليهم نصًّا)

أي: كالشهداء والمؤذنين احتساباً، وحامل القرآن العامل به، ومن لم يعمل خطيئة، والعلماء العاملين، والروح وعَجَب الذنب، والجنة والنار، والعرش والكرسي، واللوح والقلم.

(١) سورة الأعراف (٢٩).

إعادة الأعراض والإزمان والخلاف في ذلك

قوله: (وفي إعادة العرض قولان)

أي: إن في جواز إعادة الأعراض القائمة بالأجسام قولين:
أحدهما: أنها تعاد بأشخاصها^(١) التي كانت في الدنيا قائمة بالجسم
حال الحياة، فحين خروجه من القبر تمثّر عليه أعراضه التي مرت عليه
في الدنيا من أول عمره إلى آخره، ثم يساق للمحشر كاملاً، فمرور
هذه الأوقات والأزمان عليه في لمح البصر، وربك على كل شيء قدير.
ثانيهما: أنها لا تعاد بل هو ممتنع^(٢).

قوله: (ورجّحت إعادة الأعيان) أي: أشخاص الأعراض.

(١) أي: أشخاص الأعراض بذاتها التي كانت في الدنيا كالحركة مثلاً وغيرها من
أفعال المخلوقات، فإنها تعود بذاتها لا بمثلها. وقد قال تعالى: ﴿وَجَدُوا مَا
عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظُنُّ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ سورة الكهف (٤٩) وقال أيضاً: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ
نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا
وَيُحْذِرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ سورة آل عمران (٣٠).

وهو مذهب الأكثرين، وإليه مال الإمام الأشعري. وعلّلوا ذلك بأن نسبة
الأعراض إلى قدرته تعالى كنسبة الأعيان إليها، وقد قام الدليل على إعادة
الأعيان فكذا إعادة الأعراض. انظر إتحاف المرید ص(١٤٥) وفتح المجید
بكفاية المرید (ق١٤٨/ب).

(٢) وعلى هذا توجد الأجسام بأعراضٍ أخرى؛ لأنها لا تنفك عقلاً عن أعراض. انظر
حاشية الأمير على إتحاف المرید ص(١٤٥).

١٠٠- وفي الزَّمَنُ قَوْلَانِ وَالْحِسَابُ حَقٌّ وَمَا فِي حَقِّ ارْتِيَابٍ

قوله: (وفي الزمن قولان)

قيل: يعاد؛ لأنه من جملة الأعراض، وهو المعتمد، فيعاد جميع أزمنة الأجسام التي مرّت عليها في الدنيا تبعاً للذوات المعادة^(١).
وقيل: يمتنع إعادتها؛ لأنه يمتنع اجتماع الماضي مع الحال والاستقبال.
وأجاب صاحب القول الأول بأن الإعادة على التدرّج حسب ما كانت عليه في الدنيا.

الحسابُ حقٌّ

قوله: (والحساب)

هو لغة: العدد.

واصطلاحاً: توقيف الله عباده قبل الانصراف من المحشر على أعمالهم.

وأحوال العباد مختلفة فيه، فمنهم من تحاسبه الملائكة، ومنهم من يحاسبه الله بنفسه، فقد ورد: أن الله يضع كنفه^(٢) على عبده، فيقول الله

(١) تعاد الذوات والأجسام بأزمنتها وأوقاتها كما تعاد بأكوناتها الأربعة: - الحركة والسكون، والاجتماع والافتراق - وهيئاتها؛ لورود ظاهر القرآن به في قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضَيْتَ جُلُودَهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ لأنّ المراد الغيرية بحسب الزمان، وإلا فالجلود هي الأولى بأعيانها؛ إذ هي التي عصت، فيعاد تأليفها إذا تفرقت، وأعيانها إذا عُدمت. وقد رُدَّت الشمس بعد غروبها بدعائه ﷺ.
انظر إتحاف المرید ص(١٤٥)، وفتح المجید بكفاية المرید (ق١٤٩/أ).

(٢) كَنَفُهُ: حاطه وصانه، وبابه نصر. مختار الصحاح (كنف). وفي النهاية لابن الأثير «... يَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ» أي يستره. وقيل: يرحمه ويلطف به. (٢٠٥/٤).

١٠٠- وفي الزَّمَنِ قَوْلَانِ وَالْحِسَابُ حَقٌّ وَمَا فِي حَقِّ ارْتِيَابٍ

له: يا عبدي أنت فعلتَ كذا في يوم كذا ، فيقول: نعم يا رب . فيقول: سترتها عنك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم»^(١) .

فمحاسبة الله للعبد الغالب فيها العفو ، / ومحاسبة الملائكة الغالب عليها المناقشة ، وفي الحديث: «مَنْ نَوَقَشَ الْحِسَابَ هَلَكَ»^(٢) .

والحساب بعد شفاعته^(٣) النبي ﷺ في فصل القضاء ، فبعد حصول الشفاعة يحصل الحساب ، ويحاسبون ، وتوزن أعمالهم في قدر نصف يوم من أيام الدنيا ، ولا يشغله حساب أحد عن أحد ، حتى إن كل أحد يرى أنه المحاسب وحده .

وهو مختلِف ، فمنه اليسير والعسير ، ويكون للمؤمن والكافر إنساً وجناً ، إلا مَنْ ورد الحديث باستثنائهم كالسبعين ألفاً^(٤) وَمَنْ أُلْحِقَ بِهِمْ^(٥) .

-
- (١) أخرجه البخاري (٤٦٨٥) . ومسلم (٢٧٦٨) عن ابن عمر مرفوعاً بألفاظ متقاربة .
- (٢) أخرجه بنحوه البخاري (٤٩٣٩) . ومسلم (٢٨٧٦) عن عائشة مرفوعاً .
- (٣) المراد بالشفاعة هنا الشفاعة العظمى ، وهي التي تكون قبل الحساب ولجميع الخلق ، وهي التي يتخلص بها الخلق من هول الموقف إلى الحساب ، وهي التي يذهب الخلق وقتها إلى الأنبياء فلا يجدون ملاذاً إلا عند رسول الله ﷺ . انظر ص (٤٠١) من هذا الكتاب .
- (٤) أخرجه مسلم (٢١٨) عن عمران قال: قال النبي ﷺ: «يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ . قَالُوا: وَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: هُمُ الَّذِينَ لَا يَكْتُمُونَ وَلَا يَسْتَرْفُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ . . .» . وأخرجه البخاري (٥٧٠٥) ضمن سياق حديث طويل .
- (٥) أخرجه الترمذي (٢٤٣٧) . وابن ماجه (٤٢٨٦) عن أبي أمامة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «وَعَدَنِي رَبِّي أَنْ يُدْخِلَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعِينَ أَلْفًا لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ وَلَا عَذَابَ ، مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعُونَ أَلْفًا وَثَلَاثَ حَيَاتٍ مِنْ حَيَاتِهِ» . وحسنه الترمذي .

١٠٠- وفي الزَّمَنُ قَوْلَانِ وَالْحِسَابُ حَقٌّ وَمَا فِي حَقِّ اِرْتِيَابٍ
١٠١- فَالسيِّئَاتُ عِنْدَهُ بِالمِثْلِ وَالْحَسَنَاتُ ضَوْعِفَتْ بِالفَضْلِ
.....

قوله: (حق)

أي: ثابت بالكتاب والسنة والإجماع ، فمن أنكره كفر ، ففي القرآن: ﴿سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾^(١) وفي السنة: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا»^(٢) ، وأجمع المسلمون عليه .

قوله: (وما في حق ارتياب) أي: شكٌ .

الحسنات مضاعفة والسيئات بمثلها

قوله: (فالسيئات)

هي ما يُدْمَمُ فاعلها شرعاً ، والمراد التي عملها العبد حقيقة أو حكماً بأن طرحت عليه لظلمه للغير .

قوله: (عنده بالمثل)

أي: سواءً بسواءٍ . قال تعالى: ﴿وَحَزْرًا وَسَيِّئَةً سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾^(٣) وهذا إن

= وأخرجه أحمد (٥/٢٥٠) و(٢٦٨) . والطبراني (٧٦٦٥) و(٧٦٧٢) . وهو حديث صحيح .

(١) سورة البقرة (٢٠٢) .

(٢) لا أصل له في المرفوع . وإنما هو من كلام سيدنا عمر بن الخطاب . وقد تقدم ص (٣٥٥) .

(٣) سورة الشورى (٤٠) .

١٠١- فَالْحَسَنَاتُ عِنْدَهُ بِالْمِثْلِ وَالْحَسَنَاتُ ضَوْعِفَتْ بِالْفَضْلِ

عومل بالعدل ، فإن عومل بالفضل عفا الله عنه ، فلا يؤاخذ به ، ما لم تكن كُفْرًا ، وإلا خُلِدَ في النار . إن قلت : إِنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا ﴾ ^(١) يقتضي مساواة القتل الكفر في الخلود في النار . أُجِيبَ : بَأَنَّ الْمُرَادَ بِالْخُلُودِ فِي الْآيَةِ طَوْلُ الْمُكْتَبِ . وَسُمِّيَتْ سَيِّئَةً ؛ لِأَنَّ فَاعِلَهَا يُسَاءُ بِهَا عِنْدَ الْمَقَابِلَةِ .

قوله : (والحسنات)

جمع حسنة ، وهي ما يحمد فاعلها ، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِحَسَنِ وَجْهِ صَاحِبِهَا عِنْدَ رُؤْيَيْهَا .

والمراد الحسنات المقبولة التي عملها حقيقة أو حكماً ^(٢) ، لا المأخوذة في نظير ظلم الغير له ، فإنها لا تضاعف .

قوله : (ضوعفت بالفضل)

أي : ضاعفها الله لهذه الأمة إلى عشر أمثالها أو أكثر ، من غير انتهاء إلى حدٍّ تقف عنده ، بفضلته تعالى وكرمه ، لا وجوباً عليه ^(٣) . قال تعالى : ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا ﴾ ^(٤) .

(١) سورة النساء (٩٣) .

(٢) المراد بالحسنات الحكيمية هنا ما عمله عنه غيره كما إذا تصدَّق غيره عنه مثلاً بصدقة . انظر تحفة المرید (١٠٨) . ومن الحسنة الحكيمية ما إذا تسبب بفعل خير؛ إذ الساعي للخير كفاعله . انظر حاشية الأمير على إتحاف المرید (١٤٦) .

(٣) ودليل على ذلك قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ سورة البقرة (٢٦١) .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّادِقُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ سورة الزمر (١٠) .

(٤) سورة الأنعام (١٦٠) .

مكفّرات الذنوب

قوله: (وباجتناب للكبائر)

أي: الذنوب العظيمة، والمراد باجتنابها عدم فعلها، أو التوبة منها بعد فعلها.

قوله: (تغفر صغائر)

سواء كانت مقدّمةً للكبائر كالقبلة واللمس، أو لا كشم بما لا يوجب حدّاً. وصغيرةٌ حسّة كتطيف حبة.

واختلّف هل المغفرة قطعية أو ظنية. والحقّ الثاني؛ لقوله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾^(١)، ثمّ المغفرة

مقيّدة بمن أدّى الفرائض؛ لحديث: «مَا مِنْ عَبْدٍ يُؤَدِّي الصَّلَاةَ

الْحَمْسَ، وَيَصُومَ رَمَضَانَ، وَيَجْتَنِبُ الْكَبَائِرَ السَّبْعَ، إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ ثَمَانِيَةٌ

أَبْوَابِ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّىٰ إِنَّهَا لَتُصَفَّقُ^(٢)» الحديث^(٣)، وفي رواية:

«الصَّلَاةُ الْحَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ،

مُكْفَّرَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبْتَ الْكَبَائِرَ»^(٤) هذا هو الصحيح. وأمّا الكبائر

(١) سورة النساء (٤٨).

(٢) أي: يضرب بعضها بعضاً من خلوّها. تحفة المريد (١٠٩).

(٣) أخرجه ابن حبان (١٧٤٨). والحاكم (٢٠٠/١). والبيهقي في سننه

(١٠/١٨٧) عن أبي سعيد وأبي هريرة مرفوعاً.

(٤) أخرجه مسلم (٢٣٣) عن أبي هريرة مرفوعاً. وأحمد في المسند (٢/٣٥٩ -

٤٠٠ - ٤١٤).

١٠٢- وباجتنابِ للكِبَائِرِ تُغْفَرُ صَغَائِرُ وَجَا الوُضُو يُكْفَرُ

فلا يُكْفَرُهَا إِلَّا التَّوْبَةُ أَوْ عَفْوُ اللَّهِ ، [أَوْ الْحَجُّ الْمَبْرُورُ ، وَهُوَ أَنْ يَمُوتَ الْإِنْسَانُ بِغُورِ حَجَّهِ ، أَوْ يُوَفِّقَهُ اللَّهُ إِلَى فِعْلِ الْخَيْرِ إِلَى أَنْ يَمُوتَ] ^(١) .

قوله : (وجا الوضو يكفر)

أشار بذلك إلى أَنَّهُ لَا يَنْحَصِرُ تَكْفِيرُ الصَّغَائِرِ فِي اجْتِنَابِ الْكِبَائِرِ ؛ لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾ ^(٢) ، وفي الحديث : « لَا يَتَوَضَّأُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ ، فَيُحْسِنُ الْوُضُوءَ ، فَيُصَلِّيَ صَلَاةً إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الصَّلَاةِ الَّتِي تَلِيهَا » ^(٣) ، ومثل الوضوء الصلوات الخمس ، ورمضان ، والحج المبرور .

والتكفير إنما هو للذنوب المتعلقة بحقوق الله . وأمَّا المتعلقة بالعباد فلا بد من مسامحتهم له ، أو إرضاء الله لخصومه .

* * *

(١) ساقطة من (م) وأثبتناها من (د) .

(٢) سورة هود (١١٤) .

(٣) أخرجه البخاري (١٦٠) . ومسلم (٢٢٧) عن عثمان مرفوعاً .

اليوم الآخر وهول الموقف

قوله: (واليوم الآخر)

أي: ممَّا يجب اعتقاده - وإنكاره كفر - اليوم الآخر، ويسمَّى يوم الدِّين ويوم الجزاء ويوم القيامة، وله نحو ثلاثمئة اسم، وسمِّي بذلك؛ لأنَّه آخر الأيام، فلا ليل بعده، بل إمَّا نور محض على مَنْ آمن، أو ظلام محض على مَنْ طغى وكفر.

وأوَّله من قيام الناس من القبور، ولا نهاية لآخره، وقيل: آخره استقرار أهل الدارين فيهما.

قوله: (ثمَّ هول الموقف)

هذا من جملة ما يحصل في اليوم الآخر، أي: ممَّا يجب اعتقاده هول الموقف، أي: المصائب والشدائد التي تكون فيه، كطول الوقوف، ودنوِّ الشمس من الرؤوس حتَّى يكون بينها وبين رؤوس الخلائق قدر الميل أي: المِزْوَد^(١)، فيُلجِمُ العرْقُ الناسَ حتَّى يبلغ آذانهم، أو أزيد، ويذهب في الأرض سبعين ذراعاً، ولا ينال الأنبياء، ولا الأولياء ولا سائر الصلحاء ممَّا ذَكَرَ شيءٌ؛ لقوله تعالى: ﴿تَنْزَلُ عَلَيْهِمُ الْمَلٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾^(٢)، ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾^(٣).

(١) المِزْوَد: الميل الذي يكتحل به. تاج العروس (راد).

(٢) سورة فصلت (٣٠).

(٣) سورة الأنبياء (١٠٣).

١٠٣- واليومُ الاخِرُ ثُمَّ هَوُّ الْمَوْقِفِ حَقٌّ فَخَفَّفَ يَا رَحِيمٌ وَاسْعَفِ

وخوف الأنبياء والملائكة خوف إعظام وإجلال؛ لظهور تجلّي الجلال في ذلك اليوم، وإن كانوا آمنين من ذلك.

قوله: (حق)

أي: ثابت. خبر اليوم وما بعده، فيجب الإيمان [به] ^(١)؛ لوروده كتاباً وسُنَّة وإجماعاً. قال تعالى: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَتَطِيرًا﴾ ^(٢) ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ ^(٣).

قوله: (فخفف يا رحيم واسعف)

أي: نسألك يا رحيم أن / تخفف أهواله وشدائده، وتعيننا عليه. ٤٩/ب وأشار بذلك إلى أنه مختلف باختلاف الناس، فيشدد على الكفار، ويطول حتى يكون خمسين ألف سنة، ويخفف على الصالحين حتى يكون كركعتي الفجر الخفيفتين كما ورد.

* * *

(١) ساقطة من (م). وأثبتناها من (د).

(٢) سورة الإنسان (١٠).

(٣) سورة المزمل (١٧).

وجوب اعتقاد أخذ العباد

صحائف أعمالهم

قوله: (وواجب أخذ العباد الصحفا)

أي: ممّا يجب اعتقاده - ومن أنكره أو شكّ فيه فقد كفر؛ لوروده كتاباً وسنة وإجماعاً - تناول العباد الصحفا، أي: الكتب التي كتبت الملائكة فيها ما فعلوه في الدنيا، وكلّ العباد يأخذون صحائفهم إلا الأنبياء والسبعين ألفاً الذين يدخلون الجنةً بغير حساب، ومُقدّمهم ورئيسهم أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - وفي الحديث: «فاستردت ربّي، فقال لي: هكذا وهكذا»^(١) كناية عن كونه أعطاه من غير عدد. فهؤلاء لا يأخذون صحفاً، بل هم عتقاء الرحمن.

ولم يذكر المصنّف دافع الصحف؛ لما ورد أنّ الريح تطيّرها من خزانة تحت العرش^(٢)، فلا تُخطيء صحيفةً عنق صاحبها، وأنّ كلّ أحد

(١) أخرج أحمد (١٩٧/١) عن عبد الرحمن بن أبي بكر أنّ رسول الله ﷺ قال: «إنّ ربّي أعطاني سبعين ألفاً من أمّتي يدخلون الجنةً بغير حساب، فقال عمر: يا رسول الله فهلاً استردته، قال: قد استردته فأعطاني مع كلّ رجل سبعين ألفاً، قال عمر: فهلاً استردته، قال: قد استردته فأعطاني هكذا». قال الإمام أحمد: وفرّج - أي: شيخه عبد الله بن بكر - بين يديه اهـ. وإسناده ضعيف، وله شاهد عند أحمد (٦/١). وأبي يعلى (١١٢). وإسناده ضعيف. وللحديث شواهد وطرق يقوى بها. انظر فتح الباري (٤١٠/١١). وأصل الحديث في البخاري (٦٥٤٣). ومسلم (٢١٩).

(٢) أخرج العقيلي (٤/٤٦٦) من طريق يغم بن سالم بن قنبر عن أنس بن مالك =

١٠٤- وَوَجِبُ أَخْذُ الْعِبَادِ الصُّحُفَا كَمَا مِنَ الْقُرْآنِ نَصًّا عُرْفَا

يدعى فيعطى كتابه^(١)، ويُجمع بأنَّ الملائكة تأخذها من الأعناق، وتضعها إمَّا في اليمين للمؤمنين، ولو عصاة، وإمَّا في الشمال من وراء الظهر للكفار، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَٰؤُمِ أَقْرَبُوا كِتَابِيَةَ﴾ (١١) ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلْكِي حِسَابِيَةَ﴾ (٢)، ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ بَلِّغْتَنِي لَرَأُوتَ كِتَابِيَةَ﴾ (١٢) ﴿وَلَرَّ أَدْرِمَا حِسَابِيَةَ﴾ (٣)

قوله: (كما من القرآن نصًّا عرفا)

أي: كما عرف منصوصاً من القرآن قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ (٧) ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ (٤) إلى أن قال: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾ (١٠) ﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا﴾ (١١) ﴿وَيَصَلَّىٰ سَعِيرًا﴾ (٥). وأوّل ما يقرأ المؤمن من صحيفته حسناته، فيبيضُّ وجهه، والكافر ضدُّ ذلك، ويقرأ كلُّ أحدٍ كتابه، ولو كان أمّياً، فمنهم من يكتفي بقراءة نفسه، ومنهم من يدعو الناس

= مرفوعاً: «الْكُتُبُ كُلُّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَحْتَ الْعَرْشِ، فَإِذَا كَانَ الْمَوْقِفُ بَعَثَ اللَّهُ رِيحًا، فَتَطِيرُ بِالْإِيمَانِ وَالشَّمَالِ، أَوَّلُ خَطِّ فِيهَا: ﴿أَقْرَأَ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ قال العقيلي: وعند يغمم عن أنس نسخة أكثرها مناكير اهـ. أي: موضوعات؛ فإنَّ يغمم بن سالم مشهور بالوضع. قال ابن جَبَّان في المجروحين (١٤٥/٣): يضع الحديث على أنس بن مالك، روى عنه نسخة موضوعة.

- (١) أخرجه البخاري (٢٤٤١)، وأخرجه بنحوه أيضاً (٤٦٨٥). ومسلم (٢٧٦٨).
- (٢) سورة الحاقّة (١٩ - ٢٠).
- (٣) سورة الحاقّة (٢٥ - ٢٦).
- (٤) سورة الانشقاق (٧ - ٨).
- (٥) سورة الانشقاق (١٠ - ١١ - ١٢).

١٠٥- ومثلُ هذا الوزنُ والميزانُ فتوزنُ الكتُبُ أو الأعيانُ

لقراءته ، وذلك كالرؤساء المقتدى بهم في الخير . والجنُّ كالإنس في ذلك .

وجوب الإيمان بالوزن والميزان

قوله : (ومثل هذا الوزن والميزان)

أي : يجب الإيمان بأنَّ العباد توزن أعمالهم خيراً كانت أو شراً ، وبالميزان أي : الآلة الحسيّة التي يوزن بها . قال تعالى : ﴿ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ ﴾^(١) ، ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾^(٢) ، ﴿ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾^(٣) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ ﴾^(٤) ولا يكون في حقِّ كلِّ أحدٍ ؛ لما ورد : « يا مُحَمَّدُ أدخل الجنةَ من أُمَّتِكَ مَنْ لا حسابَ عليه من الباب الأيمن »^(٤) فهو فرع الحساب ، فكلُّ / من حُوسب وزنت أعماله ، ومن جملة من توزن أعماله الكفّار ، فتوزن سيئات الكفّار غير الكفر ؛ ليجازوا عليها بالعقاب زيادة على عذاب

١/٥٠

(١) سورة الأعراف (٨) .

(٢) سورة الأنبياء (٤٧) .

(٣) سورة الأعراف (٨ - ٩) .

(٤) أخرجه البخاري (٤٧١٢) ، ومسلم (١٩٤) عن أبي هريرة مرفوعاً في حديث طويل .

الكفر^(١)، وحسناتهم التي لا تتوقف على نيّة^(٢) كالعتق وصلة الرّحم والوقف، فيخفّف عنهم بذلك من عذاب غير الكفر، فتوزن أعمالهم لأجل ذلك لا للنجاة من عذاب الكفر، بدليل أنّ أبا لهب جُوزي بالتخفيف بسبب عتقه^(٣) لجاريته التي بشرته بولادته ﷺ؛ لأنّ عذاب الكفر لا يخفّف عنهم ولا ينقطع، وأمّا قوله تعالى: ﴿فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزْنًا﴾^(٤) أي نافعاً بحيث ينجو من الخلود في النار، وقيل: حسناته التي فعلها يُجازى عليها في الدنيا كسعة الرزق وعافية البدن، ولا يُجازى عليها في الآخرة أصلاً.

قوله: (فتوزن الكتب)

هذا بناء على أنّ الحسنات متميِّزة في كتاب، والسيئات بأخر، ويشهد له حديث البطاقة، فإنّه قد ورد ما معناه: «أَنَّ عَبْدًا كُتِبَ عَلَيْهِ تِسْعَةٌ وَتَسْعُونَ سِجَلًا مِنَ الْمَعَاصِي، كُلُّ سِجَلٍ طَوْلُهُ مَدُّ الْبَصَرِ، فَتُوضَعُ فِي كِفَّةِ السِّئَاتِ، فيقولُ اللهُ له: يا عَبْدِي هَلْ فَعَلْتَ حَسَنَةً؟ فيقولُ: لا ياربُّ، فيقولُ سبحانه وتعالى: بل بقي لك عندنا أمانة، فيأمرُ بإخراج البطاقة - وهي ورقةٌ صغيرةٌ قدرُ الأتملة مكتوبٌ فيها: لا إله إلا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسولُ اللهِ - فتُوضَعُ في كِفَّةِ الْحَسَنَاتِ فتطيشُ سِجَلَاتُ

(١) وقول القائل: (ليس بعد الكفر ذنب) يُراد به ليس ذنب بعد الكفر أعظم من الكفر، وإلا فالكافر المسيء ليس كالكافر المحسن.

(٢) لأنّ العبادات منها ما يتوقّف الثواب فيها على النيّة كالصيام، ومنها ما لا يتوقّف كالمذكورات.

(٣) أخرجه البخاري (٥١٠١).

(٤) سورة الكهف (١٠٥).

المعاصي ، ولا يَتَّقُلُ مع اسمِ اللهِ شَيْءٌ ، فيقولُ : أمضُوا بعدي إلى الجَنَّةِ
بفضلي ومَغْفِرَتِي (١) (٢) .

قوله : (أو الأعيان)

أي : الأعمال ، فتصوَّرُ الأعمالُ الصالحة بصورة حسنة نورانية ، ثمَّ
توضع في الكِفَّةِ المُعَدَّةِ للحسنات ، [وتصوَّرُ الأعمالُ السيئةُ بصورة
قبيحة ظلمانية ، ثم توضع في الكِفَّةِ المُعَدَّةِ للسيئات] (٣) .

ولا يقال : إِنَّ فِيهِ قَلْبٌ حَقَائِقُ ؛ لِأَنَّهُ مِثَالٌ . وعلى تسليم أنَّ فِيهِ قَلْبٌ
حَقَائِقُ يقال : الممتنع قَلْبُ أقسامِ الحكمِ العقلي ، لا تصيير المعنى
جِرمًا ؛ لِأَنَّ قُدْرَةَ اللهِ صالحةٌ لذلك ؛ فَإِنَّهُ من جملة الممكنات .

وهل الوزن بصنج أو لا ؟ واستظهر الأوَّلُ تحقيقاً للعدل ، فتوضع
السيئات في مقابلة الحسنات ، فإن رجح أحدهما وضع صنج بقدر
ما رَجَحَ ، فَيُنْعَمُ بقدره ، أو يُعَذَّبُ بقدره ، فإن لم يكن له إلا حسنات
فقط ، أو سيئات فقط ، وضعت الصنج في الكِفَّةِ الأخرى (٤) .

(١) أخرجه أحمد (٢/٢١٣) . والترمذي (٢٦٣٩) وحسنه . والحاكم (١/٥٢٩) وصحَّحه . ووافقه الذَّهَبِيُّ . وصحَّحه ابن جِبَّان (٢٢٥) . وليس في الحديث : أَنَّ
البطاقة ورقة صغيرة قدر الأئمة . ونسب بعضهم هذا الحديث إلى البخاري وهو
خطأ .

(٢) هذا ليس لكل عبد قال : (لا إله إلا الله ، محمد رسول الله) بل لعبد أراد الله به
خيرًا . انظر تحفة المريد ص (١١٢) .

وقد أوَّل العلماء هذا الحديث تأويلات كثيرة منها : أن هذا بحق من كان كافرًا ،
ثم آمن ونطق بالشهادة في آخر حياته ثم مات .

(٣) ساقطة من (م) . وأثبتناها من (د) .

(٤) والمعتمد أننا نؤمن بالوزن إيماناً قطعياً ، أمَّا كيفية الوزن فالله أعلم بحقيقته ؛ إذ =

الصراط وأقسام المرور عليه

قوله: (كذا الصراط)

أي: فيجب الإيمان به ، وهو لغة: الطريق الواضح . واصطلاحاً: جسر ممدود على متن جهنم يَرِدُه / الأوَّلون والآخرون ذاهبين إلى الجنة ، أرقُّ من الشعرة ، وأحدُّ من السيف ، وهو معنى قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ صَنَعْتُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾^(١) فالمراد بالورود المرور . والسقوط شيء آخر . وطوله ثلاثة آلاف سنة ، ألف صعود ، وألف هبوط ، وألف استواء^(٢) ، وفي حافتيه كلاب معلقة مأمورة بأخذ من أُمِرَت به ، وهي كشوك السعدان ، كما ورد ذلك^(٣) .

قوله: (فالعباد مختلف مرورهم)

أي: متفاوتون في سرعة النجاة وعدمها .

قوله: (فسالم) أي: ناجٍ من النار .

وقوله: (ومتلف)

أي: واقع في جهنم ، إمَّا على الدوام والتأبيد كالكفار ، أو إلى مدَّة كعصاة المؤمنين .

= هناك موازين كثيرة كميزان الذهب ، وميزان الحطب ، وميزان الحرارة ، كلُّ منها يعطي الحقيقة بدقَّة مع ما بينها من فوارق ، وكذلك في الآخرة هناك ميزان يعطي حقيقة الأعمال ، والله أعلم بكيفيته .

(١) سورة مريم (٧١) .

(٢) ذكر السحيمي طول الصراط بهذا الوصف من قول مجاهد والضحاك . انظر المزيد (ج ٢ ق ٣١٤ / أ) .

(٣) أخرجه البخاري (٨٠٦) . ومسلم (١٨٢ - ١٨٣) .

والسعدان: نبت ذو شوك ، وهو من أطيب مراعي الإبل ما دام رطباً أهـ . لسان العرب (سعد) . وفي النهاية لابن الأثير: هو من جيِّد مراعي الإبل تَسْمَنُ عليه . (٣٦٧ / ٢) .

١٠٧- والعَرْشُ والكُرْسِيُّ ثُمَّ الْقَلَمُ وَالكَاتِبُونَ اللَّوْحُ كُلُّ حِكْمٍ

والناس في مرورهم عليه أقسام ثمانية :

منهم من يجوز عليه كطرف العين . ومنهم كالبرق الخاطف . ومنهم كالريح العاصف . ومنهم كالطير . ومنهم كالجواد السابق . ومنهم من يجري . ومنهم من يمشي . ومنهم من يحبو^(١) .

فكلُّ من أعرض عن الشهوات ، وصان قلبه عن الخطرات كان أسرع مروراً عليه . ونور كلِّ إنسان على الصراط لا يتعدّاه ، فيتسع باتّساع النور ، ويضيّق بضيقه .

العَرْشُ والكُرْسِيُّ والقَلَمُ وَالكَاتِبُونَ واللَّوْحُ ووجوب الإيمان بها

قوله : (والعرش)

هو جسم عظيم نورانيّ سقف الجنة محيط^(٢) بجميع الأجسام ، وهو أوّل مخلوقات الله بعد التّور المحمّدي .

(١) أخرج أبو يعلى الموصلي عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنّه قال : «يمرُّ الناس على جسر جهنّم ، وعليه حسك وكلايب وخطاطيف تخطف الناس يميناً وشمالاً ، وعلى جنبتيه ملائكة يقولون : اللهمّ سلّم سلّم . فمن الناس من يمرُّ مثل البرق ، ومنهم من يمرُّ مثل الريح ، ومنهم من يمرُّ مثل الفرس ، ومنهم من يسعى سعياً ، ومنهم من يمشي مشياً ، ومنهم من يحبو حبواً ، ومنهم من يزحف زحفاً . . . » . انظر مسند أبي يعلى (٢/١١٠) برقم (١٢٥٣) .

(٢) هذا على القول بكرويّته ، والتحقيق أنّه ليس كروياً ، بل هو في مشهور السنّة : قُبّة عظيمة فوق العالم ذات أعمدة أربعة ، تحملها الملائكة ، في الدنيا أربعة ، وفي الآخرة ثمانية ؛ لزيادة الجلال والعظمة في الآخرة . قال تعالى : ﴿ وَيَجْعَلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ مُّغْنِيَةً ﴾ . انظر حاشية الأمير على إتحاف المرید (١٥٠) ، وتحفة المرید (١١٣) .

١٠٧- والعَرْشُ وَالْكُرْسِيُّ ثُمَّ الْقَلَمُ وَالكَاتِبُونَ اللَّوْحُ كُلُّ حِكْمٍ

قوله: (والكرسيُّ)

وهو جسم عظيم نورانيٌّ ملتصق بالعرش ، فهو غير العرش خلافاً للحسن البصري (١) .

قوله: (ثمَّ القلم)

هو جسم عظيم نورانيٌّ خلقه الله ، وأمره أن يكتب ما كان وما يكون إلى يوم القيامة ، وطوله خمسمئة عام ، وعرضه كذلك (٢) .

قوله: (والكاتبون)

أي: الملائكة الذين يكتبون أعمال العباد ، أو الذين يكتبون من اللوح المحفوظ ما في صحف الملائكة الموكِّلين بالتصريف في العالم .

قوله: (اللوحة)

هو جسم عظيم نورانيٌّ ، طوله خمسمئة عام ، وعرضه كذلك . كَتَبَ فِيهِ الْقَلَمُ مَا كَانَ وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ (٣) .

قوله: (كُلُّ حِكْمٍ)

جمع حكمة ، وهي صواب الأمر وسداده ، ووضع الشيء في محله .

(١) الحسن بن يسار البصري ، أبو سعيد ، تابعي ، كان إمام أهل البصرة ، وخبير الأمة في زمنه ، وُلِدَ بِالْمَدِينَةِ ، وَسَكَنَ الْبَصْرَةَ ، كَانَ غَايَةً فِي الْفَصَاحَةِ ، تَتَصَبَّبُ الْحِكْمَةُ مِنْ فِيهِ ، تَوَفِّيَ بِالْبَصْرَةِ سَنَةَ (١١٠هـ) . انظر وفيات الأعيان (٢/٦٩) ، حلية الأولياء (٢/١٣١) .

(٢) أورد أبو الشيخ في كتابه العظمة حديثاً ذكر فيه: أَنَّ أَوَّلَ شَيْءٍ خَلَقَهُ اللَّهُ الْقَلَمَ ، وَأَنَّهُ مِنْ نُورٍ ، وَهُوَ مَسِيرَةٌ خَمْسَمِئَةَ عَامٍ . وَلَكِنْ مَحَقَّقُ الْكِتَابِ الْمُبَارَكِ فُورِي ذَكَرَ أَنَّهُ لَمْ يَثْبُتْ فِيهَا صَحَّحٌ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، وَإِنَّمَا جَاءَ مِنْ كَلَامِ ابْنِ عَبَّاسٍ . انظر كتاب العظمة (٢/٥٨٩) وما بعدها .

(٣) لم يرد في الأخبار الصحيحة ما يثبت هذه التفاصيل ، ولعلَّ ما ذُكِرَ عَنِ الْعَرْشِ وَالْكُرْسِيِّ وَاللُّوْحِ وَالْقَلَمِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ يَغْنِي عَمَّا أوردته =

١٠٨- لا لاحتياج وبها الإيمان يجب عليك أيها الإنسان

١٠٩- والنار حقٌ أوجدت كالجنة فلا تمل لجاحد ذي جنه

أي: لم يخلق هذه الأشياء عبثاً. بل لحكمة يعلمها سبحانه وتعالى.

قوله: (لا لاحتياج)

أي لم يخلق العرش للاتقاء ، ولا الكرسي للجلوس ، ولا الكاتبين للضبط ، ولا اللوح والقلم لاستحصال ما غاب عن علمه . تعالى الله عن ذلك كله .

قوله: (وبها الإيمان يجب عليك أيها الإنسان)

أي: هي كغيرها في وجوب التصديق بوجودها شرعاً.

الجنة والنار موجودتان وهما دارا الخلود

قوله: (والنار حق)

١/٥١ / أي: ثابتة. والمراد بالنار دار العذاب بجميع طباقها السبع. أرضها من رصاص ، وسقفها من نحاس ، وحيطانها من كبريت ، وقودها الناس والحجارة.

أعلاها جهنم: وهي لعصاة المؤمنين ، وتصير خراباً بخروجهم منها.

وتحتها لظى: وهي لليهود ، قال تعالى: ﴿ كَلَّا إِنَّهَا لَأَطْيٰى نَزَاعَةٌ لِلشَّوٰى ﴾ (١) الآية.

= المؤلف في هذا الباب .
(١) سورة المعارج (١٥-١٦) .

١٠٩- وَالنَّارُ حَقٌّ أَوْجَدَتْ كَالجِنَّةِ فَلَا تَمِلْ لِجَاحِدٍ ذِي جِنَّةٍ

ثُمَّ الحُطْمَةُ: قال تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الحُطْمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ اللَّهِ المَوْجِدَةُ ﴿١﴾﴾ ، وهي للنصارى .

ثُمَّ السَّعِيرُ: قال تعالى: ﴿فَسَحَقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٢﴾﴾ ، وهي للصابئين : فرقة من اليهود ازدادوا ضللاً بعبادتهم العجل .

ثُمَّ سَقَرٌ: وهي للمجوس عبَادِ النار ، قال تعالى: ﴿سَأْصَلِيهِ سَقَرَ ﴿٣﴾﴾ الآية .
ثُمَّ الجَحِيمِ: وهي لعبدة الأصنام ، قال تعالى: ﴿خُذُوهُ فَعَلُوهُ ﴿٤﴾﴾ ثُمَّ الْجَحِيمِ صَلْوُهُ ﴿٤﴾ .

ثُمَّ الهاوية: وهي للمنافقين ، وكلٌّ من اشتدَّ كفره كفرعون وهامان وقارون .

وقد نظمها شيخنا الشيخ الأمير ^(٥) بقوله:

جَهَنَّمُ لِلْعَاصِي لَطَى لِيَهُودِهَا وَحُطْمَةٌ دَارٌ لِلنَّصَارَى أُولَى الصَّمَمِ ^(٦)
سَعِيرٌ عَذَابُ الصَّابِئِينَ وَدَارُهُمْ مَجُوسٌ لَهَا سَقَرٌ جَحِيمٌ لِذِي صَنَمٍ
وَهَاوِيَةٌ دَارُ النَّفَاقِ - وَوَيْتَهُمَا - وَأَسْأَلُ رَبَّ العَرْشِ أَمْنًا مِنَ النَّقَمِ
هكذا ذكر الأشياخ تبعاً لبعض الأحاديث في النار ^(٧) ، ولكن آيات

(١) سورة الهُمزة (٥ - ٦) .

(٢) سور الملك (١١) .

(٣) سورة المدثر (٢٦) .

(٤) سورة الحاقّة (٣٠ - ٣١) .

(٥) سبقت ترجمته (١٣٣ - ١٣٤) .

(٦) في حاشية الأمير: أولي الغم . وانظر الأبيات في ص (١٥١) من حاشيته على إتحاف المريد .

(٧) أفاد الإمام القرطبي في كتابه التذكرة أنه وقعت أسماء هذه الطبقات وأسماء أهلها =

١٠٩ - وَالنَّارُ حَقٌّ أُوجِدَتْ كَالْجَنَّةِ فَلَا تَمِلُ لِجَاحِدٍ ذِي حِجَّةٍ

القرآن شاهدة بأنَّ كلَّ اسم من تلك الأسماء يطلق على ما يعمُّ الجميع؛ لأنَّه يذكر صفات الكفَّار بأيِّ وجه، ويعبَّر عن وعيدهم بأيِّ اسم من هذه الأسماء. فتدبَّر.

وذكر ابن العربي ^(١) أنَّ نار الدنيا من جهنَّم طُفَّت في البحر مرَّتين، ولولا ذلك لم يُتَّفَع بها. وبعد أخذ نار الدنيا منها أوقد عليها ألف سنة حتَّى ابيضَّت، ثمَّ ألف سنة حتَّى احمرَّت ثمَّ ألف سنة حتَّى اسودَّت، فهي سوداء مظلمة ^(٢).

قوله: (أوجدت) أي: الآن. خلافاً للمعتزلة ^(٣).

قوله: (كالجنَّة)

هي لغة: البستان. والمراد منها دار الثواب، وأبوابها الكبار ثمانية: باب الشهادتين، وباب الصلاة، وباب الصيام، وباب الزكاة، وباب الحجِّ، وباب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وباب الصلَّة، وباب

على ترتيب لم يرد فيه أثر صحيح، وإنما هو من كلام العلماء، ومثله لا يكون رأياً، وإنما يدرك توقيفاً. انظر تذكرة القرطبي (٥١٢/٢) وما بعدها.

(١) سبقت ترجمته (١١١).

(٢) أخرج الترمذي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «أوقد على النار ألف سنة حتَّى احمرَّت، ثمَّ أوقد عليها ألف سنة حتَّى ابيضَّت، ثمَّ أوقد عليها ألف سنة حتَّى اسودَّت، فهي سوداء مظلمة». أبواب صفة جهنم برقم (٢٥٩٤).

(٣) القائلين: إنَّ النار والجنَّة لم توجدا بعد؛ لأنَّه لا يوجد من يدخلهما الآن وإنما توجدان يوم الجزاء، والدخول إليهما بعد الحساب. انظر إتحاف المرید (١٥١).
وأما أهل السنَّة والجماعة فيقولون بوجودهما من الآن مستدلِّين بقوله تعالى في حقِّ النار: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾، وفي حقِّ الجنَّة: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ...﴾.

الجهاد في سبيل الله . ومن داخلها عشرة أبواب صغار .

وهي سبع جنان متجاورة أوسطها وأفضلها الفردوس ، وسقف الجميع عرش الرحمن ، وضَعَفَ نور الشمس بالنسبة لنور العرش في الجنان كَضَعَفَ نور النجوم بالنسبة لنور الشمس في الدنيا ، ويجعل الله فينا قوَّةَ بصر لتمام التَّنْعَمَ بذلك ، كقوَّةَ باقي الحواسِّ . ويليهما جنَّةُ المأوى ، وجنةُ الخلد ، وجنةُ النعيم ، وجنةُ عَدْن ، ودار السلام ، ودار الجلال . وقيل : أربع^(١) ، وقيل : (٢) واحدة ، وإنما التعدُّد في الاسم لشرفها ، ولتحقق معاني تلك الأسماء فيها . ترابها المسك والزعفران ، وفي كلِّ قصر منها فرع من شجرة طوبى ، وأصلها في بيت النبي ﷺ تطرح ما تشتهيهِ الأنفس ، فإذا أراد الإنسان الأكل قال : سبحانك اللهم ، وضعت بين يديه مائدة طولها ميل وعرضها ميل ، فيها جميع ما يُشتهى ، فإذا فرغ قال : الحمد لله رب العالمين ، فترفع . وهو معنى قوله تعالى : ﴿ سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ ﴾^(٣) الآية .

وبالجملة ففيها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .

(١) ورَجَّحَ هذا القول جماعةٌ؛ لأن الله تعالى قال : ﴿ وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴾ جنةُ النعيم ، وجنةُ المأوى ، ثم قال : ﴿ وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّاتٍ ﴾ جنةُ عَدْن ، وجنةُ الفردوس . وذلك كما ذكره بعض المفسرين في تفسير سورة الرحمن آية (٤٦) و(٦٢) . وهو ما ذهب إليه الجمهور . انظر إتحاف المرید (١٥١) ، وتحفة المرید (١١٤) .

(٢) سقطت صفحات من المخطوط من بعد قوله : (وقيل أربع ، وقيل) إلى قوله : (حجبتنا أي : المقبولة الصحيحة) في ص (٤٤٢) من هذا الكتاب . وأثبتنا ما سقط من (د) .

(٣) سورة يونس (١٠) والآية بتمامها : ﴿ دَعْوُهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَحِثُّهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَأَعْرَضُ دَعْوَتُهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

١٠٩ - وَالنَّارُ حَقٌّ أُوْجِدَتْ كَالْجَنَّةِ فَلَا تَمَلِّ لِجَاحِدٍ ذِي جِنَّةٍ
١١٠ - دَارًا خُلُودٍ لِلسَّعِيدِ وَالشَّقِي مَعَذَّبٌ مُنَعَّمٌ مَهْمَا بَقِيَ

اللهمَّ أجرنا من النار ، وأدخلنا الجنة بفضلك وكرمك ، إنك لا تخلف
الميعاد.

قوله : (فلا تمل لجاحد ذي جنه)

أي : لا تصغ لمنكر متَّصف بالجنون . والمُنكر قسمان :

- ١ - قسم أنكر وجودهما بالمرَّة ، وهم الفلاسفة ^(١) .
- ٢ - وقسم أنكر وجودهما الآن ، وهو أبو هاشم ^(٢) ، وعبد الجبار ^(٣)
المعتزليَّان .

وممَّا يُرَدُّ عليهم به آدم عليه السلام ، وغير ذلك من الآيات الصريحة .

ومحلُّ الجنة فوق السموات السبع ، ولم يصحَّ في محلِّ النار خبر .

قوله : (دارا خلود)

أي : إقامة وتأييد . وفي ذلك ردُّ على الجهميَّة ^(٤) القائلين بفنائهما ،

(١) وهذا الكلام كفر؛ لإنكار الجنة والنار حالاً ومآلاً . انظر إتحاف المرید (١٥١) .

(٢) سبقت ترجمته ص (٨١) .

(٣) سبقت ترجمته ص (٢٣١) .

(٤) الجهميَّة أتباع جهم بن صفوان الذي قال بالإجبار والاضطرار إلى الأعمال ، وأنكر الاستطاعات كلها ، وزعم أنَّ الجنة والنار تبيدان وتفنيان ، وكُفِّر بذلك . ظهرت بدعته بترمد ، وظلَّ أتباعه حتى القرن الحادي عشر ، ثم اعتنقوا مذهب الأشاعرة فيما بعد . انظر الفرق بين الفرق (١٩٩ - ٢٠٠) والملل والنحل (٨٦/١) ودائرة المعارف الإسلامية (١٩٥/٧) .

١١٠- دَارًا خُلُودٍ لِلسَّعِيدِ وَالشَّقِيّ مَعَذَّبٌ مُنَعَّمٌ مَهْمَا بَقِيَ

وفناء أهلها ، وهم كفّار . وقوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا . . . ﴾ (١) الآيات ، فالمراد بالسموات والأرض سقوف النار وأرضها ، وسقف الجنة وأرضها ، لا سماء الدنيا وأرضها ؛ لتبدّلها قبل الدخول . وقوله تعالى : ﴿ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ﴾ (٢) أي : بدخولهم النار أولاً . ثم يخرجون منها ، أي : فخلودهم إمّا من غير سابقة عذاب ، أو مع سابقة العذاب .

قوله : (معذب) أي : بأنواع العذاب فلا خصوصية للنار ، بل يعذبون بالزمهير والحيّات والعقارب وغير ذلك .

قوله : (منعم) أي : بأنواع النعيم ، وأعلاه رؤية وجه الله الكريم .

* * *

(١) سورة هود . وتمام الآية مع ما بعدها : ﴿ . . . فَنِي النَّارِ لَهْمٌ فِيهَا زَفِيرٌ وَشِهْقٌ خَلِيلٌ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴾ (١٠٦ - ١٠٧) .

(٢) سورة هود (١٠٧) .

وجوب الإيمان بحوض النبي ﷺ

قوله: (إيماننا بحوض خير الرسل حتم)

أي: يجب علينا الإيمان بحوض نبيِّنا ﷺ ، مَنْ أنكره فُسِّقَ وُبدِّعَ ، وهو كبير مُتَّسِعٌ ، طوله شهر ، وعرضه كذلك ، وزواياه سواء .

قوله: (كما قد جاءنا في النقل)

ففي الحديث: «حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ ، وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ»^(١) ، مَاؤُهُ أبيضٌ مِنَ اللَّبَنِ ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ ، وَكِيْزَانُهُ^(٢) أَكْثَرُ مِنْ نَجُومِ السَّمَاءِ ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَا يَظْمَأُ أَبَدًا»^(٣) .

وقد ورد فيما أوحى الله إلى عيسى في صفة نبيِّنا ﷺ: له حوض أبعد من مكة إلى مطلع الشمس ، فيه آنية مثل عدد نجوم السماء ، وله لون كلِّ شراب الجنَّة ، وطعم كلِّ ثمار الجنَّة .

واختلف هل هو قبل الصَّراط أو بعده . وقيل : له حوضان .

وفي الحقيقة الواجب علينا اعتقاد ثبوته ، وجَّه تقدُّمه على الصراط أو تأخره لا يضرُّ في الاعتقاد .

(١) قوله: (وزواياه سواء) أي: طوله كعرضه . انظر شرح النووي على صحيح مسلم (٦١/١٥) .

(٢) الكيزان: جمع كوز ، من الأواني معروف . لسان العرب (كوز) .

(٣) أخرجه البخاري (٦٥٧٩) . ومسلم (٢٢٩٢) .

قوله : (ينال شرباً منه أقوام وفوا بعهدهم)

أي : يشرب منه من آمن وصدّق باليوم الآخر ، واتّبع سنّة رسول الله ﷺ ، ومات على ذلك ، ولم يغيّر ولم يبدّل ، ولم يتخذ عقيدة غير ما عليه النبي وأصحابه .

قوله : (وقل يذاد من طغوا)

أي : يُطرد عنه مَنْ غيّر ، وبدّل في عقيدته ، فالكافر بعقيدته لا يشرب منه ، والمبتدع يشرب منه بعد الردّ . وورد : «إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضًا تَرُدُّهُ أُمَّتُهُ»^(١) ، ولم يصحّ أنّ حوض صالح ضرعُ ناقته^(٢) . وورد أنّ الأمين عليه عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه^(٣) .

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٤٣) عن سمرة مرفوعاً : «إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضًا ، وَإِنَّهُمْ يَتَبَاهَوْنَ أَتْيَهُمْ أَكْثَرُ وَارِدَةٌ ، وَإِنِّي لأرجو أن أكون أكثرهم واردةً» . قال الترمذي : هذا حديث غريب اهـ . ثمّ رجّح أنّه عن الحسن البصري مرسلًا اهـ . وأخرجه ابن أبي الدنيا عن الحسن مرسلًا كما في النهاية لابن كثير (٣٧١ / ١) . ونُقل عن يحيى القطان والمزيّ تصحيح هذا الحديث .

(٢) يشير الإمام الصاوي بهذه العبارة إلى حديث موضوع أورده ابن الجوزي في الموضوعات عن عبد الكريم بن كيسان عن سويد بن عميرة قال : قال رسول الله ﷺ : «حوضي أشرب منه يوم القيامة ومن اتّبعتني من الأنبياء ، ويبعث الله ناقةً ثمود لصالح ، فيحلبها فيشربها والذين آمنوا معه حتى يوافوا بها الموقف معه . . . » ثم قال : هذا حديث موضوع لا أصل له . انظر الموضوعات (٢٤٤ / ٣) .

(٣) أخرج أبو نعيم في حلية الأولياء من طريق محمد بن عبد الرحمن القشيري عن عبد الملك بن أبي سليمان عن عطية عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال : «أعطيّ في عليّ خمساً ، أمّا إحداها ، فيواري عورتِي ، والثانية : يقضي ديني ، والثالثة : أنّه مُتَكَيّ في طول الموقف ، والرابعة : فإنّه عَونِي على حوضي ، =

وجوب الإيمان بشفاعة النبي ﷺ

وبيان أنواع الشفاعة

قوله: (وواجب شفاعَةُ المُشَفَّعِ)

هذا شروع في ذكر نوع آخر من السمعيَّات الواجب اعتقاده ، أي: ممَّا يجب اعتقاده أنَّ النبيَّ ﷺ شافعٌ مُشَفَّعٌ .

فقوله: (محمد)

بالجرِّ بدل من المُشَفَّعِ ، والشفاعة لغة: الوسيلة والطلب. وشرعاً: سؤال الخير للغير .

قوله: (مقدِّمًا)

حال من محمَّد. أي: ممَّا يجب اعتقاده أنَّ النبيَّ مع كونه شافعاً ، ومقبول الشفاعة مقدِّم على غيره من الأنبياء والمرسلين والملائكة المقرَّبين ، وله شفاعات:

والخامسة: فإني لا أخافُ عليه أن يرجعَ كافرًا بعد إيمانٍ ، ولا زانياً بعد إحصانٍ» (٢١١/١٠ - ٢١٢)

قال ابن عدي في الكامل (٦/ ٢٢٦١): محمد بن عبد الرحمن القشيري منكر الحديث .

وقال ابن حجر في لسان الميزان (٥/ ٢٥٠ - ٢٥١): قال الدار قطني: متروك الحديث .

وقال الذهبي في المغني (٢/ ٦٠٦): كذاب مشهور .

والثابت في الصحيحين أن النبي ﷺ هو الذي يدود عن حوضه .

أخرج البخاري عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «والذي نفسي

بيده ، لأذودنَّ رجالاً عن حوضي ، كما تُدَادُ الغريبةُ من الإبلِ عَنِ الحَوْضِ» .

انظر صحيح البخاري (تحقيق د. البغا) (٢/ ٨٣٤) برقم (٢٢٣٨) .

أعظمها الشفاعة في فصل القضاء^(١): وهي مختصة به قطعاً؛ لأنَّ الناس في ذلك الوقت يذهبون إلى الرسل من آدم إلى عيسى فرداً فرداً يسألونهم الشفاعة في الانصراف من ذلك الموقف ، فكلُّ بيدي حُجَّةٍ إلى أن يذهبوا إليه ﷺ يسألونه الشفاعة ، فيقول: «أنا لها أنا لها»^(٢) فَيَسْجُدُ تَحْتَ الْعَرْشِ ، فيقولُ اللهُ له: ارفع رأسك ، واشفع تُشَفِّعْ ، فيرفع رأسه ، وهذا هو المقامُ الحمودُ؛ لأنَّه من حينها يكثر حمد الناس له ، فيُنصب له لواء له ثلاث زوايا ، زاوية بالشرق ، وأخرى بالمغرب ، وأخرى بالوسط ، والأنبياء ومن دونهم تحت ذلك اللواء .

وثاني الشفاعات: في إدخال قوم الجنة بغير حساب ، وهي مختصة به أيضاً.

ثالثها: فيمن استحقَّ دخول النار أن لا يدخلها ، وليست مختصة به ﷺ .
رابعها: في إخراج الموحِّدين من النار ، وليست مختصة به أيضاً ،
وقيل: إن لم يكن معه إلا مثقالُ ذرَّةٍ من الإيمان اختصَّت به وإلا فلا .
خامسها: في زيادة الدرجات في الجنة لأهلها .

سادسها: في جماعة من صلحاء أمته ؛ ليتجاوز عنهم في تقصيرهم في الطاعات .

سابعها: فيمن خُلد في النار من الكفَّار أن يخفَّف عنهم العذاب في

(١) هذه لا ينكرها المعتزلة؛ لأنَّها شفاعةُ عامَّةٌ للناس أجمعين . وهي للتخلُّص من هول الموقف ، وهذا هو المقام المحمود الذي قال فيه تعالى: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ وهو الذي يحمد عليه الأولون والآخرون . انظر تحفة المريد (١١٧) .

(٢) أخرجه مسلم (١٩٣) بلفظ: «أنا لها» مرَّةً واحدة . وأخرجه البخاري (٤٧١٢) في حديث الشفاعة بدونها .

١١٣- وَوَجِبَ شَفَاعَةُ الْمُشْفَعِ مُحَمَّدٍ مُقَدِّمًا لَا تَمْنَعُ

أوقات مخصوصة ، كما في حقّ أبي طالب على القول بموته على الكفر^(١) ، وأبي لهب .

ثانها: في أطفال المشركين أن لا يعدّبوها .

وبالجمله فالمختصُّ به قطعاً الشفاعة العظمى ، وأمّا ما عداها ففيه خلاف .

قوله : (لا تمنع)

أي : لا تعتقد امتناع شفاعته ﷺ في أهل الكبائر وغيرهم ، وفيه ردُّ على المعتزلة القائلين بامتناع شفاعته لأهل الكبائر . قال ﷺ : «أَدَّخَرْتُ عِنْدَ رَبِّي شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكِبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي»^(٢) .

(١) قيل : إن أبا طالب أسلم . والتحقيق أنه لم يصح إسلامه ، ورواية العباس نُطِقَ أبي طالب بالشهادتين - لمّا طلب رسول الله ﷺ ذلك عند احتضاره - إسنادها واه . انظر الإصابة (٢٣٥/٧) وما بعدها .

وقد صرح كثير من العلماء بعدم إسلامه ، منهم الحافظ ابن كثير ، قال : (كان يصدُّ الناس عن أدية رسول الله ﷺ وأصحابه بكل ما يقدر عليه من فعال ومقال ، ونفس ومال ، ولكن مع هذا لم يقدر الله له الإيمان ؛ لما له تعالى في ذلك من الحكمة العظيمة والحجّة القاطعة البالغة الدامغة التي يجب الإيمان بها والتسليم لها ، ولولا ما نهانا الله عنه من الاستغفار للمشركين لاستغفرنا لأبي طالب ، وترحمنا عليه) . انظر البداية والنهاية (١٢٦/٣) .

(٢) رواه ابن عساکر كما في تهذيبه لبدران (٤/٢٨٢) من حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه - بلفظ : «أَدَّخَرْتُ شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكِبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي» .

ورواه أبو نعيم في تاريخ أصبهان بلفظ : «أَدَّخَرْتُ الشَّفَاعَةَ لِأَهْلِ الْكِبَائِرِ» . وهو عند أبي داود رقم (٤٧٣٩) . والترمذي (٢٤٣٥) بلفظ : «شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكِبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي» . وله شاهد عند الطبراني في الكبير ، كما في إتحاف السادة المتقين (١٠/٤٨٨) من حديث ابن عباس : «أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ نَبِيٌّ قَبْلِي . . . وَقِيلَ لِي : سَلْ تُعْطَهُ ، فَأَدَّخَرْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي ، فَهِيَ نَائِلَةٌ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى - لِمَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا» .

١١٤- وَغَيْرُهُ مِنْ مُرْتَضَى الْأَخْيَارِ يَشْفَعُ كَمَا قَدْ جَاءَ فِي الْأَخْبَارِ
١١٥- إِذْ جَائِزٌ غُفْرَانُ غَيْرِ الْكُفْرِ فَلَا نُكْفِّرُ مُؤْمِنًا بِالْوَزْرِ

قوله: (وغيره من مرتضى الأخيار يشفع)

كالأنبياء والمرسلين والملائكة والصحابة والشهداء والأولياء والأطفال.

والمولى يشفع أيضاً فيمن قال: (لا إله إلا الله)، ولم يعمل خيراً قطاً.

قوله: (كما قد جاء في الأخبار)

الدالة على ذلك مما أجمع عليه أهل السنة.

بَيَانُ فِي غُفْرَانِ الذُّنُوبِ

قوله: (إذ^(١) جائز غفران غير الكفر)

أي: من الذنوب التي بلا توبة ولا شفاعاة، فبالشفاعة أولى، والدليل

(١) (إذ) هنا تفيد التعليل، وهي تابعة لما قبلها أي: للشفاعة، أي: إنَّ الشفاعة جائزة؛ لأنَّ الغفران جائز، فالغفران محو الذنب من غير تدخُّل آخر، والشفاعة محو الذنب بواسطة آخر. والشفاعة وإن كانت واجبة شرعاً، إلا أن لها دليلاً عقلياً، أشار إليه بقوله: (إذ جائز) الواقع علة لقوله: (لا تمنع) في البيت قبل السابق. يعني لا تمنع الشفاعة شرعاً؛ لما ورد من إثباتها، ولا عقلاً؛ لأنه يجوز عقلاً وسمعاً على الله غفران الذنوب تفضلاً وإحساناً. انظر إتحاف المرید (١٥٣).

١١٥- إِذْ جَاؤُكُمْ غُفْرَانٌ غَيْرِ الْكُفْرِ فَلَا نُكْفِرُ مُؤْمِنًا بِالْوِزْرِ
١١٦- وَمَنْ يَمُتْ وَلَمْ يَتُبْ مِنْ ذَنْبِهِ فَأَمْرُهُ مَفْوِضٌ لِرَبِّهِ

على غفران غير الكفر قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ ﴾^(١) ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾^(٢) ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾^(٣) .

والحكمة في غفران المعاصي دون الكفر أنّ المعاصي لا يخلو فاعلها من خوف عقاب ، ورجاء رحمة وعفو ، بخلاف الكفر؛ فإنّ فاعله لا يعتقد بطلان ما هو عليه ، ولا يعتقد نقص نفسه ، بل يحسبون أنّهم على شيء ، ألاّ إنهم هم الكاذبون .

قوله: (فلا نكفر مؤمناً بالوزر)

هذا مفرّع على ما تقدّم ، وفيه ردٌّ على الخوارج القائلين بتكفير من ارتكب الذنوب ، وعلى المعتزلة القائلين بأنّ له منزلةً بين المنزلتين .

قوله: (ومن يمّت ولم يتب من ذنبه)

أي: الكبائر غير المكفّرة ، وهو غير مستحلّ^(٤) لها .

قوله: (فأمره مفوض لربه)

أي: فهو تحت المشيئة لا يقطع له بالعفو ولا بالعقاب ، وإنّما لم يقطع له بالعفو؛ لئلاّ تكون الذنوب في حكم المباحة ، ولا بالعقاب؛

(١) سورة الشورى (٢٥) .

(٢) سورة الزمر (٥٣) .

(٣) سورة النساء (٤٨) .

(٤) لأنّ ارتكاب الكبائر ، إنّ كان بطريق الاستحلال والاستخفاف كان كفرًا؛ لكونه علامة التكذيب . انظر شرح العقائد النسفية (١٧٣) .

١١٧- ووَاجِبٌ تَعْذِيبُ بَعْضِ ارْتِكَابِ كَبِيرَةٍ ثُمَّ الْخُلُودُ مُجْتَنَبٌ

لأنه سبق أنه يجوز عليه غفران ما عدا الكفر. هذا مذهب أهل الحق متمسكين بالأدلة الدالة على أن المؤمنين يدخلون الجنة. قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾^(١) ، وقال ﷺ: «مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(٢) ، وليس ذلك قبل دخول النار ، فتعين أن يكون بعدها؛ لأن من دخل الجنة لا يخرج منها؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾^(٣).

قوله: (وواجب تعذيب بعض ارتكاب كبيرة)

أي: نفوذ الوعيد في بعض من كل طائفة من طوائف أهل الكبائر^(٤) غير المكفرة الذين ماتوا من غير توبة ، والبعض يصدق ، ولو بواحد من كل طائفة ، وما بقي يحصل العفو عنه .

وإنما وجب اعتقاد ذلك؛ لوجود الأخبار القرآنية والسنة بكيفية عذاب أهل الكبائر في النار ، فيستحيل تخلفها.

قوله: (ثم الخلود مجتنب)

أي: من أراد الله تعذيبه من عصاة المؤمنين فخلوده مجتنب ، أي: لا نقول به .

ثم اعلم أن المكلفين:

إمّا كافر ، وهو مخلد في النار إجماعاً.

(١) سورة الزلزلة (٧).

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٢٢) ، ومسلم (٩٤).

(٣) سورة الحجر (٤٨).

(٤) انظر ص (٢٣٥-٢٣٦) من هذا الكتاب .

وإمّا مؤمن لم يذنب قطُّ كالأنبياء ، فهو في الجنّة إجماعاً قطعاً .
وإمّا مؤمن مذنب تاب من ذنوبه ، فهو في الجنّة قطعاً أو ظناً^(١) .
وإمّا مؤمن مذنب لم يتب ، والذنب من الكبائر ، فمُخَلَّد في الجنّة ،
إمّا ابتداء إن حصل العفو أو الشفاعة ، أو بعد التعذيب بالنار بقدر
الذنب .

الشُّهَدَاءُ وَمَرَاتِبُهُمْ

قوله : (وصف شهيد الحرب)

وهو المؤمن المقتول في حرب الكفّار لإعلاء كلمة الله تعالى بسبب
من أسباب القتال^(٢) ، ومثله كلُّ من قُتِلَ على الحقِّ ، كقتال البُغاة
وقُطِّعَ الطريق ، وإقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

(١) لأنّ في قبول التوبة خلافاً . فأبو الحسن الأشعري يقول : قبولها قطعي ، وإمام
الحرمين وأبو بكر الباقلاني يقولان : قبولها ظنيٌّ . انظر ص (٤١٩ - ٤٢٠) من
هذا الكتاب .

(٢) هذا مذهب السادة المالكيّة والشافعيّة . انظر بلغة السالك لأقرب المسالك
(٣٥٤ / ١ - ٣٥٥) ، والمقدمة الحضرميّة باب الجنائز .

أما عند السادة الأحناف فالشهيد أوسع وهو : من قتله أهل الحرب أو أهل
البغي أو قُطِّعَ الطريق أو اللصوص في منزله ليلاً ولو بمثقل ، أو وجد في
المعركة وبه أثرٌ ، أو قتله مسلم ظلماً عمداً بمحدّد . انظر نور الإيضاح باب
أحكام الشهيد .

١١٨- وَصِفْ شَهِيدَ الْحَرْبِ بِالْحَيَاةِ وَرَزَقَهُ مِنْ مُشْتَهَى الْجَنَاتِ

وقولنا: (لإعلاء كلمة الله) مخرج لمن قاتل لا لإعلاء كلمة الله ، بل للغنيمة ، أو لإظهار الشجاعة؛ فَإِنَّ لَهُ حُكْمَ شَهِدَاءِ الدُّنْيَا مِنْ عَدَمِ غَسَلِهِمْ وَالصَّلَاةِ عَلَيْهِمْ^(١) ، لا ثوابهم الكامل . وأَمَّا شَهِيدُ الْآخِرَةِ كالمطعون والمبطنون ونحوهما ، فَإِنَّهُ وَإِنْ كَانَ كَالأَوَّلِ فِي الثَّوَابِ إِلَّا أَنَّهُ دُونَهُ فِي الْحَيَاةِ وَالرِّزْقِ وَأَحْكَامِ الدُّنْيَا^(٢) .

وَسُمِّيَ شَهِيدًا؛ لِأَنَّ رُوحَهُ شَهِدَتْ^(٣) دَارَ السَّلَامِ ، أَي: دَخَلَتْهَا . أَوْ لِأَنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يَشْهَدُونَ^(٤) لَهُ بِالْجَنَّةِ .

قوله: (بالحياة)

أَي: الْكَامِلَةَ ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾^(٥) فحياتهم حقيقية غير مكيفة ، ولا معقولة

(١) لا يغسل الشهيد ولا يصلى عليه عند السادة المالكية والشافعية . انظر بلغة السالك لأقرب المسالك (١/٣٥٤) ، والمقدمة الحضرمية باب الجنائز . أما عند السادة الأحناف فيُصلى عليه ، ولا يُغسل . انظر نور الإيضاح باب أحكام الشهيد .

(٢) فإن شهيد الآخرة دون شهيد الحرب في الحياة والرزق في البرزخ ، ودونه في أحكام الدنيا؛ فَإِنَّهُ يَغْسَلُ وَيُصَلَّى عَلَيْهِ .

فظهر أن الشهداء ثلاثة: شهيد دنيا وآخرة (وهو شهيد الحرب) ، وشهيد دنيا فقط ، وشهيد آخرة فقط . انظر إتحاف المرید (١٥٥) .

(٣) شهيد بوزن فَعِيل ، بمعنى فاعل ، أَي: شَهِدَ لِدَارِ السَّلَامِ بِرُوحِهِ .

(٤) شهيد بوزن فَعِيل ، بمعنى مفعول ، أَي: مَشْهُودٌ لَهُ بِالْجَنَّةِ مِنْ اللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ .

انظر إتحاف المرید وحاشية الأمير عليها ص(١٥٥) .

(٥) سورة آل عمران (١٦٩) .

١١٨- وَصِفَ شَهِيدَ الْحَرْبِ بِالْحَيَاةِ وَرَزَقَهُ مِنْ مُشْتَهَى الْجَنَاتِ

للشهر ، يجب الإيمان بها والكف عن الخوض في كفيته ، ويُقرب ذلك ما يقع للأولياء من كون أرواحهم تسرح في الملك حيث شاءت مع حياة جسمه وجلوسه بيننا .

قوله : (ورزقه)

بفتح الراء ، من إضافة المصدر لمفعوله ، أي : رزق الله إياه .

قوله : (من مُشْتَهَى الجنات)

أي : فيتنعم بالأكل والشرب واللبس ، وما ورد من أن «أرواحهم في حواصل طيور خضر»^(١) فمعناه أن تلك الطيور كالهوادج الشقافة الواسعة ، أو أنها كالطير في سرعة قطع المسافة البعيدة^(٢) .

* * *

(١) هو قطعة من حديث طويل أخرجه مسلم في باب أرواح الشهداء بلفظ «...أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت...» .

وأخرجه الترمذي برقم (١٦٤١) . والنسائي في الجنائز باب أرواح المؤمنين . وابن ماجه برقم (٤٢٧١) .

(٢) لا أن أرواحهم لها أجنحة ، أو أنها تعمُر أجساماً آخر فتديرها ؛ لئلا يلزم التناسخ اهـ . إتحاف المرید (١٥٥) .

الرِّزْقُ مَا بِهِ اُنْتَفَعُ

قوله: (والرزق عند القوم ما به انتفع)

يعني أنّ الرزق عند أهل السنّة ما انتفع^(١) به بالفعل ، فلا يأكل أحدٌ رزقاً غيره ، ولا يأكل غيره رزقه ، وشمل كلامه الإنسان والدواب وغيرهما .

قوله: (وقيل لا بل ما ملك)

أي: انتفع به أو لا . وهذا القول للمعتزلة .

قوله: (وما أُتبع)

أي: لم يعول عليه؛ لأنّه فاسد طرداً وعكساً:

أما الأوّل: فلأنّ المولى سبحانه وتعالى يسمّى مالكاً ، فيقتضي أنّه

(١) بمعنى أنّ الإنسان إذا خلّف مالا لورثته ، فهو رزقهم لا رزقه؛ لأنّه لم ينتفع بذلك المال . أخرج البخاري في الرقاق باب (ما قدّم من ماله فهو له) رقم (٦٠٧٧) عن عبد الله قال: قال النبي ﷺ: «أَيْكُم مَالٌ وَارِثُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ؟ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا مِثْنَا أَحَدٌ إِلَّا مَالُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ ، قَالَ: فَإِنَّ مَالَهُ مَا قَدَّمَ ، وَمَالٌ وَارِثُهُ مَا أَخَّرَ» .
قوله: (ما قدّم) أي: صرفه في حياته في مصارف الخير . وقوله: (ما أخّر) أي: ما أدخره حتّى مات ، وتركه لوارثه .
قال أحدهم:

لِمَ لَا أَحَبُّ الضَّيْفِ أَوْ أَرْتَاخٌ مِنْ طَرَبٍ إِلَيْهِ
وَالضَّيْفُ يَأْكُلُ رِزْقَهُ عِنْدِي وَيَشْكُرُنِي عَلَيْهِ

١٢٠- فَيْرِزُقُ اللهُ الْحَلَالَ فَاعِلِمَا وَيَرِزُقُ الْمَكْرُوهَ وَالْمُحَرَّمَا

يقال له: مرزوق. وذلك لا يصح.

وأما الثاني: فلأنه يلزم عليه أن العبيد والدواب يأكلون رزق أصحابهم.

قوله: (فيرزق الله الحلال)

هذا مفرّع على مذهب أهل السنة، أي: إذا علمت أن الرزق ما انتفع به يجب علينا اعتقاد أن الله يرزق الحلال، وهو ما كان منصوباً على إباحته.

قوله: (فاعلما) الألف بدل من نون التوكيد الخفيفة.

قوله: (ويرزق المكروه) وهو ما نهى عنه نهياً غير مؤكّد.

وقوله: (والمحرّم)

هو ما نُصِرَ على حرمة لذاته أو لعارض^(١). وفي ذلك ردٌّ على المعتزلة القائلين: إنَّ الحرام لا يكون رزقاً.

* * *

(١) أمّا المحرّم لذاته فكالخمر والخنزير، وأمّا لعارض فكالمسروق من الطعام مثلاً، فهو في أصله حلال إلا أنه صار محرّماً بعارض السرقة.

الإكتساب والتوكل

قوله: (في الاكتساب والتوكل اختلف)

أشار بذلك إلى مسألة من مسائل التصوُّف الآتي بعضه^(١) في قوله:
وكن كما كان خيار الخلق
وإنما قدَّمها هنا؛ لتعلُّقها بمبحث الرِّزق .

فحاصله أنه وقع خلاف في الاكتساب - وهو السعي في أسباب الرِّزق كالسفر للأرباح - هل هو أفضل أو التوكل بمعنى التجرُّد عن الأسباب ، فإنَّ الأوَّل مأمور بالتوكل أيضاً. والمراد بالمتجرِّد مَنْ قَطَعَ النظر عن الأسباب ، وترك السعي فيها. فرجَّح قومُ الأوَّل؛ لما فيه من كفِّ النفس عن التطلُّع إلى ما في أيدي الناس ، والتذلُّل والخضوع لهم مع حيازة منصب التوسعة على عباد الله ، وصلة الأرحام ، ومواساة الفقراء . ورجَّح قوم الثاني؛ لما فيه من ترك كلِّ ما يشغل عن الله ، وسلامته من فتنة المال ، والاتصاف بالرغبة إلى الله تعالى ، والوثوق بما عنده .

(١) انظر ص(٤٣٤) وما بعدها من هذا الكتاب .

١٢١- في الاكتساب والتوكل اختلف والراجح التفصيل حسبما عرّف

قوله: (والراجح التفصيل)^(١)

أي: فالمختار أنهما يختلفان باختلاف أحوال الناس ، فمن كان لا يتطلع لما في أيدي الناس ، ولم تتعلّق به نفقة لازمة ، أو تعلّقت ورضي المنفق عليه بحاله ، وكان لا يتسحّط إذا قلّت الدنيا من يده ، فالتجرّد في حقّه أفضل ؛ لما فيه من ترك شهوات النفس ولذّاتها ، والصبر على شدّتها . ومن كان في تجرّده على خلاف ذلك بأن كان متسحّطاً ولا صبر عنده ، فالاكتساب في حقّه أفضل . وبالجمله فالعبرة بما أقام الله العبد فيه .

قال ابن عطاء الله السكندري^(٢): (إرادتك التجريد مع إقامة الله لك في الأسباب من الشهوة الخفية ، وإرادتك الأسباب مع إقامة الله لك في التجريد انحطاط عن الرتبة العلية)^(٣) .

(١) هذا التفصيل لا يتمشى إلا على أحد طريقي العلماء: وهو أنّ الاكتساب ينافي التوكل . وأما على الطريق الثاني الراجح عند الجمهور (وهو أن الاكتساب لا ينافي التوكل) فلا؛ لأنهم عرّفوا التوكل بأنّه الثقة بالله تعالى ، والإيقان بأنّ قضاءه نافذ ، واتباع سنة نبيه ﷺ في السعي فيما لا بد منه سيما المطعم والمشرب والتحرز من العدو كما فعله الأنبياء عليهم الصلاة والسلام . انظر إتحاف المرید (١٥٦) .

(٢) سبقت ترجمته ص (٢٢٦) .

(٣) انظر شرح الحكم العطائية للشرنوبی ص (١٦) ، حكمة رقم (٢) .

١٢١- في الاكْتِسَابِ وَالتَّوَكُّلِ اخْتِلَفٌ وَالرَّاجِحُ التَّفْصِيلُ حَسْبَمَا عُرِفَ

قوله: (حسبما عُرف) (١)

أي: من كتب الصوفية كالأحياء للغزالي (٢) ، والرسالة للقشيري (٣).



(١) من أن للتوكل معنيين:

أحدهما: ترك تعاطي الأسباب بالاختيار.

ثانيهما: اعتماد القلب على الله تعالى فيما يجلبه من خير ، أو يدفعه من ضرر . وفي ذلك قال الجنيد: ليس التوكل بالكسب ، ولا ترك الكسب . التوكل بسكون القلب إلى موعود الرب . انظر عمدة المريد ج ٤ (ق ٥٥/ب) وما بعدها .

(٢) سبقت ترجمته ص (١١٤) .

(٣) عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك النيسابوري الأستاذ أبو القاسم الملقب

زين الإسلام ، الإمام ، ولد سنة ست وسبعين وثلاثمئة ، أخذ الفقه عن أبي بكر الطوسي ، وعلم الكلام عن الأستاذ أبي بكر بن فورك ؛ وأخذ التصوف عن أستاذه أبي علي الدقاق ، كان فقيهاً أصولياً محدثاً مفسراً نحوياً لغوياً . من تصانيفه: التفسير الكبير ، والرسالة ، وآداب الصوفية ، وكتاب المناجاة ، توفي سنة خمس وستين وأربعمئة للهجرة . انظر طبقات الشافعية للسبكي

(٥/١٥٢ وما بعدها) .

١٢٢- وَعِنْدَنَا الشَّيْءُ هُوَ الْمَوْجُودُ وَثَابِتٌ فِي الْخَارِجِ الْمَوْجُودُ

الشَّيْءُ هُوَ الْمَوْجُودُ

قوله: (وعندنا الشيء هو الموجود)

هذا شروع في ذكر مسائل ينفع علمها ولا يضر جهلها. فعند أهل الحق من الأشاعرة أنّ الشيء اسم للموجود، فكلُّ شيء موجود، وكلُّ موجود شيء^(١).

قوله: (وثابت في الخارج الموجود)

يعني أنّ الثابت في الخارج بحيث يصحُّ أن يُرى هو الموجود، ولا واسطة^(٢) بينهما، خلافاً لمن أثبت الأحوال، فقال: هي ثابتة في

(١) خلافاً للمعتزلة: فالمعدوم عندهم شيء؛ لأنّ الأشياء قبل وجودها ثابتة في نفسها؛ إلا أنها مستترة كاستتار الثوب في الصندوق. ولذلك يقولون: إن الحقائق ليست بجعل جاعل، لم تتعلق القدرة إلا بظهورها؛ لاستتارها قبل ذلك.

وأما أهل السنة فيقولون: إنها بجعل جاعل، تعلقت القدرة بوجودها؛ لعدم ثبوتها قبل ذلك.

وهذا كله إنما هو في الشيء اصطلاحاً. وأما لغة: فالشيء هو الأمر مطلقاً موجوداً أو معدوماً. تحفة المريد (١٢١). وانظر ص (١٤٣ - ١٤٤) من هذا الكتاب. ولخص شيخ الإسلام زكريا الأنصاري هذه المسألة بقوله: الشيء عند أهل السنة الموجود، وعند المعتزلة ماله تحقق ذهنياً أو خارجياً. انظر الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة (٦٦).

(٢) المراد بالواسطة في علم المنطق الاحتمال الثالث، فقولنا مثلاً: زيد إمّا قائم، =

نفسها ، لا موجودة فيصَحُّ أن تُرَى ، ولا معدومة ^(١) ، بل هي واسطة بينهما .

الوجود عين الموجود والجوهر الفرد حادث

قوله : (وجود شيء عينه) ^(٢)

يعني أنَّ وجود كلِّ شيء من الموجودات عين ذاته ، وليس زائداً على حقيقتها ، فالمعدوم لا حقيقة له في الخارج ، وليس ثابتاً .

قوله : (والجوهر الفرد)

عبارة عن الجزء الذي لا يتجزأ ، أي : لا يقبل الانقسام أصلاً ، لا طولاً ولا عرضاً ، ولا عمقاً ولا كسراً ، ولا قطعاً ولا وهماً ولا فرضاً .

= وإمَّا في حالة القرفُصاء ، يحتمل حالة ثالثة وهو أن يكون قاعداً . فإذا ليس المراد بالواسطة التوسط ، إنَّما مطلق الحالة الثالثة . وهنا المراد أنَّ الشيء إمَّا موجود ، أو معدوم ، ولا حالة ثالثة له . خلافاً لمن أثبت الأحوال .

(١) في (د) ولا معلومة . وأثبتنا ما يقتضيه المعنى ؛ إذ السياق في الحديث عن الوسطة بين الموجود والمعدوم .

(٢) قال الملوي في حاشيته على شرح السنوسية (ق ٧/أ) : وجود كل شيء عينه : بمعنى أنه ليس في الخارج صفة وجودية هي الوجود ، بل الوجود أمر اعتباري عبارة عن التحقق .

١٢٣- وُجُودُ شَيْءٍ عَيْنُهُ وَالْجَوْهَرُ الْفَرْدُ حَادِثٌ عِنْدَنَا لَا يُنْكَرُ
١٢٤- ثُمَّ الذُّنُوبُ عِنْدَنَا قِسْمَانِ صَغِيرَةٌ كَبِيرَةٌ فَالثَّانِي

قوله: (حادث)

أي: مسبوق بعدم؛ لملازمته للأعراض الحادثة، وملازم الحادث حادث. فحدوث الجوهر بالملازمة للأعراض، وحدوث الأعراض بمشاهدة تغيرها وانتقالها من حالة لأخرى، ويلزم من حدوثه حدوث العالم لتركبه منها، والمركب من الحادث حادث، وتقدم ذلك^(١).

إذا علمت ذلك فهذه المسألة أصل كبير ينبغي معرفتها والاعتناء بها؛ لأنه إذا لم يثبت حدوث الجوهر الفرد فلربما توصل بذلك إلى القول بقدم العالم.

قوله: (عندنا لا ينكر)

أي: ثبوته^(٢) وتقرُّره في الوجود، فالأجسام كلها مركبة منه.

الذنوب والتوبة منها

قوله: (ثم الذنوب عندنا قسمان)

أي: عند أهل السنة، وردَّ بذلك على المرجئة^(٣) القائلين: إنَّ

(١) انظر ص (١٢٨-١٢٩) من هذا الكتاب.

(٢) يريد ثبوت الجوهر الفرد الحادث؛ لأنَّ الله تعالى قادر على تفريق الأجسام بحيث لا يبقى جزء على جزء. وغرض الماتن بذلك الردُّ على الفلاسفة المنكرين للجوهر الفرد. انظر تحفة المرید (١٢١).

(٣) الإرجاء على معنيين، أحدهما: بمعنى التأخير، والثاني: إعطاء الرجاء، وأما =

١٢٤- ثُمَّ الذُّنُوبُ عِنْدَنَا قِسْمَانِ صَغِيرَةٌ كَبِيرَةٌ فَالثَّانِي

الذنوب كلها صغائر ، ولا يضُرُّ مع الإيمان ذنب . وعلى الخوارج حيث قالوا: إِنَّ كُلَّ ذَنْبٍ كَبِيرَةٌ ، ومرتكبها كافر .

قوله: (صغيرة كبيرة) حذف العاطف للضرورة .

واعلم أَنَّ الكبائر لا تحصر بعدد ، وإنَّما لها أمارات:

- منها إيجاب الحد^(١) نصّاً .

- ومنها الإيعاد عليها بالعذاب بالنَّار^(٢) ونحوها .

- ومنها وصف فاعلها بالفسق نصّاً .

- ومنها اللعن كلعن الله السارق^(٣) .

وأكبرها الكفر بالله ، ثُمَّ القتل العمد .

وما خرج عن حدِّ الكبيرة وضابطها فهو صغيرة ، ولا تحصر أفرادها ،

= إطلاق اسم المرجئة على الجماعة بالمعنى الأوَّل فصحيح؛ لأنَّهم كانوا

يؤخِّرون العمل عن النيَّة والعقد ، وأمَّا بالمعنى الثاني فظاهر؛ لأنَّهم يقولون:

لا تضُرُّ مع الإيمان معصية ، كما لا تنفع مع الكفر طاعة . وقيل: الإرجاء

تأخير حكم صاحب الكبيرة إلى يوم القيامة . انظر الملل والنحل (١/١٣٩) .

(١) كالقطع في السرقة؛ لقوله تعالى: ﴿ فَأَقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ﴾ سورة المائدة (٣٨) .

والجلد؛ لقوله تعالى: ﴿ فَاجْلِدُوا كُلَّ وَجْهِئِهِمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ﴾ سورة النور (٢) .

(٢) مثل قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَعَظِيبَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَلَعْنَةُ اللَّهِ ﴾ سورة النساء (٩٣) .

(٣) وهو حديث: «لَعَنَ اللَّهُ السَّارِقَ يَسْرِقُ الْبَيْضَةَ فَتَقْطَعُ يَدُهُ ، وَيَسْرِقُ الْحَبْلَ فَتَقْطَعُ

يَدُهُ» . رواه البخاري في كتاب الحدود برقم (٦٤٠١) عن أبي هريرة . ورواه

مسلم . والنسائي . وابن ماجه .

١٢٤- ثُمَّ الدُّنُوبُ عِنْدَنَا قِسْمَانِ صَغِيرَةٌ كَبِيرَةٌ فَالثَّانِي

١٢٥- مِنْهُ الْمَتَابُ وَاجِبٌ فِي الْحَالِ وَلَا انْتِقَاصَ إِنْ يَعُدُّ لِلْحَالِ

وربما تقلب الصغيرة كبيرة بأمور منها: الإصرار ، والتهاون ، والفرح ، والافتخار بها .

قوله : (الثاني منه المتاب واجب في الحال)

أي : في حال التلبس بالمعصية ، والمراد بالمتاب التوبة الشرعية وأركانها ثلاثة :

- الإقلاع عن المعصية .

- والندم على فعلها .

- والعزم على أن لا يعود إلى مثلها .

وتصحُّ التوبة ، ولو من بعض المعاصي ، وهذه الأركان للمعاصي التي تكون بين العبد وبين ربه .

أما المتعلقة بحقِّ الأدميين فيزداد فيها ردُّ المظالم إلى أهلها ، أو مسامحتهم له ، ولو إجمالاً عند الإمام مالك ، فبراءة المجهول صحيحة عنده . فإن لم يقدر على ردِّ المظالم بأن كان مُسْتَعْرِقاً لذمم ، فالمطلوب منه الإخلاص وكثرة التضرع ، لعلَّ الله يُرضي عنه خصمائه يوم القيامة .

ولا خلاف في وجوبها عيناً^(١) ، ودليلها قوله تعالى : ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾^(٢) وقوله ﷺ : « إِذَا تَابَ الْعَبْدُ أَنْسَى

(١) أي في وجوب التوبة على كل مؤمن من كل كبيرة بعينها ، ولو كان ذلك بتوبة إجمالية ، كقوله : تبت إلى الله من جميع المعاصي .

(٢) سورة النور (٣١) .

١٢٥- مِنْهُ الْمَتَابُ وَاجِبٌ فِي الْحَالِ وَلَا انْتِقَاضَ إِنْ يَعُدُّ لِلْحَالِ
 ١٢٦- لَكِنْ يُجَدِّدُ تَوْبَةً لَمَا اقْتَرَفَ وَفِي الْقَبُولِ رَأْيُهُمْ قَدْ اخْتَلَفَ

اللهُ الْحَفَظَةَ ذَنْبُهُ ، وَأَنْسَى ذَلِكَ جَوَارِحَهُ وَمَعَالِمَهُ مِنَ الْأَرْضِ حَتَّى يَلْقَى
 اللَّهُ وَلَيْسَ عَلَيْهِ شَاهِدٌ بِذَنْبٍ»^(١).

قوله: (ولا انتقاض إن يعدد للحال)

أي: لا تنتقض توبة التائب الشرعية إن رجع للحالة الأولى التي كان
 عليها من التلبس بالذنوب ثانياً ، وإنما عوده ونقضه معصية أخرى .

قوله: (لكن يجدد توبة لما اقترف)

أي: للذنب الذي ارتكبه ثانياً. قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾^(٢)
 وهم الذين كلما أذنبوا تابوا. وفي الحديث: «التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ
 لَا ذَنْبَ لَهُ»^(٣).

قوله: (وفي القبول رأيهم قد اختلف)

أي: في قبول التوبة خلاف ، فقال الأشعري^(٤) بقبولها قطعاً. وقال

(١) أخرجه الأصبهاني في الترغيب والترهيب (٧٥١). وضعفه المنذري في
 الترغيب (٩٤/٤) فصدره بـ (رُوي).

(٢) سورة البقرة (٢٢٢).

(٣) حسنه الحافظ ابن حجر لشواهدة كما في المقاصد (١٥٢) للسخاوي.
 والحديث أخرجه ابن ماجه (٤٢٥٠). وإسناده منقطع كما قال المنذري في
 الترغيب (٩٧/٢). والسخاوي (١٥٢). وأخرجه البيهقي في الشعب (٧١٧٨).
 قال السخاوي: سنده ضعيف.

(٤) سبقت ترجمته ص (٨٧).

١٢٦- لَكِنْ يُجَدِّدُ تَوْبَةً لِمَا اقْتَرَفَ وَفِي الْقَبُولِ رَأْيُهُمْ قَدْ اخْتَلَفَ

إمام الحرمين^(١) والقاضي^(٢) ظناً.

وكلُّ هذا في غير الكافر ، وأمّا هو فتوبته مقبولة قطعاً؛ لقوله تعالى :
﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ ﴾^(٣).

والفرق بين الكافر والعاصي : أنّ الكافر مطرود عن رحمة الله بالكلية ،
والعاصي ليس بمطرود ، بل غاية ما في العاصي تطهيره بالعذاب ، ثمّ
يدخل الجنة . وأمّا الكافر فيحتاج إلى تألّفه بقبول توبته ؛ فإنّه إن لم تقبل
توبته لا يشمُّ ريح الجنة ، بخلاف العاصي ، مع أنّ رحمة الله غلبت غضبه .

ومن جملة مكفّرات الكبائر : الحجُّ المبرور ؛ لما في الحديث :
« الحجُّ المبرور ليس له جزاء إلا الجنة »^(٤) ، والجهاد في سبيل الله ؛ فإنّه
ورد : « إنّ الغزو في سبيل الله في البرِّ يكفّرهما إلا التّبعات »^(٥) ، وفي البحر
يكفّرهما حتّى التّبعات »^(٦).

(١) سبقت ترجمته (٢٣٣) . وانظر كتابه الإرشاد (٤٠٣) .

(٢) هو أبو بكر الباقلاني وسبقت ترجمته (١١١) . وانظر كتابه التمهيد (٣٧٤) .

(٣) سورة الأنفال (٣٨) .

(٤) أخرجه البخاري (١٧٧٣) . ومسلم (١٣٤٩) .

(٥) جمع تبعة : وهي ما يتبع المال من نوائب الحقوق . . . وما أتبع به أحدٌ صاحبه
من ظلامية ونحوها . انظر لسان العرب (تبع) .

(٦) هذا الحديث لا أصل له هكذا . وهو عند ابن ماجه (٢٧٧٨) ، والطبراني في
الكبير (٧٧١٦) بنحوه . قال العراقي : عفير بن معدان أحد رواة ضعيف جداً
اهـ . فيض القدير (١٦٧/٤) .

وأخرج نحوه أبو نعيم في حلية الأولياء (٥١/٨) وفيه يزيد الرقاشي متروك ،
فالحديث وإيه جداً ومنكر مخالف لما رواه مسلم (١٨٨٦) عن عبد الله بن عمرو
أنّ رسول الله ﷺ قال : « يُغْفَرُ لِلشَّهِيدِ كُلُّ ذَنْبٍ إِلَّا الدِّينَ » .

وجوب حفظ الكليات الخمس

قوله: (وحفظ دين... إلخ)

هذه المسألة تسمى عند القوم بالكليات^(١) الخمس ، وفي الحقيقة هي ستٌ. وصدر بالدين ؛ لأنه أعظم الواجبات . ولما كان أعظمها كان أوّل الواجبات المعرفة^(٢) ، فلا خير فيمن لا دين له ، والمراد بحفظه صيانه عن الكفر وانتهاك الحرمات ؛ ولذا شرع قتال الكفار الحربيين وغيرهم .

قوله: (ثم نفس)

أي: عاقلة^(٣) . فيجب حفظها ، ولا يباح قتلها ، ولا قطع أعضائها بغير حق ، ولا منع الطعام والشراب الذي به قوامها^(٤) ، وكذا اللباس الذي تتقي به الحرّ والبرد ؛ ولذا شرع القصاص في النفس والأطراف .

(١) سُمّيت بالكليات ؛ لأنّ حفظها يتفرع عليه أحكام كثيرة اهـ . حاشية الأمير على إتحاف المرید (١٥٩) .

فمن هذه الأحكام مثلاً: حدُّ السرقة ؛ فقد شرع لحفظ المال .
(٢) في ذلك إشارة إلى قول الماتن:

وَأَجْرِمُ بِأَنَّ أَوْلَىٰ مِمَّا يَجِبُ مَعْرِفَةٌ وَفِيهِ خُلْفٌ مُنْتَصِبٌ
انظر ص (١١٧) من هذا الكتاب .

(٣) أي شأنها العقل وهي: الإنسان ولو صغيراً أو مجنوناً ، خرج البهائم فيتصرف فيها بالوجه الشرعي كالذبيح . انظر حاشية الأمير على إتحاف المرید (١٥٩) .
وتحفة المرید (١٢٣) .

(٤) ولذا يَأْتِمُ مَنْ مَنَعَ الطَّعَامَ أَوْ الشَّرَابَ عَنِ نَفْسٍ حَتَّىٰ مَاتَتْ ، وَإِنْ كَانَ لَا يَقَامُ عَلَيْهِ حَدٌّ إِلَّا أَنَّهُ عِنْدَ اللَّهِ كَالْقَاتِلِ .

١٢٧- وَحِفْظُ دِينٍ ثُمَّ نَفْسٍ مَا لَنْ نَسَبَ وَمِثْلَهَا عَقْلٌ وَعِرْضٌ قَدْ وَجَبَ
 ١٢٨- وَمَنْ لِمَعْلُومٍ ضَرْوَرَةٌ جَحْدٌ مِنْ دِينِنَا يُقْتَلُ كُفْرًا لَيْسَ حَدٌّ

وإنما جعلوها خمسة^(١)؛ لأنَّ بين العِرْض والنسب تلازماً؛ لأنَّ مَنْ ضَيَّعَ النسب فقد ضَيَّعَ العِرْض.

قوله: (قد وجب)

أي: حفظ الجميع. وآكدُ الجميع حفظُ الدِّين، فتجب المحافظة على الدِّين ولو ببذل النفس والمال والنسب والعقل والعِرْض.

حِكْمٌ مِنْ أَنْكَرِ مَعْلُومًا مِنَ الدِّينِ بِالضَّرُورَةِ

قوله: (ومن لمعلوم ضرورة جحد من ديننا... إلخ)

يعني أنَّ كلَّ من جحد حكماً عَلِمَ من الدين بالضرورة؛ بمعنى أنَّه اشترك في معرفته الخاصُّ والعامُّ فهو كافر، كجحد وجوب الصلاة أو شيء من أركانها المجمع عليها كالسجود، وحرمة الزَّنى والخمر ونحوهما.

قوله: (يقتل كُفْرًا) أي: بعد استتابته ثلاثة أيَّام.

قوله: (ليس حدًّا)

أي: ليس قتله حدًّا وكفَّارة لجرمه كما في سائر الحدود^(٢).

(١) إذ مَنْ عَدَّهَا خمساً جعل العِرْض والنسب شيئاً واحداً، ومن عَدَّهَا ستّاً جعل العِرْض إحدى الكلِّيات، وكذلك النسب. انظر حاشية الأمير على إتحاف المرید (١٥٩).

(٢) المقتول حدًّا يموت مؤمناً، فيغسَّل، ويكفَّن، ويصلَّى عليه، ويدفن في مقابر المسلمين.

أمَّا المقتول لكفره - والعياذ بالله - فلا يُفعل ذلك به إنَّما يلقي كجيفة قدرة تطمر بالتراب.

١٢٩- ومِثْلُ هَذَا مَنْ نَفَى لِمُجْمَعٍ أَوْ اسْتَبَاحَ كَالزَّنَى فَلتَسْمَعِ
١٣٠- وَوَاجِبُ نَصْبِ إِمَامٍ عَدْلٍ بِالشَّرْعِ فَاعْلَمْ لَا بِحُكْمِ العَقْلِ
.....

قوله: (ومثل هذا من نفى لمجمع)

ظاهره وإن لم يكن معلوماً من الدين بالضرورة؛ كفرض السدس لبنت الابن مع البنت تكملة الثلثين ، فإنه ثبت بإجماع الصحابة ، وليس كذلك ، بل المعتمد أن منكره ليس بكافر ، وإنما يكفر إذا نفى مجمعاً عليه معلوماً من الدين بالضرورة .

قوله: (أو استباح كالزنى)

هذا داخل في قوله: (ومن لمعلوم ضرورة جحد) ، وإنما قصد بذلك التنصيص على أعيان المسائل .

وجوب نصب الإمام العادل ووجوب طاعته

قوله: (وواجب نصب إمام عدل)

هذا البحث من الفقهيّات ، وإنما ذكره تبعاً للقوم ، أي: يجب على الأمة وجوباً كفائياً إقامة خليفة عدل لا يميل به الهوى ، فيجوز في الحكم ، والمراد به عدل الشهادة ، وهو من استكمل شروطاً ستّة: الإسلام ، والبلوغ ، والعقل ، والحرية ، والذكورة ، وعدم الفسق بجارحة أو اعتقاد .

= وقد يرفع الإثم عن المقتول حداً أو لا يرفع؛ لأنه إذا قُتل وهو مصمم على العودة إلى مثل معصيته فهو مصرّ ، والحد لا يطهره من رجسه إنما الذي يطهره التوبة الصادقة ، فإن اجتمع مع الحد تلك التوبة فقد رفع الإثم عنه وإلا فلا .
انظر ردّ المحتار (١/٥٩٧ - ٦١٠) (٣/١٤٠ - ١٤٦) .

١٣٠ - وَوَجِبَ نَصْبُ إِمَامٍ عَدْلٍ بِالشَّرْعِ فَاعْلَمَ لَا بِحُكْمِ الْعَقْلِ

وليس كلُّ من يصلح للإمامة يصير إماماً ، بل لا بدَّ من النصِّ على إمامته إمَّا من الله تعالى^(١) ، أو رسوله ﷺ^(٢) ، أو من الإمام السابق^(٣) ، أو إجماع الأمة^(٤) . وهذه شروط في حالة الابتداء والاختيار ، ولذلك يعزل إن أزيل وصفه^(٥) ، أو تغلَّب علينا في الابتداء ، وهو معدوم الأوصاف .

وقوله : (بالشرع)

متعلِّق بواجب ، أي : فوجوب نصبه حكمٌ شرعي ، فهو أهمُّ الواجبات ، ولذا اشتغل الصحابة بذلك عن دفن رسول الله ﷺ ، فتأخَّر دفته يومين ؛ لأنَّه ورد أنَّه توفِّي يوم الإثنين ، ودفن ليلة الأربعاء^(٦) .

- (١) كقوله سبحانه : ﴿ يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ ﴾ الآية (٢٦) من سورة ص . انظر هداية المرید لإبراهيم اللقاني (ق ٣١٢/ب) . وانظر تحفة المرید (١٢٤) .
- (٢) كقوله ﷺ : « لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم اثنان » أخرجه البخاري (٣٨٥/٦) في الأنبياء باب المناقب . ومسلم برقم (١٨١٨) في الإمارة باب : الناس تبع لقريش . وكقوله ﷺ : « الأئمة من قريش . . . » أخرجه أحمد في مسنده (١٢٩/٣) و(٤٢١/٤) .
- وانظر الجامع الصغير (٤٢٢/١) برقم (٣١٠٨) .
- (٣) كاستخلاف أبي بكر الصديق عمر بن الخطاب ، رضي الله عنهما .
- (٤) كخليفة سيدنا أبي بكر ، وسيدنا عثمان ، رضي الله عنهما .
- (٥) المراد بقوله : (إن أزيل وصفه) طرؤ كفره . انظر ص(٤٢٨) من هذا الكتاب .
- (٦) أخرجه أحمد (١١٠/٦) عن عائشة قالت : (توفِّي النبي ﷺ يوم الإثنين ، ودفن ليلة الأربعاء) . وأخرج مالك في الموطأ (٢٣١/١) بلاغاً أن رسول الله ﷺ توفِّي يوم الإثنين ، ودفن يوم الثلاثاء . وأخرجه أبو زرعة الدمشقي في تاريخه (١٥٣/١) عن أبي سلمة بن عبد الرحمن .
- وأخرجه ابن سعد في الطبقات (٢٧٣/٢) من أوجه كلِّها مراسيل . والجمع بين الروایتين أنه ﷺ دفن يوم الثلاثاء مساءً ليلة الأربعاء بدليل ما رواه ابن سعد (٢٧٣/٢) عن عكرمة مرسلًا قال : توفِّي رسول الله ﷺ يوم الإثنين =

١٣٠ - وَوَجِبَ نَصْبُ إِمَامٍ عَدْلٍ بِالشَّرْعِ فاعْلَمْ لَا بِحُكْمِ الْعَقْلِ
١٣١ - فَلَيْسَ رُكْنًا يُعْتَقَدُ فِي الدِّينِ فَلَا تَزِغْ عَن أَمْرِهِ الْمُبِينِ

ولا يجوز تعدد الخليفة - ومن خرج وجب قتاله - إلا إذا اتسعت
الأفطار وبعدت جداً ، فيجوز التعدد^(١) .

قوله : (فاعلم لا بحكم العقل)

ردّ بذلك على المعتزلة القائلين بأنّ وجوب نصبه بالعقل لا بالشرع .

قوله : (فليس ركناً يعتقد في الدين)

أي : من القواعد المجمع عليها المنقولة بالتواتر كأركان الإسلام ،
بل حكمه حكم سائر الشرعيات^(٢) .

= فيجلس بقية يومه وليلته ومن الغد حتى دُفن من الليل اهـ .

وانفقوا على أنه ﷺ توفي يوم الإثنين . انظر فتح الباري (١٣٩/٨) . وانظر
الشمائل للترمذي في وفاته ﷺ .

(١) علّل إبراهيم اللقاني - رحمه الله - في شرح جوهرته عدم تعدد الخلفاء ، فقال :

لأنّ ذلك يؤدّي إلى النفاق والمخالفة والشقاق وحدوث الفتن . . . فأما إذا بعد
المدى وتخلّل بين الإمامين شسوع النوى فلاحتمال في ذلك محال .

ونقل عن الأستاذ أبي إسحاق أنّه يُجوز ذلك في إقليمين متباعدين غاية التباعد
كالأندلس وخراسان ؛ لئلا يتعطلّ حقوق الناس وأحكامهم . انظر هداية المرید
(ق٣١٣/أ-ب) .

(٢) قال الباجوري : فليس نصب الإمام ركناً يعتقد في قواعد الدين المجمع عليها

المعلومة بالتواتر بحيث يكفر منكرها كالشهادتين والزكاة وصوم رمضان
والحج ؛ لأنه ليس معلوماً من الدين بالضرورة ، فلا يكفر منكره اهـ . تحفة
المرید (١٢٥) .

وقال إبراهيم اللقاني في شرح جوهرته : تقدّم أن مباحث الإمامة العظمى حتّمها
أن تذكر في الفقهيات ، فلمّا ذكرها في علم العقائد خشي أن يتوهّم المبتدئ =

١٣١- فَلَيْسَ رُكْنًا يُعْتَقَدُ فِي الدِّينِ فَلَا تَزُغُ عَن أَمْرِهِ الْمُبِينِ
 ١٣٢- إِلَّا بِكُفْرٍ فَاذًا وَعَهْدُهُ فَاللَّهُ يَكْفِينَا أَذَاهُ وَوَحْدَهُ

قوله: (فلا تزغ عن أمره المبين)

أي: لا تمل عن امتثال أمره ، أي: ونهيه؛ لوجوب طاعته على سائر الرعايا ظاهراً وباطناً؛ لقوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(١) ، ولقوله ﷺ: «مَنْ أَطَاعَ أَمِيرِي فَقَدْ أَطَاعَنِي ، وَمَنْ عَصَى أَمِيرِي فَقَدْ عَصَانِي»^(٢).

قوله: (إلا بكفر)

أي: إلا إذا وقع منه الكفر وأمر به ، فلا تجوز طاعته.

قوله: (فانبذنَّ عهده) أي: اطرح بيعته.

قوله: (فالله يكفيننا أذاه) أي: الجائر أو الكافر.

وقوله: (وَحْدَهُ) حال من لفظ الجلالة.

= المخاطب بهذه المقدمة بالذات أن نصب الإمام من جملة المعتقدات ، فلذا نفى أن يكون أحد القواعد المجمع عليها المنقولة بالتواتر كالشهادتين والصلاة والزكاة وصوم رمضان والحج بقوله: فليس ركناً يعتقد في الدين ، وكلُّ ما ليس كذلك فحكمه حكم سائر الشرعيات يجب اعتقاد ما صحَّ منها ، ولا يكفر منكروه إلا إذا وجد شرطه [وهو كونه معلوماً من الدين بالضرورة]. هداية المرید (ق٣١٥/أ). وانظر إتحاف المرید (١٦٠ - ١٦١).

(١) سورة النساء (٥٩).

(٢) أخرجه البخاري (٢٩٥٧). ومسلم (١٨٣٥) عن أبي هريرة نحوه.

١٣٣- بغيرِ هذا لا يُباحُ صرفُهُ وليسَ يُعزَلُ إن أُزيلَ وصفُهُ
١٣٤- وأمرُ بعُرفٍ واجتنبَ نَمِيمَهُ وغيبَةً وخصلَةً ذَمِيمَهُ

.....

قوله: (بغير هذا لا يباح صرفه)

أي: بغير الكفر، من جميع المعاصي إذا فعلها غير مستحل لها لا يجوز عزله.

قوله: (وليس يعزل إن أزيل وصفه)

أي: إذا وُلِّي مستكماً للشروط، ثم زال وصف العدالة منه؛ بأن طرأ عليه الفسق فلا يعزل، وأما طرؤ الكفر فيعزل به.

الأمر بالمحروف

والنهي عن المنكر وشروطهما

قوله: (وأمر بعرف)

أي: وانه عن منكر وجوباً كفايماً، وإنما ترك النهي؛ لأن بينهما تلازماً، وأيضاً الأمر أشرف.

والعرف: هو المعروف، وهو اسم لكل ما عرف من طاعة الله عز وجل، والتقرب إليه والإحسان إلى الناس، وكل ما ندب إليه الشرع. والمنكر: ضده.

ودليله من الكتاب والسنة والإجماع: قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ

أُخْرِجَتِ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ . . . ﴿١﴾ وفي الحديث^(٢): «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»^(٣).

ويشترط في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن يكون عالماً بما يأمر به ، أو ينهى عنه ، وأن لا يؤدي إلى مفسدة أعظم ، وأن يغلب على الظن الإفادة^(٤) ، فإن فقد الأولان حرّم ، وإن فقد الأخير سقط الوجوب^(٥).

(١) سورة آل عمران (١١٠).

(٢) أخرجه مسلم (٤٩) عن أبي سعيد مرفوعاً. ورواه أبو داود رقم (١١٤٠). والترمذي رقم (٢١٧٢). والنسائي (١١١/٨). وابن ماجه رقم (٤٠١٣) بالفاظ متقاربة.

(٣) ومراتب الإنكار ثلاث: أقواها أن يغيّر بيده ، وهو واجب عيناً فوراً مع القدرة ، فإن لم يقدر على ذلك انتقل للتغيير بالقول ، وليكن أولاً بالرفق واللين ، فإن عجز انتقل إلى الإنكار بالقلب ، وهو أضعفها.

ولا يُشكّلُ على هذه القاعدة قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ سورة المائدة (١٠٥) لأن معناها إذا فعلتم ما كلفتم به لا يضرّكم تقصير غيركم لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُزِدْ وَارِثَةً وَرَثَةً وَرَثَةٌ سِوَى الْأَنْعَامِ﴾ (١٦٤). انظر إتحاف المرید (١٦١).

(٤) وذلك تحت قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى﴾ سورة الأعلى (٩).

(٥) جاءت شروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند عبد السلام اللقاني موضحة بقوله:

أن يكون الأمر عالماً بما يأمر به وينهى عنه ، فلا يحلّ للجاهل بالحكم النهي عما يراه ، ولا الأمر به . وأن يأمن أن يؤدي إنكاره إلى منكر أكبر منه ؛ كأن ينهى عن شرب الخمر ، فيؤول نهيته عنه إلى قتل النفس أو نحوه . وأن يغلب =

التخلي عن الرذائل والتخلي بالفضائل

قوله: (واجتنب نميمة)

هي نقل الكلام على وجه الإفساد^(١)، وهي محرمة إجماعاً؛ لما في الحديث: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَمَامٌ»^(٢) - أي: مع السابقين - ما لم تدع الحاجة إليها، وإلا جازت كما إذا أخبرك شخص أن إنساناً يريد الفتك بمالك أو بك أو بأهلك فليس بحرام.

قوله: (وغيبة)

هي ذكر الإنسان بما فيه ممّا يكره سواء كان بالكلام أو الإشارة،

على ظنه أن إنكاره المنكر يزيله، وأن أمره بالمعروف مؤثر في تحصيله. فعدم الشرطين الأوّلين يوجب التحريم، وعدم الشرط الثالث يسقط الوجوب ويبقى الجواز والندب اهـ. إتحاف المرید (١٦١).

ووضّح الباجوري عدم توفّر الشرط الثالث بقوله: يسقط الوجوب، ويبقى الجواز إذا قطع بعدم الإفادة، والندب إذا شك فيها اهـ. تحفة المرید (١٢٦).
(١) قال حُجّة الإسلام الغزالي بعد أن عرّف النميمة بأنّها مَنْ ينمُّ قول الغير إلى المقول فيه: (وليسَت النميمة مختصة به، بل حدّها كشف ما يكره كشفه سواء كرهه المنقول عنه، أو المنقول إليه، أو كرهه ثالث، وسواء كان الكشف بالقول أو بالكتابة أو بالرمز أو بالإيماء، وسواء كان المنقول من الأعمال، أو من الأقوال، وسواء كان ذلك عيباً ونقصاً في المنقول عنه، أو لم يكن. بل حقيقة النميمة إفشاء السرّ، وهتك الستر عمّا يكره كشفه) اهـ. إحياء علوم الدين (١٥٦/٣).

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٥٦). ومسلم (١٠٥).

١٣٤- وأمر بعُرفٍ واجتنب نَمِيمَةَ وَغِيْبَةً وَخَصْلَةً ذَمِيمَةَ

ولو بالعين إن أفهمت^(١) ، وهي محرمة إجماعاً. قال تعالى: ﴿أَيُّبُ أَحَدِكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾^(٢).

والغيبة بالقلب كاللسان في الحرمة^(٣) ، واستثني من ذلك مسائل نظمها بعضهم^(٤):

لِسِتِّ غِيْبَةٍ كَرَّرَ وَحُذِّهَا مُنْظَمَةٌ كَأَمْثَالِ الْجَوَاهِرِ

(١) زاد الباجوري على ذلك: ولو بحضوره ، لكن ظاهر المادة يؤيد ما قيل من أن ما في الحضور لا يُسمَى غيبة بل بهتاناً ، وإذا ذكره بما ليس فيه فقد زاد إثم الكذب اهـ . تحفة المرید (١٢٧).

(٢) سورة الحجرات (١٢).

(٣) قال الإمام الغزالي في باب بيان تحريم الغيبة بالقلب:

اعلم أن سوء الظن حرام مثل سوء القول ، فكما يحرم عليك أن تحدث غيرك بلسانك بمساويء الغير فليس لك أن تحدث نفسك وتسيء الظن بأخيك ، ولست أعني به إلا عقد القلب وحكمه على غيره بالسوء . فأما الخواطر وحديث النفس فهو معفو عنه ، بل الشك أيضاً معفو عنه ، ولكن المنهي عنه أن يظن ، والظن عبارة عما تركز إليه النفس ويميل إليه القلب . فقد قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَجْتِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّك بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ انظر إحياء علوم الدين (٣/١٥٠).

(٤) وهو الجَوَجْرِيُّ بجيمين على الصواب . وبيان هذه المسائل:

الأولى: التظلم ، كأن يقول المظلوم لمن له الولاية كالقاضي: فلان ظلمي . والثانية: الاستعانة على تغيير المنكر كأن يقول لمن يرجو قدرته على إزالة المنكر: فلان يعمل كذا فأعني على منعه . والثالثة: الاستفتاء كأن يقول للمفتي: ظلمي فلان فهل له ذلك ، وما طريقي في الخلاص منه؟ . والرابعة: التحذير ، كأن تذكر عيوب الشخص لمن يريد الاجتماع عليه . والخامسة: التعريف ، كأن يقول: فلان الأعمش أو الأعرج بنية التعريف . والسادسة: أن يكون مجاهرأً بفسقه ، كالمجاهر بشرب الخمر ، بشرط أن يقصد أن تبلغه لينزجر . انظر تحفة المرید (١٢٨) ، وانظر إحياء علوم الدين (٣/١٥٢).

١٣٤- وأُمِرْ بِعُرْفٍ وَاجْتَنِبْ نَمِيمَةَ وَغَيْبَةَ وَخَصْلَةَ ذَمِيمَةَ

١٣٥- كَالْعُجْبِ وَالْكِبْرِ وَدَاءِ الْحَسَدِ وَكَالْمِرَاءِ وَالْجَدَلِ فَاعْتَمِدِ

تَظَلَّمْ وَاسْتَعِنْ وَاسْتَقْتِ حَدْرٌ وَعَرَّفْ وَادْكُرْنَ فَسُقَ الْمُجَاهِرُ
قوله: (وخصلة ذميمة)

أي: ويجب على الإنسان أن يجتنب كلَّ خصلة مذمومة شرعاً.

قوله: (كالعجب)

وهو رؤية العبادة واستعظامها، وهو حرام غير مفسد للطاعة؛
لوقوعه بعدها^(١). بخلاف الرياء فإنه يقع معها فيفسدها^(٢).

فلا ينبغي للعبد أن يستعظم ما يتقرب به لسيده؛ فإنه لم يصل له منه
شيء. قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾^(٣)، وقال
تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾^(٤).

(١) قال الأمير: وقد يقع معها تحقيقاً اهـ. حاشية الأمير على إتحاف المرید (١٦٢).

(٢) لم يسلم الباجوري بالإفساد، وقال: الرياء حرام غير مفسد للطاعة، خلافاً
لمن قال بأنه يفسدها، فإن الذي صرح به بعض المحققين أنه محبط للشواب
فقط، مع وقوع العمل صحيحاً. انظر تحفة المرید (١٢٨ - ١٢٩).
وفصل الإمام الغزالي في ذلك فقال:

إذا عقد العبد العبادة على الإخلاص، ثم ورد عليه وارد الرياء فلا يخلو إما أن
يرد عليه بعد فراغه من العمل أو قبل الفراغ؛ فإن ورد بعد الفراغ سرور مجرد
بالظهور من غير إظهار فهذا لا يفسد العمل؛ إذ العمل قد تم على نعت
الإخلاص سالماً عن الرياء... وإن ورد قبل الفراغ من الصلاة مثلاً فلا يخلو
إما أن يكون مجرد سرور لا يؤثر في العمل، وإما أن يكون رياء باعثاً على
العمل، وختم العبادة به فيحبط أجره. انظر إحياء علوم الدين (٣/٣٠٨).

(٣) سورة الإسراء (٣٧).

(٤) سورة الأنعام (٩١).

قوله: (والكبر)

وهو احتقار الناس. وفي الحديث: «لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنَ الْكِبْرِ»^(١).

وهو من أعظم الذنوب القلبية.

قوله: (وداء الحسد)

الإضافة بيانية، أي: داء هو الحسد، وهو تمنّي زوال نعمة الغير سواء تمنّاها لنفسه أم لا.

قال تعالى: ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾^(٢)، وفي الحديث: «إِيَّاكُمْ وَالْحَسَدَ؛ فَإِنَّ الْحَسَدَ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ أَوْ الْعُشْبَ»^(٣). قال بعض العارفين:

أَلَا قُلْ لِمَنْ بَاتَ لِي حَاسِداً أَتَدْرِي عَلَيَّ مَنْ أَسَأَتِ الْأَدَبَ
أَسَأَتَ عَلَيَّ اللهُ فِي فِعْلِهِ كَأَنَّكَ لَمْ تَرْضَ لِي مَا وَهَبَ
فَكَانَ جَزَاؤُكَ أَنْ خَصَّنِي وَسَدَّ عَلَيْكَ طَرِيقَ الطَّلَبِ

(١) أخرجه مسلم (٩١) عن ابن مسعود مرفوعاً. وأبو داود رقم (٤٠٩١).
والترمذي رقم (١٩٩٩). وأحمد في المسند (٣٨٥/١ و٤٢٧) وتتمّة الحديث:
فقال رجل: إنّ الرجل يحبُّ أن يكون ثوبه حسناً، ونعله حسنةً، قال: «إنّ
الله جميلٌ يحبُّ الجمالَ، الكبرُ بَطْرُ الحقِّ وغمطُ الناسِ».

(٢) سورة الفلق (٥).

(٣) أخرجه أبو داود (٤٩٠٣). والبيهقي في الشعب (٦٦٠٨) عن أبي هريرة
مرفوعاً وإسناده حسن.

١٣٥- كَالْعُجْبِ وَالْكِبْرِ وَدَاءِ الْحَسَدِ وَكَالْمِرَاءِ وَالْجَدَلِ فَاعْتَمِدِ
١٣٦- وَكُنْ كَمَا كَانَ خِيَارُ الْخَلْقِ حَلِيفَ حِلْمٍ تَابِعاً لِلْحَقِّ
.....

قوله: (وكالمراء)

هو منازعة الغير فيما يدعي صوابه ، فالمذموم طعنك في كلام الغير؛ لتحقيره وإظهار مزيتك عليه . وأمّا إن كان لإظهار حقّ وإبطال باطل فهو مطلوب شرعاً .

قوله: (والجدل)

هو مقابلة الحجّة بالحجّة ، والمراد به هنا ما كان لإبطال حقّ أو لتحقيق باطل ، أو لينسب شرف العلم له ، ويصفرّ به وجوه الناس .

قوله: (فاعتمد)

كَمَلِ الْبَيْتَ بِذَلِكَ إِشَارَةً إِلَى انْقِضَاءِ فَنِّ التَّوْحِيدِ ، أَي : فَاعْتَمِدْ مَا ذَكَرْتَهُ لَكَ ؛ فَإِنَّهُ مَذْهَبُ أَهْلِ السَّنَةِ وَالْجَمَاعَةِ .

التخلق بأخلاق النبي ﷺ ومن سار على هديه

قوله: (وكن كما كان خيار الخلق)^(١)

هذا شروع في ذكر شيء من فنّ التصوُّف .

(١) المراد بخيار الخلق نبينا ﷺ ؛ لأنه جمع ما تفرّق في غيره من الخصال الحميدة ، فهو الخيار المطلق ، ويحتمل أنّ المراد به الأنبياء ، عليهم الصلاة والسلام ؛ لأنهم خيار الخلق . والأولى أن يُراد به كلُّ من ثبتت له الخيرية ، ولو بالنسبة لما دونه ، فيشمّله ﷺ ، ويشمل الأنبياء والعلماء والشهداء والأولياء والزّهّاد والعُبّاد اهـ . تحفة المريد (١٣١) .

١٣٦- وَكُنْ كَمَا كَانَ خِيَارُ الْخَلْقِ حَلِيفَ حِلْمٍ تَابِعاً لِلْحَقِّ

وهو علم بأصولٍ يُعرف به إصلاح القلب وسائر الحواسِّ ، فبذلك تصلح الأعضاء؛ لما في الحديث: «أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ...»^(١). والتصوف مأخوذ من الصفا. قال بعض العارفين^(٢):

يَا وَاصِفِي أَنْتَ فِي التَّحْقِيقِ مَوْصُوفِي وَعَارِفِي لَا تُغَالِطِي أَنْتَ مَعْرُوفِي
إِنَّ الْفَتَى مَنْ بَعَثَهُ فِي الْأَزْلِ يُوفِي صَافِي فُصُوفِي لِهَذَا سُمِّي الصُّوفِي

أي: خَلَصَ باطنه من الشهوات ، وصَفَاهُ ، فَعُومِلَ بالصفا ، فمن أجل ذلك سُمِّي الصوفي ، وإصلاح القلب باتباع الأخلاق المحمّدية؛ لأنّه ﷺ جمع ما تفرّق في غيره ، فقد ورد: «كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ»^(٣) فمن تخلّق بأخلاقه كان كامل الإيمان ، ولا يدبُّ على الأخلاق المحمّدية إلا الأشياخ العارفون برّبهم ، فمن أراد السلوك والوصول فليلتزم عارفاً كاملاً على الكتاب والسنة ، فيزنه قبل الأخذ عنه؛ فإنَّ وجده كاملاً على القَدَمِ المحمّدي فليطلب رضا الله في رضاه ، ويعتقد أنّه أكمل أهل عصره ، ولذلك قال العارفون: (حال رجل في ألف رجل أنفع من وعظ ألف رجل في رجل).

-
- (١) أخرجه البخاري (٥٢) و(٢٠٥١). ومسلم (١٥٩٩). وأبو داود رقم (٣٣٢٩) و(٣٣٣٠). والترمذي رقم (١٢٠٥). والنسائي (٧/٢٤١ - ٢٤٣). وابن ماجه رقم (٣٩٨٤). وأول الحديث: «إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ...» من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه مرفوعاً.
- (٢) نُسِبَ هذان البيتان للشيخ عبد الغني النابلسي رحمه الله ، كما ذكر الأمير في حاشيته على الإتحاف ص(١٦٣).
- (٣) أخرجه مسلم (٧٤٦) عن السيدة عائشة رضي الله عنها.

١٣٦- وَكُنْ كَمَا كَانَ خِيَارُ الْخَلْقِ حَلِيفَ حِلْمٍ تَابِعاً لِلْحَقِّ
 ١٣٧- فَكُلُّ خَيْرٍ فِي اتِّبَاعٍ مِّنْ سَلَفٍ وَكُلُّ شَرٍّ فِي ابْتِدَاعٍ مِّنْ خَلْفٍ

وقال السيّد البكري^(١):

وَالزَّمْ بَابَ الْأُسْتَاذِ تَفَزُّرٌ وَتَكُونُ بِذَلِكَ خِلًّا نَجِيًّا
 قوله: (حليف حِلْم)

أي: محالفه وملازمه. وبدأ بالحلم؛ لأنّه جامع لأوصاف الخير، والمراد به: التحمّل لمشاقة عباد الله، والصبر على أذاهم، فلا يستفزه الغضب مع التكثير بالإخوان^(٢) إلا فيما يغضب الله، وعليه حَمِل قول الشافعي: (من استغضب ولم يغضب فهو حمار، ومن استرضي ولم يرض فهو شيطان). وقال بعضهم:

إِذَا قِيلَ حِلْمٌ قُلْ فَلِلْحِلْمِ مَوْضِعٌ وَحِلْمُ الْفَتَى فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ جَهْلٌ
 قوله: (تابعاً للحقّ)

أي: للدين القويم مستمسكاً بأوامره مجتنباً لنواهيها. قال تعالى:
 ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾^(٣).

قوله: (فكُلُّ خَيْرٍ فِي اتِّبَاعٍ مِّنْ سَلَفٍ)

هذا مفرّع على قوله:

وكن كما كان خيار الخلق

والمراد بمن سلف الصحابة والتابعون وتابع التابعين.

(١) سبقت ترجمته ص(٢٧١).

(٢) خصّه لأن الحكم إنما يظهر بكثرة المخالطين. حاشية الأمير على إتحاف المريد (١٦٤).

(٣) سورة الحشر (٧).

١٣٧- فَكُلُّ خَيْرٍ فِي اتِّبَاعٍ مِّنْ سَلَفٍ وَكُلُّ شَرٍّ فِي ابْتِدَاعٍ مِّنْ خَلْفٍ
 ١٣٨- وَكُلُّ هَدْيٍ لِلنَّبِيِّ قَدْ رَجَحَ فَمَا أُبِيحَ أَفْعَلٌ وَدَعٌ مَا لَمْ يُبَيِّحْ

قوله: (وكلُّ شرٍّ في ابتداء من خلف)

أي: كلُّ شرٍّ في البدعة التي أحدثها المتأخرون^(١). قال تعالى:

﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ عَذَابًا ﴾^(٢).

قوله: (وكلُّ هَدْيٍ للنبيِّ قد رجح)

أي: كلُّ خُلُقٍ لسيِّدنا محمدٍ ﷺ فهو الراجح المقدم على غيره من جميع الأخلاق، ما لم يثبت اختصاصه به^(٣).

قوله: (فما أبيعَ افعَل)

أي: ما أذن فيه، بأن كان واجباً أو سنّةً أو مندوباً أو مباحاً فافعله.

قوله: (ودع ما لم يبيح)

أي: لم يؤذن فيه، بأن كان محرّماً أو مكروهاً أو خلاف الأولى.

(١) واعلم أن البدعة تعترها الأحكام الخمسة: فتارة تكون واجبة كضبط المصاحف والشرائع إذا خيف عليها الضياع. وتارة تكون محرّمة كالمكوس وسائر المحدثات المنافية للقواعد الشرعية. وتارة تكون مندوبة كصلاة التراويح جماعة؛ ولذلك قال سيدنا عمر - رضي الله عنه - في التراويح: نعمت البدعة هي. وتارة تكون مكروهة كزخرفة المساجد وتزويق المصاحف. وتارة تكون مباحة كاتخاذ المناخل للدديق، ففي الآثار: إنَّ أول شيء أحدثه الناس بعد رسول الله ﷺ اتخاذ المناخل. وإنما كانت مباحة؛ لأنَّ لين العيش وإصلاحه من المباحات، فوسائله مباحة اهـ. تحفة المريد (١٣٢).

(٢) سورة مريم (٥٩).

(٣) كتروّجه ﷺ أكثر من أربع نسوة اهـ. إتحاف المريد (١٦٤).

١٣٩- فَتَابِعِ الصَّالِحِ مِمَّنْ سَلَفًا وَجَانِبِ الْبِدْعَةِ مِمَّنْ خَلَفًا

قوله: (فتابع الصالح ممن سلفا)

أي: لقوله ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ مِنْ بَعْدِي عِزًّا عَلَيْهَا بِالتَّوَجُّدِ»^(١).

ومراداه بالصالح: القائم بحقوق الله وحقوق عباده حسب الإمكان.

قوله: (وجانب البدعة ممن خلفا)

أي: احذر من البدع^(٢) المذمومة التي أحدثها المتأخرون، كالطلب والرَّمْرُ وحلق اللحية وغير ذلك من البدع التي أحدثها من لا يخاف الله ولا رسوله ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَّا إِنَّمَا هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾^(٣) اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَّا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخٰسِرُونَ﴾^(٤).

وفي هذا قال سيدي عمر بن الفارض^(٤):

تَعَرَّضَ قَوْمٌ لِلْغَرَامِ وَأَعْرَضُوا بِجَانِبِهِمْ عَنِ صِحَّةِ فِيهِ وَاعْتَلَّوْا
رَضُوا بِالْأَمَانِيِّ وَابْتَلَّوْا بِحُطُوطِهِمْ وَخَاضُوا بِحَارِ الْحُبِّ دَعْوَىٰ فَمَا ابْتَلَّوْا

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٧٦) وصحَّحه. وأحمد (٤/١٢٦). وأبو داود (٤٦٠٧). وغيرهم عن العرياض مرفوعاً.

(٢) وإنما طلبت مجانبة البدعة بعد الأمر بمتابعة الصالح؛ لأنه لا يكمل قول الإيمان إلا بالعمل، ولا يكمل قول ولا عمل إلا بنية، ولا يكمل قول ولا عمل ولا نية إلا بموافقة السنة، وكل ما وافق الكتاب أو الحديث أو الإجماع أو القياس الجلي فهو سنة، وما خرج عن ذلك فهو بدعة مذمومة اهـ. إتحاف المرید (١٦٤).

(٣) سورة المجادلة (١٩ - ٢٠).

(٤) سبقت ترجمته ص (١٨٥). وانظر ديوانه (١٦٩).

١٤٠- هَذَا وَأَرْجُو اللَّهَ فِي الْإِخْلَاصِ مِنْ الرِّيَاءِ ثُمَّ فِي الْخَلَاصِ

فَهُمْ فِي الشَّرِّ لَمْ يَبْرَحُوا مِنْ مَكَانِهِمْ وَمَا ظَعْنُوا فِي السَّيْرِ عَنْهُ وَقَدْ كَلُّوا
وَعَنْ مَذْهَبِي لَمَّا اسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ ضَلُّوا

دعاء الختام

قوله: (هذا)

مفعول محذوف تقديره: افهم هذا. أي: الذي ذكرته لك من أول الكتاب إلى آخره.

قوله: (وأرجو الله في الإخلاص)

الرجاء: تعلق القلب بمرغوب فيه، يحصل في المستقبل مع الأخذ في الأسباب.

والإخلاص: هو تمحيض الطاعة لله تعالى، قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾^(١) وفي الحديث: «مَنْ فَارَقَ الدُّنْيَا عَلَى الْإِخْلَاصِ لِلَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَقَامَ الصَّلَاةَ، وَآتَى الزَّكَاةَ، فَارَقَهَا وَاللَّهُ عَنْهُ رَاضٍ»^(٢)، وفي الحديث: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ خَالِصًا، وَمَا ابْتِغِيَ بِهِ وَجْهُهُ»^(٣).

(١) سورة البينة (٥).

(٢) أخرجه الحاكم (٣٣٢/٢). وابن ماجه (٧٠) عن أنس مرفوعاً. وصححه الحاكم

والذهبي. وقال البوصيري في زوائد ابن ماجه: إسناده ضعيف.

(٣) أخرجه النسائي (٢٥/٦) عن أبي أمامة مرفوعاً، وإسناده قوي.

١٤٠- هَذَا وَأَرْجُو اللَّهَ فِي الْإِخْلَاصِ مِنْ الرِّيَاءِ ثُمَّ فِي الْخَلَاصِ
١٤١- مِنَ الرَّجِيمِ ثُمَّ نَفْسِي وَالْهَوَى فَمَنْ يَمِلْ لِهَيْوَلَاءِ قَدْ غَوَى
.....

قوله: (من الرياء)^(١)

وهو فعل الطاعة لقصد الناس ، وهو قسمان : خفي وجلي .
فالأوّل : كأن يكون فاعلاً للطاعات مطلقاً ، حَضَرَ النَّاسُ أَوْ
غَابُوا ، لكن يفرح إذا حضروا .

والثاني : كأن يفعل الطاعات بحضور الناس لا غير ، فإن خلا بنفسه
لا يفعل شيئاً منها ، قال تعالى : ﴿ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ۗ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ
سَاهُونَ ۗ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ... ﴾^(٢) .

قوله: (ثم في الخلاص من الرجيم)

أي : وأرجو الله في الفكاك من مكائد الشيطان الرجيم ، أي :
المرجوم المطرود عن رحمة الله ، والمراد به إبليس وأعوانه ، فهو أعدى
الأعداء لنا؛ لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُفْرٌ وَعَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾^(٣) .

(١) أي : بدله . يعني أَنَّ (من) للبدل على حَدِّ ﴿ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ
الْآخِرَةِ ﴾ سورة التوبة (٣٨) . ولم تُجعل (من) معدية ؛ لأن الناظم لم يعبر
بالخلوص .

والرياء : إيقاع القربة بقصد الناس ، فخرج غير القربة كالتجمل باللباس ونحوه
فلا رياء فيه . انظر إتحاف المرید وحاشية الأمير عليه (١٦٥) .

(٢) سورة الماعون (٤ - ٥ - ٦) .

(٣) سورة فاطر (٦) .

قوله: (ثُمَّ نَفْسِي)

أي: في الخلاص منها؛ لأنها أمارة بالسوء^(١)، ولا تأمر بخير أصلاً، وجهادها هو الجهاد الأكبر، ففي الحديث لَمَّا رَجِعَ مِنْ قِتَالِ الْكُفَّارِ قَالَ: «رَجَعْنَا مِنَ الْجِهَادِ الْأَصْغَرِ إِلَى الْجِهَادِ الْأَكْبَرِ»^(٢).

مراده به جهاد النفس، وإنَّما كان أكبر؛ لأنَّ الكافر عدوٌّ ظاهريٌّ يحضر تارة، ويغيب أخرى، وإذا قُتِلَ استرحت منه، وإذا قُتِلَتْ مَتَّ شَهِيداً، ودخلت الجَنَّةَ، بخلاف النفس؛ فإنَّها عدوٌّ باطني، ولا تغيب أبداً، وكلَّما قُتِلَتْ مِنْ جِهَةٍ ظَهَرَتْ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى، وإذا تَغَلَّبَتْ عَلَيْكَ، وقُتِلَتْكَ، فإِذَا أَنْ تَمُوتَ كَافِراً أَوْ عَاصِياً.

(١) وهي التي تأمر بالسوء ولا تأمر بالخير إلا نادراً، بخلاف اللوامة: وهي التي تغلب صاحبها، ثم ترجع عليه باللوم على ما وقع منه؛ لكونها أذعن للحق بسبب المجاهدة. والملهمة: وهي التي ألهمت فجورها وتقواها بسبب المجاهدة. والمطمئنة: وهي التي اطمأنت إلى مكارم الأخلاق. والراضية: وهي التي رضيت بالله رباً من غير منازعة باطنية بسبب المجاهدة. والمرضية: وهي التي تجلّى الله عليها بالرضا والعفو عما مضى. والكاملة: وهي التي صارت الكمالات لها طبعاً وسجية، ومع ذلك تترقى في الكمال اهـ. انظر تحفة المريد (١٣٣).

(٢) أخرجه البيهقي في الزهد (٣٧٣) عن جابر قال: قدم على رسول الله ﷺ قومٌ غزاةً فقال ﷺ: «قدمتم خير مقدّم من جهاد الأصغر إلى جهاد الأكبر» قيل: وما الجهاد الأكبر؟ قال: «مجاهدة العبد هواه». قال البيهقي: وهذا إسناد فيه ضعف اهـ.

وأخرجه الخطيب في التاريخ (٥٢٣/١٣). وإسناده وإه جداً.

- ١٤١- مِنَ الرَّجِيمِ ثُمَّ نَفْسِي وَالْهَوَى فَمَنْ يَمِيلُ لِهَؤُلَاءِ قَدْ غَوَى
 ١٤٢- هَذَا وَأَرْجُو اللَّهَ أَنْ يَمْنَحَنَا عِنْدَ السُّؤَالِ مُطْلَقًا حُجَّتَنَا
 ١٤٣- ثُمَّ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ الدَّائِمُ عَلَى نَبِيِّ دَأْبُهُ الْمَرَّاحِمُ

قوله: (والهوى)

هو ميل النفس إلى محبوبها خيراً كان أو شراً ، والمراد الثاني . قال تعالى : ﴿ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾^(١) .

قوله: (فمن يميل لهؤلاء قد غوى)

أي : من اتبع ما تقدم ضلّ ، وحاد عن طريق الهدى .

قوله: (هذا) أي : أسأل الله تعالى هذا .

قوله: (وأرجو الله أن يمنحنا)

أي : يعطينا ، والضمير إمّا عائد على المؤلّف ، أو هو وغيره ، وهو اللائق بمقام الدعاء .

قوله: (عند السؤال مطلقاً) أي : في القبر ، أو في القيامة .

قوله: (حجّتنا) أي : المقبولة الصحيحة^(٢) / التي تُنجّي من الأهوال . ٥١/ب

قوله: (ثمّ الصلاة والسلام)

لمّا كان هذا الكتاب من النعم العظيمة ، وكان رسول الله هو الواسطة في كلّ نعمة ناسب أن يُؤدّي بعض حقّه الواجب عليه ، وختم

(١) سورة ص (٢٦) .

(٢) هنا انتهى الساقط من المخطوط وعاد برقم (٥١/ب) .

١٤٣- ثُمَّ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الدَّائِمُ عَلَى نَبِيِّ دَابُّهُ الْمَرَّاحِمُ

بها كما ابتدأ بها؛ لرجاء قبول ما بينهما^(١). وتقدّم معنى الصلاة والسلام أوّل الكتاب.

وقوله: (الدائم) أي: فضل كلّ منهما.

قوله: (على نبيّ دأبه المراحم)

أي: عاداته المستمرّة المراحم، جمع مرحمة بمعنى الرحمة، فرحمته عامّة. قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٢) حتّى للكفّار بتأخير العذاب عنهم^(٣)، فلم يعاجلوا بالعقوبة كغيرهم من الأمم، ولذلك قال العارف رضي الله عنه^(٤):

(١) قال أبو سليمان الداراني - رحمه الله -: من أراد أن يسأل الله حاجة فليبدأ بالصلاة على النبي ﷺ، ثم يسأله حاجته، ثم يختم بالصلاة على النبي ﷺ؛ فإن الله عزّ وجلّ يقبل الصلاتين، وهو أكرم من أن يدع ما بينهما اهـ. وروي في الخبر عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «إذا سألتُم الله عزّ وجلّ حاجة فابتدئوا بالصلاة عليّ، فإنّ الله تعالى أكرم من أن يُسأل حاجتين فيقضي إحداهما ويردّ الأخرى» اهـ. إحياء علوم الدين للغزالي (٣٠٧/١) آداب الدعاء. وقال العراقي في تخريج حديث: «إذا سألتُم الله...»: لم أجده مرفوعاً وإنما هو موقوف على أبي الدرداء.

(٢) سورة الأنبياء (١٠٧).

(٣) قال النسفي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ أَلَلَةٌ لِّعَذَابِهِمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ سورة الأنفال (٣٣): اللام لتأكيد النفي والدلالة على أنّ تعذيبهم، وأنت بين أظهرهم، غير مستقيم؛ لأنك بعثت رحمة للعالمين. مدارك التنزيل (١٠٢/٢).

(٤) هو عبد الرحيم البرعي. وهذان البيتان من مجموعة أبيات يقارن فيها البرعي بين سيّدنا محمّد ﷺ والأنبياء كلّهم عليهم الصلاة والسلام، يبدأ بسيّدنا =

١٤٤- مُحَمَّدٌ وَصَحْبِهِ وَعِثْرَتُهُ وَتَابِعٍ لِنَهْجِهِ مِنْ أُمَّتِهِ

وَأَهْلَكَ قَوْمَهُ فِي الْأَرْضِ نُوحٌ بِدَعْوَةٍ لَا تَذَرُ أَحَدًا فَأُنْفَى
وَدَعْوَةُ أَحْمَدِ رَبِّ أَهْلِ قَوْمِي فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ كَمَا عَلِمْنَا
قوله: (وعثرته) أي: أهل بيته.

قوله: (وتابع لنهجه) أي: طريقته وسنته.

قوله: (من أُمَّته)

أي: أمة الإجابة، وهو لبيان الواقع؛ لأنَّ المتَّبِع له لا يكون إلا من
أُمَّته؛ لأنَّ بعثته عامَّة، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا
وَنَذِيرًا ﴾^(١)

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

= إبراهيم الخليل ﷺ. انظر ديوان البرعي في المدائح الربانية والنبوية والصوفية
(٢٠٤).

(١) سورة سبأ (٢٨).

[خاتمة المؤلف]:

وقد تمَّ ما أجراه الله - على يد الفقير - من التقييدات التي
خرجت بحول الله وقوّته مع العجز والتقصير ،
يومَ الإثنين المبارك آخر يوم من رمضان
المبارك سنة اثنتين وعشرين بعد
المتين والألف من هجرة
البشير النذير صلَّى الله
عليه وعلى آله
وصحبه
وسلّم .

* * *

[خاتمة الناسخ]:

تمَّت بحمد الله وعونه وحسن توفيقه ، وكان الفراغ من كتابة
هذه النسخة المباركة يوم الخميس المبارك سبعة عشر
يوماً مضت من شهر رمضان المبارك سنة ١٢٣٢
على يد كاتبها لنفسه الفقير علي مطر الغرياني
الشافعي . غفر الله له ولوالديه وللمسلمين
آمين . وصلَّى الله على سيدنا
محمد النبيّ الأُمِّيِّ
وعلى آله
وصحبه
وسلّم .

* * *

خاتمة المحقق

تمَّ بتوفيق الله ومَنه وجوده تحقيق كتاب الصاوي على جوهرة اللقاني في ليلة الرابع والعشرين من شهر رمضان المبارك سنة سبع عشرة وأربعمئة وألف من هجرة المصطفى ﷺ ، الموافق للثاني من شهر شباط سنة سبع وتسعين وتسعمئة وألف .

والله أسأل أن ينفع بالفرع كما نفع بالأصل ، وأن يتقبل هذا العمل ويجعله خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يجزي عنا السابقين من العلماء العاملين خير ما جزى عالماً عن أمته . كما أسأل الله ذلك لوالدي فضيلة الشيخ رمزي البزم - رحمه الله - الذي حباني من فضله وعلمه فنشأني النشأة الإسلامية الصحيحة ، ولمشايخي الذين تلقيت عنهم ، فكان لهم جميعاً الفضل عليّ بعد فضل الله - جلّ وعلا - بأن درجتُ في مسالك هذا المنهج القويم . كما أسأله سبحانه وتعالى أن يغفر لي ولوالديّ وزوجتي وأولادي وأرحامي ، ولكل من أخذتُ عنه وأخذ عني ، ولكل من مد يد العون لإخراج هذا الكتاب بهذه الحلة القشبية ، وأن يجعلني وإياهم جميعاً ممن رضي عنهم ورضوا عنه .

وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين ، ومن سار على دربهم إلى يوم الدين .

والحمد لله رب العالمين .

الفهارس العامة

- فهرس الآيات الكريمة .
- فهرس الأحاديث الشريفة .
- فهرس الأعلام .
- فهرس المصادر والمراجع .
- فهرس الموضوعات .

فهرس الآيات الكريمة

رقم الصفحة

رقم الآية

سورة الفاتحة

٦٦

﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ ٦

سورة البقرة

٦٧

﴿ وَقُوْدُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ ٢٤

١٦٦

﴿ فَإِنَّمَا تُمَتَّعْتُم بِهِمْ لِيُحْكُمَ مِنْكُمْ وَيَتَنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ ١٣٧

٣٠٦

﴿ قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ ١٤٤

١٥٨

﴿ وَإِلَهُهُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ ١٦٣

١٢٧

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ... ﴾ ١٦٤

٣٠٦

﴿ كَتَبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ... ﴾ ١٨٠

٣٥٠ - ٣٤٩

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ... ﴾ ١٨٦

٣٧٨

﴿ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ ٢٠٢

٢١٧

﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ... ﴾ ٢١٠

٤١٩

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ ﴾ ٢٢٢

٣٠٧ - ٣٠٥

﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً... ﴾ ٢٤٠

٣٠٦ - ٣٠٥

﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَرِيضَنَّ... ﴾ ٢٣٤

٢٩٧

﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ ٢٥٣

١٥٨

﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ ٢٥٥

١٣٩

﴿ قَالَ أَوْلَمْ تُؤْمِنُوا... ﴾ ٢٦٠

سورة آل عمران

- ١٥٨ ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ ٢
- ١٥٨ ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ . . . ﴾ ٦
- ٢٢٠ ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ . . . ﴾ ٧
- ٢٤٨ ﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ ٧٤
- ٣٠٤ ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ عِزَّ الدُّنْيَا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ ٨٥
- ٤٢٩ - ٤٢٨ ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ . . . ﴾ ١١٠
- ٤٠٧ ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ . . . ﴾ ١٦٩
- ٣٥٦ ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ ١٨٥

سورة النساء

- ٤٠٤ - ٣٨٠ - ٢٣٧ ﴿ . . . ﴾ ١١٦ - ٤٨
- ٤٢٧ ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ ٥٩
- ١٦٤ ﴿ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ . . . ﴾ ٦٩
- ٢٢٩ ﴿ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ ٧٨
- ٢٢٩ ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ . . . ﴾ ٧٩
- ٣٧٩ ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءُ . . . ﴾ ٩٣
- ١٠٩ ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَقَ إِلَيْكُمْ السَّلَامَ . . . ﴾ ٩٤
- ١٨٨ ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ ١٦٤

سورة المائدة

- ٣٠٧ ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ . . . ﴾ ٣
- ٦١ ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ . . . ﴾ ١٩
- ١٥٥ ﴿ تَعَلَّمُوا مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ . . . ﴾ ١١٦

سورة الأنعام

١٥٥	﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾	٥٤
٣٥٨	﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا ﴾	٦١
٢٧٧-١٣١	﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا ﴾	٨٦-٨٣
٨٤	﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ فَيُهْدِيهِمْ أَقْتَدَهُ ﴾	٩٠
٤٣٢	﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾	٩١
٢٥٩	﴿ لَا تَذَرِكُهُ إِلَّا بَصُرٌ ﴾	١٠٣
٢٩٢	﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾	١٢٤
٢٣٤	﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَمْشِرْ صَدْرُهُ للإِسْلَامِ ﴾	١٢٥
٥٩	﴿ يَمَعَشِرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ . . . ﴾	١٣٠
٣٧٩	﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرٌ أَمْثَلِهَا وَمَنْ . . . ﴾	١٦٠

سورة الأعراف

٣٨٦	﴿ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ ﴾	٨
٣٨٦	﴿ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ . . . ﴾	٩-٨
٣٧٤	﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾	٢٩
٢٦٢	﴿ فَإِنْ أَسْتَقْرَمَ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنُنِي ﴾	١٤٣
٢٢٦	﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾	١٥٦
١٢٢	﴿ وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴾	١٨٠

سورة الأنفال

١٤٠-١٣٨	﴿ وَإِذَا تَلَّيْتِ عَلَيْهِمْ ءَايَتَهُ رَادَّتْهُمُ إِيمَانًا . . . ﴾	٢
٣٢٢	﴿ فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ . . . ﴾	١٢
٤٢٠	﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ ﴾	٣٨
٣٢٢	﴿ وَقَالَ لَأَغَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ . . . ﴾	٤٨

سورة التوبة

- ٢٠٠ ﴿ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ٣٩
 ٣٢٨ ﴿ وَالسَّيِّئُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ﴾ ١٠٠

سورة يونس

- ٣٩٥ ﴿ سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ ﴾ ١٠
 ٢٥٨ ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمَسْئَلَتِهِمْ مِنَّا أَزْوَاجًا مُّتَشَابِهًا مِمَّا كَانُوا يَسْأَلُونَ ﴾ ٢٦

سورة هود

- ٣٩٧ ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا... ﴾ ١٠٧-١٠٦
 ٣٨١ ﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾ ١١٤

سورة الرعد

- ٣٥١ ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ... ﴾ ١١
 ٢٤٩ ﴿ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴾ ١٣
 ٣٤٩ ﴿ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾ ١٤
 ٢٣٥ ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخَلِّفُ الْوَعْدَ ﴾ ٣١

سورة الحجر

- ١٢١ ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ ﴾ ٩
 ٢٦٨ ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾ ٤٢
 ٤٠٥ ﴿ وَمَا هُمْ بِمُخْرِجِينَ ﴾ ٤٨

سورة النحل

- ٢٨٤-٦١ ﴿ أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ... ﴾ ١

سورة طه

- ٥ ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ ٢٥٢- ٢٢٥
 ٤١ ﴿ وَأَصْطَنَعَتْكَ لِنَفْسِي ﴾ ١٥٥

سورة الأنبياء

- ٢٢ ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ ١٥٩- ١٦٠
 ٤٧ ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ ٣٨٦
 ٥٩ ﴿ مَنْ فَعَلَ هَذَا بِإِثْمَانًا ﴾ ٢٨٢
 ٦٣ ﴿ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا ﴾ ٢٨٢
 ١٠٣ ﴿ لَا يَخْرُجُ مِنْهُمُ الْفَرْعُ الْأَكْبَرُ ﴾ ٣٨٢
 ١٠٧ ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ ٤٤٣

سورة الحج

- ٧٥ ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا... ﴾ ٥٩

سورة المؤمنون

- ١٢- ١٣- ١٤ ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ ﴾ ١٢٦
 ٦٩ ﴿ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُمْ مُنْكَرُونَ ﴾ ٢٩٦
 ٩١ ﴿ مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ... ﴾ ١٥٩

سورة النور

- ١١ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ ﴾ ٣١٣
 ٢٢ ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ... ﴾ ٣١٤
 ٢٦ ﴿ أُولَئِكَ مَبْرُؤُونَ مِمَّا يَقُولُونَ... ﴾ ٣١٤

٤١٨	﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾	٣١
١٢١	﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ... ﴾	٣٥
٥٧	﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ... ﴾	٦٣

سورة الفرقان

٢٤٤	﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ مَقْدِيرًا ﴾	٢
٣٤٩	﴿ قُلْ مَا يَعْجُبُكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ ﴾	٧٧

سورة الشعراء

٢٣٠	﴿ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي... ﴾	٧٨-٧٩-٨٠
-----	--	----------

سورة القصص

٢٨٣-٥٩	﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ آلِ مُوسَىٰ... ﴾	٧
٢٤٨	﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ﴾	٦٨
٣٦٣	﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾	٨٨

سورة الروم

٢٣٥	﴿ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُهُ اللَّهُ وَعَدُهُ ﴾	٦
-----	---	---

سورة السجدة

٣٥٨	﴿ قُلْ يَنُوفِقُكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ... ﴾	١١
-----	--	----

سورة الأحزاب

١٣٢	﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾	٣٥
٢٨٣-٢٨٢	﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ... ﴾	٣٧
٢٨٦	﴿ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ ﴾	٣٧

﴿ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ ٤٠

٣٠٢
٥٥ ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلَواتٌ عَلَيْهِ وَسَلِمُوا تَسْلِيمًا . . . ﴾ ٥٦

سورة سبأ

٤٤٤ ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ ٢٨

سورة فاطر

٤٤٠ ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُفْرٌ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾ ٦

٢٣٥ ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فِيمَوتُوا ﴾ ٣٦

سورة يس

٣٣٥ ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبينٍ ﴾ ١٢

٢٦١ ﴿ وَآمَنُوا يَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ﴾ ٥٩

سورة الصافات

٢٤٥ ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ ٩٦

سورة ص

٤٤٢ - ٢٧٩ ﴿ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ ٢٦

٢٥٢ ﴿ لِمَا خَلَقْتُ يَدَيَّ ﴾ ٧٥

سورة الزمر

٣٥٦ ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ ٣٠

٣٥٨ ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا . . . ﴾ ٤٢

٤٠٤ - ٢٣٨ ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَعْرِفُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾ ٥٣

سورة غافر

٥٦ ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ . . . ﴾ ٩ - ٧

- ٦٠ ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ ٣٤٩
 ٧٨ ﴿ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ ... ﴾ ٦٠

سورة فصلت

- ١٩ ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ ﴾ ١٦٤
 ٣٠ ﴿ تَنْزِيلَ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ الْأَتَّخِفُوا وَلَا تَحْزَنُوا ﴾ ٣٨٢
 ٥٤-٥٣ ﴿ سَتُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ ... ﴾ ١٤٧

سورة الشورى

- ١١ ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ ٢٦٧-١٩٢-١٨٨-١٨٧-١٦٥-١٦٤-١٢٢
 ١٣ ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا ... ﴾ ٨٤
 ٢٥ ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ... ﴾ ٤٠٤
 ٣٠ ﴿ وَمَا أَصْنَعُكُمْ مِنْ مَّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ ٢٢٩
 ٤٠ ﴿ وَحَزَّوْا سِيبَةً سِيبَتْهُ مِثْلَهَا ﴾ ٣٧٨

سورة الزخرف

- ٤٥ ﴿ وَسَلِّ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ ... ﴾ ٨٤

سورة الدخان

- ٤٩ ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾ ٥٢

سورة الجاثية

- ٢٣ ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوْنَهُ ... ﴾ ١١٥

سورة الأحقاف

- ٣٠ ﴿ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا ... ﴾ ٣٠٣-٦٧

سورة الفتح

- ٢٨١ ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ ٢
 ٢١٧ ﴿ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ ١٠
 ٣٢٦ ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ١٨

سورة الحجرات

- ٤٣١ ﴿ أَيُّحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا ﴾ ١٢
 ١٣٢ ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمْنَا قُل لَمْ نُؤْمِنُوا . . . ﴾ ١٤

سورة ق

- ٣٥٤ ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ ١٨
 ٢٣٥ ﴿ مَا يَبْدُلُ الْقَوْلُ لَدَى . . . ﴾ ٢٩

سورة الذاريات

- ١٢٦ ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ ٢١

سورة الرحمن

- ٣٦٠ ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾ ٢٦
 ٢١٧ ﴿ وَيَسْئَلُ وَجْهَ رَبِّكَ ﴾ ٢٧
 ١٩٢ - ١٢٢ ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ ٢٩

سورة الواقعة

- ٣١٩ ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴾ ١١ - ١٠

سورة الحديد

- ١٢٢ ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ . . . ﴾ ٣

سورة المدثر

﴿ سَأُضِلُّهُ سَقَرًا ﴾ ٢٦ ٣٩٣

سورة القيامة

﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴾ ٢٢ ٢٥٨

سورة الإنسان

﴿ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَتَطِيرًا ﴾ ١٠ ٣٨٣

سورة عبس

﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ﴾ ١ ٢٨٣

سورة التكويد

﴿ إِنَّهُمْ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ ١٩ ٢٩٥

سورة المطففين

﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ ﴾ ١٥ ٢٦١

﴿ عَلَىٰ الْأَرْأْيِكِ يَنْظُرُونَ ﴾ ٢٣-٣٥ ٢٥٨

سورة الانشقاق

﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوِّقَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾ ٨-٧ ٣٨٥

﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوِّقَ كِتَابَهُ وِرَاءَ ظَهْرِهِ . . . ﴾ ١٢-١١-١٠ ٣٨٥

سورة الفجر

﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ . . . ﴾ ٢٢ ٢١٧

سورة الانشراح

﴿ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴾ ٢ ٢٨١

سورة القدر

٢٢١

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ ١

سورة البينة

٤٣٩-٦٥

﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ... ﴾ ٥

سورة الزلزلة

٤٠٥

﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾ ٧

سورة الهمزة

٣٩٣

﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطْمَةُ نَارُ اللَّهِ الْمَوْفِدَةُ ﴾ ٥-٦

سورة الماعون

٤٤٠

﴿ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ... ﴾ ٤-٥

سورة الكوثر

٣١٠

﴿ إِنَّا أَنْعَمْنَا عَلَىكَ الْكَوْتَرِ ﴾ ١

سورة الإخلاص

١٦٥-١٢٢

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ١

سورة الفلق

٤٣٣

﴿ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ ٥

* * *

فهرس الأحدث الشرفة

رقم الصفحة	الحديث
	أ
٧٢	«آدم فمن دونه تحت لوائي»
٣١٨-٣١٩-	«أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان...»
٣٢٤	«احموا ظهورنا، واثبتوا مكانكم»
٤٠٢	«آذخرت عند ربي شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»
٤١٨-٤١٩	«إذا تاب العبد أنسى الله الحفظه ذنوبه...»
٢١٨	«إذا قاتل أحدكم أخاه فليجنب الوجه...»
٤٠٨	«أرواحهم في حواصل طيور خضر...»
٣١٥	«أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم»
٢٠٦-٨٥	«افترقت الأمم السابقة على اثنتين وسبعين فرقة...»
٤٣٥	«ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت...»
٢٨١	«أمزح ولا أقول إلا حقاً»
٧٢	«أنا العاقب فلا نبي بعدي»
٤٠١	«أنا لها، أنا لها»
٢٣٨	«إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون...»
٤٢٠	«إن الغزو في سبيل الله في البر يكفرها...»
١٨٥	«إن في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت...»
٣٨٧-٣٨٨	«إن عبداً كتب عليه تسعة وتسعون سجلاً من المعاصي...»

- ٢٥٨ «إنكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر»
- ٢٨٥ «إنكم لو تركتموه بلا تلقيح لصلح»
- ١٢٠ «إن الله احتجب عن البصائر كما احتجب عن الأبصار...»
- ٣١٥ «إن الله اختار أصحابي على العالمين سوى النبيين والمرسلين»
- ٣٣١ «إن الله اختارني واختار لي أصحابي...»
- ٢١٧ «إن الله خلق آدم على صورته»
- ١٢٠-١٢١ «إن الله خلق خلقه في ظلمة ثم رش...»
- ٤٣٩ «إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً...»
- ١٨٤ «إن الله ناجى موسى بمئة ألف وأربعين ألف كلمة...»
- ٣٧٦-٣٧٧ «إن الله يضع كنفه على عبده...»
- ٣٩٩ «إن لكل نبي حوضاً ترده أمته»
- ٩٠ «إن من الشعر لحكماً»
- ٢٩٤ «أنهلك وفينا الصالحون قال: نعم إذا كثر الخبث»
- ٣٢٦ «أوجب طلحة»
- ٤٣٣ «إياكم والحسد، فإن الحسد...»
- ٢٥٤-٢٥٥ «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته...»

ت

- ٤١٩ «التائب من الذنب كمن لا ذنب له»
- ١٢٠ «تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق...»

ح · خ

- ٣٧٨-٣٥٥ «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا»
- ٤٢٠ «الحجّ المبرور ليس له جزاء إلا الجنة»
- ٣٥٢-٣٥١ «الحفظة عشرة بالليل وعشرة بالنهار...»
- ٣٩٨ «حوضي مسيرة شهر، وزواياه سواء...»

- ٧٠ «خلق النور المحمدي وسمّاه محمداً»
٣١٦ «خيركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»

د . ر

- ٣٥٠ «دعوة المظلوم مستجابة وإن كان كافراً»
٤٨ «رب أشعث أغبر ذي طمرين لو أقسم على الله لأبره»
٤٤١ «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر»

ش . ص

- ٣٢١ «شاهت الوجوه»
٣٨٠ «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة . . .»

ع . ف

- ٣٣٦ «عالم قريش يملأ طباق الأرض علماً»
٩٤ «عجب ربك من قوم يساقون إلى الجنة بالسلاسل»
٣٢٠ «عدة أصحاب طالوت»
٤٣٨ «عليكم بستتي وسنة الخلفاء الراشدين . . .»
٢١٩ «فإن الله خلق آدم على صورة الرحمن»
٣٨٤ «فاستزدت ربي فقال لي: هكذا وهكذا»
٣٥٥ «فهجرتة إلى ما هاجر إليه»
٣١٥-٧٧ «فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد . . .»

ق . ك

- ٢١٧ «القلب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء»
٤٣٥ «كان خلقه القرآن»
٣٦٢ «كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجب الذنب . . .»
٤٦ «كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بسم الله الرحمن الرحيم فهو أقطع . . .»

- ٥٠ «كل كتاب لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أجذم»
 ٣٠٦ «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها»
 ٣٥٥ «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل . . .»

ل

- ١٥٥ «لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك»
 ٢٩٦ «لا تخيروني على موسى»
 ٣٣١-٣٣٠ «لا تسبوا أصحابي ومن سب أصحابي . . .»
 ٢٩٦ «لا تفضلوا بين الأنبياء»
 ٢٩٦ «لا تفضلوني على يونس بن متى»
 ٣٣٣ «لا تنقضي الساعة حتى تضرب أكباد الإبل . . .»
 ٣٢٧ «لا نبرح حتى نناجز الحرب»
 ٣٠٦ «لا وصية لوارث»
 ٣٨١ «لا يتوضأ رجل مسلم فيحسن الوضوء . . .»
 ٤٣٠ «لا يدخل الجنة نام»
 «الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً من بعدي»
 ٣٣١-٣٣٠-٣١٥-٧٧
 ١٣٣ «اللهم ثبت قلبي على دينك»
 ٤١٧ «لعن الله السارق . . .»
 ٣٠٤ «لن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله . . .»
 ٢٤٥ «لن يدخل أحدكم الجنة بعمله . . .»
 ٤٣٣ «لن يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من الكبر»
 ٦٧ ٦٦ «لهم مالنا وعليهم ما علينا»
 ٧٠ «لو أدركني موسى ما وسعه إلا اتباعي»
 ٣٤٤ «لو توكلتم على الله حق توكله . . .»
 ٩٤ «لو كانت الدنيا ترن عند الله جناح بعوضة . . .»

- ١٣٨ «لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان هذه الأمة لرجح»
 ٣٦١ «ليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظماً واحداً...»

م . ن

- ٩٢ «ما اتخذ الله من ولي جاهل، ولو اتخذته لعلمه»
 ٣٨٠ «ما من عبد يؤدي الصلوات الخمس...»
 ٣١٦ «ما من يوم إلا والذي بعده شر منه»
 ٤٢٧ «من أطاع أميرى فقد أطاعني...»
 ٢٦٧ «من رآني في المنام فقد رآني حقاً...»
 ٤٢٩ «من رأى منكم منكراً فليغيره»
 ١٢٦ «من عرف نفسه عرف ربه»
 ٤٣٩ «من فارق الدنيا على الإخلاص لله وحده»
 ٤٠٥ «من قال لا إله إلا الله دخل الجنة»
 ٣٧٧ «من نوقش الحساب هلك»
 ٣٢٧ «نعم إن من ذهب منا إليهم فأبعده الله...»
 ١٣٨ «نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة»

ي

- ١٦٤ - ١٦٣ «يا عبادي إنكم لن تقدروا على ضري فتضروني»
 ٣٨٦ «يا محمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه»
 ٣٧٢ - ٣٧١ «يسلط الله على الكافر في قبره تسعة وتسعين تينياً...»
 ٦٨ «... يقتصر للشاة الجماء من الشاة القرناء تنطحها»
 ٢٦٠ «ينادي مناد من قبل الله تعالى»
 ٢١٧ «ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا»
 ٣٣٣ «يوشك أن تضرب أكباد الإبل...»

* * *

فهرس الأعلام

رقم الصفحة	العلم
٤٣	إبراهيم بن حسن (اللقاني)
٣٣٩	إبراهيم بن خالد (أبو ثور)
١١١	إبراهيم بن محمد (أبو إسحق الأسفراييني)
٢٧٠	أحمد بن الحسن (الجاربردي)
٢٦٦-(٣٣٧)	أحمد بن حنبل
١٥٤	أحمد بن عبد الفتاح (المَلَوِي)
٤٤-٤٣	أحمد بن عثمان (عرب الشرنوبلي)
٤٤	أحمد بن علي (البدوي)
٥٣	أحمد بن عمر (أبو العباس المرسي)
١٦٧	أحمد بن غنيم (النفرواي)
٢١٥	أحمد بن فارس
١٠٥	أحمد بن محمد (الدردير)
١١٤-(٤٤)	أحمد بن محمد (الشُّحيمي)
٤١٢-(٢٢٦)	أحمد بن محمد (ابن عطاء الله السكندري)
٢٦٩	أحمد بن محمد (ابن المنير)
٢٣١	إسماعيل بن عبَّاد (الصاحب)
٣٦٢	إسماعيل بن يحيى (المزني)
٣٣٤	أشهب بن عبد العزيز

٣٢٧	الجدّ بن قيس
٣٦٤ - (٣٣٩)	الجنيد بن محمد (أبو القاسم)
٣٤٠	الحارث بن أسد (المحاسبي)
٢٦٩	حسان بن ثابت
٣٩١	الحسن بن يسار (البصري)
٣٤٥	الحسين بن الحسن (أبو عبد الله الحلبي)
١٧٧	الحسين بن محمد (النجار)
١٤١	حمّد بن محمد (الخطابي)
٣٦٨	زكريا بن محمد الأنصاري (شيخ الإسلام)
٢٨٧	زيد بن حارثة
٧٩	سحبان بن زفر (الوائلي)
٣٢٢	سراقة بن مالك
٣٤٠	سري بن المغلس (السقطي)
١٨٣	سليمان بن أحمد (الطبراني)
١٤٧	شعيب بن الحسن (أبو مدين التلمساني)
٣١٣	صفوان بن المعطل
١٧٧	ضرار بن عمرو (الغطفاني)
٣٢٥	طلحة بن عبيد الله
٢٦٣ - ٢٥٩ - (١٢٣)	طيفور بن عيسى (أبو يزيد البسطامي)
٣٢٨	عامر بن شراحيل (الشعبي)
٨٦	عبد الله بن سلام
٣٢٤ - (٣١٣)	عبد الله بن أبي (ابن سلول)
١٩٦ - (٨٢)	عبد الله بن عمر (البيضاوي)
٣٣٤	عبد الله بن المبارك
١٩٦ - (١٤٨)	عبد الله بن محمد (ابن التلمساني)
٢٥٦ - (١١٧)	عبد البر بن عبد الله (الأجهوري)

- عبد الجبار بن أحمد (المعتزلي) ٣٩٦ - (٢٣١)
- عبد الرحمن بن أبي بكر (جلال الدين السيوطي) ٣٧٠
- عبد الرحيم بن أحمد (البرعي) ٣٠٩
- عبد السلام بن أحمد (الشريف المقدسي) ١٢٧ - (١١٩)
- عبد السلام بن محمد (أبو هاشم الجبائي) ٣٩٦ - ٢٥٣ - ١٧٦ - ١٢٤ - ١٠٨ - (٨١)
- عبد العزيز بن عبد السلام (العزّي) ٣٦٦
- عبد الكريم بن إبراهيم (الجيلي) ٢٩٢
- عبد الكريم بن هوازن (القشيري) ٤١٣
- عبد الملك بن عبد الله (الجويني) (إمام الحرمين) ٤٢٠ - ٣٦٥ - (٢٣٣)
- عبد الوهاب بن أحمد (الشعراني) ٢٠٠
- عبد الوهاب بن علي (تاج الدين السبكي) ٣٢٢ - ٢٧١ - (١١٣)
- علي بن إسماعيل (أبو الحسن الأشعري) ٤١٩ - ٣٣٩ - ٢٥٣ - ٢٣٤ - ١٨٧ - ١٥٧ - ١١٠ - (٨٧)
- علي البرلسي (الخواص) ١٨٥
- علي بن عبد الكافي (السبكي) ٣٦٠
- علي بن محمد (ابن وفا) ٢٦٨ - (١٤٧ - ١٤٦)
- عمرو بن عثمان (سيبويه) ٥٦
- عمر بن عليّ (ابن الفارض) ٤٣٨ - ٢٦٥ - (١٨٥)
- عياض بن موسى (القاضي) ٣٣٢ - (٣١٠)
- القاسم بن فيزّه (الشاطبي) ٤٧
- قسّ بن ساعدة (الإيادي) ٧٩
- كعب بن ماتع (كعب الأخبار) ٣٥١
- كعب بن لؤي ٧٩
- الليث بن سعد ٣٣٥
- مالك بن أنس (الإمام) ٩٨ - (٣٣٢)

٥٣	محمد بن إبراهيم (ابن النحاس)
١٠٢	محمد بن أبي بكر (الحافظ الدمشقي)
١٣٤	محمد بن أحمد (الرملي)
٩٨ - (٣٣٥)	محمد بن إدريس (الشافعي)
١٣٤	محمد بن خلف (الأبي)
٣١٠ - ٣٠٨ - ٣٠٥ - ٣٠٢ - (٢١٤)	محمد بن سعيد (البوصيري)
١٩٣	محمد بن سعيد (الصنهاجي)
١٨٤	محمد بن سلامة (القضاعي)
٤٢٠ - ٢١٣ - (١١١)	محمد بن الطيب (أبو بكر الباقلاني)
١١١	محمد بن عبد الله (أبو بكر بن العربي)
٢٤٢ - (١٠٧)	محمد بن عبد الله (ابن مالك النحوي)
٣٤٠	محمد بن علي (القصاب)
	محمد بن علي (محيي الدين بن عربي)
٣٩٤ - ٢٥٩ - ٢١٤ - ١٩٩ - ١١٦ - (١١١)	
١٩٦ - ١٤١ - ١١٦ - (١١٥)	محمد بن عمر (فخر الدين الرازي)
٣٩٣ - ٢٧١ - ٢٣٦ - ١٩٩ - (١٣٤ - ١٣٣)	محمد بن محمد (الأمير)
١٣٤	محمد بن محمد (ابن عرفة)
	محمد بن محمد (أبو حامد الغزالي)
٤١٣ - ٢٢٦ - ٢١٤ - ٢٠٢ - ١٩٩ - (١١٤)	
٤٣٦ - (٢٧١)	محمد بن محمد (أبو الحسن البكري)
٣٣٩ - (٨٧)	محمد بن محمد (أبو منصور الماتريدي)
٢٦٩	محمد بن يوسف (أبو حيان الأندلسي)
٢٩٢ - ٢٩٠ - ٢٤٩ - ١٨٧ - (١٠٥)	محمد بن يوسف (السنوسي)
٢٩٥ - ٢٦٨ - (٢٢٦)	محمود بن عمر (الزمخشري)
٣١٤	مسطح بن أثاثة

١٩٦-١٧٦-(١٤٩)

مسعود بن عمر (سعد الدين التفتازاني)

٣٣٦

مسلم بن خالد

١٣٥-(٣٣٧)

النعمان بن ثابت (أبو حنيفة)

١٩٢

هبة الله بن علي (ابن الشجري)

٣٢٦

وحشي بن حرب

٣٦٥-(١٣٤)

يحيى بن شرف (النووي)

٧٩

يعرب بن قحطان



فهرس المطاىر والمراجى

١ - الكتب المخطوطة

- أ - المحفوظة في مكتبة الأسد وفق أرقام الفهرس العام المثبته أدناه:
- حاشية على إعانة المجددين في تصحيح الدين بشرح أمّ البراهين: للملوي أحمد بن عبد الفتاح. رقم (٤١٤٧).
 - العقيدة المباركة المسماة (بالمقدمات): للسوسى محمد بن يوسف. رقم (١٢٤٤٨) (ق ١٦ - ١٩).
 - عمدة المرید لجوهرة التوحيد: للّقانى إبراهيم بن إبراهيم. رقم (٣٠٠١).
 - فتح المجيد بكفاية المرید: للّقانى عبد السلام بن إبراهيم. رقم (٣٠٢٩).
 - المزيد على إتحاق المرید: للشّحيمى أحمد بن محمد. رقم (٢٩٣٦).
 - مفاتيح الكنوز وحلّ الرموز: لابن غانم المقدسى عبد السلام بن أحمد. رقم (١٧٥٥٨).
 - هداية المرید لجوهرة التوحيد: للّقانى إبراهيم بن إبراهيم. رقم (٢٩٣٨).
- ب - المحفوظة في دار الكتب القومية بمصر:
- مناقب الصاوى: للشّشتى السيد أحمد. وتمّمه الكتبى محمد بن حسين الحنفى. رقم (١٤٧١).

٢ - الكتب المطبوعة

- إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين: للزبيدي محمد مرتضى ابن محمد.
- المطبعة الميمنية بمصر (١٣١١ هـ).
- إتحاف المرید بجوهرة التوحيد: للّقاني عبد السلام بن إبراهيم.
- طباعة: مصطفى الباي الحلبي - القاهرة (١٣٦٨ هـ - ١٩٤٨ م).
- أحاديث القصاص: لابن تيمية أحمد بن عبد الحلیم.
- طباعة: المكتب الإسلامي - بيروت (١٣٩٢ هـ).
- أحاديث مختارة من موضوعات الجوزقاني وابن الجوزي: لشمس الدين الذهبي محمد بن أحمد.
- تحقيق: عبد الرحمن الفيرواني. مكتبة الدار. ط: أولى (١٤٠٤ هـ).
- الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان: للفارسي علاء الدين علي بن بلبان.
- تحقيق: شعيب الأرناؤوط. مؤسسة الرسالة - بيروت. ط: أولى (١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م)
- إحياء علوم الدين: لأبي حامد الغزالي محمد بن محمد.
- دار المعرفة - بيروت.
- الاختيار لتعليل المختار: لعبد الله بن محمود بن مودود الموصلی الحنفي.
- دار المعرفة - بيروت. ط: الثالثة (١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م).
- الأذكار: للنووي محيي الدين يحيى بن شرف.
- تحقيق: محمد رياض خورشيد. مكتبة الغزالي - دمشق. ط: رابعة (١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م).

- الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد: لإمام الحرمين الجويني .
تحقيق: د. محمد يوسف موسى، علي عبد المنعم عبد الحميد.
مكتبة الخانجي - مصر. (١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠ م).
- الاستعاذة والحسبة ممن صحح حديث البسملة: للغماري أحمد بن محمد بن الصديق.
دار البصائر - دمشق. ط: ثانية (١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م).
- أسد الغابة في معرفة الصحابة: لابن الجزري عز الدين بن الأثير علي ابن محمّد.
تحقيق علي محمّد معوض، عادل أحمد عبد الموجود. دار الكتب العلمية - بيروت. ط: أولى (١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م).
- أسرار العربية: لابن الأنباري أبي البركات عبد الرحمن بن محمّد.
تحقيق: محمد بهجت البيطار. طبع في المجمع العلمي العربي (١٣٧٧ هـ - ١٩٥٧ م).
- الأسرار المرفوعة في الأحاديث الموضوعة: للقاري نور الدين علي بن محمّد الشهير بالملاعلي.
تحقيق: محمّد الصبّاغ. مؤسسة الرسالة - بيروت (١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م).
- الأسماء والصفات: للبيهقي أبي بكر أحمد بن الحسين.
تحقيق: محمّد زاهد الكوثري. مطبعة السعادة - القاهرة.
- الإصابة في تمييز الصحابة: لابن حجر العسقلاني أحمد بن علي.
تحقيق: علي محمّد البجاوي. دار الجيل - بيروت. ط: أولى (١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م).
- الأعلام: للزركلي خير الدين.
دار العلم للملايين. ط: خامسة (١٩٨٠) (٨ مجلدات).
- الأغاني: لأبي الفرج الأصفهاني علي بن الحسين بن محمد القرشي.
تحقيق: إبراهيم الأبياري. دار الشعب (١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م).

- أمّ البراهين (العقيدة الصغرى) المعروفة بمتن السنوسية: للسنوسي
محمد بن يوسف حرّر المتن وقدم له: محمد أنيس مهراث. دار
الآثار الإنسانية للتوزيع - حمص (١٩٩٠ م).

- إنباه الرواة على أنباه النحاة: للقفطي جمال الدين أبي الحسن علي بن
يوسف.

تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. دار الفكر العربي - القاهرة.
مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت. ط: أولى (١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م).

- الانتصاف من الكشّاف: للإسكندري أحمد بن المنير.

طبع ذيلًا على تفسير الكشّاف. بتحقيق: مصطفى حسين أحمد. دار
الكتاب العربي. ط: ثالثة (١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م).

- إيضاح المبهم من معاني السلم في المنطق: للدمنهوري أحمد.

مطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر (١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م).

- إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون: للبغدادى إسماعيل بن
محمد أمين.

تحقيق: محمد شرف الدين بالتقابا، رفعت بيلكة الكليسي. دار إحياء
التراث العربي - بيروت.

- البحر المحيط (تفسير): لأبي حيان الأندلسي محمد بن يوسف.

طبع بعناية صدقي محمد جميل. دار الفكر - بيروت. (١٤١٣ هـ -
١٩٩٢ م).

- البداية والنهاية: لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير.

مكتبة النصر - الرياض. ط: أولى (١٩٦٦ م).

- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع: للشوكاني محمد بن علي.
دار المعرفة - بيروت.

- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: للسيوطي جلال الدين
عبد الرحمن بن أبي بكر.

تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. المكتبة العصرية صيدا - بيروت.

- بُلغة السالك لأقرب المسالك: للصابوي أحمد بن محمد.
- تحقيق: محمد عبد السلام شاهين. دار الكتب العلمية - بيروت.
ط: أولى (١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م).
- بلوغ الأماني من أسرار الفتح الربّاني: للساعاتي أحمد عبد الرحمن البنا.
دار إحياء التراث العربي. ط: ثانية.
- البيان والتبيين: للجاحظ أبي عثمان عمرو بن بحر.
- تحقيق: عبد السلام محمد هارون. مكتبة الخانجي - القاهرة. ط:
خامسة (١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م).
- تاج العروس من جواهر القاموس: للزبيدي محمد مرتضى الحسيني.
تحقيق: محمود محمد الطناحي. راجعه: عبد السلام محمد هارون.
(١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م).
- تاريخ آداب العرب: للرافعي مصطفى صادق.
دار الكتاب العربي - بيروت. ط: أولى (١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م).
- تاريخ ابن عساكر (تاريخ مدينة دمشق): لأبي القاسم علي بن الحسن.
تحقيق: لجنة من المحققين. مجمع اللغة العربية - دمشق.
- تاريخ ابن معين: ليحيى بن معين بن عون المرّي.
تحقيق: د. أحمد محمد نور سيف. جامعة الملك عبد العزيز - مكة
المكرمة. ط: أولى (١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م).
- تاريخ أبي زرعة الدمشقي: للنصري عبد الرحمن بن عمرو بن عبد الله.
تحقيق: شكر الله القوجاني. مجمع اللغة العربية - دمشق (١٩٨٠ م).
- تاريخ بغداد: للخطيب البغدادي أحمد بن علي بن ثابت.
المطبعة المصرية. تصوير دار الكتب العلمية - بيروت.
- تاريخ الخميس في أحوال أنفوس نفيس: للديار بكري حسين بن محمد
ابن الحسن.
- مؤسسة شعبان - بيروت.

- التاريخ الكبير : للبخاري محمد بن إسماعيل .
المكتبة الإسلامية - ديار بكر .
- تبصرة الأدلة في أصول الدين (على طريقة الإمام أبي منصور الماتريدي) :
للنسفي أبي المعين ميمون بن محمد . تحقيق : كلود سلامة . المعهد
العلمي الفرنسي - دمشق (١٩٩٣ م) .
- تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي : للمباركفوري أبي العلا محمد عبد
الرحمن بن عبد الرحيم .
دار الكتب العلمية - بيروت . ط : أولى (١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م) .
- تحفة الجلساء برؤية الله للنساء : للسيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن
أبي بكر .
دار الكتب العلمية - بيروت . ط : ثانية (١٩٨٥ م) .
- تحفة المرید علی جوهرة التوحيد : للباجوري إبراهيم بن محمد .
بهامشه تقارير أحمد الأجهوري على تحفة المرید . مطبعة مصطفى
البابي الحلبي - مصر . (١٣٥٨ هـ - ١٩٣٩ م) .
- تخريج أحاديث العقائد النسفية : للسيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن
أبي بكر .
تحقيق : محمد عدنان درويش . طبع على هامش شرح العقائد النسفية
لسعد الدين التفتازاني . دمشق (١٤١١ هـ) .
- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي : للسيوطي جلال الدين عبد الرحمن
ابن أبي بكر . تحقيق : أحمد عمر هاشم . دار الكتاب العربي - بيروت .
ط : أولى (١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م) .
- التذكرة في الأحاديث المشتهرة : للزرکشي بدر الدين محمد بن عبد الله .
تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا . دار الكتب العلمية - بيروت . ط : أولى
(١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م) .
- التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة : للقرطبي محمد بن أبي بكر .
تحقيق : السيد الجميلي . دار ابن زيدون - بيروت . ط : أولى (١٤٠٦ هـ -
١٩٨٦ م) .

- تذكرة الموضوعات : للفتني محمد طاهر بن علي الهندي .
المطبعة المنيرية - القاهرة . ط : أولى (١٣٤٣ هـ) .
- الترغيب والترهيب : للأصبهاني أبي القاسم إسماعيل بن محمد .
تحقيق : محمد السعيد بن بسيوني زغلول . مؤسسة الخدمات الطباعة -
بيروت .
- الترغيب والترهيب : للمنزري زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي .
تحقيق : مصطفى محمد عمارة . طباعة : مصطفى البابي الحلبي -
القاهرة . ط : ثانية (١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م) .
- تفسير آيات الأحكام : للصابوني محمد علي .
مكتبة الغزالي - دمشق . مؤسسة مناهل العرفان - بيروت . ط : رابعة
(١٤٠٥ - ١٩٨٥ م) .
- تفسير القرآن العظيم : لأبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي .
دار الأندلس - بيروت . ط : أولى (١٣٨٥ هـ - ١٩٦٦ م) .
- تقريب التهذيب : لابن حجر العسقلاني الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي .
تحقيق : عبد الوهاب عبد اللطيف . المكتبة العلمية - المدينة المنورة .
- تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير : لابن حجر العسقلاني
شهاب الدين أحمد بن علي .
- تحقيق : عبد الله هاشم اليماني . شركة الطباعة الفنية المتحدة - القاهرة
(١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م) .
- التمهيد : لأبي بكر الباقلاني محمد بن الطيّب .
تحقيق : تشرد يوسف مكارثي . المكتبة الشرقية - بيروت (١٩٥٧ م) .
- تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الشيعة الموضوعة : للكناني أبي
الحسن علي بن محمد بن عراقي .
- تحقيق : عبد الوهاب عبد اللطيف ، عبد الله محمد الصديق . مكتبة
القاهرة - مصر . ط : أولى .
- تهذيب التهذيب : لابن حجر العسقلاني أبي الفضل أحمد بن علي .
خيدر آباد . ط : أولى . تصوير دار صادر - بيروت .

- تهذيب الكمال في أسماء الرجال: للمِزِّي جمال الدين أبي الحجاج يوسف .
تحقيق: د. بشار عوَّاد معروف . مؤسسة الرسالة - بيروت . ط: ثانية
(١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م) .
- توالي التأسيس لمعالي محمد بن إدريس: للعسقلاني ابن حجر شهاب
الدين أحمد بن علي .
تحقيق عبد الله القاضي . دار الكتب العلمية - بيروت . ط: أولى
(١٩٨٦م) .
- التوحيد وإثبات صفات الربّ: لابن خزيمة محمد بن إسحاق .
تحقيق: محمد خليل الهزّاس . مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة
(١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م) .
- جامع الأصول في أحاديث الرسول: للجزري مجد الدين أبي السعادات
المبارك بن محمد بن الأثير .
تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط . نشر مكتبة الحلواني (١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م) .
- جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله: للقرطبي أبي عمر
يوسف بن عبد البر النمري .
الطبعة المنيرية - القاهرة .
- جامع البيان في تفسير القرآن: للطبري أبي جعفر محمد بن جرير .
بولاق . ط: أولى (١٣٢٣هـ) . تصوير دار المعرفة - بيروت . ط: الثالثة
(١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م) .
- الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير: للسيوطي جلال الدين
عبد الرحمن بن أبي بكر .
تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد . تصوير: دار خدمات القرآن .
- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم: للحنبلي
عبد الرحمن بن شهاب الدين بن أحمد بن رجب الحنبلي البغدادي .
تحقيق: د. وهبة الزحيلي . دار الخير - دمشق . ط: أولى (١٤١٣هـ -
١٩٩٣م) .

- جامع كرامات الأولياء: للنبهاني يوسف بن إسماعيل .
تحقيق: إبراهيم عطوة عوض . المكتبة الشعبية - بيروت . ط: رابعة
(١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م).
- الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري .
تصوير دار الكتاب العربي عن طبعة دار الكتب المصرية . ط: الثالثة
(١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م).
- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: للخطيب البغدادي أحمد بن
علي بن ثابت .
- تحقيق: د . محمد عجاج الخطيب . مؤسسة الرسالة - بيروت . ط: أولى
(١٤١٢هـ - ١٩٩١م).
- جمهرة أنساب العرب: لابن حزم علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي .
تحقيق: عبد السلام محمد هارون . دار المعارف - مصر (١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م).
- جواهر البلاغة: للهاشمي أحمد بن إبراهيم .
دار إحياء التراث العربي - بيروت . الطبعة الثانية عشرة .
- حاشية الأمير علي إتحاف المرید: للأمير محمد بن محمد .
طباعة: مصطفى البابي الحلبي - القاهرة . (١٣٦٨هـ - ١٩٤٨م).
- حاشية الخيالي على شرح العقائد النسفية: للخياي أحمد علي .
مطبعة: كردستان العلمية (١٣٢٩هـ).
- حاشية الدسوقي على شرح أمّ البراهين: للدسوقي محمد .
دار إحياء الكتب العربية لصاحبها عيسى البابي الحلبي .
- حاشية الصاوي على تفسير الجلالين: للصاوي أحمد بن محمد الخلوئي .
دار الفكر - بيروت (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م).
- حاشية الصاوي على شرح الخريدة البهية: للصاوي أحمد بن محمد الخلوئي .
مكتبة: محمد علي صبيح . ط: أولى (١٣٥٤هـ - ١٩٣٥م).
- حاشية الصاوي على الشرح الصغير: (المسماة ببلغة السالك لأقرب
المسالك): للصاوي أحمد بن محمد الخلوئي .

- تحقيق: مصطفى كمال وصفي . دار المعارف - مصر .
- حاشية الصبّان على شرح السلم المنورق للملّوي: للصبّان محمد بن علي .
تصحيح: أحمد سعيد علي . مطبعة البابي الحلبي - القاهرة . ط: ثالثة ١٩٣٨م).
- الحاوي للفتاوي: للسيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر .
المطبعة المنيرية - القاهرة (١٣٥٢ هـ) .
- الحبائك في أخبار الملائك: للسيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر .
تحقيق: محمد بسيوني زغلول . دار الكتب العلمية - بيروت . ط: أولى
(١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م) .
- الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة: لأنصاري شيخ الإسلام زكريا بن
محمد .
- تحقيق: د. مازن المبارك . دار الفكر المعاصر - بيروت (١٩٩١ م) .
- حرز الأمانى ووجه التهاني في القراءات السبع: للشاطبي القاسم بن
فيّره بن خلف .
- ضبطه: علي محمد الضبّاع . طباعة: مصطفى البابي الحلبي - القاهرة .
- حلية الأولياء: للأصبهاني أبي نعيم أحمد بن عبد الله .
مطبعة الخانجي - القاهرة . تصوير دار الكتاب العربي - بيروت . ط:
ثالثة (١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م) .
- حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر: للبيطار عبد الرزاق .
تحقيق: محمد بهجت البيطار . دار صادر - بيروت . ط: ثانية (١٤١٣ هـ -
١٩٩٣ م)
- حياة الحيوان الكبرى: للدميري كمال الدين محمد بن موسى .
دار الألباب - بيروت .
- خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب: للبيغدادي عبد القادر بن عمر .
تحقيق: عبد السلام محمّد هارون . الهيئة المصرية العامة للكتاب .
ط: ثانية (١٩٧٩ م) .

- الخصائص الكبرى: للسيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر.
دار الكتاب العربي.
- خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر: للمحبّي محمد بن فضل الله
ابن محبّ الله. دار صادر - بيروت.
- الخلاصة في النحو والصرف: لمحمد بن عبد الله بن مالك الأندلسي
النحوي. دار الإيمان - دمشق.
- الخيرات الحسان في مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان: لابن
حجر الهيتمي شهاب الدين أحمد.
نشر: برهان ساعي. ط: ثانية (١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م).
- دائرة المعارف الإسلامية:
ترجمة: أحمد الششتناوي، إبراهيم زكي خورشيد، عبد الحميد يونس.
- الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة: لابن حجر العسقلاني شهاب
الدين أحمد.
تحقيق: محمد سيّد جاد الحق. دار الكتب الحديثة.
- الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة: للسيوطي جلال الدين عبد
الرحمن بن أبي بكر.
مطبعة: مصطفى البابي الحلبي - القاهرة (١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠ م).
- الدرّ المنتور في التفسير بالمأثور: للسيوطي جلال الدين عبد الرحمن
ابن أبي بكر.
تصوير: بيروت، محمد أحمد دمج.
- دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه: لابن الجوزي أبي الفرج عبد الرحمن بن
علي الحنبلي.
تحقيق: حسن السقاف. دار الإمام النووي - عمان. ط: ثالثة
(١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م).
- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة: للبيهقي أبي بكر أحمد بن
الحسين.

- تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي. دار الكتب العلمية - بيروت.
ط: أولى (١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م).
- ديوان ابن الفارض (عمر بن علي):
تحقيق: فوزي عطوي. دار صعب - بيروت. ط: ثانية (١٩٨٠ م).
- ديوان البرعي (عبد الرحيم بن أحمد) في المدائح الربانية والصوفية.
شرح حافظ حسن المسعودي. مطبعة: مصطفى البابي الحلبي - مصر.
ط: ثانية (١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠ م).
- ديوان البوصيري (شرف الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد):
تحقيق: محمد سيد كيلاني. مطبعة: مصطفى البابي الحلبي - القاهرة.
ط: أولى (١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م).
- ردّ المختار على الدرّ المختار (حاشية ابن عابدين): لابن عابدين محمد أمين.
- إحياء التراث العربي - بيروت.
- الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة: للكتاني محمد بن جعفر.
- تحقيق: محمد منتصر بن محمد الزمزمي. دار البشائر الإسلامية - بيروت. ط: رابعة (١٩٨٦ م).
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: للألوسي شهاب الدين محمود البغدادي.
- المطبعة المنيرية - القاهرة. تصوير دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- الروض الأثف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام: للسهيلى أبي القاسم ابن عبد الله الخثعمي.
- تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد. دار الفكر
- زاد المعاد في هدي خير العباد: لابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر الزرعي.

تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عبد القادر الأرنؤوط. مؤسسة الرسالة.
ط: ثانية (١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م).

- السابق واللاحق: للخطيب البغدادي أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت.
تحقيق: محمد بن مطر الزهراني. دار طيبة - الرياض. ط: أولى
(١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م).

- سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر: للمرادي محمد خليل.
مكتبة المثنى - بغداد.

- السنة: لأبي بكر عمرو بن أبي عاصم.

تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني. المكتب الإسلامي - بيروت.
ط: ثانية (١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م).

- سنن ابن ماجه: لأبي عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه القزويني.

تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء التراث العربي - بيروت.

- سنن أبي داود: سليمان بن الأشعث.

تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. دار الفكر - دمشق.

- سنن الترمذي: لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة.

تحقيق: عزت عبيد الدعاس. مطبعة: الفجر الحديثة - حمص. ط:
أولى (١٣٨٧ هـ - ١٩٦٨ م).

- سنن الدارمي: للسمرقندي عبد الله بن عبد الرحمن.

تحقيق: فؤاد أحمد زمزلي، خالد السبع العلمي. دار الكتاب العربي -
بيروت. ط: أولى (١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م).

- السنن الكبرى: للبيهقي أبي بكر أحمد بن الحسين.

طبعة حيدر آباد الدكن بالهند (١٣٥٥ هـ) تصوير دار المعرفة - بيروت.

- السنن الكبرى: للنسائي أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب.

تحقيق: عبد الغفار البغدادي، سيد كسرواني حسن. دار الكتب
العلمية - بيروت. ط: أولى (١٤١١ هـ - ١٩٩١ م).

- سنن النسائي: لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب.

المطبعة المصرية - القاهرة.

- السيرة النبوية: لابن هشام المعافري.
- تحقيق: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي. دار القلم - بيروت.
- سير أعلام النبلاء: لشمس الدين الذهبي محمد بن أحمد.
- تحقيق: لجنة من المحققين. مؤسسة الرسالة - بيروت. ط: أولى (١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م).
- السير والمغازي: لمحمد بن إسحاق.
- تحقيق: د. سهيل زكار. دار الفكر. ط: أولى (١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م).
- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية: لمحمد بن محمد مخلوف.
- دار الكتاب العربي - بيروت. مصورة عن الطبعة الأولى (١٣٤٩ هـ) في المطبعة السلفية.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب: للحنبلي عبد الحي بن العماد.
- دار الفكر للطباعة.
- شرح ابن عقيل: لبهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي.
- تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. ط: ثانية.
- شرح الحكم العطائية: للشرنوبلي عبد المجيد.
- تحقيق: د. عبد الفتاح البزم. دار ابن كثير - دمشق. ط: خامسة (١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م).
- شرح الخريدة البهية: لأحمد الدردير أبي البركات.
- مطبعة: محمد علي صبيح - مصر. ط: أولى (١٣٥٤ هـ - ١٩٣٥ م).
- شرح السنوسي على أمّ البراهين: للسنوسي محمد بن يوسف.
- دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابي الحلبي).
- شرح العقائد النسفية: للفتازاني سعد الدين مسعود بن عمر.
- تحقيق: محمد عدنان درويش.
- شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان: لجلال الدين السيوطي

- عبدالرحمن. مطبعة: مصطفى البابي الحلبي - مصر (١٣٥٨ هـ - ١٩٣٩ م).
- شرح الفقه الأكبر: لملاعلي القاري.
دار الكتب العلمية - بيروت. ط: أولى (١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م).
- شرح الكفراوي على متن الآجرومية: لحسن الكفراوي.
مطبعة: مصطفى البابي الحلبي - مصر. ط: الثالثة (١٣٧٤ هـ - ١٩٥٤ م).
- شرح مقاصد الطالبين في علم أصول الدين: للفتازاني سعد الدين مسعود بن عمر.
دار الطباعة العامرة. (١٢٧٧ هـ).
- الشريعة: للأجرّي أبي بكر محمد بن الحسين.
تحقيق: محمد حامد الفقي. مطبعة: السنة المحمدية - القاهرة. ط: أولى (١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠ م).
- شعب الإيمان: للبيهقي أبي بكر أحمد بن الحسين.
تحقيق: محمد السعيد زغلول. دار الكتب العلمية - بيروت. ط: أولى (١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م).
- الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ: للقاضي عياض بن موسى بن عياض اليحصبي.
تحقيق: علي محمد الجاوي. دار الكتاب العربي - بيروت (١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م).
- الشمائل المحمدية: للترمذي أبي عيسى محمد بن سورة.
تحقيق: عزت عبيد الدعاس - حمص. ط: أولى (١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م).
- صحيح البخاري: لمحمد بن إسماعيل البخاري.
تحقيق: محبّ الدين الخطيب، محمد فؤاد عبد الباقي. المطبعة السلفية - القاهرة (١٤٠٠ هـ). تصوير دار إحياء التراث العربي - بيروت.

- صحيح البخاري: لمحمد بن إسماعيل البخاري .
تحقيق: د. مصطفى البغا. دار القلم - دمشق. ط: أولى (١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م).
- صحيح مسلم: لمسلم بن الحجاج القشيري .
تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. تصوير دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- الصمت وآداب اللسان: لابن أبي الدنيا عبد الله بن محمد .
تحقيق: محمد عبد القادر عطا. مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت. ط: أولى (١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م).
- صفة الصفوة: لابن الجوزي أبي الفرج جمال الدين .
تحقيق: محمد الفاخوري. دار المعرفة - بيروت. ط: ثانية (١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م).
- الضعفاء الكبير: للعقيلي أبي حفص محمد بن عمرو .
تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي. دار الكتب العلمية - بيروت. ط: أولى (١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م).
- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: للسخاوي شمس الدين محمد بن عبد الرحمن .
منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت.
- طبقات الأولياء: لابن الملقن سراج الدين أبي حفص عمر بن علي بن أحمد المصري .
تحقيق: نور الدين شريعة. دار المعرفة - بيروت. ط: ثانية (١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م).
- طبقات الشافعية الكبرى: لتاج الدين السبكي عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي .
تحقيق: محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح محمد الحلو. مطبعة: عيسى البابي الحلبي - القاهرة. ط: أولى (١٣٨٣ هـ - ١٩٦٤ م).

- الطبقات الكبرى : لمحمد بن سعد .
دار صادر - بيروت (١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م) .
- العظمة : للأصبهاني أبي محمد عبد الله بن محمد بن حيان المعروف بأبي الشيخ الأصبهاني .
تحقيق : مصطفى عاشور ، مجدي السيد إبراهيم . مكتبة القرآن - القاهرة (١٤١١هـ - ١٩٩١م) .
- وتحقيق : رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري . دار العاصمة - الرياض .
ط : أولى (١٤٠٨ هـ) .
- عمدة أهل التوفيق والتسديد شرح عقيدة أهل التوحيد : للسنوسي أبي عبد الله محمد بن يوسف .
مطبعة : مصطفى الباوي الحلبي - القاهرة (١٩٣٦م) .
- عمدة عقيدة أهل السنة والجماعة (العقائد النسفية) : للسنفي أبي حفص نجم الدين عمر بن محمد (١٨١٨هـ) .
- غاية النهاية في طبقات القراء : لابن الجزري شمس الدين محمد بن محمد .
عني بنشره (ج . برجستراسر) . مكتبة الخانجي . ط : أولى (١٣٥١هـ - ١٩٣٢م) .
- الفتاوى الحديثية : لهيثمي أحمد شهاب الدين بن حجر المكي .
المطبعة الميمنية - القاهرة (١٣٠٧هـ) .
- فتح الباري شرح صحيح البخاري : لابن حجر العسقلاني أبي الفضل أحمد بن علي .
- تحقيق : محبّ الدين الخطيب ، محمد فؤاد عبد الباقي . تصوير مكتبة الغزالي - دمشق .
- فتح المغيث شرح ألفية الحديث : للسخاوي محمد بن عبد الرحمن .
دار الكتب العلمية - بيروت . ط : أولى (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م) .
- الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم : للبغدادى عبد القاهر بن طاهر .
منشورات دار الآفاق الجديدة - بيروت ط : الرابعة (١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م) .
- فهارس التيمورية : مطبعة دار الكتب المصرية - القاهرة . (١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م) .

- فهارس الكتبخانية الخديوية: جمعه ورثه أحمد الميهي ، ومحمد الببلاوي .
المطبعة العثمانية - مصر . ط : أولى (١٣٠٥ هـ) .
- فهرس الفهارس والأنبات ومعجم المعاجم والمشیخات والمسلسلات :
للكتاني محمد عبد الحي بن عبد الكبير . تحقيق : د . إحسان عباس .
دار الغرب الإسلامي - بيروت (١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م) .
- فهرس المخطوطات العربية في مكتبة الأوقاف العامة في بغداد : عبد الله
الجبوري . مطبعة : الإرشاد . بغداد (١٩٧٤ م) .
- الفوائد البهية في تراجم الحنفية : للكنوي محمد عبد الحي الهندي .
عني بتصحيحه والتعليق عليه : محمد بدر الدين أبو فراس النعساني .
دار المعرفة - بيروت .
- الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة : للشوكاني محمد بن علي .
تحقيق : عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني . دار الكتب العلمية -
بيروت . ط : أولى (١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠ م) .
- فوات الوفيات : للكتبي محمد بن شاکر .
تحقيق : د . إحسان عباس . دار صادر - بيروت .
- فيض القدير شرح الجامع الصغير : للمناوي محمد عبد الرؤوف .
مطبعة : مصطفى محمد - القاهرة . ط : أولى (١٣٥٦ هـ - ١٩٣٨ م) .
- القاموس المحيط : للفيروزآبادي مجد الدين محمد بن يعقوب .
المكتبة التجارية الكبرى - مصر . ط : خامسة .
- الكامل في ضعفاء الرجال : للجرجاني أبي أحمد عبد الله بن عدي .
تحقيق لجنة من المختصين . دار الفكر . ط : ثانية (١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م) .
- كبرى اليقينيات الكونية : للبوطي محمد سعيد رمضان .
دار الفكر - دمشق . ط : ثامنة (١٤٠٢ هـ) .
- الكتاب : لسيبويه أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر .
تحقيق : عبد السلام محمد هارون . مكتبة الخانجي ، دار الجيل - مصر .
دار الرفاعي - الرياض . ط : ثانية (١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م) .

- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : للزمخشري محمود بن عمر .
- تحقيق : مصطفى حسين أحمد . دار الكتاب العربي . ط : الثالثة (١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م) .
- كشف الأستار عن زوائد البزار : للهيثمى نور الدين علي بن أبي بكر . تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي . مؤسسة الرسالة - بيروت . ط : أولى (١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م) .
- كشف الخفا ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس : للعجلوني إسماعيل بن محمد الجراح . مكتبة القدسي - القاهرة . ط : ثانية (١٣٥١ هـ) . تصوير : دار إحياء التراث العربي - بيروت .
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون : لحاجي خليفة مصطفى بن عبد الله ، المعروف بكاتب جلبي . قدّم له : شهاب الدين النجفي المرعشي . دار إحياء التراث العربي - بيروت .
- الكفاية في علم الرواية : للخطيب البغدادي أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت . حيدر آباد (١٣٥٧ هـ) .
- الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية) : للكفوي أبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني . تحقيق : عدنان درويش ، محمد المصري . منشورات وزارة الثقافة - دمشق . ط : ثانية (١٩٨٢ م) .
- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال : للبرهان فوري علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي . ضبط : حسن رزوق . تصحيح : صفوة السقا . مكتبة التراث الإسلامي - حلب . ط : أولى (١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م) .
- الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة : لنجم الدين الغزي محمد بن محمد بدر الدين .

- تحقيق: د. جبرائيل سليمان جبّور. دار الآفاق الجديدة - بيروت. ط: ثانية (١٩٧٩م).
- اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعية: لجلال الدين السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر. المكتبة الحسينية المصرية بالأزهر - القاهرة. ط: أولى (١٣٥٢ هـ).
- اللؤلؤ المرصوع فيما لا أصل له أو بأصله موضوع: للقاوقجي محمد أبي المحاسن. المطبعة البارونية - مصر.
- لباب التأويل في معاني التنزيل: للخازن علاء الدين البغدادي. دار المعرفة - بيروت.
- اللباب في تهذيب الأنساب: لابن الجزري عزّ الدين بن الأثير. مكتبة المثنى - بغداد.
- اللباب في شرح الكتاب: للغنيمي عبد الغني الدمشقي الميداني الحنفي. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. دار الكتاب العربي - مصر. ط: رابعة (١٣٨١ هـ - ١٩٦١م).
- لسان العرب: لابن منظور أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم. دار صادر - دار بيروت. (١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥م).
- لسان الميزان: لابن حجر العسقلاني أحمد بن علي. حيدر آباد (١٣٢٩ هـ). تصوير: مؤسسة الأعلمي - بيروت. ط: ثانية (١٣٩٠ هـ - ١٩٧١م).
- لطائف المنن: لابن عطاء الله السكندري. تحقيق: خالد عبد الرحمن العكّ. دار البشائر - دمشق. ط: أولى (١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م).
- لوائح الأنوار في طبقات الأخيار (الطبقات الكبرى): للشعراني أبي المواهب عبد الوهاب بن علي الأنصاري. دار الفكر - دمشق.

- المؤلف والمختلّف: للدارقطني أبي الحسن علي بن عمر .
- تحقيق: د. موفق بن عبد الله بن عبد القادر . دار الغرب الإسلامي - بيروت . ط: أولى (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م) .
- المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين: لأبي حاتم محمد بن حبان البستي .
- تحقيق: محمود إبراهيم زايد . دار الوعي - حلب . ط: أولى (١٣٩٦هـ) .
- مجمع البحرين في زوائد المعجمين: للهيثمي نور الدين علي بن أبي بكر .
- تحقيق: عبد القدوس بن محمد نذير . مكتبة الرشد - الرياض . ط: أولى (١٤١٣هـ - ١٩٩٢م) .
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: للهيثمي نور الدين علي بن أبي بكر .
- مكتبة القدسي - القاهرة (١٣٥٢هـ) .
- مجموعة الحواشي البهية على شرح العقائد النسفية .
- مطبعة: كردستان العلمية - مصر (١٣٢٩هـ) .
- المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لابن عطية أبي محمد عبد الحق الأندلسي .
- تحقيق: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري ، السيد عبد العال السيد إبراهيم .
- الدوحة . ط: أولى (١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م) .
- مختار الصحاح: للرازي محمد بن أبي بكر .
- ضبطه: د. مصطفى ديب البغا . دار اليمامة - دمشق ، بيروت . ط: أولى (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م) .
- مختصر تفسير ابن كثير: للصابوني محمد علي .
- دار النмир - دمشق ، دار القلم العربي - حلب (١٤١٠هـ - ١٩٨٩م) .
- المختصر في أخبار البشر (تاريخ أبي الفداء): لعمامد الدين أبي الفداء إسماعيل بن علي بن محمود الأيوبي الملك المؤيّد . دار المعرفة - بيروت .

- مدارك التنزيل وحقائق التأويل: للنسفي أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود.

دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البايي الحلبي - مصر .

- مراقي الفلاح شرح متن نور الإيضاح: للشرنبلالي حسن بن عمّار بن علي .
تحقيق: محمود عبد الوهاب فايز . المكتبة الأدبية - حلب .

- مرشد الحائر لبيان وضع حديث جابر: للغماري عبد الله بن محمد بن الصديق .

تحقيق: كمال يوسف الحوت . دار الجنان - بيروت . ط: أولى (١٤١١هـ - ١٩٩١م) طبع ضمن الرسائل الغمارية .

- المسائل المنشورة (فتاوى الإمام النووي): للنووي محيي الدين يحيى بن شرف .

ترتيب تلميذه علاء الدين بن العطار . مطبعة الاستقامة - القاهرة . ط:
أولى (١٣٥٢هـ) .

- المستدرك على الصحيحين: للنيسابوري أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم .

حيدر آباد - الهند . تصوير مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب .

- مسند الإمام أحمد: لأحمد بن محمد بن حنبل .

تصوير المكتب الإسلامي ، ودار صادر - بيروت .

- مسند أبي داود الطيالسي: لسليمان بن داود بن الجارود .

حيدر آباد - الهند . تصوير دار المعرفة - بيروت .

- مسند أبي يعلى الموصلي: لأحمد بن علي بن المثنى .

تحقيق: حسين سليم أسد . دار المأمون لتراث - بيروت . ط: أولى
(١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م) .

- مسند الشهاب: للقاضي أبي عبد الله محمد بن سلامة .

تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي . مؤسسة الرسالة - بيروت . ط:

أولى (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م) .

- المسند: للشاشي الهيثم بن كليب .
- تحقيق: د. محفوظ الرحمن زين الله . مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة . ط: أولى (١٤١٠هـ) .
- مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه: للبوصيري شهاب الدين أحمد بن أبي بكر الكناني .
- تحقيق: كمال يوسف الحوت . دار الجنان - بيروت . ط: أولى (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م) .
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي: للفيومي أحمد بن محمد بن علي المقري . دار القلم - بيروت .
- مصنف ابن أبي شيبة: لأبي بكر عبد الله بن محمد .
- تحقيق: عبد الخالق الأفغاني . إدارة القرآن والعلوم الإسلامية - كراتشي (١٤٠٦هـ - ١٩٨٧م) .
- مصنف عبد الرزاق: لابن همام الصنعاني .
- تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي . المجلس العلمي (١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م) .
- المصنوع في معرفة الحديث الموضوع: للملا علي القاري ابن سلطان المكي .
- تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة . مؤسسة الرسالة - بيروت . ط: ثانية (١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م) .
- مطالع الأنظار على طوابع الأنوار: للأصفهاني شمس الدين بن محمود ابن عبد الرحمن . وطوابع الأنوار: لعبد الله البيضاوي ، وبهامشها حاشية السيد الشريف الجرجاني . طبع سنة (١٣٠٥هـ) .
- المعتمد في أصول الدين: للحنبلي أبي يعلى محمد بن الحسين .
- تحقيق: د. وديع زيدان حدّاد . دار المشرق - بيروت . توزيع المكتبة الشرقية (١٩٧٤م) .
- المعجم الأوسط: للطبراني سليمان بن أحمد .

- تحقيق: د. محمود الطحان. مكتبة المعارف - الرياض. ط: أولى (١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م).
- معجم البلدان: للحموي أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرُّومي البغدادي. دار صادر، دار بيروت (١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م).
- المعجم الصغير: للطبراني سليمان بن أحمد. تحقيق: محمد شكور محمد الحاج امرير. المكتب الإسلامي - بيروت. ط: أولى (١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م).
- المعجم الكبير: للطبراني سليمان بن أحمد. تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي. دهر إحياء التراث العربي - بيروت. ط: ثانية (١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م).
- معجم المطبوعات العربية والمعرّبة: ليوسف إيلان سركيس. مطبعة سركيس - مصر (١٣٤٦ هـ - ١٩٢٨ م).
- معجم المؤلفين تراجم مصنّفي الكتب العربية: لعمر رضا كحّالة. دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- المعجم الوسيط: د. إبراهيم أنيس، د. عبد الحليم منتصر، عطية الصوالحي، محمد خلف الله أحمد. دار إحياء التراث العربي - بيروت. ط: ثانية.
- المغني في الضعفاء: لشمس الدين الذهبي محمد بن أحمد بن عثمان. تحقيق: نور الدين عتر. دار المعارف - حلب. ط: أولى (١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م).
- المغير على الأحاديث الموضوعية في الجامع الصغير: للغُمّاري أحمد بن محمد بن الصديق. دار العهد الجديد للطباعة. ط: أولى.
- مفاتيح الغيب (التفسير الكبير): للرازي فخر الدين محمد بن عمر بن حسين القرشي. دار الكتب العلمية - طهران.
- المقاصد: للنووي أبي زكريا يحيى بن شرف.

- تحقيق: برهان محمد بدر الدين الشعر . مكتبة الغزالي - دمشق (١٩٩٣م).
- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة: لشمس الدين السخاوي محمد بن عبد الرحمن . تحقيق: عبد الله محمد الصديق . مكتبة الخانجي - القاهرة (١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م).
- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين: لأبي الحسن الأشعري علي بن إسماعيل .
- عني بتصحيحه: هلموت ريتز . دار النشر - بفسبادن . ط: الثالثة (١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م).
- المقتدي بشرح الهدهدي على أم البراهين: للشُّحيمي أحمد بن محمد الحسيني .
- المطبعة الميريّة . ط: أولى (١٣٠٤هـ).
- المقدمة الحضرمية في فقه السادة الشافعية: للحضرمي عبد الله بن عبد الرحمن .
- تحقيق: محيي الدين الجزّاح . ط: ثانية (١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م).
- الملل والنحل: للشهرستاني محمد بن عبد الكريم بن أحمد .
- تحقيق: محمد سيّد كيلاني . دار المعرفة - بيروت .
- المنار المنيف في الصحيح والضعيف: لابن قيم الجوزية شمس الدين محمد بن أبي بكر .
- تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة . مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب .
- ط: أولى (١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م).
- مناقب الشافعي: للبيهقي أبي بكر أحمد بن الحسين .
- تحقيق: أحمد صقر . دار التراث - القاهرة . ط: أولى (١٣٩٠هـ - ١٩٧١م).
- مناهل الصفا بتخريج أحاديث الشفا: لجلال الدين السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر .

- تحقيق: سمير القاضي . دار الجنان ، ومؤسسة الكتب الثقافية - بيروت .
ط : أولى (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م) .
- المنتخب من مسند عبد بن حميد : لأبي محمد عبد بن حميد .
- تحقيق: صبحي البدرى السامرائى ، محمود الصعيدي . عالم الكتب -
بيروت . ط : أولى (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م)
- المنطق المفيد : للبهنسى محمد عبد العزيز .
مكتبة الكليات الأزهرية (١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م) .
- المنهاج بشرح صحيح مسلم بن الحجاج : للنووي محيي الدين يحيى بن
شرف .
تصوير دار إحياء التراث العربى - بيروت .
- المنهاج في شعب الإيمان : لأبي عبد الله الحلبي الحسين بن الحسن .
تحقيق: حلمي محمد فودة . دار الفكر - بيروت . ط : أولى (١٩٧٩م) .
- منهج السالك إلى ألفية ابن مالك : للأشموني علي بن محمد بن عيسى .
تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد . مكتبة النهضة المصرية . ط :
ثالثة .
- الموضوعات : لابن الجوزي أبي الفرج عبد الرحمن بن علي .
تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان . المكتبة السلفية - المدينة المنورة .
ط : أولى (١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م) .
- موطأ الإمام مالك : لمالك بن أنس .
رواية يحيى بن يحيى الليثي . تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي . تصوير دار
إحياء التراث العربى - بيروت (١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م) .
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال : للذهبي محمد بن أحمد بن عثمان .
تحقيق: علي محمد البجاوي . مطبعة عيسى البابي الحلبي - القاهرة .
ودار إحياء الكتب العربية . ط : أولى (١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م) .

- النادرات العينية: للجيلي عبد الكريم ، ومعه المعارف الغيبية شرح عبد الغني النابلسي للعينية . تحقيق: يوسف زيدان . دار الجيل - بيروت . ط: أولى (١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م) .
- الناسخ والمنسوخ من الحديث: لأبي حفص عمر بن أحمد بن شاهين . تحقيق: علي محمد معوض ، عادل أحمد عبد الموجود . دار الكتب العلمية - بيروت . ط: أولى (١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م) .
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: لابن تغري بَردي جمال الدين أبي المحاسن يوسف الأتابكي . تعليق: محمد حسين شمس الدين . دار الكتب العلمية - بيروت . ط: أولى (١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م) .
- نشر العلمين المنيفين في إحياء الوالدين الشريفين: لجلال الدين السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر . مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية . ط: أولى (١٣١٦ هـ) .
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب: المُقري أحمد بن محمد . شرح الدكتورة مريم قاسم طويل ، د. يوسف علي طويل . دار الكتب العلمية - بيروت . ط: أولى (١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م) .
- نكّت الهميان في نُكّت العميان: للصفدي صلاح الدين خليل بن أيبك . وقف على طبعه أحمد زكي بك . المطبعة الجمالية - مصر (١٣٢٩ هـ - ١٩١١ م) .
- النهاية (الفتن والملاحم): لأبي الفداء إسماعيل بن كثير . تحقيق: طه محمد الزيني . دار الكتب الحديثة - القاهرة (١٩٦٩ م) .
- النهاية في غريب الحديث والأثر: لابن الأثير مجد الدين أبي السعادات . تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ، محمود محمد الطناحي . المكتبة الإسلامية .
- نور الإيضاح ونجاة الأرواح: للشرنبلالي حسن بن عمار بن علي .

- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين : للبغدادي إسماعيل باشا ابن محمد أمين .
- تحقيق : شرف الدين بالتقبا ، رفعت بيلكة الكليسي . طبع بعناية وكالة المعارف - إستانبول (١٩٥٥ م) ، دار إحياء التراث العربي - بيروت .
- الوافي بالوفيات : للصفدي صلاح الدين خليل بن أيبك . طبع بعناية : همלות ريترو . مطبعة فرانز شتايز بفيسبادن . ط : ثانية (١٣٨١ هـ - ١٩٦٢ م) .
- الوافي في العروض والقوافي : للخطيب التبريزي . تحقيق : عمر يحيى ، د . فخر الدين قباوة . المطبعة العربية - حلب . ط : أولى (١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م) .
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان : لابن خلّكان أحمد بن محمد بن أبي بكر . تحقيق : إحسان عباس . دار صادر - بيروت .

* * *

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٥	مقدمة الطبعة الثانية
٦	مقدمة المحقق
١٠	ترجمة الشيخ إبراهيم اللقاني
١٤	ترجمة الشيخ أحمد الصاوي
٢٢	شروح جوهرة التوحيد وحواشيها
٢٥	منهج التحقيق
٣٣	متن جوهرة التوحيد للقاني
٤٣	مقدمة الشارح
٤٦	بيان في البسمة
٥٠	بيان في الحمدلة
٥٥	بيان في الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ
٥٨	تعريف النبي
٦٠	إرسال النبي ﷺ على فترة من الرسل
٧٠	سيدنا محمد ﷺ خاتم النبيين
٧٤	آل النبي ﷺ وصحبه
٧٨	علم العقيدة فرض على كل مكلف
٨٣	مبادئ كل فن عشرة
٩٥	القسم الأول الإلهيات
٩٧	معرفة الواجب والجائز والمستحيل في حق الله ورُسُله واجبة

١٠٨ حكم إيمان المقلد والخلاف فيه
١١٧ وجوب معرفة الله تعالى
١٢٥ النظر وسيلة لمعرفة الله تعالى
١٣٠ الإيمان والإسلام وما يتعلق بهما
١٣٧ الخلاف في زيادة الإيمان ونقصه
١٤٢ الصفات الواجبة لله تعالى
١٤٢ أ - الصفة النفسية (الوجود)
١٤٨ ب - الصفات السلبية خمس
١٤٨ ١ - القدم
١٥٠ ٢ - البقاء
١٥٢ ٣ - مخالفته تعالى للحوادث
١٥٤ ٤ - قيامه تعالى بالنفس
١٥٦ ٥ - الوحدانية
١٦٨ ج - صفات المعاني سبع
١٦٨ ١ - القدرة
١٧٤ ٢ - الإرادة
١٧٤ الفرق بين الإرادة وكل من الأمر والعلم والرضا
١٧٨ ٣ - العلم
١٨٠ ٤ - الحياة
١٨٠ ٥ - الكلام
١٨٦ ٦ - السمع
١٨٧ ٧ - البصر
١٨٨ صفة الإدراك والخلاف فيها
١٩٠ د - الصفات المعنوية سبع

١٩٠	١ - كونه حياً
١٩٠	٢ - كونه عليماً
١٩١	٣ - كونه قادراً
١٩١	٤ - كونه مريداً
١٩١	٥ - كونه سمياً
١٩٢	٦ - كونه بصيراً
١٩٤	٧ - كونه متكلماً
١٩٧	بيان تعلقات الصفات
١٩٧	١ - تعلقات القدرة
٢٠١	٢ - تعلقات الإرادة
٢٠٤	٣ - تعلقات العلم
٢٠٥	٤ - تعلقات الكلام
٢٠٧	٥ - تعلقات السمع
٢٠٧	٦ - تعلقات البصر
٢٠٧	تعلقات الإدراك
٢١١	أسماء الله عظمة قديمة توقيفية كصفاته
٢١٤	أسماء النبي ﷺ توقيفية
٢١٥	الأقوال في النصوص الموهمة للتشبيه
٢٢٠	القرآن كلام الله الأزلي
٢٢٣	ما يستحيل على الله تعالى من أضداد الصفات الواجبة
٢٢٨	ما يجوز في حق الله تعالى
٢٣٠	الله خالق للعباد وأعمالهم
٢٣٣	التوفيق والخذلان من الله تعالى
٢٣٥	الوعد والوعيد والخلاف فيهما

٢٣٨	السعادة والشقاوة عند الأشاعرة والماتريدية
٢٤٠	أفعال العبد والأقوال فيها
٢٤٥	إثابة المطيع فضل، وتعذيب العاصي عدل
٢٤٧	القول بوجوب الصلاح والأصلح على الله تعالى زور
٢٤٩	أصول الكفر والبدعة سبعة
٢٥٤	خلق الشرّ والخير والخلاف فيهما
٢٥٤	وجوب الإيمان بالقضاء والقدر
٢٥٨	رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة
٢٦٣	رؤية النبي ﷺ ربه ليلة الإسراء والمعراج والأقوال في ذلك
٢٧٣	القسم الثاني النبوات
٢٧٥	إرسال الرسل محض فضل من الله
٢٧٧	وجوب الإيمان بجميع الرسل عليهم الصلاة والسلام
٢٧٩	ما يجب في حق الرسل
٢٨٤	ما يستحيل في حق الرسل
٢٨٤	ما يجوز في حق الرسل
٢٨٧	كلمة (لا إله إلا الله محمد رسول الله) جامعة عقائد التوحيد
٢٩١	النبوة اصطفاء لا اكتساب
٢٩٥	مراتب الخلق وأفضلهم نبينا محمد ﷺ
٢٩٨	تأييد الله الأنبياء بالمعجزات
٣٠٠	وجوب العصمة للأنبياء والملائكة
٣٠١	ختم سيدنا محمد ﷺ الأنبياء والرسل، وعموم رسالته
٣٠٣	أحكام في النسخ
٣٠٨	من معجزات سيدنا محمد ﷺ
٣٠٨	١ - القرآن الكريم

- ٢ - الإسراء والمعراج ٣١١
- براءة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ٣١٢
- خير القرون ٣١٤
- مراتب الصحابة رضي الله عنهم ٣١٧
- ١ - الخلفاء الراشدون ٣١٧
- ٢ - تمام العشرة المبشرين بالجنة ٣١٨
- ٣ - أهل بدر ٣١٩
- ٤ - أهل أحد ٣٢٣
- ٥ - أهل بيعة الرضوان ٣٢٦
- مَنْ هم السابقون الأولون ٣٢٨
- تأويل خلاف الصحابة واجب لعدالتهم ٣٢٩
- فضل هداة أمة سيدنا محمد ﷺ ٣٣٢
- أ - أئمة الفقه الأربعة ٣٣٢
- ب - إماما التوحيد ٣٣٩
- ج - إمام الطائفة الصوفية ٣٣٩
- وجوب تقليد أحد الأئمة الفقهاء الأربعة ٣٤٢
- ثبوت الكرامات لأولياء الله تعالى ٣٤٤
- القسم الثالث وجُلُّه في السمعيات ٣٤٧
- الدعاء نافع (شروطه وآدابه) ٣٤٩
- مهمة الحفظه والكتبه من الملائكة ٣٥٠
- وجوب الإيمان بالموت ٣٥٦
- المقتول ميت بأجله ٣٥٩
- الخلاف في فناء الروح ٣٦٠
- الخلاف في فناء عجب الذنب ٣٦١

٣٦٤	الروح وحكم الخوض فيها
٣٦٨	العقل والخلاف في تعريفه
٣٦٩	وجوب اعتقاد سؤال القبر ونعيمه وعذابه
٣٧٢	وجوب اعتقاد النسر والحشر
٣٧٤	وجوب اعتقاد إعادة الأجسام بأعيانها عند النسر
٣٧٥	إعادة الأعراض والأزمان والخلاف في ذلك
٣٧٦	الحساب حق
٣٧٨	الحسنات مضاعفة، والسيئات بمثلها
٣٨٠	مكفرات الذنوب
٣٨٢	اليوم الآخر وهول الموقف
٣٨٤	وجوب اعتقاد أخذ العباد صحائف أعمالهم
٣٨٦	وجوب الإيمان بالوزن والميزان
٣٨٩	الصراط وأقسام المرور عليه
٣٩٠	العرش والكرسي والقلم والكتابون واللوح، ووجوب الإيمان بها
٣٩٢	الجنة والنار موجودتان وهما دارا الخلود
٣٩٨	وجوب الإيمان بحوض النبي ﷺ
٤٠٠	وجوب الإيمان بشفاعة النبي ﷺ، وبيان أنواع الشفاعة
٤٠٣	بيان في غفران الذنوب
٤٠٦	الشهداء ومراتبهم
٤٠٩	الرزق ما به انتفع
٤١١	الاكتساب والتوكل
٤١٤	الشيء هو الموجود
٤١٥	الوجود عين الموجود، والجوهر الفرد حادث
٤١٦	الذنوب والتوبة منها

٤٢١	وجوب حفظ الكليات الخمس
٤٢٣	حكم مَنْ أنكر معلوماً من الدين بالضرورة
٤٢٤	وجوب نصب الإمام العادل، ووجوب طاعته
٤٢٨	الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وشروطهما
٤٣٠	التخلي عن الرذائل والتحلي بالفضائل
٤٣٤	التخلق بأخلاق النبي ﷺ ومَنْ سار على هديه
٤٣٩	دعاء الختام
٤٤٥	خاتمة المؤلف
٤٤٥	خاتمة الناسخ
٤٤٦	خاتمة المحقق
٤٤٧	الفهارس العامة
٤٤٩	فهرس الآيات الكريمة
٤٦٢	فهرس الأحاديث الشريفة
٤٦٧	فهرس الأعلام
٤٧٢	فهرس المصادر والمراجع

* * *